

جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية

للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة

فرع السنة النبوية

# الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية

بحث

دكتور/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الدورة السادسة

الطبعة الأولى ١٤٣٣ - ٢٠١٢م





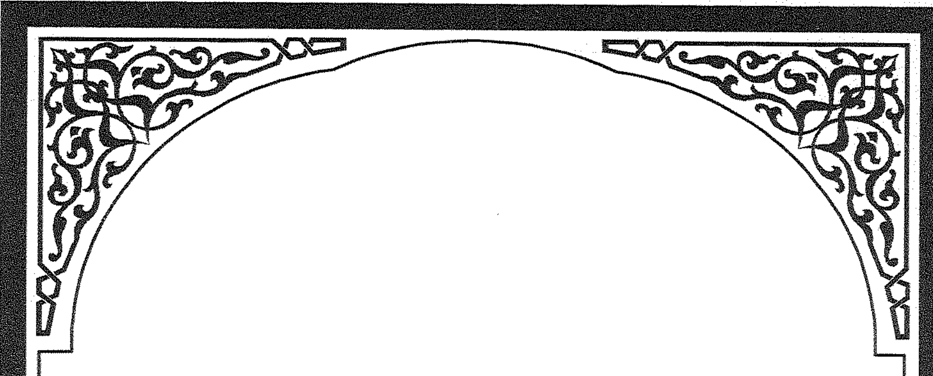

جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية
للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة
فرع السنة النبوية

# الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية

بحث

دكتور/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الدورة السادسة
الطبعة الأولى ١٤٣٣ - ٢٠١٢م



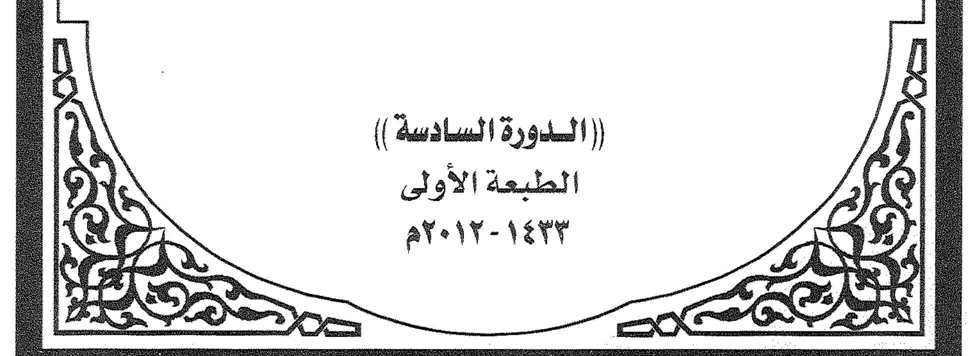
# الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية

## دراسة علمية لبناء النظرية الإسلامية للأمن الفكري

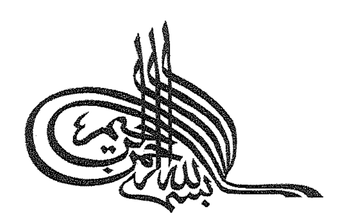
بحث مقدم لجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية
للسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ المُعَاصِرَةِ
عام ١٤٣٣ - ٢٠١٢م

كتبه

د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق



(( الدورة السادسة ))
الطبعة الأولى
١٤٣٣ - ٢٠١٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

(١)

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، وهو المستعان على سلوك الطريق القويم، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجع الأمور.

وبه المعتصم من الأهواء المردية والضلالات المهلكة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

(٢)

أما بعد:

فقد خلق الله -عز وجل- الإنسان وجعله حارثاً هماماً، دائباً في البحث عن مصالحه، مجتهداً في درء المفاسد عنه، وهذا ينتج حاجة رئيسة هي: الأمن ذلك أن:

- تفرق الناس في الحياة أرضاً وكيانات سياسة.
- وتنوع أديانهم، وأعراقهم، وألوانهم، وأهوائهم.

- والتجاذب الواقع في مصالحهم.
- وتفاوت الناس في طبقاتهم المادية.

وتعدد أغراضهم السياسية والاقتصادية، كل ذلك أنتج ألواناً من الصراع وأصبحت الحضارات والدول والكيانات، تبحث عن وسائل حمايتها وأمنها، كما هي تبحث أيضاً عما يحقق لها الغلبة والأمن.

فالأمن: هم وهاجس البشر؛ لأنهم ينشدون الحياة الآمنة التي لا يهددها شيء، وفي عالم اليوم الذي يشهد تعقداً في حياة الناس، وتواصلاً لم تعهده البشرية ولدت مصطلحات نسبية متعلقة بالأمن، وتنوعت الطروحات في هذا المجال من مثل: الأمن الاقتصادي، الأمن الغذائي، الأمن المائي..الخ..

وجوانب الأمن الاقتصادي -على سبيل المثال- يعد مفهومها أوسع من مجرد الكلام عن حماية المال من الاعتداء المباشر عليه.

وما مفهوم: (الأمن الفكري) إلا ضمن هذا السياق.

فقد طرح هذا المفهوم أصحاب مشروع حماية الأمة من: تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وهو مفهوم شاع في العصر الحديث؛ ليعبر عن تحصُّن الأمة ضد ما يغزو فكرها، واعتقادها من الخارج والداخل.

وتجد شيوعه وانتشاره أكبر ما يكون إبان وقوع الأزمات الفكرية، أو العقدية، وفي سياق مواجهة الأفكار المضللة.

ورغم أن هذا المصطلح: (الأمن الفكري) لم يرد في النصوص؛ بل ولا أعلم له وجوداً في تراث علماء المسلمين الأقدمين، إلا أننا إذا عرفنا مدلولاته العامة، وأنها تدور حول تحقيق الأمان للبشر من الانحرافات الفكرية، نستطيع بدراسة واستقراء النصوص الخلوص إلى بناء النظرية الإسلامية للأمن الفكري.

وذلـك يـستدعي مراجعـة آحـاد النـصوص، والتطبيقـات، والوقـائع في السيرة للخلوص بالرؤيـة المتكاملـة لتحقيـق الأمـن للنـاس في مجـال الفكـر، والاعتقاد، وهو عمل ينبني على الاستقراء الموصل لليقين، مع دراسـة كـل مـا يتصل بهذا الموضوع أو يتقاطع معه، أو يختلط به.

إن بناء النظرية وثيق الصلة بروح الـدين ومقاصـده، فالنظريـات العامـة ليست مبنية عـلى نـص محـدد، ولكنـه اسـتقراء لنـصوص الـشريعة، ونظـر في تصرفاتها للخروج ببناء متكامل لجوانب النظرية، وهو عمل يحتـاج إلى جهـود يكمل بعضها بعضاً، ويوصل إلى التكامل في فهم هذه النظرية عـلى مـستويات عدة، أهمها:

١- التكامل داخل النظرية باكتمال عناصرها، واستيفاء درجاتها ومستوياتها.

٢- تكامل النظريات مع منظومة النظريات الإسلامية الأخرى.

٣- ارتباط هذه النظرية بالقصد الأساس، والمحور الـذي يعـد معقـد الحيـاة، وأصلها وغرض الشريعة وهدفها، وهو التوحيـد ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦][(١)].

وأحسب أن هذا المـنهج لـو اسـتخدم في كثـير مـن المفـاهيم والنظريـات لأوجدنا الرؤية المتكاملة لهذا الدين، فيما تطرحه كثير مـن الثقافـات المعـاصرة واعتبر ذلك بأمثلة، منها: (الوسطية، الحرية، العدالة، المساواة) وغير ذلك مـن المفاهيم التي أصـبحنا نبنيهـا في جـوٍ مـن الغـبش الفكـري، حيـث أصـبحت مفاهيمنا ونظرياتنا هجيناً يضم أصلاً ودخيلاً، بـل أصـبحنا نـستقبل مفـاهيم

(١) ينظر: د. سيف الدين عبد الفتاح: مفهوم التجديد (١/ ٣٥١).

ونظريات صنعها أعداؤنا لنا لتوجه فكرنا، واعتقادنا.

وأحسب أن الرجوع بالأمر إلى أصوله، واستقراء نصوص الشريعة للخلوص بالرؤية الإسلامية المتكاملة للموضوع المراد يحقق رشداً للفكر وسلامة للاعتقاد (أن الرؤية الإسلامية التي تتميز بالكلية والشمول، ومصدر بنائها الذي يكمن في دلالات نصوصها، تتضمن مفاهيم أساسية منهجية تنتظم على أساسها مكتسبات الإنسان المعرفية في كل مجال من مجالات النظر والتطبيق، وليست هذه الدلالات في إطار عملية بناء المفاهيم (والنظريات) حين يتوصل إليها بناء معرفية فحسب، بل هي منظومة من المقاييس ينبغي أن تستثمر في غربلة المعارف الإنسانية، وفي تقويمها.

وذلك في ضوء النصوص الإسلامية؛ وفي ضوء المنهج الإسلامي الذي يصدر عن النصوص الإسلامية، ويعود إليها)[1].

ولقد كنت قديم الاهتمام بموضوع المفاهيم من جهة، وموضوع الأمن الفكري من جهة أخرى، وكتبت في ذلك جملة من الأبحاث، غير أن علمي بموضوع جائزة صاحب السمو الملكي الأمير: نايف بن عبد العزيز آل سعود وهو: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية.

حفزني على أن أبذل جهداً في تطبيق منهج بناء النظرية على هذا الموضوع فوجدتني مقبلاً على الكتابة.

آملاً أن أضع لبنة في الجهود العلمية لبناء النظرية الإسلامية المتكاملة لتحقيق الأمن الفكري.

---

(١) ينظر: د. سيف الدين عبد الفتاح: بناء المفاهيم الإسلامية ضرورة منهجية (٥٣/١).

(٣)

## عنوان البحث:

"الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية"

دراسة علمية لبناء النظرية الإسلامية للأمن الفكري

وظاهر من العنوان تركيز البحث في الجملة على السنة النبوية، وهذا يمثل تحدياً كبيراً نظراً؛ لأن عناصر النظرية تتكامل وتنضج بالنظر لنصوص الكتاب الكريم، ثم من بعد السنة الرجوع إلى أقوال الصحابة ومسيرتهم في التعامل في هذا الشأن.

ولكني هنا جعلت البحث معتمداً على السنة، وصدرت القول بالآيات القرآنية، ثم استفدت من أقوال الصحابة، وآراء العلماء لإيضاح ما أرادته السنة ولتوضيح الأمر.

أما ما كان من العناصر ليس فيه نص من السنة فإني لم أذكره.

(٤)

## أهمية الموضوع:

إن قيمة هذا البحث العلمي تتجدد بالنظر إلى جملة محددات من أهمها:

الأول: أهمية الموضوع في ذاته.

فلهذا الموضوع قيمته لاتصاله بدين الأمة ومعتقدها، وتحقيق الحماية للدين من العوادي.

الثاني: الثلمة التي يسدها البحث.

حيث لا توجد -حسب علمي- دراسات تستقريء نصوص السنة لاستخراج النظرية الإسلامية الشاملة؛ لتحقيق الأمن الفكري.

الثالث: أهمية الموضوع في سياقه الزمني، حيث تشهد الساحة الإسلامية والعالمية انحرافات عقدية وفكرية، وتهديداً يمس مقومات الاعتقاد، بل وانتقالاً من فساد الفكر إلى فساد الأرض برفع السلاح والعدوان على الخلق، وشهدت أرض بلادنا اعتداءات، وجرائم استهدفت أمن الناس بنيت على فساد عقدي.

(٥)

## عناصر البحث:

يتضمن البحث:

- مقدمة.
- وستة فصول.
- وخاتمة.

**فالفصل الأول: كان تمهيدياً، وعنونته بـ(المقدمات الممهدات).**

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الأمن وضرورته.

المبحث الثاني: حفظ الشريعة للضرورات الخمس.

المبحث الثالث: اختلاف البشر (وقوعه القدري، والموقف الشرعي منه).

المبحث الرابع: مفهوم الأمن الفكري (بناء المفهوم في ضوء اللغة ونصوص الشريعة).

**وأما الفصل الثاني: فكان عنوانه: (الأسس والمقومات).**

وتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأسس والمقومات الإيمانية.

المبحث الثاني: الأسس والمقومات العلمية.

المبحث الثالث: الأسس والمقومات المنهجية.

المبحث الرابع: الأسس والمقومات الاجتماعية والتربوية.

**وجاء الفصل الثالث: بعنوان: (الحماية والتحصينات):**

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق.

المبحث الثاني: التحذير من أعمال أهل الضلال: ومنها: الغلو.

المبحث الثالث: ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.

المبحث الرابع: التحذير من أوصاف معينة.

المبحث الخامس: التحذير من الإحداث والابتداع.

المبحث السادس: التحذير من الفتن.

المبحث السابع: التحذير من الدجال.

المبحث الثامن: التحذير من التلقي عن الإسرائيليات.

المبحث التاسع: التحذير من الأئمة المضلين.

**ثم الفصل الرابع: قد جعلت عنوانه: (التفاعل مع الثقافات والحضارات).**

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: التعارف.

المبحث الثاني: التعاون.

المبحث الثالث: تلقي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الغير.

المبحث الرابع: التسامح.

المبحث الخامس: البراءة من الكافرين مع موالاة المؤمنين.

المبحث السادس: الحوار.

المبحث السابع: الدعوة.

المبحث الثامن: المعرفة المشتركة.

**وقد أفردت الفصل الخامس في موضوع: (التعامل مع المهددات).**

وفيه خمسة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الجهل.

المبحث الثاني: سوء القصد.

المبحث الثالث: سوء الفهم.

المبحث الرابع: اتباع الهوى.

المبحث الخامس: الجدل.

المبحث السادس: الحسد.

المبحث السابع: الكبر.

المبحث الثامن: الاغترار بالكثرة.

المبحث التاسع: البغي على الخلق.

المبحث العاشر: التعصب.

المبحث الحادي عشر: كيد المبطلين، وعداوتهم للحق.

المبحث الثاني عشر: ادعاء علم الغيب.

المبحث الثالث عشر: سوء الظن.

المبحث الرابع عشر: زلل اللسان.

المبحث الخامس عشر: التقليد.

**ثم ختمت البحث بالفصل السادس: (التقويم والمعالجات).**

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني: التوازن والرجوع إلى الوسطية.

المبحث الثالث: أهلية القائم بالتقويم والمعالجة.

المبحث الرابع: النصيحة والموعظة الحسنة.

المبحث الخامس: الحوار.

المبحث السادس: الرد.

المبحث السابع: الهجر.

المبحث الثامن: العقوبة.

(٦)

## منهج البحث:

لقد بذلت الوسع أن أنهج نهجاً علمياً، مجتهداً في تحرير موضوعات البحث.

وهذه معالم من منهج البحث تدل على ما وراءها:

**أولاً: المناهج المستخدمة:**

**١- المنهج الاستقرائي:**

وذلك باستقراء النصوص وتتبع آحادها وسبرها وتصنيفها للوصول إلى

الحقائق التي دلت عليها.

٢- **المنهج التاريخي:**

وهو: "منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التأريخ الأولى ودعامة الحكم القوية؛ فيتأكد من صحتها ويفهمها على وجهها، ولا يحملها أكثر من طاقتها، وبذا يستعيد الماضي، ويكون أجزاءه.. ويعرض منه صورة تطابق الواقع ما أمكن"[(١)].

٣- **المنهج العلمي التحليلي:**

وذلك باستخدام خطة منظمة للوصول إلى كشف الحقائق والبرهنة عليها؛ بتقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره المكونة له[(٢)].

**ثانياً: الاعتماد على المصادر الأصلية:**

فقد اجتهدت في الاعتماد على المصادر الأصلية، فمن الله علي بالعناية بنصوص الكتاب والسنة وجعلتها عمدة البحث، ثم اجتهدت من بعد في النقل على السلف، ومن تبعهم من أهل العلم المحققين، حيث أكثرت النقول عنهم ولكني حرصت على نفاستها، ولقد اخترت نقولاً في بعض الموضوع من مئات النقول.

**ثالثاً: الحواشي والتوثيق:**

وملخص منهجي في ذلك ما يلي:

١- عزوت الآيات إلى السور وذكرت أرقامها في صلب البحث.

٢- خرجت الأحاديث تخريجاً وسيطاً فاكتفيت بالصحيحين، أو أحدهما إذا

(١) المعجم الفلسفي: مادة: المنهج التاريخي: (١٩٥).

(٢) المصدر السابق (١٩٥): مادة المنهج العلمي (٤٠) مادة التحليل.

كان فيهما أو في أحدهما، وما عداهما اجتهدت في تخريجه ذاكـراً في أحيـان كثيرة أقوال العلماء في الحكم عليه.

٣- وثقت الأقوال المنسوبة إلى أهل العلم، كما وثقـت النقـول عـن الكتـاب والمؤلفين.

٤- لم أعرف بأحد من الأعلام مشهورهم، ومغمورهم، إذ الـتراجم كثـيرة، وفي نقل شيء منها إثقال للبحث.

**رابعاً: الفهارس:**

اجتهدت في وضع فهارس تجلي للقارئ بعض جوانب البحث، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس المراجع.

٤- فهرس الموضوعات.

(٧)

## الصعوبات التي واجهت الباحث:

عرضت للباحث جملة مـن الـصعوبات سـهلها الله - عـز وجـل - بمنـه وكرمه ويمكن إيجازها في الآتي:

١- تشعب الموضوع، وكثرة جزئياته، التي لا تجتمع تحـت وحـدة موضـوعية واحدة، مما اقتضى التنقل بـين موضـوعات شـتى، والاطـلاع عـلى خطـة البحث يظهر ذلك للقارئ.

٢- أني بدأت البحث منذ فترة زمنية طويلة نسبياً مما أوجد شيئاً من الاختلاف

في منهجية البحث، أو مراجع الدراسة بين بعض موضوعات البحث.

٣- أني أخذت على نفسي أن يكون بناء النظرية ناتجاً عن جهد استقرائي، وتتبع الموضوع من جميع جوانبه مما أنتج صعوبة في الوصول إلى عناصر النظرية، واتضاحها إلى أمد طويل منذ بدء الدراسة.

## شكر وتقدير:

لقد اجتهدت في هذا البحث وسعيت آملاً أن أسد ثغرة في المكتبة الإسلامية، وما كان لي أن أصل إلى شيء لولا فضل الله، فهو المنعم المنان على عبده، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فما أصبح بي أو بأحد من العباد نعمة إلا وهو موليها ومسديها.

ثم الشكر لصاحب الفضل في حفز الهمم إلى العمل العلمي الجاد: صاحب السمو الملكي الأمير: (نايف بن عبد العزيز آل سعود) النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الداخلية، وراعي هذه الجائزة المباركة: (جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة).

سائلاً الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

وأهل الفضل من مشايخي وزملائي أكثر من أن أحصرهم فجزاهم الله عني خيراً، ولكني أخص فضيلة الشيخ: (جانتي بن وسام دوغوظ) على ما بذل معي من جهد، وما قدم لي من خدمة لتسديد العمل وتجويده.

وسأبقى حافظاً معروف الجميع ما مُدَّ لي في الحياة ونسيء لي في الأثر.

(٩)

وبعد فإني إذ أقدم هذا الجهد لأرجو أن يكون لي فيه إخـلاص القـصد مـا يبلغني مرضاة الرب سبحانه، ومن صواب القول ما ينفع الخلق، ومن التوفيق ما أسلم به من العثرات.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبــه:

**عبد الرحمن بن معلا اللويحق**






وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الأمن وضرورته.

المبحث الثاني: حفظ الشريعة للضرورات الخمس.

المبحث الثالث: اختلاف البشر (وقوعه القدري، والموقف الشرعي منه).

المبحث الرابع: مفهوم الأمن الفكري (بناء المفهوم في ضوء اللغة ونصوص الشريعة).

# المبحث الأول
# أهمية الأمن، وضرورته

إن الله -عزَّ وجلَّ- خلق الإنسان، وجعله خليفة في الأرض، وقد أخبر الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

فقال الملائكة لربهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فخلق الله الناس؛ ليعمروا الأرض، وجعل الموت والحياة لابتلاء الخلق، فمن وحَّد الله، وأقام شرعه، فقد حقق الأمن.

إن الأمن سببٌ رئيس لعمران البلاد، ورغد حياة العباد، ولذلك امتن الله على قريش فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

وامتن على المسلمين من بعد فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال - عز وجل- ممتناً على المسلمين أيضاً: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الطبري -رحمه الله-: (واذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله عليكم التي أنعمَ بها عليكم، حين كنتم أعداء في شرككم، يقتل بعضكم بعضًا، عصبيةً في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخوانًا بعد إذ كنتم أعداءً تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه... فالنعمة التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكرُوها، هي ألفة الإسلام، واجتماع كلمتهم عليها. والعداوةُ التي كانت بينهم، التي قال الله عز وجل: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام، يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة... فذكَّرهم جل ثناؤه إذ وعظهم، عظيمَ ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضًا وقتل بعضهم بعضًا، وخوف بعضهم من بعض، وما صارُوا إليه بالإسلام واتباع الرّسول -ﷺ- والإيمان به وبما جاء به، من الائتلاف والاجتماع، وأمن بعضهم من بعض، ومصير بعضهم لبعض إخوانًا)[1].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ يعني: حَرَم مكة إذا دخله الخائف يأمنُ من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية،

(١) جامع البيان (٧/٧٠- ٧٨).

كما قال الحسن البصري وغيره: كان الرجل يَقْتُل فيَضَع في عُنُقِه صوفة، ويدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول فلا يُهَيِّجُهُ حتى يخرج)[1].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قال ابن عاشور -رحمه الله-: (فكان ذلك أمناً مستمراً لسكان مكة وحرمها، وأمناً يلوذ إليه من عراه خوف من غير سكانها بالدخول إليه عائذاً، ولتحقيق أمنه؛ أمن الله وحوشه ودوابه تقوية لحرمته في النفوس، فكانت الكعبة قياماً لكل عربي إذا طرقه ضيم.

وكان أهل مكة وحرمها يسيرون في بلاد العرب آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء، فكانوا يتجرون، ويدخلون بلاد قبائل العرب، فيأتونهم بما يحتاجونه ويأخذون منهم ما لا يحتاجونه ليبلغوه إلى من يحتاجونه، ولولاهم لما أمكن لتاجر من قبيلة أن يسير في البلاد، فتعطلت التجارة والمنافع)[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

قال ابن كثير - رحمه الله -عند قوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ﴾: "أي: من الخوف، لا يَرْعَبُ أهله، وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدراً"[3].

وقال تعالى في قصة إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٧٩) وانظر: ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٩٧١).

(٢) التحرير والتنوير (٥/٢٢٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٢٥).

شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: آية ٨٠ - ٨٢].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: فأي الطائفتين أصوب؟ الذي عَبَد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"(١).

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشركٍ، ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة.

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء)(٢).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٩٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢٦٣).

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: "هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب

إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"[1].

فالأمن مطلب بشري دعا النبي -ﷺ- ربه أن يحققه، فكان من دعائه إذا رأى الهلال: "اللهم، أهله علينا باليُمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام، ربِّي وربك الله"[2].

ودعا -ﷺ- إلى تحقيق الأمن بتحريمه الاعتداء على الدماء، والأموال المعصومة في أعظم مشهد، حيث قال -ﷺ- في خطبة الوداع: "يأيها الناس، أيّ يوم هذا؟" قالوا: يوم حرام. قال: "أيّ بلد هذا؟" قالوا: بلد حرام، قال: "فأيّ شهر هذا؟" قالوا: شهر حرام.

قال: "فإن أموالكم، ودماءكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا" ثم أعادها مرارًا.

ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: "اللهم هل بلغت!" مرارًا.

قال: يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: والله لَوصِيَّةٌ إلى ربه -عز وجل- ثم قال: "ألا فليبلغ الشاهدُ الغائِبَ، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض"[3].

وجعل المحافظة على أمن الناس عنوان إيمان المؤمن، فقال -ﷺ-: "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٤٥) برقم (٣٤٥١) وقال (حديث حسن غريب) وأحمد (١٧/٣) برقم: (١٣٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٧/٣) برقم ( ٢٠٣٦) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط البخاري).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٣٤) وصححه الألباني: صحيح الجامع برقم (٦٦٥٨).

ونهى عن كل ما يخل بالأمن، ولو لعباً، ولهواً، ففي الحديث: "لا يحل لمسلمٍ أن يروِّع مسلماً "(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنَّه لا يدري، لعلَّ الشيطان يَنْزِغ في يده، فيقع في حفرة من النار"(٢).

وقد نهى -صلى الله عليه وسلم- عن إدخال الروع والخوف على قلب المسلم، ولو مزاحاً فقال: "لا يأخذنَّ أحدكم متاع أخيه لاعباً، ولا جاداً"(٣).

فكل تلك الأمور التي نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها أمور تنقض الأمن وتوقظ العداوة وتثير الشحناء بين الناس، حريٌّ بكل مسلمٍ أن يتجنبها ويبتعد عنها.

وكان من دعائه طلب الأمن والستر، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-كان يقول في دعائه: "اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي"(٤).

فطلب الأمن كان حاضراً في نصوص الوحي، وما ذاك إلا لأهميته العظمى، وحاجة الأمة إليه في كل مكان وزمان.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٤١) برقم (٥٠٠٤) وصححه الألباني: صحيح الجامع الصغير: برقم (٧٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥١) برقم (٧٠٧٢) ومسلم (١٠٥٢) برقم (٢٦١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٤١) برقم (٥٠٠٣) والترمذي (٣٥٩) برقم (٢١٦٠) وحسنه الألباني: صحيح الجامع الصغير: برقم (٧٥٧٨).

(٤) أبو داود (٥٤٧) برقم (٥٠٧٤) وابن ماجه (٤١٥) برقم (٣٨٧١) وصححه الألباني: صحيح ابن ماجه (٣٣٢/٢) برقم (٣١٢١).

# المبحث الثاني
# حفظ الشريعة للضرورات الخمس

لقد جاءت الشريعة محققة لمصالح العباد في الحال والمآل، وضبط مسيرة حياة بني آدم على السواء، ومنع ما يضر بالخلق، وهذه المصالح متفاوتة في درجاتها، ومختلفة في قدر الاحتياج إليها، وقد نصَّ العلماء على أن مصالح العباد من حيث النظر لأهميتها في قيام أمر الناس إلى ثلاثة أقسام: (ضرورية، وحاجية، وتحسينية).

والمتأمل في شأن أمن الأمة يجد اتصال الضروريات بتحقيق ذلك الأمن، ولذلك كان العلم بحفظ تلك الضروريات علماً ضرورياً.

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (قد اتفقت الأمَّةِ، بل سائر الملل على أنَّ الشريعةَ وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: (الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل) وعلمها عند الأمَّة كالضروريِّ)[1].

وقال الإمام الغزالي- رحمه الله-: (وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة، والزجر عنها يستحيل ألاّ تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق)[2].

ودليل معرفة هذه المقاصد دليل قطعي هو: الاستقراء، يقول الإمام

(١) الموافقات (١/٣١).

(٢) المستصفى (١٧٤).

الشاطبي -رحمه الله-: (ولم يثبت لنا ذلك -أي أن علم الضروريات الخمس صار مقطوعاً به- بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل عُلمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد، ولو استندت إلى شيء معين لوجب عادة تعيينه، وأن يرجع أهل الإجماع إليه، وليس كذلك؛ لأن كل واحد منها بانفراده ظني، ولأنه كما لا يتعين في التواتر المعنوي، أو غيره أن يكون المفيد للعلم خبر واحد دون سائر الأخبار، كذلك لا يتعين هنا؛ لاستواء جميع الأدلة في إفادة الظن على فرض الانفراد، وإن كان الظن يختلف باختلاف أحوال الناقلين، وأحوال دلالات المنقولات، وأحوال الناظرين في قوة الإدراك وضعفه، وكثرة البحث وقلته، إلى غير ذلك.

فنحن إذا نظرنا في الصلاة؛ فجاء فيها: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ١١٠] على وجوه، وجاء مدح المتصفين بإقامتها، وذم التاركين لها، وإجبار المكلفين على فعلها وإقامتها قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وقتال من تركها أو عاند في تركها، إلى غير ذلك مما في هذا المعنى، وكذلك النفس: نُهِيَ عن قتلها، وجُعل قتلها موجباً للقصاص متوعَّداً عليه، ومن كبائر الذنوب المقرونة بالشرك، كما كانت الصلاة مقرونة بالإيمان، ووجب سدُّ رَمَقِ المضطر، ووجبت الزكاة والمواساة والقيام على من لا يقدر على إصلاح نفسه، وأقيمت الحكام والقضاة والملوك لذلك، ورتبت الأجناد لقتال من رام قتل النفس، ووجب على الخائف من الموت سدُّ رمقه بكل حلال وحرام من الميتة والدم ولحم الخنزير، إلى سائر ما ينضاف لهذا المعنى، علمنا يقيناً وجوب الصلاة وتحريم القتل، وهكذا سائر الأدلة في قواعد الشريعة.

وبهذا امتازت الأصول من الفروع؛ إذ كانت الفروع مستندة إلى آحاد

الأدلة وإلى مآخذ معيّنة، فبقيت على أصلها من الاستناد إلى الظنِّ، بخلاف الأصول؛ فإنها مأخوذةٌ من استقراء مقتضيات الأدلة بإطلاق، لا من آحادها على الخصوص)[1].

وإذا انتظم الأصل الكلي في الاستقراء يكون كلياً جارياً مجرى العموم في الأفراد و(كونه يجري مجرى العموم في الأفراد؛ فلأنه في قوة اقتضاء وقوعه في جميع الأفراد، ومن هنالك استُنبط لأنه إنما استنبط من أدلة الأمر والنهي والواقعين على جميع المكلفين؛ فهو كليٌّ في تعلقه، فيكون عاماً في الأمر به والنهي للجميع)[2].

فمن تتبع موارد الشريعة تحصل له علمٌ يقين برعاية الشريعة لهذه المصالح، وإن كان بعض أهل العلم قد استدل لذلك بأدلة محددة أيضاً من أشهرها: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ونصوص السنة مليئة بأحاديث؛ إذا استُقرئت خلص المرء إلى أن هذه

(١) الموافقات (١/٣١-٣٢).

(٢) الشاطبي: الموافقات (١/٣٤).

الضرورات الخمس معتبرة، وأن حفظها أصلٌ من أصول الدين.

وحفظ الضرورات الخمس من وجهين:

الأول: من جهة الوجود: وهو ما يقيم أركانها ويثبِّت قواعدها.

الثاني: من جهة العدم: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع، أو المتوقع فيها.

(فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، ونحو ذلك.

والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود كتناول المأكولات والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، وما أشبه ذلك.

والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل أيضاً، لكن بواسطة العادات.

والجنايات ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم)[1].

وحفظ هذه الضرورات محقق لأمن الأمة الشامل، وكل من هذه الضرورات له صلته بالأمن الفكري بوجه أخص، ولعل عرض هذه الضرورات في لمحة موجزة يبين هذا:

**أولاً: حفظ الدين:**

أمر الله -عزَّ وجلَّ- بالاستقامة على الدين فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والقرآن كله إنما نزل؛ لتحقيق هذه الاستقامة على الدين، فالإسلام متسق

(١) الشاطبي: الموافقات (٢/١٨-٢٠).

مع الفطرة؛ المحتاجة إلى الدين حاجتها إلى سائر الضرورات: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

لقد حافظت الشريعة على الدين من الجانبين:

**الجانب الأول: من جهة الوجود:**

**فدعت إليه ابتداءً، وغرسته في النفوس: وفي أدلة السنة براهين كبيرة على ذلك منها:**

١- عن ربيعة بن عباد الديلي -رضي الله عنه- قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بَصَرَ عَيْنِي بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله؛ تفلحوا" ويَدخُل في فِجَاجها، والناس مُتَقَصِّفُونَ عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: "أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله؛ تفلحوا"[(١)] الحديث.

٢- وعن المسيب بن حَزْن المخزومي -رضي الله عنه- قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية بن المغيرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي طالب: "يا عمِّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله"[(٢)] الحديث.

٣- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ

---

(١) من زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل على مسند أبيه: (٢٥/٤٠٤) برقم: (١٦٠٢٣) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:( صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن ) وأخرجه الطبراني: المعجم الكبير:(٥/٦١) والحاكم: (١/٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٤) برقم (١٣٦٠) ومسلم (٤٤) برقم (٢٣).

وخصَّ فقال: "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذى نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا "(١).

٤- و لما بعث النبي -ﷺ- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى أهل اليمن قال له: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم، فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك، فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس"(٢).

٥- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا رسول الله، إنا من هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: "آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله " ثم فسرها لهم: "شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا إليَّ خمس ما غنمتم، وأنهى عن: الدباء، والحنتم، والمقبر، والنقير"(٣).

(١) أخرجه مسلم (١١٣) برقم (٢٠٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٥) برقم (٧٣٧٢) ومسلم (٤٢) برقم (١٩).
(٣) أخرجه البخاري (٨٢٥) برقم (٤٣٦٨) ومسلم (٤٠) برقم (١٧).

ودعت إلى الاستقامة، والثبات عليه:

١- عن سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال -صلى الله عليه وسلم-: "قل: آمنتُ بالله، فاستقمْ"[١].

٢- وبهذه الوصية كان يتواصى أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عن حذيفة قال: (يا معشر القراء: استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً؛ لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)[٢].

٣- وعن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "استقيموا، ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاةُ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمنٌ"[٣].

وفي الحديث: (تنبيه المكلف على رؤية التقصير وتحريضه على الجد؛ لئلا يتكل على عمله)[٤].

٤- وعن أنس قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقلت: يا رسول الله، آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: "نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يُقلِّبها كيف يشاء"[٥].

(١) أخرجه مسلم (٤٩) برقم (٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٨) برقم (٧٢٨٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٦) برقم (٢٧٧) وأحمد: المسند (٣٧/٦٠) برقم (٢٢٣٧٨) قال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح).

(٤) المناوي: فيض القدير (١/٤٩٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٦) برقم (٢١٤٠) وقال (هذا حديث حسن) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨٠١).

٥- وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".. فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة"(١).

ونحو ذلك من الأحاديث.

**ورسخت أصول الدين وأركان الإيمان، وعرفت العباد بذلك:**

١- وأجمع الأحاديث في ذلك، حديث جبريل -عليه السلام- المشهور فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من

---

(١) أخرجه أبو داود: ( ٥٠٤) برقم:( ٤٦٠٧ ) و الترمذي: ( ٤٣٣ ) برقم:( ٢٦٧٦ ) وقال: (هذا حديث حسن صحيح ) وأحمد: ( ٣٦٧/٢٨) برقم:( ١٧١٤٢) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:( حديث صحيح بطرقه وشواهده ) وابن ماجه (٢٢ ) برقم: (٤٢).

السائل " قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال " أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان " قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: "يا عمر أتدري من السائل؟ " قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[1].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: (هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة، والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال؛ حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه إذ لا يشذ شيء من الواجبات، والسنن والرغائب، والمحظورات، والمكروهات عن أقسامه الثلاثة)[2].

٢- وعن عمرو بن عَبسة قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ -ﷺ- فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "أن تُسْلِمَ قلبَكَ لله، وأن يسلَمَ المسلمون من لسانك ويدك "قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: "الإيمان" قال: وما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت" قال: فأيُّ الإيمان أفضل؟ قال: "الهجرة " قال: فما الهجرة؟ قال: "أن تَهجُر السُّوءَ " قال: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: "الجهاد " قال: وما الجهاد؟ قال: "أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم " قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: "من عقر جواده، وأهريق دمه " قال رسول الله -ﷺ-: "ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما، حجة مبرورة، أو عمرة "[3].

(١) أخرجه البخاري (٣٣) برقم (٥٠) و مسلم (٣٦) برقم (٨).

(٢) إكمال المعلم: (١/٢٠٤-٢٠٥) والنووي: شرح صحيح مسلم (١/١٥٨).

(٣) أخرجه أحمد: المسند (٢٨/٢٥١) برقم (١٧٠٢٧) قال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح =

٣- وقال -ﷺ- في وصيته لابن عباس -رضي الله عنهما -: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجَفَّت الصحف "[١].

**ودعت السنة إلى إقامة الدين، والإيمان على البرهان والحجة العلمية:**

١- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفئاً أحدٌ "[٢].

٢- وعن أبي إمامة -رضي الله عنه- قال: إن فتى شاباً أتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مَهْ، مَهْ فقال: "ادنه" فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله

= رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم).

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٩) برقم (٢٥١٦) وقال (هذا حديث حسن صحيح) والحاكم: المستدرك (٣/٦٢٣) برقم (٦٣٠٣) وقال (حديث كبير عال) وأحمد (٤/٤٠٩) برقم (٢٦٦٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده قوي).

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٩) برقم (٤٩٧٤).

جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

٣- وعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- أنَّ ناساً من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأجور، يُصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصومُ، ويتصدَّقُونَ بفُضُول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقةً، وكلِّ تكبيرةٍ صدقةً، وكلِّ تحميدةٍ صدقةً، وكلِّ تهليلةٍ صدقةً، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٌ عن منكَرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةٌ" قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرامٍ، أكان عليه فيها وزرٌ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجْراً "[2].

٤- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن أعرابياً أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال إن امرأتي ولدت غلاماً أسودَ، وإني أنكرته؟! فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "هل لك من إبل؟" قال: نعم، قال: "فما ألوانها؟ " قال: حُمْرٌ، قال: "هل فيها من أورَقَ؟" قال: إن فيها لورقاً، قال: "فأنى ترى ذلك جاءها؟" قال: يا رسول الله، عرقٌ نزعها. قال: "ولعل هذا عرق نزعه"[3].

---

(١) أخرجه أحمد: المسند (٤٥/١٨٠) برقم (٢١١٨٥) والطبراني: المعجم الكبير (١٦٢/٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٩) برقم (١٠٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٥) برقم (٧٣١٤) و مسلم (٦٠٨) برقم (١٥٠٠).

ودعت إلى القيام بالعبادات التي تحقق الحفاظ على الدين في كل نفس، وفي الأمة بعامة:

١- ففي الحديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"(١).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- "إن الله قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مَسَاءَتَهُ "(٢).

٣- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "إنَّ للإسلام صُوىً، ومناراً كمنار الطَّريق، من ذلك: أنْ يعبدَ الله ولا يشرك به شيئاً، وتقام الصَّلاةَ، وتُؤتى الزَّكاة، ويحج البيت، ويصام رمضانَ، والأمرُ بالمعروف، والنَّهيُ عن المُنكرِ، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، وتسليمك على بني آدم إذا لقِيتَهم، فإن ردوا عليك ردت عليهم الملائكة، وإن لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنتهم أو سكتت عنهم، ومن انتقصَ منهنَّ شيئاً، فهو سَهمٌ من الإسلام تركه، ومن نبذهنَّ فقد ولى

(١) أخرجه البخاري (٢٥) برقم (٨) و مسلم (٤٠) برقم (١٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).

الإسلام ظهره"(١).

**الجانب الثاني: من جهة العدم:**

**حذرت السنة من الزيغ والانحراف عن الدين الحق: إلى أي من بُنيات الطريق سواء إلى الغلو والزيادة، أو إلى التقصير والإضاعة.**

١- فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: خط النبي -صلى الله عليه وسلم- خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا"(٢).

٢- وعن النواس بن سمعان الأنصاري -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ضربَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنَبَتَي الصِّراط سُورانِ، فيهما أبوابٌ مفتَّحةٌ، وعلى الأبوابِ ستورٌ مُرخاةٌ، وعلى باب الصِّراط داعٍ يقول: يا أيُّها النّاس، ادخُلوا الصِّراط جميعاً، ولا تتفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصِّراطِ، فإذا أراد أنْ يفتحَ شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتَحه، فإنَّك إن تفتحه تَلِجْهُ، والصِّراط: الإسلام، والسُّورانِ: حدود الله -تعالى- والأبواب المفتَّحةُ: محارم الله -تعالى- وذلك الدّاعي على رأس الصِّراط: كتاب الله -عز وجل- والدّاعي من فوق: واعظُ الله في قلب

(١) أخرجه الطبراني: مسند الشاميين:(١/٢٤١) برقم: ( ٤٢٩ ) والمروزي: تعظيم قدر الصلاة: برقم: (٤٠٥) وابن السني : عمل اليوم والليلة: برقم:( ١٦١ ) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم:( ٢١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٣) برقم (٦٤١٧).

كلِّ مسلمٍ"[1].

٣- وقال -ﷺ-: "وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[2].

٤- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة النبي -ﷺ- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -ﷺ- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول اللهَّ -ﷺ- فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!" [3].

فاستنكر -ﷺ- هذا الأمر، وجعله خروجاً عن سنته وهديه.

٥- وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "هلك المتنطِّعون" قالها ثلاثاً[4].

قال النووي -رحمه الله-: "أي: المتعمقون الغالون، المجاوزون الحدود في

(١) أخرجه أحمد (١٨١/٢٩) برقم (١٧٦٣٤) والترمذي (٤٥٧) برقم (٢٨٥٩) وقال (حسن غريب) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن).

(٢) أخرجه النسائي (٣٢٣) برقم (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٢٨) برقم (٣٠٢٩) وصححه ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٩/١)، والنووي: المجموع (١٣٨/٨).

(٣) رواه البخاري (١٠٠٥) برقم (٥٠٦٣) ومسلم (٥٤٩) برقم (١٤٠١).

(٤) رواه مسلم (١٠٧١) برقم (٢٦٧٠).

أقوالهم، وأفعالهم"(١).

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: "أي: المشددون في غير موضع التشديد"(٢).

**وحذرت من سُبل الضالين، وطرق المنحرفين:**

١- فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله -ﷺ-: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم"(٣).

٢- وسأل رجل النبي -ﷺ- فقال: إن من الطعام طعاماً أتحرج منه؟ فقال: "لا يتخلَّجنَّ في صدرك شيءٌ ضارعت فيه النصرانية "(٤).

والمعنى: (لا يدخل في قلبك ضيق وحرج؛ لأنك على الحنيفية السهلة، فإذا شككت وشددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية)(٥).

٣- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدَّد عليكم، فإن قوماً شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/٢٢٠).

(٢) الفتاوى (٢٢/٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨٦٠) برقم (٤٥٤٧) و مسلم (١٠٧٠) برقم (٢٦٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود: (٤١٧) برقم:(٣٧٨٤) والترمذي: برقم:( ١٥٦٥) وقال: (هذا حديث حسن) وأحمد (٣٦/٢٩٧) برقم:( ٢١٩٦٥) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم: (٧٦٦٣).

(٥) العظيم آبادي: عون المعبود (٣/٤١٢).

بقاياهم في الصوامع والديار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]"(١).

٤- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ- "من تشبه بقوم فهو منهم"(٢).

قال المناوي -رحمه الله -: (من تشبه بقوم: أي تزيا في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفعلهم، وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي: وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن فهو منهم)(٣).

**كما حذرت من إضاعة تكاليف الشريعة:**

ومن ذلك:

١- قوله -ﷺ-: "أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(٤).

٢- وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: أقبل علينا رسول الله -ﷺ- فقال: "يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن:

(١) أخرجه أبو داود: (٥٣٢) برقم (٤٩٠٤)، وأبو يعلى: (٦/٣٦٥) برقم (٣٦٤٩) قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة) مجمع الزوائد (٦/٢٥٦) وقال البوصيري: (هذا إسناد صحيح ) إتحاف الخيرة: (٤/٢٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب: باب: (٤٤١) برقم: ( ٤٠٣١) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم: (٦١٤٩).

(٣) فيض القدير (٦/١٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨) برقم (٢٥) ومسلم (٤٣) برقم (٢٢).

لم تظهر الفاحشة في قوم قط؛ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في بأيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم "(١).

٣- وقال -ﷺ-: "إن بين الرجل، وبين الشرك والكفر، ترك الصلاة "(٢).

٤- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثِّل له ماله، شجاعاً، أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزِمَتيه - يعني بشدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] إلى آخر الآية "(٣).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٢) برقم (٤٠١٩) والحاكم: المستدرك (٥٨٢/٤) برقم (٨٦٢٣) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (٦١) برقم (٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٨٦٥) برقم (٤٥٦٥).

قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات "[1].

**ودعت إلى حفظ الدين بحفظ الإنسان من الشبهات التي قد توقع الإنسان في الضلال:**

ومن ذلك:

١- قوله -ﷺ-: "إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرَفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردُّوه إلى عالمه"[2].

٢- وعن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك " قالت: قلت: يا رسول الله، أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: "نعم، ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله -عز وجل- أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب" قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: "بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني"[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣) برقم (٢٧٦٦) ومسلم (٦٣) برقم (٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١/٣٠٤) برقم (٦٧٠٢) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح وهذا إسناد حسن) وله أصل عند مسلم (١٠٧٠) برقم (٢٦٦٦).

(٣) أخرجه أحمد: (٤٤/٢٠٠) برقم: (٢٦٥٧٦) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (بعضه صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وبقية رجاله رجال الشيخين) =

قال الغزالي -رحمه الله-: (إنما كان ذلك أكثر دعائه؛ لاطلاعه على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه، فإنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء وتأثر أصابه من جانب آخر ما يضاده، فيغير وصفه، وعجيب صنع الله في تقلبه لا يهتدي إليه إلا المراقبون لقلوبهم، والمراعون لأحوالهم مع الله)[1].

**ودعت السنة إلى حفظ الدين بأن يحمل المرء في قلبه النصح للناس، وأن يستشعر المسؤولية:**

١- فعن تميم الداري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام كما سنذكره من شرحه وأما ما قاله جماعات من العلماء: أن أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوه بل المدار على هذا وحده)[3].

**وأن يجتهد في دعوة الناس للخير**: ففي حديث: "بلغوا عني، ولو آية"[4].

**وأن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليحفظ الدين، قائماً في النفوس:**

١- فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من

= والترمذي: (٥٥٤) برقم: (٣٥٢٢) وقال: (حديث حسن).

(١) المناوي: فيض القدير (٥/٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) برقم (٥٥).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٦) برقم (٣٤٦١).

رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1].

قال النووي -رحمه الله -: (قوله -ﷺ-: "فليغيره" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة.

وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين) [2].

٢- وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي -ﷺ- يقول: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[3].

قال ابن حجر-رحمه الله -: ("ونجوا " أي كل من الآخذين والمأخوذين، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها) وأضاف: (وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف)[4].

قال ابن باز -رحمه الله-: (موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

(١) أخرجه مسلم (٥٠) برقم (٤٩).

(٢) شرح مسلم (٢/٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١) برقم (٢٤٩٣).

(٤) فتح الباري (٥/٢٩٦).

موضوع عظيم، جدير بالعناية؛ لأن في تحقيقه مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير واختفاء الفضائل وظهور الرذائل)[1].

وشرع الله من الحدود والتعزيرات ما يكفل حفظ الدين، ويمنع التلاعب بالدخول في الدين بقصد التشويش على أهل الإسلام:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

**ولذلك شرع الله -تعالى- حد الردة:**

١- يقول النبي -ﷺ-: "من بدَّل دينه، فاقتلوه "[2].

٢- وعن عبد الله قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة"[3].

قال النووي - رحمه الله -: (قوله -ﷺ-: "والتارك لدينه المفارق للجماعة" فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.

قال العلماء: ويتناول أيضا كل خارج عن الجماعة ببدعة، أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج والله أعلم.

واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه، فيباح قتله في الدفع)[4].

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٧/٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢١) برقم (٦٩٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٣١١) برقم (٦٨٧٨) ومسلم (٦٩٤) برقم (١٦٧٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٥/١١).

وبالجملة فمن تأمل حفظ الدين يجد ارتباط هذا المقصد العظيم بالأمن الشامل للأمة، والأمن الفكري للأمة بوجه أخص.

والأمثلة المذكورة هنا ليست إلا لبيان الأصل، وإلا ففي طيات هذا البحث تفاصيل لهذا الأصل.

❁ ❁ ❁

**حفظ العقل:**

العقل في الإسلام له منزلته الكبرى، فهو مناط المسؤولية، وهو معقد التكريم، أساس التكليف، ولذلك جاءت الشريعة بحفظه محققة بذلك وجهاً من وجوه الأمن للأمة، خاصة أمن اعتقادها، وفكرها.

قال الآمدي -رحمه الله-: (اتفق العقلاء على أن شرط المكلف: أن يكون عاقلاً فاهماً للتكليف؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له، ولا فهم محال، كالجماد والبهيمة.

ومن وجد له أصل الفهم لأصل الخطاب دون تفاصيله من كونه أمراً ونهياً، ومقتضياً للثواب والعقاب، ومن كون الآمر به هو الله تعالى، وأنه واجب الطاعة، وكون المأمور به على صفة كذا وكذا، كالمجنون، والصبي الذي لا يميز، فهو بالنظر إلى فهم التفاصيل، كالجماد والبهيمة بالنظر إلى فهم أصل الخطاب، ويتعذر تكليفه أيضاً) (١).

وقد جاءت السنة دالة على حفظ العقل من الجهتين:

**جهة الوجود:**

باعتباره مناط التكليف، فلا ثواب، ولا عقاب إلا بالعقل.

---

(١) الإحكام (١/١٣٨-١٣٩).

قال -ﷺ-: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل "[1].

**ودعا-ﷺ- إلى التعليم والحض عليه:**

١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[2].

٢- وعن صفوان بن عسال المرادي -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -ﷺ- وهو في المسجد متكئ على برد له، فقلت له: يا رسول الله! جئت أطلب العلم، فقال: "مرحباً بطالب العلم، طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً؛ حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب. فما جئت تطلب؟"[3] الحديث.

٣- وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: "يا أبا ذر! لأن تغدو، فتعلَّم آيةً من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمل به، أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة"[4].

٤- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "ومن سلك طريقاً

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١) برقم (٤٤٠٣) والنسائي (٣٦٢) برقم (٣٤٣٢) والترمذي (٢٥٠) برقم: (١٤٢٣) وقال (حديث حسن غريب من هذا الوجه، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (٤٤/١).

(٣) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير (٥٤/٨) برقم (٧٣٤٧) وقال الهيثمي (رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد (١٣١/١) وجوّد إسناده البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة (٢٠٢/١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٩) برقم (٢١٩) وحسن المنذري إسناده: الترغيب والترهيب (٥٤/١).

يلتمس فيه علماً؛ سهل الله له به طريقًا إلى الجنة"[1] الحديث.

يقول الدكتور: يوسف العالم -رحمه الله-: (وقد أوجب الإسلام التعليم محافظة على العقول من جانب الوجود؛ لأنه لا قيمة لجاهل يكون عرضة لكل ما يخطر عليه من الأوهام والخرافات، فمثل هذا العقل لا يجيد إدراك الحقائق الدينية، ولا المصالح الدنيوية، فيصير فريسة للبدع والخرافات والانحرافات في أمور الدين، قد تصل به إلى الشرك بالله، ولا يحسن التصور في أمور الدنيا أيضاً)[2].

**وبالدعوة إلى النظر واتباع الدليل والبرهان:** وفي السنة نصوص تدعو إلى ذلك منها:

عن معاذ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بعثه إلى اليمن فقال: "كيف تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟" قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟" قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضربَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدري، ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ، رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- لما يُرضي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٨٢) برقم (٢٦٩٩).

(٢) مقاصد الشريعة (٣٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٧) برقم (٣٥٩٢) والترمذي (٢٣٣) برقم (١٣٢٧) وأحمد: المسند (٣٣٣/٣٦) برقم (٢٢٠٠٧) وابن القيم: إعلام الموقعين (٢٤٤/٢) وقال (فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين، والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، =

وبالدعوة إلى التفكير في الأنفس والآفاق:

١ - قال -ﷺ-: "تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله"[(١)].

٢ - وقال -ﷺ-: "تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله"[(٢)].

٣ - وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال لأصحاب الحجر: "لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم"[(٣)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (أي خشية أن يصيبكم، ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعث على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به، والطاعة له،

---

= بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض أئمة الحديث إذا رأيت شعبة في إسناد حديث، فاشدد يديك به).

(١) أخرجه الطبراني: الأوسط (٦/٢٥٠) برقم (٦٣١٩) والبيهقي: شعب الإيمان (١/١٣٦) وقال (هذا إسناد فيه نظر) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٢٩٧٥).

(٢) قال العجلوني: (ولأبي نعيم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه -ﷺ- خرج على أصحابه فقال: "ما جمعكم؟" فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته، فقال: " تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله؛ فإنكم لن تقدروا قدره... " الحديث) كشف الخفاء (١/٣٥٧) برقم (١٠٠٥) ولم أعثر على هذه اللفظة : " تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله؛ فإنكم لن تقدروا قدره " في الحلية، وقد حسن الألباني الحديث: صحيح الجامع: برقم( ٢٩٧٦)

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٢) برقم (٤٧٠٢) ومسلم (١١٩٤) برقم (٢٩٨٠).

فمن مر عليهم ولم يفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم)(١)

٤- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه بات عند النبي -ﷺ- ذات ليلة، فقام نبي الله -ﷺ- من آخر الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية في آل عمران﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ..﴾ حتى بلغ ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ -١٩١] ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام فخرج فنظر إلى السماء، فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك، فتوضأ، ثم قام فصلى(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (النظر إلى المخلوقات العلوية، والسفلية على وجه التفكر والاعتبار، مأمور به، مندوب إليه)(٣).

**ومن جهة العدم:**

**بالمنع من كل مفسد للعقل سواء أكان حسياً أم معنوياً:**

فجاء النهي عن شرب الخمر وكل مفتر، فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: (نهى رسول الله -ﷺ- عن كل مُسْكِرٍ، ومُفَتِّرٍ)(٤).

---

(١) فتح الباري (١/٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٨) برقم (٢٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٣٤٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٧) برقم (٣٦٨٦) وأحمد (٤٤/٢٤٦) برقم (٢٦٦٣٤) والبيهقي: السنن الكبرى (٨/٢٩٦) برقم (١٧١٧٦) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح لغيره دون قوله: "ومفتر " وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب).

قال ابن الأثير -رحمه الله-: (المُفْتِر: الذي إذا شُرِب أحْمَى الجَسَدَ وصار فيه فُتُور وهو ضَعْف وانكِسار، يُقال: أفْتَر الرجُل فهو مُفْتِر: إذا ضَعُفَت جفونه وانكسر طَرْفُه)(١).

وكذلك المفسدات المعنوية:

فدعا إلى سلامة العقل، من الخرافة، ومن ذلك السحر والكهانة، وفي نصوص السنة أحاديث كثيرة منها:

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صَفَرَ، وفِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد"(٢).

٢- وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا عدوى، ولا طيرة، ولا غُول "(٣).

قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ولا غول"، قال ابن الأثير -رحمه الله-: (الغُولُ: أحَدُ الغِيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعُم أن الغُول في الفلاة تتراءى للناس فتَتَغول تَغَوُّلا: أي تَتَلَوّن تلَوُّنا في صُوَر شتَّى وتَغُولهم أي: تُضِلُّهم عن الطريق وتُهْلِكهم، فنَفَاه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبْطَله)(٤).

٣- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول اللهَّ -صلى الله عليه وسلم-: "من اقتبَسَ عِلْماً من النُّجُومِ اقتبَسَ شُعبَةً من السِّحرِ، زَادَ ما زَادَ "(٥).

(١) النهاية: مادة (فتر).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠) برقم (٥٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٩١٤) برقم (٢٢٢٢).

(٤) النهاية: مادة (غول) وانظر: ابن حجر: الفتح (١/١٦٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٢٨) برقم (٣٩٠٥)، وأحمد: المسند:(٣/٤٥٤) برقم (٢٠٠٠)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح)، وابن ماجه (٤٠٠) برقم (٣٧٢٦) والبيهقي: =

قال الخطابي -رحمه الله-: (علم النجوم المنهي عنه هو: ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع كمجيء الأمطار وتغير الأسعار، وأما ما يعلم به أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيما نهي عنه)[(١)].

والعقل بهذا إذا حُفظ سلم؛ لتأسسه على ما يحقق له الأمان من الانحراف والزيغ.

۞ ۞ ۞

**حفظ النفس:**

النفس عليها مدار حياة الناس، ولذلك جاءت الشريعة بالدعوة إلى الحفاظ عليها من الجهتين:

من جهة الوجود:

فبينت الشريعة أن إحياء النفوس عظيم القدر عند الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

١- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من كانت له أنثى، فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها - قال يعنى الذكور- أدخله الله الجنة"[(٢)].

---

= الكبرى:(١٣٨/٨) برقم ( ١٦٢٩٠) وصححه النووي: رياض الصالحين (٦٣٦) وابن تيمية: الفتاوى (١٩٣/٣٥) والألباني: السلسلة الصحيحة برقم (٧٩٣) وصحيح الجامع: برقم (٦٠٧٤).

(١) العظيم آبادي: عون المعبود (٢٨٤/١٠).

(٢) أخرجه أبو داود:(٥٥٤) برقم (٥١٤٦) وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: (ما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح، وبعضها أصح من بعض) رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في =

٢- وفي الحديث عن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تُقتل نفسٌ إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ منها "[١].

**وبينت السنة قدر الحياة، وأن بقاء المرء حياً في طاعة الله خيرٌ له:**

١- عن أبي بكرة -رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره، وحسن عمله" قال: فأي الناس شر؟ قال: "من طال عمره، وساء عمله "[٢].

٢- وعن عبد الله بن بسر -رضي الله عنه- قال: جاء أعرابيان إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال أحدهما يا رسول الله: أي الناس خير؟ فقال: "طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله" قال الآخر: أي الأعمال خير؟ قال: "أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله -عز وجل- "قال: يا رسول الله، ويكفيني؟ قال: نعم، ويفضل عنك"[٣].

**كما بينت السنة للإنسان ما ينفعه ويحقق بقاءه وسلامته: ومن ذلك:**

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا أيها الناس: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين،

---

= وصف سننه (٢٧).

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٩) برقم (٦٨٦٧) ومسلم (٦٩٤) برقم (١٦٧٧).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٨٤) برقم (٢٣٣٠) وقال (حديث حسن صحيح) وأحمد (٥٨/٣٤) برقم: (٢٠٤١٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد: وهو ابن جدعان وباقي رجاله ثقات).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٨٤) برقم (٢٣٢٩) وقال (حديث حسن غريب) وأحمد (٢٢٦/٢٩) برقم: (١٧٦٨٠) والشيباني: الآحاد والمثاني (٥١/٣) برقم (١٣٥٦) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (١٨٣٦).

فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[المؤمنون: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر: أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ "(١).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سأل رجل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطِشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "هو الطهور ماؤه، الحل ميتته"(٢).

٣- وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يحب الحلواء والعسل)(٣).

٤- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أكل كل ذي ناب من السباع حرام"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩١) برقم (١٠١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣) برقم (٨٣) والنسائي (٢٤) برقم (٥٩) والترمذي (٣٠) برقم (٦٩) وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٠) برقم (٣٧١٥) والترمذي (٣١١) برقم (١٨٣١) وقال (حديث حسن صحيح غريب) والنسائي: الكبرى (٣٧٠/٤) برقم (٧٥٦٢) وابن حبان (٨٣/١٢) برقم (٥٢٧٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٤) أخرجه النسائي: الكبرى (١٥٨/٣) برقم (٤٨٣٦) والترمذي (٢٦٠) برقم (١٤٧٩ وقال (هذا حديث حسن) وابن حبان (٥٩/١٢) برقم (٥٢٥٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

٥- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (نهى رسول الله -ﷺ- عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير)(١).

**كما بينت أن تكريم الإنسان بالتأكيد على المساواة والعدل، وأن معيار التفاضل بين البشر إنما بالتقوى:**

فقال -ﷺ- في خطبة الوداع: "يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟" قالوا: بلغ رسول الله -ﷺ-. الحديث(٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم" وأشار بأصابعه إلى صدره(٣).

وفي رواية: "إن الله لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"(٤).

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (إن إرادة العلو على الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد، فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم، ومع أنه ظلم، فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه؛ لأن العادل

(١) أخرجه مسلم (٨٠١) برقم (١٩٣٤).

(٢) رواه أحمد (٤٧٤/٣٨) برقم (٢٣٤٨٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) والبيهقي: شعب الإيمان (٢٨٩/٤) برقم (٥١٣٧) وقال الهيثمي (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد: (٣٦٦/٣).

(٣) رواه مسلم (١٠٣٥) برقم (٢٥٦٤).

(٤) المصدر نفسه.

منهم لا يجب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر)[1].

بل أكرمت السنة النفس البشرية بغض النظر عن دينها، فعن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية، فمرت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض -أي: من أهل الذمة- فقالا: إن رسول الله -ﷺ- مرت به جنازة، فقام، فقيل: إنه يهودي، فقال: "أليست نفساً"[2].

**من جهة العدم:**

حفظت الشريعة النفس من جانب العدم، فمنعت أي نوع من أنواع الاعتداء على النفس، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، منها:

١- قال - ﷺ - "كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه"[3].

٢- وخوطب النعمان بن بشير -رضي الله عنه- في قوم اتهموا بالسرقة،حبسهم أياماً ثم خلَّى سبيلهم، فقالوا له: خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان، فقال النعمان: ما شئتم إن شئتم أن أضربهم، فإن خرج متاعكم فذاك، وإلا أخذت من ظهوركم مثل ما أخذت من ظهورهم، فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حكم الله وحكم رسوله - ﷺ -[4].

٣- وعن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس،

---

(١) السياسة الشرعية (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦) برقم (١٣١٢) ومسلم (٣٧٢) برقم (٩٦١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٣٥) برقم (٢٥٦٤).

(٤) أخرجه النسائي (٥٠٣) برقم (٧٣٦١) وأبو داود (٤٧٩) برقم (٤٣٨٢) وسكت عنه، وحسنه الألباني: صحيح وضعيف أبو داود برقم (٤٣٨٢).

والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة"[1].

٤- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم"[2].

٥- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قال: "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالدا مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً"[3].

٦- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: "من حمل علينا السلاح، فليس منا"[4].

٧- وعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي-ﷺ- قال: "من قتل معاهداً لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً"[5].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم)[6].

۞ ۞ ۞

(١) سبق تخريجه (٤٦).

(٢) أخرجه النسائي (٤٢١) برقم (٣٩٨٧) والترمذي (٢٤٥) برقم (١٣٩٥) وابن ماجه (٢٨٥) برقم (٢٦١٩).

(٣) أخرجه البخاري: برقم (١١٣١) ومسلم: برقم (٥٧٧٨) ومسلم (٦٩) برقم (١٠٩).

(٤) أخرجه: البخاري (١٣١٠) برقم (٦٨٧٤) ومسلم (٦٦) برقم (٩٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٧) برقم (٣١٦٦).

(٦) فتح الباري (١٢/٢٥٩).

## حفظ المال:

المال عصب الحياة، وقيام كثير من المقاصد معتمد على المال، فحياة الناس قائمة على المال، بل من الشعائر ما لا يمكن القيام بها إلا بالمال، وقد وضعت الشريعة أحكاماً تحقق هذا المقصد العظيم.

**أولاً: من جهة الوجود:**

فقد جاءت السنة حاضة على التكسب، وطلب الرزق:

١- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"(١).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "والذي نفسي بيده؛ لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً، فيسأله أعطاه، أو منعه"(٢).

٣- وعن رافع بن خديج -رضي الله عنه- قال: قيل يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: "عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور"(٣).

**كما حضت على عمران الأرض وزراعتها:**

١- عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٥) برقم (١٢٠٩) وقال (حديث حسن).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٧) برقم (١٤٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/٥٠٢) برقم (١٧٢٦٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن لغيره على خطأ في إسناده) والبيهقي: السنن الكبرى (٥/٢٦٣) برقم (١٠١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٦) برقم (٢٣٢٠) ومسلم (٦٣٥) برقم (١٥٥٣).

٢- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم؛ حتى يغرسها، فليفعل"(١).

٣- وعن معاذ بن أنس الجهني -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غراساً في غير ظلم ولا اعتداء، كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن"(٢).

٤- وقال -صلى الله عليه وسلم-: "اليد العليا خير من اليد السفلى"(٣).

**ونظمت الشريعة التعامل بين الناس، وجعلت ذلك قائماً على العدل والرضا:**

١- فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه"(٤).

٢- وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الظلم ظلماتٌ يوم القيامة"(٥).

٣- وفي الحديث: "المسلم أخ المسلم لا يظلمُهُ.."(٦) الحديث.

٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن

(١) أخرجه أحمد (٢٠/٢٩٦) برقم (١٢٩٨١) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤/٣٨٢) برقم (١٥٦١٦) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف).

(٣) رواه البخاري (٢٧٨) برقم (١٤٢٩) ومسلم (٣٩٨) برقم (١٠٣٣).

(٤) أخرجه أحمد: المسند (٣٤/٢٩٩) برقم (٢٠٦٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط: (صحيح لغيره مقطعاً).

(٥) أخرجه البخاري (٤٦١) برقم (٢٤٤٧) ومسلم (١٠٤٠) برقم (٢٥٧٩).

(٦) أخرجه البخاري (٤٦٠) برقم (٢٤٤٢) ومسلم (١٠٤٠) برقم (٢٥٨٠).

-عز وجل- وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما وِلُوا"[1].

٥- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل.."[2] الحديث.

**وسن لنا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- سننا تكفل الاستفادة من المال والإفادة منه: ومن أظهرها الوقف:**

١- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[3].

قال النووي -رحمه الله-: (وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف) وقال: (وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه)[4].

٢- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: "إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها" فتصدق عمر، أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضعيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمولٍ فيه[5].

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣) برقم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١) برقم (٦٦٠) ومسلم (٣٩٧) برقم (١٠٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٦٦٩) برقم (١٦٣١).

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (١١/٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٣٥) برقم (٢٧٧٢) ومسلم (٦٧٠) برقم (١٦٣٢).

قال النووي -رحمه الله -: (وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لشوائب الجاهلية)(١).

وقال ابن حجر -رحمه الله -: (وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف)(٢).

**وشرع لنا قيماً تحفظ المال وتبعد عن مكتسبه أكل المال الحرام:**

١- عن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو قال حتى يتفرقا، فإن صَدَقَا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما"(٣).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يقول الله أنا ثالث الشريكين، ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجتُ من بينهما"(٤).

٣- وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب إلا بينه له"(٥).

**ثانياً: من جهة العدم:**

**نصوص السنة شاهدة على أوجه كثيرة من حفظ المال من هذه الجهة:**

١- فقد حرمت الشريعة الاعتداء على الأموال، ومن ذلك: عن أبي هريرة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٩/١١).

(٢) فتح الباري (٥/٤٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٢) برقم (٢٠٧٩) ومسلم (٦٢١) برقم (١٥٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٧٩) برقم (٣٣٨٣) والحاكم: المستدرك (٦٠/٢) برقم (٢٣٢٢) وقال (صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي، والدارقطني (٣٥/٣) برقم (١٣٩).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) برقم (٢٢٤٦) والحاكم: المستدرك (١٠/٢) برقم (٢١٥٢) وقال (صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ها هنا " ويشير إلى صدره ثلاث مرات " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه"[(١)].

٢- وفي الحديث: "من قتل دون ماله، فهو شهيد"[(٢)].

**وحرمت إضاعة المال وتبذيره:**

فعن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"[(٣)].

**وحذرت السنة من أخلاق تفسد الكسب، وتسوق إلى الحرام:**

١- عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم " قال: فقرأها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاث مرارٍ قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"[(٤)].

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "الحلفُ مَنْفَقَةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٥) برقم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٦٨) برقم (٢٤٨٠) ومسلم (٨١) برقم (١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨) برقم (١٤٧٧) ومسلم (٧١٣) برقم (٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٦٨) برقم (١٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٤) برقم (٢٠٨٧) ومسلم (٦٥٥) برقم (١٦٠٦).

٣- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال " ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟" ثم قال: "من غش فليس مني"(١).

**وجاءت الشريعة بالعقوبات الرادعة للناس عن أكل الحرام وأخذ أموال الناس بالباطل كحد السرقة:**

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده "(٢).

٢- وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "تقطع يد السارق في ربع دينار"(٣).

۞ ۞ ۞

## حفظ النسل:

جاءت الشريعة بحفظ النسل، ويدخل في ذلك حفظ العرض، وجعلت ذلك مقصداً من مقاصدها، ومن أوجه حفظه من الجهتين:

**من جهة الوجود:**

حضت السنة على الزواج، ونظمت أحكام الزواج، والولادة، والرضاع،

(١) أخرجه مسلم (٦٧) برقم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤) برقم (٦٧٨٣) ومسلم (٧٠٠) برقم (١٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٥) برقم (٦٧٩٠) ومسلم (٦٩٩) برقم (١٦٨٤).

والنفقة: ومن أدلة ذلك:

١ - عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رَسُول اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!"[(١)].

فاستنكر -صلى الله عليه وسلم- هذا الأمر منهم، وجعله خروجاً عن سنته وهديه.

٢- وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء"[(٢)].

٣- وعن معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية، فنهاه ثم أتاه الثالثة فنهاه، فقال: "تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرٌ بكم"[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠٥) برقم (٥٠٦٥) ومسلم (٥٤٩) برقم (١٤٠٠).

(٣) أخرجه النسائي (٣٤٢) برقم (٣٢٢٧) والبيهقي: السنن الكبرى (٨١/٧) برقم (١٣٢٥٣) وصححه الألباني: صحيح الجامع برقم (٣٣٣٠).

**ومن جهة العدم:**

**حرمت الشريعة الزنى، وحذرت من المفاسد الأخلاقية، وانتهاك الأعراض فأوجبت حد الزنى:**

١- عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"(١).

٢- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لماعز بن مالك: "أحق ما بلغني عنك؟" قال: وما بلغك عني؟ قال: "بلغني أنك وقعت بجارية آل فلان" قال: نعم. قال: فشهد أربع شهادات، ثم أمر به فرجم(٢).

**وحرمت كل سبيل مؤد إلى الشر في هذا الباب، فحرمت النظر إلى الأجنبية والخلوة بها:**

١- وعن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري(٣).

٢- وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعليٍّ "يا علي لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠١) برقم (١٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٣) برقم (١٦٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨٩٠) برقم (٢١٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٤٤) برقم (٢١٤٩) والترمذي (٤٤٧) برقم (٢٧٧٧) وقال (حديث حسن غريب) وأحمد (٣٨/٩٥) برقم (٢٢٩٩١).

٣- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تُبَاشِرُ المَرأَةُ المَـرأَةَ فَتَنْعَتَهَا لزوجها، كَأَنَّهُ ينظرُ "(١).

٤- وعن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها كانت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وميمونـة قالت: فبينا نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلـك بعـد مـا أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "احتجبا منه" فقلت: يا رسـول الله أليس هـو أعمـى، لا يبـصرنا، ولا يعرفنـا؟ فقـال رسـول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه"(٢).

٥- وعن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- أن رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- قـال: "إيـاكم والـدخول على النساء" فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمـو؟ قـال: "الحمو الموت "(٣).

۞ ۞ ۞

هذه جملة الضروريات التي جاءت بها الشريعة، عليها قيام حيـاة النـاس، وأيُّما خلل فيها، فهو مخل بأمن الناس.

وكل ضرورة من هذه الضرورات فـإن حفظهـا ذو صـلة ظـاهرة بـالأمن الفكري.

ومـا حفـظ الـدين مـن جِهَتَـيْ: (الوجـود، والعـدم) إلا حقيقـة الأمـن

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٦) برقم (٥٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٤٧) برقم (٢٧٧٨) وقال (حديث حسن صحيح) وأبـو داود (٤٤٩) برقم: (٤١١٢) وأحمد (١٥٩/٤٤) برقم (٢٦٥٣٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف؛ لجهالة حال نبهان وهو مولى أم سلمة).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٥) برقم (٥٢٣٢) ومسلم (٨٩٦) برقم (٢١٧٢).

الفكري، والاعتقادي، فإذا حفظ الدين من العوادي، وأصل في القلوب، فقد استقام الناس.

وما أمر حفظ العقل عن ذلك ببعيد فهو محل التفكير في الإنسان، وحفظه حفظ لنتاج العقل.

وتأمل حفظ النفس تجده وثيق الصلة بالأمن الفكري؛ لأن حفظ النفس متوجٌ بحفظها من جهة كرامتها، واعتقادها، وذلك يحقق أمنها، وأعظم الأمن المحقق للاطمئنان من كل المخاوف هو في الإيمان.

﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [: ٨١-٨٢].

**كما أن أكبر أسباب الأمن:**

اعتقاد ما يقتضيه هذا المقصد من حرمة الدماء، وعصمة النفوس المعصومة، وأول ما كان من انحراف في الأمة: انحراف الخوارج، وقد كان من أبرز سماتهم: (استحلال الدماء المعصومة) وهذا هو المنصوص عليه في قول النبي -ﷺ-: "يقتلون أهل الإسلام، ويَدعون أهل الأوثان"[1].

وليس قتلهم لأهل الإسلام إلا ناتجاً عن فكر ورأي، وقد نص أهل العلم على أن هذه السمة من سمات أهل البدع، كما قال أبو قلابة -رحمه الله-: (ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف)[2].

(١) انظر تخريجه (٥٢٢).

(٢) رواه الدارمي (٤٤/١) برقم (١٠٠).

## المبحث الثالث
## اختلاف البشر (وقوعه القدري، والموقف الشرعي منه)

إن الخلاف والتباين بين الناس في الأفكار والتصورات سنة من سنن الله في الخلق لا يمكن مغالبتها قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

قال الشاطبي -رحمه الله-: (فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً مع أنه إنما خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين في الآية.

وأن قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ معناه: وللاختلاف خلقهم.

وهو مروي عن مالك بن أنس قال: خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير.

ونحوه عن الحسن، فالضمير في خلقهم عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما سبق في العلم، وليس المراد ها هنا الاختلاف في الصور: كالحسن والقبيح والطويل والقصير، ولا في الألوان: كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة: كالتام الخلق والأعمى والبصير والأصم والسميع، ولا في الخُلق: كالشجاع والجبان والجواد والبخيل، ولا فيما أشبه ذلك من الأوصاف التي هم مختلفون فيها.

وإنما المراد اختلاف آخر وهو: الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا

فيه بين المختلفين كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية.

وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بها يسعد الإنسان به أو يشقى في الآخرة والدنيا.

هذا هو المراد من الآيات التي كرر فيها الاختلاف الحاصل بين الخلق)(١).

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: (إن الخلاف بين الناس كائن لا محالة؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨- ١١٩] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] ولولا هذا ما قامت الدنيا؛ ولا الدين؛ ولا قام الجهاد؛ ولا قام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ولم يمتحن الصادق من الكاذب)(٢).

وقال محمد رشيد رضا -رحمه الله-: (ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] خصَّ الاختلاف المذموم في الإسلام بما كان عن تفرق أو سببًا للتفرق، وجرى على ذلك السلف الصالح، فحظروا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين، وحتموا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل،

(١) الاعتصام (٢/٦٧٥).

(٢) تفسيره للقرآن الكريم، عن موقعه على الانترنت.

وخصوا الاجتهاد بالأحكام العملية، ولا سيما المعاملات، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه في المسائل الاجتهادية، ولا يكلفه موافقته في فهمه)[1].

۞ ۞ ۞

وإذا اختلف، الناس فإن من طبيعة الناس أنه لا يزال التأثر والتأثير قائماً بين التيارات المختلفة، والمذاهب المفترقة، والأديان المتعددة.

إن كل فريق يدأب على دعوة الآخرين واستمالتهم إلى دينهم، قال تعالى:

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

۞ ۞ ۞

ومع أن الخلاف أمر قدري كوني إلا أننا مأمورون شرعاً بتجنب أسبابه، والتقليل من آثاره.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (والآيات في ذم الاختلاف، والأمر بالرجوع إلى الشريعة كثير، كله قاطع في أنها لا اختلاف فيها، وإنما هي على مأخذ واحد، وقول واحد)[2].

وقال المزني- رحمه الله-: (ذم الله الاختلاف، وأمر عنده بالرجوع إلى

(١) مجلة المنار (٢٥/٢٧٦).

(٢) الموافقات (٥/٦١).

الكتاب والسنة، فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمه، ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة)(1).

إنه حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله -ﷺ-: "أعوذ بوجهك" قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: "أعوذ بوجهك" قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله -ﷺ-: "هذا أهون، أو هذا أيسر"(2).

فوقوع الخلاف مع أنه شر إلا أنه أيسر وأهون من الهلاك العام، وعليه فتضييق مجالاته والتخفيف من آثاره أهون وأيسر إن لم يكن واجباً شرعاً وعقلاً، وذلك الاختلاف قد يكون داخل الأمة المسلمة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه.

وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله -ﷺ- لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف.

وإن وقع كان اختلافاً لا يضر -كما تقدم من اختلاف الصحابة - فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد: وهو كتاب الله، وسنة رسوله -ﷺ- والقصد

(1) أخرجه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٧٩).

(2) أخرجه البخاري (٨٨١) برقم (٤٦٢٨).

واحد: وهو طاعة الله ورسوله -ﷺ- والطريق واحد: وهو النظر في أدلة القرآن والسنة، وتقديمها على كل قول ورأي، وقياس، وذوق، وسياسة"(١).

إن الخلاف -إذا لم يقع فيه غلو، وبغي- قد يحمل في طياته رحمة للخلق من جهة ما يتيحه للخلق من سعة، ورفع مشقة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة؛ إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه كتاب: الاختلاف، فقال أحمد: (سمه: كتاب السعة) وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه؛ لما في ظهوره من الشدة عليه، ويكون من باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وهكذا ما يوجد في الأسواق من الطعام والثياب قد يكون في نفس الأمر مغصوباً، فإذا لم يعلم الإنسان بذلك كان كله له حلالاً لا إثم عليه فيه بحال، بخلاف ما إذا علم فخفاء العلم بما يوجب الشدة قد يكون رحمة، كما أن خفاء العلم بما يوجب الرخصة قد يكون عقوبة، كما أن رفع الشك قد يكون رحمة، وقد يكون عقوبة، والرخصة رحمه. وقد يكون مكروه النفس أنفع، كما في الجهاد"(٢).

ويقول -رحمه الله- في موضع آخر: "ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة.

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٥١٩).

(٢) الفتاوى (١٤/١٥٩).

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله -ﷺ- لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة.

وكذلك قال غير مالك من الأئمة: ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه.

ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه"(١).

۞۞۞

إن لاختلاف الناس علاقة وثقى بالأمن الفكري، فإن الناس إذا اختلفوا وافترقوا عن الحق، فإنهم بحاجة إلى تحقيق السلامة لأنفسهم وللناس.

ولذلك لما أورد الله - عز وجل - قصص جملة من الأنبياء قال: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

ونهانا - عز وجل - أن نفترق أو أن نصير إلى شيء من طرق الضالين: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

إن الموقف الشرعي من المخالف قائمٌ على أسس تبين أن الشريعة تدعو

(١) الفتاوى (٣٠/٨٠).

لتحقيق الأمن العقدي للناس، وسلامة أفكارهم واعتقاداتهم من كل باطل، وإني ذاكر هنا جملة من المعالم على سبيل المثال:

**المعلم الأول: الحرص على المخالف برجوعه للحق:**

وهذا مستفاد من منهج النبي -ﷺ- في دعوته للخلق، ففي جانب الحرص نجد قوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ [النحل: ٣٧].

قال الشنقيطي - رحمه الله -: (ذكر جل وعلا في هذه الآية أن حرص الرسول -ﷺ- على إسلام قومه لا يهدي من سبق في علم الله أنه شقي.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١])[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

قال الشنقيطي -رحمه الله- أيضاً: (الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة أن الله نهى نبيه -ﷺ- عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام.

ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم كقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ

(١) أضواء البيان (٢/٣٧٥).

عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ ﴾[فاطر: ٨] وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨] إلى غير ذلك من الآيات.

والمعنى قد بلغت، ولست مسؤولاً عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء)[1].

قال القشيري -رحمه الله-: (والحزن على كفر الكافر طاعة، ولكن النبي -ﷺ- كان يفرط في الحزن على كفر قومه، فنُهي عن ذلك)[2].

هنا يرد سؤال لا مناص منه وهو قلب محمد -ﷺ- الذي بالغ في الحزن؛ حتى أمر شفقة ورحمة به أن ينتهي عن حالة الحزن هذه، لمن يتوجه هذا الحزن، وما سبب هذه الشفقة المبالغة في الحزن؟

إن الدهشة لتعتري المرء عندما يجد أن هذا الحزن منه -ﷺ- يتجه تجاه من كان حريصاً أشد الحرص على إيصال كل شر، وأذى إليه، وما تعاونهم واتفاقهم على قتله -ﷺ- إلا من هذا القبيل، وهنا الاختلاف: هم حريصون على أذيته، بل قلْ قتله، وهو حريص على نفعهم وبقائهم، أيُّ قلب هذا الذي يحمله نبينا محمد -ﷺ-!!.

وأكد -ﷺ- على حرصه على الخلق وإبعادهم عن كل ما يوقعهم في

---

(١) المصدر نفسه (٢/٣١٦).

(٢) القرطبي: أحكام القرآن (٤/٢٨٥).

النار[1] حين قال: "مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلَّتون من يدي"[2].

وفي رواية: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها"[3].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العُريان فالنجاء النجاء؛ فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذَّب ما جئت به من الحق"[4].

قال النووي -رحمه الله- على هذا الحديث: (باب شفقته -صلى الله عليه وسلم- على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم)[5].

(١) انظر: ابن حجر: فتح الباري (١١/٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٨) برقم (٢٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٩٣٨) برقم (٢٢٨٤).

(٤) أخرجه: البخاري (١٢٤٣) برقم (٦٤٨٢) ومسلم (٩٣٨) برقم (٢٢٨٣).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٤٨).

وهذه بعض المواقف من سيرته تزيد الأمر وضوحاً:

**١ - حرصه -ﷺ- على إسلام عمه الكافر أبي طالب:**

فعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله -ﷺ- فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

قال رسول الله -ﷺ- لأبي طالب: "يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله -ﷺ- يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة؛ حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله -ﷺ-: "أما والله لأستغفرن لك؛ ما لم أُنه عنك" فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية[١].

**٢ - حرصه ﷺ على هداية أمته:**

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقال عيسى -عليه السلام-: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤) برقم (١٣٦٠) ومسلم (٤٤) برقم (٢٤).

فرفع يديه وقال: "اللهم أمتي، أمتي" وبكى، فقال الله -عز وجل-: "يا جبريل! اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك" فأتاه جبريل -عليه السلام- فسأله، فأخبره رسول الله -ﷺ- بما قال- وهو أعلم - فقال الله: "يا جبريل! اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك"(١).

قال النووي -رحمه الله -: (هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد:

منها: بيان كمال شفقة النبي -ﷺ- على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم.

ومنها: استحباب رفع اليدين في الدعاء.

ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفا بما وعدها الله -تعالى- بقوله: "سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك".

وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها بيان عظم منزلة النبي -ﷺ- عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به -ﷺ-)(٢).

**المعلم الثاني: الرحمة والشفقة للمخالف:**

وهذا أيضاً مستفاد من منهج النبي -ﷺ- في دعوته للخلق فقد كان تام الرحمة والشفقة للخلق، وهذا ثابت بنص الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى:

١- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ

(١) أخرجه مسلم (١١٢) برقم (٢٠٢).
(٢) شرح صحيح مسلم (٣/٧٨-٧٩).

عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال القرطبي -رحمه الله-: (وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة) (١).

قال ابن سعدي -رحمه الله -: (أي: برحمة الله لك، ولأصحابك منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسَّنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسيه ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لأن هذا ينفرهم ويبغِّضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص. والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغِّضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به -ﷺ- من اللين، وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وجذباً لعباد الله لدين الله) (٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال القرطبي -رحمه الله-: (قال سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي الله

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٥٤).

عنهما-قال: كان محمد -ﷺ- رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق)[1].

قال الشنقيطي -رحمه الله -: (ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- إلى الخلائق إلا رحمة لهم؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف، ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى، وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عينا للخلق غزيرة الماء سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل، فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقيل: كونه رحمة للكفار من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال. والأول أظهر)[2].

٣- وقوله أيضاً: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث

(١) جامع أحكام القرآن (١١/٣٥٠).

(٢) أضواء البيان (٤/٢٥٠-٢٥١).

فيهم النبي -ﷺ- الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له وهو -ﷺ- في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق. وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه، وتوقيره وتعزيزه)(١).

وجاءت سيرته وشمائله -ﷺ- متماشية مع هذه الحقيقة القرآنية، والمنحة الإلهية للخلق بأن جعل هذا النبي الخاتم -ﷺ- رحمة مهداة للعالمين.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يا أيها الناس ! إنما أنا رحمة مهداة"(٢).

وهي صفة متقررة؛ حتى في كتب أهل الكتاب كالتوراة، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قلت: أخبرني عن صفة رسول الله -ﷺ- في التوراة، قال: (أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٦-٣٥٧).

(٢) أخرجه الحاكم: المستدرك على الصحيحين (١/٩١) برقم (١٠٠) وقال (حديث صحيح على شرطهما) ووافقه الذهبي.

سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله؛ حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عمياً، وآذانا صماً، وقلوبا غلفاً)(1).

وقال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: (كان رسول الله -ﷺ- رجلاً سهلاً)(2).

قال النووي -رحمه الله-: (وقوله: "سهلاً" أي: سهل الخُلق، كريم الشمائل، لطيفاً، ميسراً في الخَلق، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤])(3).

ونجد صوراً كثيرة من رحمة النبي -ﷺ- بالخلق في سيرته العطرة ومن ذلك:

تقريره -ﷺ- لمبدأ الرحمة بشكل عام حين قال: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله -عز وجل-"(4).

وكلمة الناس هنا عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم.

وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أن ابنة للنبي -ﷺ- أرسلت إليه وهو مع النبي -ﷺ- وسعد وأبي، نحسب: أن ابنتي قد حضرت فاشهدْنا، فأرسل إليها السلام ويقول: "إن لله ما أخذ، وما أعطى، وكل شيء عنده مسمى، فلتحتسب، ولتصبر" فأرسلت تقسم عليه، فقام النبي -ﷺ- وقمنا، فرُفع الصبي في حجر النبي -ﷺ- ونفسه تقعقع، ففاضت عينا النبي -ﷺ-

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠) برقم (٢١٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨١) برقم (١٢١٣).

(٣) شرح صحيح مسلم (٨/١٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (١١٦٤) برقم (٦٠١٣) ومسلم (٩٤٨) برقم (٢٣١٩).

فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرُّحماء"[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها، بخلاف من فيه أدنى رحمة)[2].

وعن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من لا يَرحم لا يرحم"[3].

وقد ساق البخاري في باب رحمة الناس والبهائم حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مسلم غرس غرساً، فأكل منه إنسان أو دابة، إلا كان له صدقة"[4].

فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

وعلق ابن حجر -رحمه الله- على تبويب الإمام البخاري -رحمه الله- باب: رحمة الناس والبهائم: (أي صدور الرحمة من الشخص لغيره، وكأنه أشار إلى حديث ابن مسعود رفعه قال: "لن تؤمنوا حتى ترحموا" قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله ! قال: "إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة"، أخرجه الطبراني ورجاله ثقات)[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١١١١) برقم (٥٦٥٥) ومسلم (٣٥٧) برقم (٩٢٣).

(٢) فتح الباري (١٥٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٤) برقم (٦٠١٣) ومسلم (٩٤٨) برقم (٢٣١٩).

(٤) أخرجه البخاري (١١٦٤) برقم (٦٠١٢).

(٥) فتح الباري (٤٣٨/١٠).

**المعلم الثالث: التأني والصبر على المخالف:**

وهذا أيضاً مستفاد من منهج النبي -ﷺ- في الدعوة.

إن من طبيعة البشر التي خلقوا عليها: الاستعجال وعدم التروي، يقول تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

ولهذا الاستعجال أسباب ومظاهر، لعل من أهمها:

**١ - عدم الفقه بسير الرسل والدعاة إلى الله:**

إن المتأمل في سير الرسل يجد أنهم صبروا على أقوامهم وأطالوا المكث فيهم؛ لدعوتهم إلى الخير، ولم يستعجلوا عليهم العذاب، ولم يستعجلوا في تغيير ما عليه أقوامهم، فها هو نوح -عليه السلام- قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وها هو رسولنا محمد -ﷺ- يبعث والأصنام تملأ جوف الكعبة، فمكث في قومه سنين طوالاً يدعوهم إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولم يسع في تحطيم الأصنام؛ لعلمه أنه لو حطمها إذ ذاك لاستُبدل بها ما هو أفخر منها وأعظم تشييداً مما يزيد الفتنة ويعظم الإثم.

ولكنه سعى إلى الدعوة للتوحيد في نفوس الناس، فلما وقع ذلك لمعظم أهل مكة والمدينة و أظهره الله على القوم، سعى في تحطيم الأصنام وإزالتها بيده الشريفة مردداً قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

٢- عدم فقه المصالح والمفاسد:

إن الدين الإسلامي دين مصالح، فقد جاء لجلب المصالح ودرء المفاسد، ولكن عدم فقه ذلك يؤدي إلى الاستعجال في إنهاء المنكرات، فيفعل المُنكِرُ للمنكر فعلاً يريد به إنهاء ذلك المنكر دون النظر لمآلات الأمر وعواقبه، فربما أدى هذا إلى منكر أعظم وأخطر.

٣- البعد عن ذوي الخبرة والتجربة:

إن الله تعالى خلق الإنسان لا يعلم شيئاً: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] وجعل له من وسائل الإدراك ما يمكنه من التعلم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] والعلم والخبرة والتجارب تأتي تراكمية على مدى العمر، وبقراءة كتب التاريخ والاعتبار بما حصل للأمم الخالية، ولذلك كان أبعد الناس عن الأخطاء أكثرهم اعتباراً بما حصل في السابق له وللناس، وأقربهم للخطأ وأكثرهم وقوعاً فيه المغتر بنفسه الذي لا يعتبر بحوادث الزمان.

وقلة الخبرة مع حدة العاطفة أظهر ما تكون عند الشباب، لذا كان الواجب على الشباب، خاصة الدعاة منهم، أن يلزم عاطفته بزمام العلم، ويتلقاه عن الكبار لا عن الحدثاء.

عن أبي أمية اللخمي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن من أشراط الساعة ثلاث: إحداهن: أن يلتمس العلم عند الأصاغر"(١).

(١) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير (٣٦١/٢٢) برقم: (٩٠٨) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٦٩٥).

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: (فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير. وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير)[1].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم؛ سفّه الصغير الكبير)[2].

فصغار السن الأغلب عليهم نقص العلم الذي يتراكم بتراكم التلقي، فلا يبلغ الإنسان منزلة عالية من العلم إلا إذا كَبُرَ سنه، وتعدى مرحلة الشباب الأولى -وهذا في الغالب- وحين يوجد شباب يكرمهم تعالى بالعلم وهم صغار كـ: عبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهم- فأولئك استثناء من الأصل.

إن الرسل والدعاة والمصلحين على مدار الزمان كانوا عرضة لصنوف المعاندين والمحاربين، وكأن ذلك سنة كونية ثابتة في حق كل مصلح وداعٍ، وسيرهم خير شاهد على ذلك، غير أننا نلحظ أنهم في الجملة كانوا متخلقين ومتحلين بمبدأ التأني، وعدم استعجال النتائج والأحكام في مسيرتهم الدعوية والإصلاحية.

قال المناوي: (قال الغزالي -رحمه الله-: (كما لا تخلو الأنبياء من الابتلاء بالمعاندين، فكذا لا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين، فقلما انفك ولي أو عالم عن ضروب من الإيذاء بنحو إخراج من بلدة، وسعاية إلى سلطان،

(١) رواه القاسم بن أصبغ في مصنفه بسند صحيح كما في فتح الباري لابن حجر (١/٣٠١-٣٠٢).

(٢) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (١/١٥٨).

وشهادة عليه حتى بالكفر).

فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا، فعلى العلماء العدل والقيام بنواميس الشريعة والصدع بالحق عند السلطان وإظهار السنن، وإخماد البدع والقيام لله في أمور الدين، ومصالح المسلمين وتحمل الأذى المترتب على ذلك، ولا يرضون من فعالهم الظاهرة والباطنة بالجائز، بل يأخذون بأحسنها وأكملها، فإنهم القدوة والمرجع في الأحكام، وحجة الله على العوام)[1].

إن الناظر في سيرة النبي محمد -ﷺ- سيجد بلا شك أن مبدأ عدم الاستعجال عند التعاطي مع أحداث الحياة مبدأ رئيس في شخصه -ﷺ-.

وهذه بعض المواقف لأحداث متنوعة، وشرائح دعوة مختلفة، تثبت ما قررناه آنفاً، لكن أنبه على بعض الأمور:

١- إن الأصل في كل أمر صدر عن النبي -ﷺ- أنه تشريع للأمة، فهو موضع الأسوة والقدوة الحسنة، ما لم يرد دليل يخصص هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٢١].

٢- إن النبي -ﷺ- قد أُيد بنصر السماء قبل ظهور الدين، وبنصر الأرض بعد ظهور الدين، فهو إذاً قد حاز سلطة القهر والإرغام في كل مراحل الدعوة.

٣- إن التأني النبوي وعدم استعجاله كان تأنياً إيجابياً، غير ناتج عن ضعف وخوف، بل لحكم وفوائد تعود على الإسلام والمسلمين، تظهر بعد ذلك.

(١) المناوي: فيض القدير (٢٧/٤) وانظر: إحياء علوم الدين (٢٨/٤-٢٩).

وإليكم بعضاً من هذه المواقف النبوية:

**١ - عدم استعجال النبي -ﷺ- على قومه:**

رغم ما أصابه -ﷺ- وأصاب أصحابه من الأذى والعذاب الشديد، إلا أنه لم ينجر لرد فعل تجاه ذلك العذاب، فلم يستجلب العذاب السماوي لقومه، ولم يحرض الصحابة، وفيهم من فيهم من أولي البأس والقوة: كحمزة وأبي بكر وعمر والزبير وغيرهم -رضي الله عنهم- على استهداف زعامات قريش بالقتل والاغتيال، بل صبر وصبَّر أصحابه ولم يترك الدعوة بحال من الأحوال، لكنه لم يمارس العنف ضد خصومه في هذه المرحلة، بل خرج من حالة رد الفعل إلى العمل الدعوي، لنجد بعد ذلك أن بعض زعامات قريش التي لم تقتل أو تمت قد آمنت كـ: عمر بن الخطاب، وأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية -رضي الله عنهم- وفي ذلك خير كثير، وفائدة عظيمة.

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سأل أهل مكة النبي -ﷺ- أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزدرعوا فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم. قال: "لا، بل أستأني بهم" فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[الإسراء: ٥٩][1].

(١) من زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل على مسند أبيه (٤/١٧٣) برقم (٢٣٣٣) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط الشيخين)، والحاكم: المستدرك (٢/٣٩٤) برقم (٣٣٧٩) وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

**٢- تأنيه على الخوارج:**

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: أتى رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجعرانة مُنْصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضةٌ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: "ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل " فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- دعني يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق، فقال: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه، كما يمرق السهم من الرَّميَّة "(١).

**المعلم الخامس: الرفق والحلم:**

إن من الأصول التي قررها الإسلام في التعامل مع الخلق: اللين وعدم العنف.

فقال تعالى واصفاً الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى آمراً موسى وهارون لما بعثهما إلى الطاغية فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

فإذا كان الله تعالى قد أمر باللين مع فرعون -وهو قد ادعى الألوهية- فمع غيره أولى وأحرى.

(١) خرجه البخاري (٦٠١) برقم (٣١٣٨) ومسلم (٤٠٨) برقم (١٠٦٣).

وفي صحيح مسلم أن النبي -ﷺ- قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه "[1].

وفي الحديث الآخر عند مسلم أيضاً: "من يحرم الرِّفق، يحرم الخير"[2].

(١) خرجه مسلم (١٠٤٣) برقم (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٤٣) برقم (٢٥٩٢).

# المبحث الرابع
# مفهوم الأمن الفكري
## (بناء المفهوم في ضوء اللغة ونصوص الشريعة)

في هذا العصر طرحت مفاهيم يحملها أصحاب مشروع حماية الأمة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، من ضمنها: (مفهوم الأمن الفكري).

وهو مفهوم شاع في العصر الحديث؛ ليعبر عن حصانة الأمة ضد ما يغزو فكرها، واعتقادها من الخارج والداخل.

وتجد شيوعه وانتشاره أكبر ما يكون إبان وقوع الأزمات الفكرية، أو العقدية، وفي سياق مواجهة الأفكار المضللة.

وبالرغم من أهمية هذا المفهوم، وخطره إلا أن دراسته، وتأصيله لم تجد عناية من كثير من الباحثين، وقصارى قولهم في ذلك هو: الاجتهاد في نقل التعريفات، وقد تتميز بعض الدراسات بالتحليل، وتصنيف التعريفات.

وأهدف هنا إلى بيان منهج بناء المفاهيم، وصولاً إلى دراسة بنية مفهوم: (الأمن الفكري) في ضوء نصوص الشريعة، وذلك من خلال استقراء النصوص الشرعية؛ للخلوص إلى بيان العناصر الرئيسة لمفهوم: (الأمن الفكري).

۞ ۞ ۞

يعد المفهوم أساساً في المعرفة، فهو قاعدتها الرئيسة التي تبنى عليها، وهو مفتاح القول في دراسة كل باب من أبواب المعرفة، عن طريقه يعلم الباب، وتفهم مبادئه، وموضوعاته، وتحد حدوده وتقسيماته.

ويختلف الناس تبعاً لاختلاف مفاهيمهم التي تقف وراء أقوالهم واعتقاداتهم، وبهذا يعد العلم بحقائق الأشياء والوعي بالمفاهيم مدخلاً رئيساً؛ لتضييق دائرة الخلاف، أو إزالته.

والحاجة قائمة لأن يتجه علماء الأمة إلى البناء الرشيد للمفاهيم، بما يتسق مع عقيدة الأمة ودينها.

۞ ۞ ۞

المفاهيم جمع مفهوم، والمفهوم (بمعناه المنطقي هو: مجموعة الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ، تحديداً يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى)[1].

فالمفهوم إذاً: مجموعة من المحددات التي تضبط حدود اللفظ، وما يشمله من موضوعات.

وهو بهذا يختلف عن اللفظ، أو المصطلح.

فالمفهوم أوسع دلالة، وأشمل من الاسم والمصطلح، نعم قد يتقاطع معهما، ولكن المفهوم بناء متكامل، وصرح من التصورات ويمكن التمثيل لذلك بمفاهيم: (العلم، والحضارة، والحرية) ونحوها.

وبناء المفهوم يحتاج إلى دراسة للمفاهيم السائدة، والعمل على تحليلها،

(١) صلاح إسماعيل: توضيح المفاهيم ضرورة معرفية كتب بناء المفاهيم (١/٣١).

وفهمها وتفكيكها؛ لمعرفة مكامن الصواب، ومواضع الانحراف، ومنافذ التغيير في تلك المفاهيم[1].

إن قضية بناء المفهوم وثيقة الصلة بروح الدين ومقاصده، فالمفاهيم ليست في القضايا الجزئية والمسائل التفصيلية، وإنما هي في المسائل الكلية، ولذلك فللمفاهيم صلة بمقاصد الشريعة، وهوية الأمة.

إن بناء المفهوم ليس بحثاً في نص يحدد المعنى، ولكنه استقراء لنصوص الشريعة، ونظرٌ في تصرفاتها؛ للخروج ببناء متكامل لمدلولات المفهوم وحدوده.

إن المصطلح قد يكون لفئة أو أهل فن، بل أهل صنعة من الصنائع، بينما المفهوم متصل بقضايا الدين، والهوية.

(إن الرؤية الإسلامية التي تتميز بالكلية والشمول، ومصدر بنائها الذي يكمن في دلالات نصوصها تتضمن مفاهيم أساسية منهجية تنتظم على أساسها مكتسبات الإنسان المعرفية في كل مجال من مجالات النظر والتطبيق، وليست هذه الدلالات في إطار عملية بناء المفاهيم حين يتوصل إليها بناءً معرفياً فحسب، بل هي منظومة من المقاييس ينبغي أن تستثمر في غربلة المعارف الإنسانية، وفي تقويمها.

وذلك في ضوء النصوص الإسلامية، وفي ضوء المنهج الإسلامي، الذي يصدر عن النصوص الإسلامية، ويعود إليها)[2].

---

(١) ينظر: طه جابر العلواني: بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية: التقديم (٧).

(٢) سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: بناء المفاهيم الإسلامية ضرورة منهجية (٥٣/١).

**والمفاهيم على ثلاثة أنواع:**

**النوع الأول: المفاهيم ذات الأصل الشرعي:**

ومن أوضح الأمثلة على ذلك مفهوم: (العدل) حيث وردت كلمة: (العدل) ومرادفاتها: (القسط، والميزان) كما جاءت أضداد الكلمة من مثل: (الجور، والظلم) في القرآن والسنة لتأصل مبدأ العدل، وتفرَّع عليه؛ مما يمكن العالم من بناء مفهوم متكامل للعدل.

والمنهج في سبيل بناء ذلك المفهوم قائم على ركنين:

**الأول:** اللغة التي تكلم بها الشارع.

**الثاني:** مقصود الشارع من هذه الألفاظ.

(فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني)[1].

وفهم مراد الشارع إنما يكون بمعرفة عادته في الخطاب بجمع النصوص والنظر فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ؛ ماذا عنى بها الله ورسوله -ﷺ- فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث)[2].

**النوع الثاني: المفاهيم النابعة من ثقافة معادية:**

من مثل مفهوم: (الأصولية) فهو مفهوم يرجع فيه إلى الجذور اللفظية،

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١١٦/٧).

(٢) الفتاوى (١١٥/٧).

والتأريخية؛ ليفهم مراد القوم بهذا اللفظ، فبناء المفهوم هنا يجب ألا يقطع عن سياقه التأريخي، والفكري.

**النوع الثالث: المفاهيم العامة:**

كالمفاهيم الاجتماعية، والسياسية ونحوها من مثل مفهوم: (الحرية) وهذه المفاهيم تختلف باختلاف الأمم والحضارات والثقافات.

إن الرؤية الليبرالية للحرية ليست كالرؤية الشيوعية لها.

وهكذا تجد هذه المفاهيم نسبية، فهي لا تنفك عن الخلفيات الدينية، والعرقية، والمذهبية لأصحابها.

ولقد أُتينا من استقبال أمثال هذه المفاهيم في عالمنا الإسلامي، وانتقل إلينا التضاد الذي وجد في العالم الغربي، لنكون صورة منه.

إن من أكبر أسباب الأزمة الفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي: الاحتكاك غير المنضبط بالغرب، وإزالة الحواجز بين العقل المسلم، وبين مفاهيم الغرب بأنواعها المختلفة؛ مما جعل هذه المفاهيم تسيطر على العقل المسلم طاردة بقايا مفاهيمه الإسلامية.

وأضحى الصراع شاغلاً عن البناء المعرفي للمفاهيم على مقتضيات الهوية الإسلامية، وبدأت المفاهيم السائدة تتحول إلى أدوات تضليل، وتشرذم بدل أن تكون أدوات معرفة، وبيان.

وحين تكرست الاختلافات في داخل الأمة، وتحول الناس إلى معسكرات متحاربة صارت المفاهيم الوافدة -بحد ذاتها- هدفاً ومقصداً يفرض على الآخرين.

ومع أن هناك وعياً لا بأس به باستبطان هذه المفاهيم أهداف ومقاصد الثقافة المجلوبة إلا أن هناك إصراراً ظاهراً على فرضها على الساحة الفكرية؛ حتى ولو أدت إلى مسخ وتشويه أهداف ومقاصد هذه الأمة(١).

ومفهوم الأمن الفكري هو من هذا النوع مما يوجب العناية ببنائه في ضوء اللغة، والنصوص الشرعية.

**أولاً: بيان معنى الأمن، والفكر في اللغة والاصطلاح:**

**١ - تعريف الأمن لغةً:**

قال الخليل بن أحمد -رحمه الله-: (أمن: الأَمنُ: ضدّ الخوف، والفعل منه: أمِنَ يأْمَنُ أَمْناً.

والمَأْمَنُ: مَوْضعُ الأَمن.

والأَمَنَةُ من الأَمْن، اسم مَوْضوعٌ من أمنت.

والأمانُ: إعطاء الأَمَنة.

والأمانةُ: نقيضُ الخِيانة، والمفعول: مأمون وأمين. ومؤتمن من ائتمنه.

والإيمان: التّصديق نفسه، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمُصَدِّق.

والتَّأْمين من قولك: آمين، وهو اسم من أسماء الله.

وناقة أَمُون، وهي الأمينة الوثيقة، وهذا فَعُولٌ جاء في مَعْنى المفعول، ومثله: ناقة عضوب، يعضب فخذها حين تحلب حتّى تدرّ)(٢).

(١) ينظر: طه جابر العلواني: بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية (التقديم) (٩-١٠).

(٢) العين (٢/٢٠٢).

وقال ابن فارس -رحمه الله-: (أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان. قال الخليل: الأَمَنَةُ مِن الأمْن. والأمان إعطاء الأمَنَة. والأمانة ضدُّ الخيانة.

يقال أَمِنْتُ الرّجُلَ أمْناً وأَمَنَةً وأَماناً، وآمنني يُؤْمنني إيماناً. والعرب تقول: رجل أُمَّانٌ، إذا كان أميناً.

.... وقال اللّحياني وغيره: رجلٌ أُمَنَة إذا كان يأمَنه الناسُ ولا يخافون غَائِلَتَهُ؛ وأَمَنَةٌ بالفتح يصدّق ما سَمِع ولا يكذّب بشيءٍ، يثق بالناس. فأما قولهم: أعطيتُ فلاناً من آمَنِ مالي فقالوا: معناهُ من أعَزّه عليّ. وهذا وإن كان كذا فالمعنى معنى الباب كلِّه، لأنّه إذا كان من أعزّه عليه فهو الذي تسكن نفسهُ)[1].

وقال ابن منظور -رحمه الله-: (أمن: الأمانُ والأمانةُ بمعنى وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف، والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة، والإِيمانُ ضدُّ الكفر، والإِيمان بمعنى التصديق ضدُّه التكذيب يقال آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ فأَما آمَنْتُه المتعدي فهو ضدُّ أَخَفْتُه وفي التنزيل العزيز ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

ابن سيده: الأَمْنُ نقيض الخوف أَمِن فلانٌ يأْمَنُ أَمْناً وأَمَناً.. وفي حديث نزول المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: "وتقع الأَمَنةُ في الأَرض" أي الأَمْنُ. يريد أَن الأَرض تمتلئ بالأَمْن، فلا يخاف أَحدٌ من الناس والحيوان، وفي

(١) معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣-١٣٥) وانظر: الجوهري: الصِّحاح (٥/٢٠٧١).

الحديث: "النُّجومُ أمَنةُ السماء فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أمَنةٌ لأَصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأَصحابي أمَنةٌ لأمَّتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمَّةَ ما تُوعَد"أَراد بِوَعْد السماء انشقاقَها وذهابَها يوم القيامة، وذهابُ النجومُ تكوِيرُها وانكِدارُها وإعْدامُها، وأراد بوَعْد أصحابه ما وقع بينهم من الفِتَن وكذلك أراد بوعْد الأُمّة، والإشارةُ في الجملة إلى مجيء الشرّ عند ذهابِ أهل الخير؛ فإنه لما كان بين الناس كان يُبَيِّن لهم ما يختلفون فيه؛ فلما تُوفِّي جالت الآراءُ، واختلفت الأهْواء؛ فكان الصَّحابةُ يُسْنِدونَ الأمرَ إلى الرسول في قول أو فعل أو دلالة حال، فلما فُقِدَ قَلَّت الأنوارُ وقَويَت الظُّلَمُ، وكذلك حالُ السماء عند ذهاب النجوم.

قال ابن الأثير: والأمَنةُ في هذا الحديث جمع أمينٍ وهو الحافظ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] قال أَبو إسحق: أراد ذا أمْنٍ. فهو آمِنٌ.. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ٣] أي: الآمِن. يعني مكة، وهو من الأمْنِ.. ورجل أُمَنَةٌ يأمَنُ كلَّ أحد وقيل يأمَنُه الناسُ ولا يخافون غائلَته، وأُمَنَةٌ أَيضاً موثوقٌ به مأْمونٌ.. ورجل أمَنةٌ بالفتح للذي يُصَدِّق بكل ما يسمع ولا يُكَذِّب بشيء، ورجل أمَنةٌ أَيضاً إذا كان يطمئنّ إلى كل واحد ويَثِقُ بكل أَحد.. والأمانةُ والأمَنةُ نقيضُ الخيانة لأنه يُؤْمَنُ أَذاه.. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمُصدِّقٍ والإيمانُ التصديقُ التهذيب، وأما الإيمان فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً، فهو مُؤْمِنٌ. واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أن الإيمان معناه

التصديق.. والأصل في الإيمان الدخول في صِدْقِ الأَمانةِ، التي ائْتَمَنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديقَ بقلبه كما صدَّق بلِسانِه، فقد أدّى الأَمانةَ وهو مؤمنٌ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه، فهو غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافقٌ)(١).

وقال الفيروز آبادي -رحمه الله-: (الأمْنُ والآمِن: كصاحب، ضِدّ الخوف، أمِنَ كفرح أمناً وأماناً بفتحهما وأمناً وأمَنَةً محرَّكتين، وإِمناً بالكسر، فهو أمِنٌ وأمينٌ كفرح وأمير، ورجلٌ أُمَنَةٌ كهُمزة، ويُحرَّك، يأمنه كُلّ أحد في كُلِّ شيء)(٢).

وقال الأصفهاني -رحمه الله-: (أمن: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما ائتمنتم عليه، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قيل: هي كلمة التوحيد، وقيل: العدالة، وقيل حروف التهجي، وقيل: العقل، وهو صحيح فإن العقل هو الذي لحصوله يتحصل معرفة التوحيد، وتجرى العدالة، وتعلم حروف التهجي، بل لحصوله تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله، وبه فضل على كثير ممن خلقه)(٣).

(١) لسان العرب: ١٣/٢١).
(٢) القاموس المحيط (٤/١٩٧).
(٣) المفردات (٢٥-٢٦).

قال ابن الأثير -رحمه الله-: (والأمانة: تقع على الطَّاعة، والعِبادة، والوديعة، والثقةِ والأمانِ، وقد جاء في كل منهما حديث)[1].

**٢- تعريف الأمن اصطلاحاً:**

لا يخرج التعريف الاصطلاحي للأمن عن المعاني اللغوية المذكورة، فالأمن هو الطمأنينة من المخاوف، وفيما يلي جملة من التعريفات الاصطلاحية لمعنى الأمن:

عرَّفته موسوعة السياسة بأنَّه: (تأمين سلامة الدولة ضد أخطار خارجية وداخلية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبيَّة نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي)[2].

ويعرفه قاموس "وبستر": (حالة من الشعور بالأمن، والتحرر من الخوف والقلق والخطر والشك، وما إلى ذلك، أو حالة من الشعور بالسلامة أو اليقين)[3].

وعرَّفه عدلي حسن سعيد بأنَّه: (تأمين الدولة من الداخل، ودفع التهديد الخارجي عنها بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال أقصى طاقاته؛ للنهوض والتقدم والازدهار)[4].

ويعرِّفه علي الدين هلال بأنَّه: (تأمين كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار

(١) النهاية: مادة (أمن).

(٢) عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة: ١/٣٣١).

(٣) نقلاً عن: إبراهيم الفقي: الأمن الفكري (١١)/ Websters new world dictionary, 1982: 1288

(٤) عدلي حسن سعيد: الأمن القومي العربي واستراتيجية تحقيقه (١١).

التي تتهدَّدهما داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً؛ لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضاء العام في المجتمع)(١).

وعرفه عبد الرحيم المغذوي: (السلامة الحِسيَّة والمعنوية، والطمأنينة الداخلية والخارجية، وكفالة الحياة السعيدة للفرد والمجتمع والدولة)(٢).

ويرى د. سعد الشهراني: أن للأمن مفهومين أساسيين:

**الأول: الأمن الجنائي**: ويقصد به: أمن الضرورات الخمس: (الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال) وأمن المجتمع من أمن أفراده، فبقدر ما يكون الأفراد آمنين بقدر ما يكون المجتمع آمناً.

**الثاني: الأمن الوطني**: ويقصد به: أمن الدولة في عناصرها الأساسية: الشعب والأرض، والسيادة، ونظام الحكم، من حيث حفظ حقوق مواطنيها الخاصة والعامة، ومن حيث منع الاعتداءات على سيادة الدولة وكيانها، وحمايتها من الفتنة الداخلية، والاعتداءات الخارجية) (٣).

وعرفه جمال بادي وإبراهيم شوقار: (إحساس بالاطمئنان، وحالة من التحرر من الخوف والقلق بناء على معطيات معينة)(٤).

على أن بعض الباحثين يرى أن مصطلح (الأمن) مصطلح غامض وعام، والسبب في ذلك أنه مصطلح واسع مطاطي، يُستخدم في العديد من المجالات

---

(١) علي الدين هلال: الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول (١٢) مجلة شؤون عربية، عدد (٣٥).

(٢) جهود الملك عبد العزيز في بسط الأمن (١٩).

(٣) مؤسسات الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية (٣).

(٤) الأمن الفكري وأسسه (٦).

والمواقف، ابتداء من الاجراءات البسيطة؛ لتأمين المواطنين داخل الدولة ضد الأخطار المحتملة، التي تمس المواطنين في أنفسهم وحرياتهم، وأموالهم، وانتهاءً بالاجراءات الخاصة بتأمين الدولة ذاتها من خلال تلك الخطوات التي يطلق عليها اصطلاح (الأمن الوطني national security ) ذلك الاصطلاح الذي يعني المفهوم الشامل للأمن، والذي يعبر عن مجموعة أنشطة ومهام الأمن في الدولة(١).

۞ ۞ ۞

ومفهوم الأمن في الإسلام له ارتباط بالضرورات الخمس، فهو في مفهومه الشامل: التأمين من المخاوف تأميناً شاملاً لدين الأمة، وأنفسها، وعقولها، وأعراضها، وأموالها.

وبهذا فإن الأمن لا ينحصر فيما يتبادر إلى أذهان الناس من التحرر من المخاوف بالقبض على المجرمين، ومنعهم من الاعتداء على الأنفس والأموال.

بل البشر يبحثون عن تحقيق الأمان في جميع مجالات حياتهم، ومن هنا شاع في العصر الحديث تصنيف أنواع الأمن بالنظر إلى جوانب حياة الناس، فقيل: الأمن الفكري، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن الغذائي،والأمن الجنائي.. الخ..

### ٣- معنى الفكر في اللغة:

قال الخليل -رحمه الله-: (فكر: الفِكرُ: اسم التفكر. فكر في أمره وتفكر. ورجل فِكيرٌ: كثير التفكر. والفِكْرةُ والفِكْر واحد)(٢).

---

(١) انظر: خالد الشمري: دولة تحت مظلة الأمن (١٩).

(٢) العين (١/٤٤٠) وانظر الزبيدي: تاج العروس (١/٣٢٣).

وقال ابن فارس –رحمه الله–: (فكر: الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْب في الشَّيء. يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرا. ورجلٌ فِكِّير: كثير الفِكر)[1].

وقال ابن سيده –رحمه الله–: (الفكر: والفكر إعمال الخاطر في الشيء.

قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر.

وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً. والفكرة كالفكر، وقد فكر في الشيء وأفكر وتفكر، ورجل فكير وفيكر كثير الفكر)[2].

فالفكر اسم جنس يطلق على الأفكار الحاصلة من وظيفة التفكير، والتعقل والنظر التي أودعها الله في قلوب الخلق[3].

## ٤- الفكر في الاصطلاح:

قال الأصفهاني–رحمه الله–: (قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب) [4].

وقال الفيومي–رحمه الله–: (الفِكر بالكسر: تردد القلب بالنظر، والتدبر؛ لطلب المعاني)[5].

وقال –رحمه الله– أيضاً: (ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً)[6].

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٤٦).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٧/٧).
(٣) انظر: عبد الله الجربوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (٢/٥٨٤).
(٤) مفردات القرآن (٣٤٨).
(٥) المصباح المنير (٧/٢٣٩).
(٦) المصباح المنير (٧/٢٣٩).

و(الفكر: إعمال العقل بالمعلوم للوصول إلى المجهول)[1].

وقال الجرجاني-رحمه الله-: (الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول)[2].

وقال المناوي -رحمه الله-: (التفكر: طلب الفكر وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات، كما تنال بيد الجسم المحسوسات) [3].

وقال ابن الكمال -رحمه الله-: (تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب)[4].

وعرفه رشيد البكر: (جملة النشاط الذهني، وأسمى صور العمل الذهني، بما فيه من تحليل، وتركيب، وتنسيق)[5].

وعرفه طه جابر العلواني: (اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أم روحاً، أم ذهناً بالنظر والتدبر؛ لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء)[6].

وعرفه عبد الله الجربوع: (المعقولات والمعاني التي تنتج عن تفكير البشر، وتأخذ شكل عقيدة أو مبدأ يؤمن به، فتكون منه العقائد والتصورات البشرية،

(١) معجم لغة الفقهاء (٣٤٩).

(٢) التعريفات (٢١٧).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١٩٤).

(٤) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: (١٩٤).

(٥) تنمية التفكير (١٣).

(٦) الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج (١٥).

وتكون باعثة ومؤثرة على السلوك)[1].

وبهذه التعريفات يتضح أن الفكر في المصطلح يطلق ويراد به معنيان[2]:

**الأول:** الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات.

أي هو: النظر والتأمل والتدبر والاستنباط يقول ابن تيمية - رحمه الله -: (وإذ قد خلق القلب؛ لأن يعلم به فتوجهه، نحو الأشياء ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر، كما أن إقبال الأذن على الكلام ابتغاء سمعه هو الإصغاء والاستماع، وانصراف الطرف إلى الأشياء طلبا لرؤيتها هو النظر.

فالفكر للقلب كالإصغاء للأذن، ومثله نظر العينين فيما سبق، وإذا علم ما نظر فيه فذلك مطلوبه، كما أن الأذن كذلك إذا سمعت ما أصغت إليه، أو العين إذا أبصرت ما نظرت إليه.

وكم من ناظر مفكر لم ليحصل العلم ولم ينله، كما أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره، ومستمع إلى صوت لا يسمعه)[3].

**الثاني:** المعقولات نفسها، أي: هو نتاج ذلك الفعل، ويدخل في ذلك جوانب العقائد، والمبادئ، والتصورات.

۞ ۞ ۞

**ثانياً: بناء المفهوم:**

إن بناء المفاهيم الإسلامية يجب أن يستند إلى الوحي: كتاباً، وسنةً.

والألفاظ إذا كانت قد وردت في الشريعة، فإن مفهومها جاء واضحاً في

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (١/١٣).

(٢) ينظر: د. عبد الرحمن الزنيدي: حقيقة الفكر الإسلامي (١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٩/٣٠٨).

الشريعة، وإنما ضل من ضل بإعراضهم عن الوحي في فهم ألفاظه، فالأسماء الشرعية كأسماء: الإيمان والإسلام، والصلاة والزكاة، والخمر والزنى وغيرها من الأسماء على اختلاف موضوعاتها جاء بيانها في النصوص (فالنبي -ﷺ- قد بين المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق، وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك.

فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله -ﷺ- فهو كاف شافٍ، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة، بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى: الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول -ﷺ-)[1].

وإذا كانت الألفاظ لم ترد في الشريعة، وكان معناها حقاً، فإن نصوص الشريعة جاءت مبينة للموقف في كل ما يحتاجه الناس، واللفظ وإن لم يرد في الشريعة، وهو حق فإن مضامينه تظهر في نصوص الشريعة وتطبيقاتها، ومن خلال الاستقراء يبنى المفهوم.

إن مفاهيم أهل الإسلام كلها مبنية على الوحي، ولـمَّا كانت كذلك، فقد اكتسبت خصائص عديدة من أهمها:

**أولاً: صدق هذه المفاهيم:**

ذلك أن من فسر قول الله بشيء فهو إنما يخبر عن الله - عز وجل- وخبره قد يكون صدقاً، وقد يكون كذباً بالنظر إلى ذات الخبر، وليس أصدق من تفسير الله - عز وجل- لكلامه، وبيانه لمراده.

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٧/٢٨٦-٢٨٨).

ذلك أن (دلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم وأراده)[1].

فإذا أخبر المتكلم عن ما أراده، فهو الصادق، وربنا - عز وجل- قد قال عن نفسه:

- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

وقال الله سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الطلب، فكل ما أخبر به، فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به، فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مَفْسَدة)[2].

ثانياً: كمالها وشمولها:

ذلك أن الدين دين كامل شامل، يقول الله - عز وجل -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وإذا أمعن المرء النظر في الأسماء الشرعية، وجد إحاطتها بكل ما يحتاجه الناس في أمور حياتهم.

(١) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية (١/٦٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٢٢).

**ثالثاً: الاتساق والانتظام:**

إن طبيعة الدين هي: الاتساق، والانتظام، والتجانس، يقول الله -عز وجل-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وأظهر ما يكون الاتساق والانتظام في منظومة المفاهيم التي ترتكز عليها بنية الدين، واعتبر ذلك بالنظر في ألفاظ شرعية تحمل مدلولات مفاهيمه الكبرى مثل: (الاستقامة، والصلاح، والثبات، والاعتدال، والوسطية) بل تأمل الكلمة وأضدادها ومرادفاتها، أو المشترك سواء كان مشتركاً تاماً أو جزئياً من مثل: (الغلو، والتشدد، والتنطع) تجد أن المنظومة المفاهيمية في الإسلام متسقة غير متناقضة ولا مضطربة، فلا يهدم بعضها بعضاً، بل يكمل بعضها بعضاً؛ لتكون الرؤية الإسلامية الشاملة.

۞ ۞ ۞

**مفهوم: (الأمن الفكري):**

يعد مفهوم: (الأمن الفكري) من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة رؤيتها في حفظ الدين والعقل.

ويعد هذا المفهوم ضمن سياق منظومة مفاهيمية متقاربة تتصل ببعضها، وتترابط؛ لتشكل بناء متكاملاً لا ينفك بعضه عن بعض.

منها: ما جاء في نصوص الشريعة.

ومنها: ما وجد نتيجة التفاعل بين الحضارات والثقافات، من مثل مفاهيم: (حفظ الدين) و(حفظ العقل) و(التقليد والتبعية) و(الحوار)

و(العلاقة بين الحضارات) و(الانفتاح) و(الغزو الفكري).

وغالبها له صلة بالصراع الحضاري والثقافي بين الثقافة الغربية المهيمنة في العصر الحاضر، والثقافة الإسلامية.

وبالرغم من أن هذه الجملة (الأمن الفكري) لم ترد في النصوص، بل وليس لها وجود في تراث علماء المسلمين إلا أن مقاصد الشريعة المأخوذة من استقراء نصوص: الكتاب والسنة، بضميمة كلام علماء الأمة، تضمنت ما يدل على المضامين الرئيسة لهذا المفهوم.

فالشريعة جاءت لحفظ الضرورات الخمس: (الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض) وبالتالي: فإن بناء مفهوم: (الأمن الفكري) في الإسلام يستدعي مراجعة نصوص الشريعة وتطبيقاتها؛ للخلوص بالرؤية المتكاملة لتحقيق الأمن على الفكر الاعتقادي، وهو عمل ينبني على الاستقراء الموصل لليقين مع دراسة المفاهيم التي تتصل بهذا المفهوم، أو تتقاطع معه أو تختلط به.

ولقد تأخر هذا العمل كثيراً، فعلى الرغم من تداول هذه الجملة منذ زمن إلا أن المحاولات الجادة لتأصيل المفهوم إسلامياً، وبيان الرؤية الإسلامية له لم تزل قاصرة.

نعم ثمّ جهود لباحثين كتبوا في (الأمن) بعامة، و(الأمن الفكري) بخاصة، وعرّف جمع منهم: (الأمن الفكري)، وبالنظر إلى كثير من التعريفات نجدها تدور حول تحقيق الأمان للعقل البشري من الانحراف، وأسوق هنا ثلاثة من التعريفات:

**الأول**: تعريف الدكتور: سعيد الوادعي، حيث يعرف الأمن الفكري بأنه:

(سلامة فكر الإنسان، وعقله، وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، وتصوره للكون)[1].

**الثاني**: تعريف محمد محمد نصير، حيث يعرف الأمن الفكري بأنه: (النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة، والمجتمع؛ لتجنيب الأفراد، والجماعات شوائب عقدية، أو فكرية، أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك، والأفكار عن جادة الصواب، أو سبباً للإيقاع في المهالك)[2].

**الثالث**: تعريف الدكتور: عبد الحفيظ المالكي، حيث يعرف الأمن الفكري بأنه: (سلامة فكر الإنسان من الانحراف، أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، والاجتماعية؛ مما يؤدي إلى حفظ النظام العام، وتحقيق الأمن، والطمأنينة، والاستقرار في الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني)[3].

ولقد نهجت في هذا البحث نهج تحديد بنية المفهوم عبر بيان عناصره؛ ذلك أن بنية أي مفهوم تتألف من مجموعة من العناصر المكونة له، وهذه العناصر لا تأتي بدرجة واحدة من حيث البناء والأهمية، بل هناك عناصر أساسية، وعناصر أخرى مكملة لها، وقد تشتق منها أحياناً؛ والعناصر الأساسية تتمتع بأسبقية منطقية في بنية المفهوم؛ إذ أنها لا تشتق من غيرها، وإنما يمكن لغيرها أن يشتق منها.

---

(١) الأمن الفكري الإسلامي (٥٠) مجلة: الأمن والحياة، عدد (١٨٧) ١٤١٨هـ.

(٢) الأمن والتنمية (١٢).

(٣) نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب (٤٩).

وتبعاً لذلك إذا شئنا فهماً أفضل لبنية أي مفهوم، فيجب أن نحلل هذه البنية، ونحدد عناصرها الأساسية، وعناصرها الفرعية[1].

ولقد اجتهدت في تتبع واستقراء النصوص؛ لتكوين العناصر الرئيسة لـ: (الأمن الفكري) والمحددة له، وتبين لي أنها:

**العنصر الأول:** الاعتصام بحبل الله تعالى.

**العنصر الثاني:** التأصيل على الحق.

**العنصر الثالث:** التحصين من الباطل.

**العنصر الرابع:** التفاعل مع الثقافات والحضارات.

**العنصر الخامس:** المعالجة (معالجة الضلال).

۞ ۞ ۞

**العنصر الأول: الاعتصام بحبل الله تعالى:**

إن الرؤية الإسلامية تربط أحكام الحياة كلها بالله -عز وجل- مصدراً وغايةً، فلا يمكن أن تتحقق الحياة السعيدة للناس ما لم يرتبطوا بربهم وخالقهم -سبحانه وتعالى- ولذلك فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والفكر إنما ينضبط بارتباط العبد بالله -عز وجل- وهذا يظهر في أمور أهمها:

(١) ينظر: د. صلاح إسماعيل: توضيح المفاهيم ضرورة معرفية ضمن كتاب: بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية (١/٤٨-٤٩).

١- توجه القلب إلى الله نية وقصداً.

٢- تقوى الله - عز وجل -.

٣- لزوم جماعة المسلمين.

۞ ۞ ۞

وهذا الكلام عن الاعتصام بالله تعالى يمثل وضع الأمة على المسار الصحيح؛ لتحقيق أمنها، فما زاغ الزائغون إلا لمشاقتهم الله ورسوله -ﷺ-.

إن تفلت الفكر وضياعه رهين بإعراضه عن ربه وخالقه، العالم بما يصلح خلقه وهو اللطيف بهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وتظهر انحرافات البشر على تنوعها، وتعدد مستوياتها أن جماعها: الإعراض عن الله سبحانه، وتوجه القلوب إلى غيره، وتفرقها طرائق قدداً في مسالك الأهواء.

۞ ۞ ۞

**العنصر الثاني: التأصيل على الحق:**

إن المتأمل في منهج الإسلام يجد أن الإسلام وضع الأسس لتأصيل الناس على الحق، ويمكن أن أمثل على ذلك بأمرين:

**الأول:** التأصيل بضبط مصدر التلقي.

**الثاني:** التأصيل بضبط منهج الفهم.

۞ ۞ ۞

**العنصر الثالث: التحصين من الباطل:**

لقد رعى الإسلام مصالح الإنسان كلها، لأن الغاية من الإسلام نفسه

تحقيق الخيرية للخلق في العاجل والآجل، فعمل على تأمين الحصانة التامة للخلق من جميع العوادي المعنوية والحسية.

فكانت دعوة النبي -ﷺ- إلى التمسك بحبل الله المتين، والعض على سنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ويجمع ذلك كله قوله -ﷺ-: "ما أنا عليه وأصحابي"(١) في حديث الافتراق المشهور(٢).

فقوله: "ما أنا عليه وأصحابي" بين به: (أن الفرقة الناجية: من اتصف بأوصافه -عليه الصلاة والسلام- وأوصاف أصحابه)(٣).

ولتحصين المجتمع من الضلال جاءت الشريعة بأمور منها:

١ - التحذير من الفرق المخالفة لهذا لمنهج الحق.

(١) أخرجه الترمذي (٤٢٨) برقم (٢٦٤١) وقال (حديث حسن غريب) واللالكائي: شرح اعتقاد أهل السنة (١/١٠٠) والآجري: الشريعة (١/٣٠٧) وفيه عبد الرحمن بن زياد وهو ضعيف كما في التقريب (١/٣٤٠) وقد صحح الألباني هذه الرواية: السلسلة الصحيحة: برقم (٢٠٣) و (٢٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣) برقم (٤٥٩٦) والترمذي (٤٢٨) برقم (٢٦٤٠) وقال (حديث حسن صحيح) وابن ماجه (٤٢٩) برقم (٣٩٩١) والحاكم: المستدرك (١/١٢٨) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والطبراني: المعجم الأوسط (٥/١٣٧) برقم (٤٨٨٦) والحديث ضعيف؛ لأن فيه: عبد الرحمن بن زياد، و هو ضعيف، كما في: التقريب (١/٣٤٠) ولكن للحديث شواهد:

- منها: رواية أنس عند الطبراني: المعجم الصغير: برقم (٧٢٤) والعقيلي: الضعفاء (٢/٢٦٢).
- ومنها: حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك كلهم في سند واحد عند الطبراني: المعجم الكبير، كما في المجمع (٧/٢٥٩).

وخلاصة القول: أن الحديث صحيح بشواهده، انظر: الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٢٠٣، ٢٠٤).

(٣) الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٥٢).

٢- التحذير من أعمال أهل الضلال: ومنها: الغلو.

٣- ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.

٤- التحذير من أوصاف محدودة.

٥- التحذير من الإحداث والابتداع.

٦- التحذير من الفتن.

٧- التحذير من الدجال.

٨- التحذير من التلقي عن الإسرائيليات.

٩- التحذير من الأئمة المضلين.

۞ ۞ ۞

**العنصر الرابع: التفاعل مع الثقافات والحضارات:**

إن العلاقة بين الأمة المسلمة، والأمم الأخرى، تقوم على أساس وقواعد رئيسة بعضها متقابل، هذه أهم القواعد:

١- التعارف.

٢- التعاون.

٣- تلقي الحكمة و الاستفادة من الحق الموجود عند الغير.

٤- التسامح.

٥- البراءة.

٦- الحوار.

٧- الدعوة.

٨- المعرفة المشتركة.

۞ ۞ ۞

**العنصر الخامس: المعالجة (معالجة الضلال):**

إنه كما جاء الإسلام بالدعوة إلى الهدى، جاء بالنهي عن الضلال، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري، ويمكن ذكر نماذج من ذلك:

١- المناصحة والموعظة الحسنة.

٢- الحوار.

٣- الرد.

٤- العقوبة.

۞ ۞ ۞

وبعد: فيشير بعض الباحثين إلى أن التكامل في المفاهيم من جانب الرؤية الإسلامية يتضح على أربعة مستويات هي:

الأول: التكامل داخل المفهوم الواحد، وعناصره، ومستوياته.

الثاني: تكامل المفهوم مع منظومة المفاهيم الإسلامية الأخرى.

الثالث: صلاحية المفهوم للتعبير عن منظومة من المفاهيم.

الرابع: ارتباط كل منظومة المفاهيم بقصد أساس وهو: (التوحيد)[1].

وأحسب أن مفهوم الأمن الفكري، ومن خلال النظر في عناصره السالفة، متكامل في ذاته، ومع منظومة المفاهيم الإسلامية الأخرى، وهو مفهوم قد حقق التعبير عن منظومة تابعة من المفاهيم، ويحقق الارتباط الواضح بأصل الدين وهو: (التوحيد).

وبما أن كمال بناء المفاهيم يكون بصياغة تعريفٍ مبني على هذا البناء، فإنه

(١) ينظر: سيف الدين عبد الفتاح: مفهوم التجديد (١/٣٥١).

يمكن صياغة تعريف موجزٍ بناء على عناصر المفهوم التي سبق ذكرها، وذلك بالقول: إن الأمن الفكري هو:

**(تحقيق الطمأنينة على سلامة الفكر والاعتقاد؛ بالاعتصام بالله، والأخذ من المصادر الصحيحة، مع التحصن من الباطل، والتفاعل الرشيد مع الثقافات الأخرى، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري في النفس، والمجتمع).**

ويتضح بهذا:

أن الأمن الفكري يحقق الطمأنينة لعمل الفكر، ونظره، واستدلاله، وتأمله؛ للوصول إلى الحقائق.

وهذا يثمر: أن يكون نتاج ذلك الفعل سليماً، بحيث تكون العقائد، والمبادئ، والتصورات سليمة.

وإذا سلمت هذه المبادئ أنتجت معرفة بسبل المضلين، واجتهاداً واسعاً؛ لتحقيق الأمان للبشرية في: (دينها، وعقائدها).





# الفصل الثاني
# الأسس، والمقومات

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المبحث الأول: الأسس والمقومات الإيمانية.

المبحث الثاني: الأسس والمقومات العلمية.

المبحث الثالث: الأسس والمقومات المنهجية.

المبحث الرابع: الأسس والمقومات الاجتماعية، والتربوية.

# المبحث الأول
# الأسس والمقومات الإيمانية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الأساس القدري.

المطلب الثاني: الإيمان.

المطلب الثالث: اليقين.

المطلب الرابع: الإخلاص.

المطلب الخامس: تقوى الله -عزَّ وجلَّ-.

المطلب السادس: الدعاء.

المطلب السابع: محبة الحق وقصده.

## المطلب الأول

## الأساس القدري

إن ثم مقوماً رئيساً يحقق للأمة بعامة أمنها الفكري، وهو: حفظ الله لهذا الدين.

وهذا الحفظ وإن كان يحقق الأمن الفكري لعموم الأمة بمعنى أن دينها لن يضيع أمر قدري.

وأما أمن الأفراد من الناس والمجتمعات على دينهم، فهو من باب الشرع، حيث أمروا بلزوم الحق، واجتناب الباطل.

وبمعنى آخر:

فإنه لا حجة لأحدٍ أنه لم يعرف الحق؛ لأن الحق اندرس وضاع، بل الحق باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودين الله لن يضيع.

وإنما الشأن هو في عمل الناس وارتباطهم بهذا الدين المحفوظ، ولقد وردت النصوص مبينة حفظ الله لهذا الدين، فمن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فقد (بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم، وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص، أو يتغير منه شيء أو يبدل، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١] وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآية أن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ راجع إلى الذكر الذي هو القرآن.

وقيل: الضمير راجع إلى النَّبي -ﷺ- كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق)(١).

قال الشوكاني -رحمه الله-: (عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك وفيه وعيد شديد للمكذبين به المستهزئين برسول الله -ﷺ- وقيل الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لرسول الله -ﷺ- والأول أولى بالمقام)(٢).

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيه ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم)(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله

(١) أضواء البيان (٢/٣٨١).

(٢) فتح القدير (٣/١٧٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٩).

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فما في تفسير القرآن، أو نقل الحديث، أو تفسيره من غلط، فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه، ويذكر الدليل على غلط الغالط، وكذب الكاذب، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة؛ إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم بعدهم، ولا كتاب بعد كتابهم، وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبياً يبين لهم ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمد نبي، وقد ضمن الله أن يحفظ ما أنزله من الذكر، وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن، وينفي به تحريف الغالين، وانتحال المضلين، وتأويل الجاهلين)[1].

قال ابن عاشور -رحمه الله-: (ومن لطائف القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد ما حكاه عياض في: (المدارك) عن أبي الحسن ابن المنتاب قال: كنت عند إسماعيل يوماً، فسئل: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: لأن الله تعالى قال في أهل التوراة: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٤] فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فتعهد الله بحفظه فلم يجز التبديل على أهل القرآن، قال: فذكرت ذلك للمحاملي، فقال: لا أحسن من هذا الكلام)[2].

٢- وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

---

(١) الجواب الصحيح (٣/٣٨-٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (٤/٢٨٢).

قال ابن كثير -رحمه الله-: (﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته)[1].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩])[2].

٣- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصَّلوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافتراء افتروه أخبر أنهم ﴿يُرِيدُونَ ﴾ بهذا ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده،

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/١٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٠).

فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلاً.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئاً.

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الذي هو العلم النافع ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمداً -ﷺ- مشتملاً على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

فأرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لا بد أن

يقوم به)[1].

والله -سبحانه - قد أخبر أنه ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وأخبر أنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا.

والله -سبحانه- يجزي الإنسان بجنس عمله، فالجزاء من جنس العمل، فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه، فإن كان آمن، فهو: هدى له من الضلال، ورحمةٌ له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، ومتبع له، سعيد في دنياه وأخراه، وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي في الدنيا والآخرة[2].

ومن مظاهر ذلك الحفظ ثلاثة أمور:

**الأول**: أنه مهما تقلبت بالأمة الأحوال، فإنه لا تزال طائفة منها على الحق، يقول النبي -ﷺ-: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس"[3].

وقد فسر جمع من السلف الطائفة المنصورة بتفسيرات متعددة كلها راجعة إلى العلم والحديث، وهذا بعض منها:

قال يزيد بن هارون -رحمه الله-: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم).

وقال ابن المبارك -رحمه الله-: (هم عندي أصحاب الحديث).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٣٥).

(٢) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (١٣/١٧١).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٣) برقم (٧٤٦٠) ومسلم (٧٩٦) برقم (١٠٣٧).

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم).

وقال أحمد بن سنان -رحمه الله-: (هم أهل العلم وأصحاب الآثار).

وقال علي بن المديني -رحمه الله-: (هم أصحاب الحديث).

وقال البخاري -رحمه الله-: (يعني أصحاب الحديث)[(١)].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (وأما هذه الطائفة، فقال البخاري: (هم أهل العلم) وقال أحمد بن حنبل: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم) قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض)[(٢)].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (هذه الأمة: ولله الحمد لا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق، فلا يتمكن ملحد، ولا مبتدع من إفسادهم، بغلو، أو انتصار على أهل الحق، ولكن يضل من يتبعه على ضلاله)[(٣)].

(وكان أئمة السنة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها، ولم يقروها، ولهذا حفظ الله دين الإسلام، فلا يزال في أمة محمد -ﷺ- طائفة هادية

(١) نقل هذه الأقوال الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث (٢٦-٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٣/٦٦-٦٧).

(٣) منهاج السنة (٦/٤٢٨).

مهدية، ظاهرة، منصورة)[1].

**الثاني**: تجديد الدين، ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة، من يجدد لها دينها"[2].

وقد دل كلام أهل العلم أن هذا الحديث يقتضي أموراً منها:

١- أن الله يقيض للناس من يعلمهم ويرشدهم، قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (إن الله -تعالى- يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الكذب)[3].

٢- أن الله يقيض للأمة من يصحح لها دينها، قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (يروى في الحديث أن الله -تبارك وتعالى- يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها)[4].

٣- إحياء ما اندرس من معالم الدين، قال المناوي -رحمه الله- في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "يجدد لها دينها": (أي ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة، حسبما نطق به الخبر)[5].

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح (٣٤٢/٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩) برقم (٤٢٩١) وقال: (رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني، لم يجز به شراحيل) وأخرجه الحاكم: المستدرك (٥٢٢/٤) وصححه، وقال السخاوي: (سنده صحيح، رجاله كلهم ثقات) وأضاف: (وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث) المقاصد الحسنة (١٢٢) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة برقم (١٨٧٤).
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٦٢/٢).
(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة (١٣/٢، ٢٥٠).
(٥) فيض القدير (١٠/١).

٤- إحياء العلم بنقله عن السلف من جيل إلى جيل سالماً من التحريف على حد ما في الحديث: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين"[(١)].

٥- إحياء العمل بالكتاب والسنة، واخضاع المستجدات لما جاء فيها، يقول المناوي -رحمه الله-: (وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها، بل لا بد من طريق واف بشأنها؛ اقتضت حكمة الملك العلام ظهور أقوام من الأعلام في غرة كل قرن؛ ليقوموا بأعباء الحوادث، إجراء لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم)[(٢)].

**الثالث:** أن ثم ضمانة من الله -تعالى- لهذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة، يقول النبي -ﷺ-: "إن الله لا يجمع أمتي، أو قال أمة محمد -ﷺ- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ، شذ إلى النار"[(٣)].

---

(١) هذا الحديث أورده أهل العلم عن عدد من الصحابة، وفي طرقه جميعها كلام، فممن رواه البيهقي (١٠/٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠) وأشهر طرقه: رواية معان بن رفاعة، وأكثر المحدثين على تضعيفه، وتضعيف الحديث ما عدا الإمام أحمد حيث لم ير بمعان بأساً كما صحح الحديث هو وابن عبد البر، وضعف الحديث مرفوعاً جمع من العلماء منهم الحافظ العراقي كما في: التقييد والإيضاح (١٣٨) و ابن كثير: الباعث الحثيث (٩٤) وقال السخاوي (الحديث مع كثرة طرقه ضعيف): فتح المغيث (١/١٩٧) وينظر التخريج المطول لهذا الحديث لبدر بن عبد الله البدر في تحقيقه لكتاب ابن وضاح (ما جاء في البدع) (٢٥-٣٢).

(٢) فيض القدير (١/١٠) وينظر في هذا الموضوع: د. محمد بن عبد العزيز العلي: تجديد الدين: مفهومه وضوابطه وآثاره.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠) برقم (٢١٦٧) وقال (غريب من هذا الوجه)، والحاكم (١/٢٠١) =

فالنص على نفي اجتماع الأمة على ضلالة معناه: أن ثم أمناً على الأمة أن تجتمع على ضلالة، بل لا يزال فيها هداة مهديون مهما طال بها الزمان.

۞ ۞ ۞

إن هذا المقوم والأساس الرئيس يكفل بقاء الحق إلى قيام الساعة، مما يحقق أمناً اعتقادياً وفكرياً للأمة أن يضيع هذا الحق، أو يذهب، فيحتج الناس باندراس الحق وذهابه.

---

= برقم (٣٩٧) وابن أبي عاصم: السنة: برقم (٨٠) واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٦/١)، وفي سنده (سليمان بن سفيان) وهو ضعيف كما في التقريب (٢٥١/١)، ورواه الطبراني بإسنادين: رجال أحدهما رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة، وهو ثقة قال الهيثمي (رجاله رجال الصحيح خلا علي بن إسحاق وهو ثقة) مجمع الزوائد (٢١٧/٥) وقال الألباني في رواية الطبراني (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات): ظلال الجنة في تخريج السنة (٤٠).

## المطلب الثاني

## الإيمان

يعد الإيمان المقوم الرئيس للأمن الفكري؛ إذ عليه مدار سلامة الفكر من الزيغ والضلال.

والإيمان كما بينه النبي -ﷺ- في حديث جبرائيل المشهور حين سأل النبي -ﷺ- فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1].

وقد عرفه العلماء مبينين ما يدخل تحت مسمى الإيمان بقولهم: (قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان).

إن مدار الإيمان، وقاعدته التصديق بخبر الله ورسوله -ﷺ- وطاعة الله ورسوله -ﷺ- في أمر كل منهما.

ويتبع هذين الأصلين:

نفي شبهات الباطل الواردة على تصديق الأخبار.

ودفع شهوات الغي الواردة على الطاعة.

فهنا أربعة أمور:

الأول: تصديق الخبر.

والثاني: بذل الاجتهاد في رد الشبهات التي توحيها شياطين الجن والإنس

(١) سبق تخريجه (٣٣).

في معارضته.

الثالث: طاعة الأمر.

الرابع: مجاهدة النفس في دفع الشهوات التي تحول بين العبد، وكمال الطاعة.

وهذان الأمران: (الشبهات، والشهوات) أصل فساد العبد، وشقائه في معاشه ومعاده.

كما أن الأصلين الأولين: (تصديق الخبر، وطاعة الأمر) أصل سعادته، وفلاحه في معاشه، ومعاده.

ذلك أن العبد له قوتان:

**الأولى**: قوة الإدراك والنظر، وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام.

**والثانية**: قوة الإرادة والحب، وما يتبعه من النية والعلم، والعزم والعمل.

فالشبهة تؤثر فساداً في القوة العلمية النظرية؛ ما لم يُداوها بدفعها.

والشهوة تؤثر فساداً في القوة والإرادة العملية؛ ما لم يُداوها بإخراجها[1].

وبهذا يتبين أن الإيمان يحمي من انحرافات الفكر، وبه يتحقق الأمن للناس، وذلك ما نصَّ الله -عزَّ وجلَّ- بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وأينا لم يظلم؟ فأنزل الله:

(١) انظر: ابن القيم: مفتاح دار السعادة (١/١٩٥-١٩٦) وعمر الأشقر: واحة الإيمان عند ابن القيم: الإيمان بالله (٣٤-٣٥).

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣][(١)].

وعند الإمام أحمد: عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون! ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك"[(٢)].

قال الطبري -رحمه الله-: (اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ فقال بعضهم: بشرك) ثم أضاف: (وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم)

ثم قال -رحمه الله-: (وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله -ﷺ- وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: الظلم الذي ذكره الله تعالى ذكره في هذا الموضع، هو الشرك.

وأما قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فإنه يعني: هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك: ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ يوم القيامة من عذاب الله ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يقول: وهم المصيبون سبيل الرشاد، والسالكون طريق النجاة)[(٣)].

وكل من كان عنده حظ من الإيمان، فعنده حظ من الأمن.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري (٣٠) برقم (٣٢) و (٨٨١) برقم (٤٦٢٩) ومسلم (٧٥) برقم (١٢٤).
(٢) المسند (٦/٦٨٩) برقم (٣٥٨٩) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).
(٣) جامع البيان (١١/٥٠٢- ٥٠٤).

إنه بالنظر إلى أصول الإيمان المذكورة في حديث جبرائيل - عليه السلام- المشهور، يتبين أثر هذا الإيمان في تحقيق الأمن الفكري، وهذا عرض موجز للأصل الأول وهو: الإيمان بالله.

ويتضمن الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، وتفرده بالخلق والرزق، والملك والتدبير، والإيمان بألوهيته، وأنه المستحق للعبادة، والإيمان بأسمائه وصفاته.

ويقابلها أصناف من الانحرافات العقدية، والفكرية، فمن حقق الإيمان، فقد سلم من تلك الانحرافات.

وتأمل أبواب الاعتقاد، ومسائل الإيمان لا تجد اعتقاداً صحيحاً إلا وقيامه ينفي اعتقاداً باطلاً، وهذا هو المحقق للأمن من كل زيغ وضلال، فمن آمن بالله رباً رازقاً محيياً مميتاً، يدبر الأمر، فقد فارق الدهريين الذين يقولون ما حكى الله عنهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[المؤمنون: ٣٧].

ومن آمن بالله إلهاً، ومعبوداً، فقد برئ من الشرك ظاهره وباطنه، فأخلص عمله لله، وسلم من دين من اتخذ من دونه آلهة تعبد، أو جعل له شركاء.

ومن آمن بأسماء الله وصفاته، وأثبت ما أثبت الله لنفسه من غير تحريف، ولا تعطيل، وتكييف، ولا تمثيل، فقد برئ من تعطيل الله عن أسمائه وصفاته، أو تشبيهه سبحانه بشيء من مخلوقاته على حد قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد نصت السنة على الدعوة إلى الإيمان بالله، والتحذير من الشرك، فمن ذلك:

١ - عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: "أن تجعل لله نداً، وهو خلقك"(١).

قال المهلب -رحمه الله-: (غرضه - أي البخاري- في هذا الباب إثبات الأفعال كلها لله تعالى كانت من المخلوقين، خيراً أو شراً، فهي لله خلق وللعباد كسب، ولا ينسب منها شيء إلى غير الله تعالى فيكون شريكاً له، ونداً مساوياً له في نسبة الفعل إليه، ونبه الله عباده على ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] إنه الخالق لكم، ولأفعالكم وأرزاقكم)(٢).

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: (اعلم رحمك الله أن الشرك بالله أعظم ذنب عصي الله به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وفي الصحيحين أنه -صلى الله عليه وسلم- سُئل: أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"(٣).

والند: المثل، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه - عز وجل- من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة؛ فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته؛ لأنه المألوه

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦) برقم (٤٤٧٧) ومسلم (٦٢) برقم (٨٦).

(٢) ابن بطال: شرح صحيح البخاري (٥٢١/١٠).

(٣) سبق تخريجه آنفاً.

المعبود الذي تألهه القلوب، وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشدائد، وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية، فكيف يصلح أن يكون إلها؟!)[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (هذا التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل، وضده وهو الشرك أعظم الظلم، كما أخرجا في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي -ﷺ- وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال: "ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]"[2].

وفي الصحيحين[3] عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك" قلت: ثم أي؟ قال: "ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك" قلت: ثم أي؟ قال: "أن تزاني بحليلة جارك" فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية)[4].

٢- وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "أن لا يعذبهم"[5].

(١) الفتاوى (٨٨/١).

(٢) سبق تخريجه (١٣٥).

(٣) سبق تخريجه (١٣٧).

(٤) الفتاوى (١٦١/١٨)

(٥) أخرجه البخاري (١٤٠٥) برقم (٧٣٧٣) ومسلم (٤٦) برقم (٣٠).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً" المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك؛ لأنه تمام التوحيد.

والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك، وتقدم أن الجملة حالية، والتقدير: يعبدونه في حال عدم الإشراك به)[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (قوله: "هل تدري ما حق الله على عباده" الحق: كل موجود متحقق، أو ما سيوجد لا محالة، ويقال للكلام الصدق: حق؛ لأن وقوعه متحقق لا تردد فيه، وكذا الحق المستحق على الغير إذا كان لا تردد فيه.

والمراد هنا: ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتماً عليهم)[2].

وقال القرطبي -رحمه الله-: (حق العباد على الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء فحق ذلك، ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل؛ لأنه كاشف لا موجب)[3].

٣- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعاذاً رديفه على الراحلة قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "يا معاذ" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثلاثاً قال: "ما من أحد يشهد أن لا

(١) الفتح (١١/٣٣٩).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن حجر: الفتح (١١/٣٣٩)

إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار" قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس، فيستبشروا؟ قال: "إذًا يتكلوا" وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[1].

قال العلماء: (يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس؛ لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ، فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل، وخشية لله -عز وجل- فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمن أن يقصر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر)[2].

٤- وعن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار"[3].

٥- وعن جابر -رضي الله عنه- قال أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل، فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئاً: دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً: دخل النار"[4].

٦- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج"[5].

٧- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"

(١) أخرجه البخاري (٥٠) برقم (٢٨٥٦) ومسلم (٤٦) برقم (٣٠).

(٢) ابن حجر: الفتح (٣٣٩/١١)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٣) برقم (١٢٣٨) ومسلم (٦٤) برقم (٩٢).

(٤) أخرجه مسلم (٦٤) برقم (٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥) برقم (٨) ومسلم (٣٩) برقم (١٦).

قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات "(1).

٨- وعن أبي أيوب -رضي الله عنه- أن أعرابياً عرض لرسول الله -ﷺ- وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثمَّ قال: يا رسول الله -أو يا محمد- أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار؟ قال: فكف النبي -ﷺ- ثم نظر في أصحابه، ثم قال: "لقد وفق، أو لقد هدي" قال: كيف قلت؟" قال: فأعاد، فقال النبي-ﷺ-: "تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة "(2).

قال القرطبي -رحمه الله-: (نظر إلى أصحابه مستحسناً لهذا السؤال، ومستحضراً لأفهام أصحابه، ومنوهاً بالسائل، ثم شهد له بالتوفيق والهداية لما ينبغي أن يسأل عنه؛ لأنَّ مثل هذا السؤال لا يصدر إلا عن قلب منور بالعلم بالله -تعالى- وبما يقرب إليه، عازم على العمل بما يفي به، فأجابه النبي-ﷺ- بما يتعين عليه في تلك الحال، فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، أي: توحده في إلهيته، وتخلص له في عبادته) (3).

٩- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -ﷺ- يوماً بارزاً للناس، فأتاه رجل، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر" قال: يا رسول الله، ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣) برقم (٢٧٦٦) ومسلم (٦٣) برقم (٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٢) برقم (١٣٩٦) ومسلم (٣٩) برقم (١٣).

(٣) المفهم (١/١٢٠).

الإسلام؟ قال: "الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان " قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه، فإنه يراك"(١) الحديث.

١٠- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن أعرابياً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان " قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا "(٢).

١١- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله "(٣).

١٢- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلاً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أجعلتني لله عدلاً، قل ما شاء الله وحده"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣) برقم (٥٠) ومسلم (٣٧) برقم (٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٢) برقم (١٣٩٧) ومسلم: برقم (١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨) برقم (٢٥) ومسلم (٤٣) برقم (٢٢).

(٤) أخرجه النسائي: الكبرى (٦/٢٤٥) برقم (١٠٨٢٥) وحسن إسناده العراقي: المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء (٣/١٦٢).

١٣- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل ما شاء الله، ثمَّ شئت"[(١)].

١٤- وعن حذيفة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ-قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله، ثم شاء فلان "[(٢)].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (وإنما لم يجز أن نقول: ما شاء الله وشئت؛ لأن الواو تشرك المشيئتين جميعاً) وأضاف: (وإنما أجاز دخول (ثم) مكان الواو؛ لأن مشيئة الله متقدمة على مشيئة خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠])[(٣)].

١٥- وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- أن رجلاً خطب عند النبي -ﷺ- فقال: من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن يعصِهما، فقد غوى، فقال رسول الله -ﷺ-: "بئس الخطيبُ أنت؛ قل: ومن يعص الله ورسوله"[(٤)].

قال النووي -رحمه الله-: (قال القاضي وجماعة من العلماء: إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضى للتسوية وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٩) برقم (٢١١٧) وقال الألباني: (وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير الأجلح، وهو ابن عبد الله الكندي وهو صدوق كما قال الذهبي والعسقلاني) السلسلة الصحيحة (٣/٨٥) برقم (١٠٩٣).

(٢) أخرجه النسائي: الكبرى (٦/٢٤٥) برقم (١٠٨٢١) وأبو داود: برقم (٤٩٨٢) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (١٣٣٦٣).

(٣) شرح صحيح البخاري (٦/١٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٦) برقم (٨٧٠).

اسمه كما قال -ﷺ- في الحديث الآخر: "لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل ما شاء الله ثمَّ شاء فلان"[(1)].

وقال القرطبي-رحمه الله-: (ظاهره: أنه أنكر عليه جمع اسم الله -تعالى- واسم رسوله -ﷺ- في ضمير واحد)[(2)].

وقال البغوي -رحمه الله-: (وفيه تعليم الأدب في المنطق، وكراهية الجمع بين اسم الله -تعالى- واسم غيره تحت حرفي الكناية؛ لأنه يتضمن نوعاً من التسوية)[(3)].

۞ ۞ ۞

وفوق ذلك فإن المؤمن الحق يَرُدُّ بإيمانه الوساوس، بل النفرة من تلك الوساوس والضيق بها هو صريح الإيمان، ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- قال: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربَّكَ؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله، ولينته"[(4)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وقوله: "فليستعذ بالله ولينته" أي: يترك التفكر في ذلك الخاطر، ويستعيذ بالله إذا لم يزل عنه التفكر.

والحكمة في ذلك: أن العلم باستغناء الله - تعالى- عن كل ما يوسوسه الشيطان أمر ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة، فإن وقع شيء من ذلك فهو من وسوسة الشيطان، وهي غير متناهية فمهما عورض بحجة يجد مسلكاً

---

(١) شرح مسلم (٦/١٥٩).

(٢) المفهم (٧/١٤٠).

(٣) شرح السنة (١٢/٣٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٧) برقم (٣٢٧٦) ومسلم (٧٨) برقم (١٣٤).

آخر من المغالطة والاسترسال، فيضيع الوقت إن سلم من فتنته، فلا تدبير في دفعه أقوى من الالتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] الآية)[(١)].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (قوله: "من خلق ربك؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله، ولينته" أي: عن الاسترسال معه في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها)[(٢)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء ناس من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان"[(٣)] وفي رواية: "تلك محض الإيمان"[(٤)].

قال النووي -رحمه الله-: (فقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ذلك صريح الإيمان" و"محض الإيمان" معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا، وشدة الخوف منه، ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك)

وأضاف -رحمه الله-: (وقيل: معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة؛ لعجزه عن إغوائه.

---

(١) الفتح (١٣/٢٧٣).

(٢) الفتح (٦/٣٤٠-٣٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧) برقم (١٣٢).

(٤) أخرجه مسلم (٧٨) برقم (١٣٣).

وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد فعلى هذا، معنى الحديث: سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان، وهذا القول اختيار القاضي عياض)[1].

وقال الخطابي -رحمه الله-: (المراد بصريح الإيمان: هو الذي يعظم في نفوسهم أن تكلموا به، ويمنعهم من قبول ما يلقي الشيطان، فلولا ذلك لم يتعاظم في أنفسهم؛ حتى أنكروه، وليس المراد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان، بل هي من قبل الشيطان وكيده)[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال الناس يتساءلون؛ حتى يقال: هذا، خلَق اللهُ الخلق، فمن خلَق اللهَ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله"[3].

قال القرطبي-رحمه الله-: (وقوله: "قل: آمَنتُ بالله" أمرٌ بتذكُّر الإيمان الشرعيِّ، وإشغالِ القلب به؛ لتمحى تلك الشبهات، وتضمحلَّ تلك التُّرَّهات.

وهذه كلُّها أدويةٌ للقلوب السليمة، الصحيحة المستقيمة، التي تعرضُ الشبهات لها ولا تمكثُ فيها؛ فإذا استُعْمِلت هذه الأدويةُ على نحو ما أمر به، بقِيَتِ القلوب على صحَّتها، وانحفَظَتْ سلامتها.

فأمَّا القلوب التي تمكَّنت منها أمراض الشُّبَه، ولم تقدر على دفع ما حلَّ بها

---

(١) شرح مسلم (٢/١٥٤).

(٢) ابن حجر: الفتح (١٣/٢٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨) برقم (١٣٤).

بتلك الأدوية المذكورة: فلا بُدَّ من مشافهتها بالدليل العقليّ، والبرهان القطعيّ؛ كما فعل النبي -ﷺ- مع الذي خالطَتْهُ شبهةُ انتقال العدوى بمخالطة الإبل للبعير الأجرب، حين قال النبي -ﷺ-: لا عدوى، فقال أعرابيٌّ: فما بال الإبل تكون في الرَّمْلِ كأنَّها الظِّباءُ فإذا دخل فيها البعيرُ الأجرَبُ أجرَبَها؟ فقال النبي -ﷺ-: "فمنْ أعدَى الأوَّلَ؟!"[1] فاستأصل الشبهة من أصلها.

وتحرير ذلك على طريق البرهان العقليِّ: أن يقال: إن كان الداخل أجرَبَها، فما أجرَبَهُ؟ فإن كان أجرَبهُ بعيرٌ آخر، كان الكلامُ فيه كالكلامِ في الأوَّل، فإمَّا أن يتسلسل أو يدور، وكلاهما محال، فلا بُدَّ أن تقف عند بَعِيرٍ أجربَهُ الله -تعالى- مِنْ غير عَدوى؛ وإذا كان كذلك، فالله -تعالى- هو الذي أجرَبَها كلَّها، أي: خَلق الجرَبَ فيها.

وهذا على منهاج دليل المتكلِّمين على إبطال عِلَلٍ وحوادث لا أوَّل لها على ما يُعرفُ في كتبهم)[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢١) برقم (٥٧١٧) ومسلم (٩١٢) برقم (٢٢٢٠).

(٢) المفهم (٢/١٠٩-١١٠).

## المطلب الثالث

## اليقين

قال الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: (هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله.

وهو قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ ﴾ وهو الشك.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ ﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خَبَثه في النار؛ فكذلك يقبل الله اليقين، ويترك الشك)[1].

إن العلم النافعَ الناتج عن الكتاب والسنة، يورث القلب إيماناً ويقيناً راسخاً، وهذا اليقين أصل عظيم تبنى عليه الحقائق، وسد حصين تتكسر عنده الشبهات.

يقول الله عز وجل-: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤٨).

واليقين هو الإيمان كله ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"(١).

ومن دعائه -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"(٢).

وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قام على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الأول على المنبر، ثم بكى فقال: "اسألوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية "(٣).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل"(٤).

وفي الحديث القدسي: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ

---

(١) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (١٢٣/٧) برقم (٩٧١٦) وقال (المحفوظ عن ابن مسعود من قوله غير مرفوع) وحسنه العراقي: المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء (٧٢/١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٥١) برقم (٣٥٠٢) وقال (حديث حسن غريب) والنسائي: الكبرى (١٠٦/٦) برقم (١٠٢٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) برقم (٣٥٥٨) وقال (هذا حديث حسن غريب) والنسائي: السنن الكبرى (٢٢٠/٦) برقم (١٠٧١٨).

(٤) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (٤٢٧/٧) برقم (١٠٨٤٤) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم: (٦٧٤٦).

خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"[(١)].

قال المباركفوري -رحمه الله-: (ويجوز أن يراد بالظن: اليقين، والمعنى: أنا عند يقينه بي، وعلمه بأن مصيره إلي وحسابه علي، وأن ما قضيت به له، أو عليه من خير، أو شر لا مرد له)[(٢)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والظَّنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث"[(٣)] الحديث.

قال الخطابي -رحمه الله-: (المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل)[(٤)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ، فيُحْجَبَ عن الجنَّة"[(٥)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال له: "يا أبا هريرة ! - وأعطاني نعليه - قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة"[(٦)] الحديث.

قال القرطبي -رحمه الله-: (واليقين: هو العلم الراسخ في القلب، الثابت

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠) برقم (٧٤٠٥) ومسلم (١٠٧٥) برقم (٢٦٧٥).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/٥٣-٥٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٠١٩) برقم (٥١٤٣) ومسلم (١٠٣٤) برقم (٢٥٦٣).
(٤) ابن حجر: الفتح (١٠/٤٨١).
(٥) أخرجه مسلم (٤٥) برقم (٢٧).
(٦) أخرجه مسلم (٤٦) برقم (٣١).

فيه) وأضاف: (اليقين: هو السكون مع الوضوح، يقال: يقن الماء، أي: سكن وظهر ما تحته)[1].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

يقول ابن سعدي -رحمه الله-: (وضابط العلم النافع: أنه يزيل عن القلب شيئين، وهما: الشبهات، والشهوات.

فالشبهات: تورث الشك، والشهوات: تورث درن القلب وقسوته، وتثبط البدن عن الطاعات.

فعلامة العلم النافع أن يزيل هذين المرضين العظيمين، ويجلب للعبد في مقابلتهما شيئين، وهما: اليقين: الذي هو ضد الشكوك.

الثاني: الإيمان التام الموصل للعبد لكل مطلوب، المثمر للأعمال الصالحة، الذي هو ضد للشهوات.

فكلما ازداد الإنسان من العلم النافع، حصل له كمال اليقين، وكمال الإرادة، ولا تتم سعادة العبد إلا باجتماع هذين الأمرين، وبهما تنال الإمامة في الدين.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

(١) المفهم (١/١٢٤).

يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

ودرجات اليقين ثلاث: كل واحدة أعلى من الأخرى: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين: كعلمنا الآن الجنة والنار.

وعين اليقين: إذا ورد الناس القيامة ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] فرأوهما قبل الدخول.

وحق اليقين: إذا دخلوهما.

وحاصل ذلك أن العلم: شجرة تثمر كل قول حسن، وعمل صالح.

والجهل: شجرة تثمر كل قول وعمل خبيث.

وإذا كان العلم بهذه المثابة، فينبغي للإنسان أن يحرص كل الحرص، ويجتهد كل الاجتهاد في تحصيله، وأن يديم الاستعانة بالله في تحصيله، ويبدأ بالأهم فالأهم منه، ومن أهمه معرفة أصوله وقواعده التي ترجع مسائله إليها)[1].

ويقول -رحمه الله-: (كلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنة رسوله، ازداد إيمانه ويقينه، وقد يصل في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين، فقد وصف الله الراسخين في العلم الذين حصل لهم العلم التام القوي، الذي يدفع الشبهات والريب، ويوجب اليقين التام، ولهذا كانوا سادة المؤمنين: الذين استشهد الله بهم، واحتج بهم على غيرهم من المرتابين والجاحدين، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ

(١) رسالة في القواعد الفقهية (١٢٧- ١٢٨) بتصرف يسير.

وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فالراسخون زال عنهم الجهل والريب وأنواع الشبهات: وردوا المتشابه من الآيات إلى المحكم منها، وقالوا: آمنا بالجميع، فكلها من عند الله: وما منه ، وما تكلم به وحكم به كله حق وصدق، وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولعلمهم بالقرآن العلم التام، وإيمانهم الصحيح استشهد بهم في الدنيا والآخرة: كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦].

وأخبر -تعالى- في عدة آيات: أن القرآن آيات للمؤمنين وآيات للموقنين؛ لأنه يحصل لهم بتلاوته وتدبره: من العلم واليقين والإيمان بحسب ما فتح الله عليهم منه، فلا يزالون يزدادون علما وإيمانا ويقيناً.

فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل: الجالبة للإيمان، والمقوية له، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

فاستخراج بركة القرآن - التي من أهمها حصول الإيمان - سبيله وطريقه: تدبر آياته وتأملها.

كما ذكر: أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] أي: فلو تدبروه حق تدبره، لمنعهم مما هم عليه: من الكفر والتكذيب: وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به.

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩] أي: فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه، لمنعهم من التكذيب، وأوجب لهم الإيمان)(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله- في شرحه لحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لكميل بن زياد النخعي قال: (وقوله: "ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة" هذا لضعف علمه، وقلة بصيرته إذا وردت على قلبه أدنى شبهة قدحت فيه الشك والريب؛ بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة.

والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له، فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه، بل يقوى علمه ويقينه بردها، ومعرفة بطلانها، ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة، فإن تداركها و إلا تتابعت على قلبه أمثالها؛ حتى يصير شاكاً مرتاباً.

والقلب يتوارده جيشان من الباطل:

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (١٠٩-١١٠).

جيش شهوات الغي.

وجيش شبهات الباطل.

فأيما قلب صغى إليها، وركن إليها تشربها، وامتلأ بها، فينضح لسانه، وجوارحه بموجبها، فإن أشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه: (الشكوك، والشبهات، والإيرادات) فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه؛ وإنما ذلك من عدم علمه، ويقينه.

وقال لي شيخ الإسلام -رضي الله عنه- وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد -: لا تجعل قلبك للإيرادات، والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات، أو كما قال.

فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك.

وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها و أما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها.

ومثال هذا: الدرهم الزائف، فإنه يغتر به الجاهل بالنقد نظرا إلى ما عليه من لباس الفضة، والناقد البصير يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك؛ فيطلع على زيفه.

فاللفظ الحسن الفصيح هو للشبهة بمنزلة اللباس من الفضة على الدرهم

الزائف والمعنى كالنحاس الذي تحته، وكم قد قتل هذا الاغترار من خلق لا يحصيهم إلا الله.

وإذا تأمل العاقل الفطن هذا القدر، وتدبره رأى أكثر الناس يقبل المذهب، والمقالة بلفظ، ويردها بعينها بلفظ آخر، وقد رأيت أنا من هذا في كتب الناس ما شاء الله، وكم رد من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح)[(١)].

ولما كان العلم المنتج للإيمان واليقين هو أعظم سبل السلامة من الشبهات كان الصحابة أسلم الناس منها؛ لكمال علمهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (كان الصحابة أعلم الأمة على الإطلاق، وبينهم وبين من بعدهم في العلم واليقين كما بينهم وبينهم في الفضل والدين، ولهذا كان ما فهمه الصحابة من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم فانضاف حسن قصدهم، إلى حسن فهمهم.

فلم يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف لا مشهور ولا شاذ، فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه، وساء قصده وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد وقد يجتمعان وقد ينفردان وإذا اجتمعا تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرم الله منهم.

وإذا تأملت أصول المذاهب الفاسدة رأيت أربابها قد اشتقوها من بين هذين الأصلين وحملهم عليها منافسة في رياسة أو مال أو توصل إلى عرض من أعراض الدنيا تخطبه الآمال وتتبعه الهمم وتشرئب إليه النفوس فيتفق للعبد

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٤٠).

شبهة وشهوة وهما أصل كل فساد ومنشأ كل تأويل باطل وقد ذم الله سبحانه من اتبع الظن وما تهوى الأنفس فالظن الشبهات وما تهوى الأنفس الشهوات وهما اللذان ذكرهما في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩].

فذكر الاستمتاع بالخلاق وهو التمتع بالشهوات، وهو نصيبهم الذي آثروه في الدنيا على حظهم من الآخرة.

فالخوض الذي اتبعوا فيه الشبهات فاستمتعوا بالشهوات وخاضوا بالشبهات فنشأ عنهما التفرق المذموم الذي ذم الله أهله في كتابه ونهى عباده المؤمنين عن التشبه بهم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٦].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف)[1].

(١) الصواعق المرسلة (٢/٥٠٩- ٥١١).

## المطلب الرابع

## الإخلاص

إن إصلاح القصد، أساس لقبول الأعمال عند الله -سبحانه- والمخلص يعينه الله على الوصول للحق، ويهيئ له القبول، فتثمر أعماله ثمرات جليلة، ولذلك جاء الأمر بالإخلاص في قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

فالدين كله مداره على الإخلاص، وهو أن يقصد العبد بأعماله وجه الله، فلا يشرك معه أحداً، ويقصد الوصول إلى الحق، وإيصال الخلق إليه، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

وعلى الإخلاص جرى الأنبياء والصالحون، والمقدمون في الأمة.

والإخلاص أساس الحنيفية، يقول الله - عزَّ وجلَّ- مبيناً أن الإخلاص يكون في الأمر كله، وأنه الأمر الفصل بين أهل الحق، وأهل الباطل يقول سبحانه: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما، يجتهد في إقامة الحجة على ذلك،

والمطلوب منها، أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق، ويقيم الحجة على المعاند، ويوضح الحق، ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت مماراة، ومخاصمة لا خير فيها،وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب، يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل، فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس رباً لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك.

فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة. وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول، ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية، إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين)[1].

ويقول -عزَّ وجلَّ-: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

قال ابن كثير – رحمه الله-: (أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له.

وقال قتادة في قوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله)[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/٨٤).

وقد بينت السنة أن مدار الأمر على النية ففي الحديث عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما جاهر إليه "(١).

قال الكرماني -رحمه الله-: (قوله: "إنما الأعمال بالنيات" هذا التركيب يفيد الحصر عند المحققين)(٢).

وقال ابن رجب-رحمه الله-: (هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها، فروي عن الشافعي أنه قال: هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من الفقه)(٣).

وقال -رحمه الله-: (قوله بعد ذلك: "وإنما لكل امرئ ما نوى" إخباراً عن حكم الشرع، وهو أن حظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة فعمله صالح، فله أجره، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد، فعليه وزره)(٤).

فـ(كلَّ عملٍ لا يُرادُ به، وجهُ الله فهو باطلٌ، لا ثمرةَ له في الدُّنيا ولا في الآخرةِ)(٥).

وعن أبي بن كعب -رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "بَشِّرْ هذه الأمَّة بالسَّناء والنصر والتمكينِ في الأرض، فمن عَمِلَ منهم عمل الآخرة للدُّنيا، لم يكن له

(١) أخرجه البخاري (٢١) برقم (١) ومسلم (٧٩٢) برقم (١٩٠٧).

(٢) ابن حجر: الفتح (١٢/١).

(٣) جامع العلوم والحكم (٦١/١).

(٤) المصدر نفسه (٦٤/١).

(٥) المصدر نفسه (٦١/١).

في الآخرة نصيبٌ"[1].

ومن هذا العموم -في حديث عمر- إلى خصوص الأخص في أمر العلم، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك؛ حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم؛ ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثمَّ أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار"[2].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (إن معاوية لما بلغه هذا الحديث، بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله، قال الله -عز وجل-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) أخرجه أحمد (١٤٧/٣٥) برقم (٢١٢٢٣) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده قوي) والحاكم: المستدرك (٣٤٦/٤) برقم (٧٨٦٢) وقال (حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩١) برقم (١٩٠٥).

﴿ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١٥-١٦])[1].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من تعلَّم علماً مما يُبتَغى به وجه الله -عز وجل- لا يتعلَّمه إلاَّ ليصيب به عرضاً من الدُّنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّة -يعني: ريحها- يوم القيامة"[2].

وعن كعب بن مالك -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "من طلب العلم ليُجاري به العُلماء، أو ليُماري به السُّفهاء، أو يَصرِفَ به وجوه النَّاس إليه، أدخله الله النَّار"[3].

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له)[4].

۞ ۞ ۞

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٧٧).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٠٥) برقم (٣٦٦٤) وابن ماجه (٤٢) برقم (٢٥٢) أحمد (١٤/١٦٩) برقم: (٨٤٥٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٣٠) برقم (٢٦٥٤) وقال: (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسحق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تكلم فيه من قبل حفظه) وابن ماجه (٤٢) برقم (٢٥٣) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٦٣٨٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٢).

إن الإخلاص لله -عز وجل- يجمع شمل العبد بحيث يكون أمره كله لله.

وأما من فقد الإخلاص فقد تشعبت به الأهواء، وشتت شمله، ولذا فإن الله -عز وجل- جعل تحكيم الهوى مقابلاً لتحكيم الشرع: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء؛ كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-)[١].

إن المنحرفين في الاعتقاد والفكر أصناف:

- منهم صنف قدموا عقولهم على الشرع، وهم: أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة.

- وصنف قدموا حظوظهم الدنيوية لنيل رئاسة أو حظوة عند ذي سلطان.

فالأولون: ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم.

والآخرون: خرجوا عن الجادة حرصاً على إفادة وليٍّ لهم، أو الغلبة على عدو، أو جر النفع للنفس[٢].

**ومن علامات أهل الأهواء:**

القيام من أجل أهوائهم والانتصار لها، بل قد يكون المرء منكراً لمنكر من المنكرات الظاهرة، ولكن إنكاره ذاك مشوب بشائبة من الهوى، فينكر وهو يظن أن ذلك الإنكار للدين، وهو إنما أقامه وأقعده هواه، أو أن يكون مبدأ

---

(١) الفتاوى (٢٨/١٣٣).

(٢) انظر: الشاطبي: الاعتصام (٢/٦٨٤).

أمره الدين؛ فإذا أوذي أراد الانتصار لنفسه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره به، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً، ثم إذا رُدَّ عليه ذلك، وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ، وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثمَّ صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي)(1).

**والناس في ذلك أقسام ثلاثة:**

**الأول:** قوم لا يقومون إلا لهوى في نفوسهم، فلا يرضون إلا بما يعطونه، ولا يغضبون إلا لما يحرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهيه زال غضبه، وصار الأمر الذي كان عنده منكراً مرضياً عنده، بل صار فاعلاً له وشريكاً فيه.

**الثاني:** قوم يقومون ديانة ولله - عز وجل - مخلصين لله مصلحين فيما عملوه، ويستقيم لهم ذلك؛ حتى يصبروا على ما أوذوا.

**الثالث:** قوم يجتمع فيهم هذا وهذا، وهم غالب المؤمنين ممن فيه دين، وله شهوة تجتمع في قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية، وربما غلب هذا تارة، وهذا تارة.

وإبّان الفتن يكثر هذا النوع، فإنه لما كان آخر خلافة عثمان، وخلافة علي -رضي الله عنهما- كثر هذا القسم، فنشأت الفتنة التي سببها عدم تمحيص

(1) منهاج السنة (٥/٢٥٤-٢٥٥).

التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من الهوى، ومع أن كلا منهما متأول أنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ومع هذا التأويل نوع هوى، ففيه نوعٌ من الظن، وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى[1].

ومن خصائص هذه الأهواء أنها تتمكن من نفوس أصحابها، وتكاد تدخل في كل عرق، ومفصل كما قال النبي -ﷺ-: "وإنه سيخرج من أمتي أقوام تَجَارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقى منه عِرق، ولا مفصلٌ إلا دخَلَه"[2].

(١) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٢٨/١٤٧-١٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣) برقم (٤٥٩٧) وأحمد (٢٨/١٣٤) برقم (١٦٩٣٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

## المطلب الخامس
## تقوى الله -عزَّ وجلَّ-

قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه -وهو محوها -وغفرها: سترها عن الناس -سببًا لنيل ثواب الله الجزيل، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد: ٢٨])[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (ومن الفرقان: النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم)[٢].

وقال الغزالي -رحمه الله-: (قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل، ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان -ﷺ- يكثر في دعائه من سؤال النور فقال: "اللهم أعطني نوراً، وزدني نوراً، واجعل لي في قلبي نوراً، وفي قبري نوراً، وفي

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢/٤-٤٣).
(٢) إعلام الموقعين (٢٥٨/٤).

سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، حتى قال: في شعري، وفي بشري، وفي لحمي، ودمي وعظامي")[1].

وقال الشنقيطي -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ قال ابن عباس، والسدِّي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وغير واحد: ﴿ فُرۡقَانٗا ﴾: مخرجاً، زاد مجاهد في الدنيا والآخرة، وفي رواية عن ابن عباس: ﴿ فُرۡقَانٗا ﴾: نجاة، وفي رواية عنه: نصراً.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿ فُرۡقَانٗا ﴾ أي: فصلاً بين الحق والباطل، قاله ابن كثير.

قال مقيده - عفا الله عنه-: قول الجماعة المذكورة: إن المراد بالفرقان: المخرج، يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ [الطلاق: ٢] والقول بأنه النجاة أو النصر، راجع في المعنى إلى هذا؛ لأن من جعل الله له مخرجاً أنجاه ونصره، لكن الذي يدل القرآن واللغة على صحته في تفسير الآية المذكورة هو قول ابن إسحاق؛ لأن الفرقان مصدر زيدت فيه الألف والنون، وأريد به الوصف أي الفارق بين الحق والباطل، وذلك هو معناه في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [الفرقان: ١] أي: الكتاب الفارق بين الحق والباطل، وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ﴾ [آل عمران: ٤] وقوله: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٤) وحديث: "اللهم أعطني نوراً" أخرجه البخاري (١٢١٥) برقم (٦٣١٦) ومسلم (٣٠٢) برقم (٧٦٣) بألفاظ متقاربة.

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

ويدل على أن المراد بالفرقان هنا: العلم الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى في الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

لأن قوله هنا: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾، يعني: علماً وهدى تفرقون به بين الحق والباطل، ويدل على أن المراد بالنور هنا الهدى، ومعرفة الحق قوله تعالى فيمن كان كافراً فهداه الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فجعل النور المذكور في: (الحديد): هو معنى الفرقان المذكور في الأنفال كما ترى، وتكفير السيئات والغفران المرتب على تقوى الله في آية الأنفال، كذلك جاء مرتباً أيضاً عليها في آية (الحديد) وهو بيان واضح كما ترى)[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: ضعفين، وزادهم: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني: هدى يُتبصَّر به من العمى والجهالة، ويغفر لكم، فضلهم بالنور والمغفرة)[2].

(١) أضواء البيان (٢/٥٢-٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٣٢).

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (هذا الخطاب، يحتمل أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا برسوله محمد -ﷺ- وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: نصيبين من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، ونصيب على إيمانهم بمحمد -ﷺ-.

ويحتمل أن يكون الأمر عاما يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله -تعالى- أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ أي: يعطيكم علما وهدى ونورا تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات)[1].

وقال ابن عاشور -رحمه الله-: (وقوله ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ تمثيل لحال القوم الطالبين التحصيل على رضى الله -تعالى- والفوز بالنعيم، الخائفين من الوقوع في ضد ذلك، بحالة قوم يمشون في طريق بليل، يخشون الخطأ فيه، فيعطون نوراً يتربصون بالثنايا، فيأمنون الضلال فيه.

والمعنى: ويجعل لكم حالة كحالة نور تمشون به، والباء للاستعانة مثل: كتبت بالقلم.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٤٣).

والمعنى: وييسر لكم دلالة تهتدون بها إلى الحق)[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وقد شاع في لسان العامة أن قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الباب الأول حيث يستدلون بذلك على أن التقوى سبب تعليم الله. وأكثر الفضلاء يطعنون في هذه الدلالة؛ لأنه لم يربط الفعل الثاني بالأول ربط الجزاء بالشرط) وأضاف: (وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم كما يقال: زرني وأزورك، و سلم علينا ونسلم عليك، ونحو ذلك مما يقتضي اقتران الفعلين و التعاوض من الطرفين... فقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ قد يكون من هذا الباب، فكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلازمه ويقتضه، فمتى علمه الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك، ومتى اتقاه زاده من العلم، وهلم جرا)[2].

وقال ابن القيّم -رحمه الله-: (وأما قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ فليس من هذا البابِ، بل هما جملتان مستقلتان: طلبية وهي الأمر بالتقوى، وخبرية وهي قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: والله يعلمكم ما تتقون، وليست جواباً للأمر بالتقوى، ولو أريد بها الجزاء لأتى بها مجزومة مجردة عن الواو، فكان يقول: واتقوا الله يعلمكم، أو إن تتقوه يعلمكم، كما

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٤٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٧٧-١٧٨).

قال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] فتدبره)[١].

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: (لأن تعليم الله لنا حاصل مع التقوى وعدمها، و إن كان العلم يزداد بتقوى الله لكن هذا يؤخذ من أدلة أخرى)[٢].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (إن التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم، لكن لا بد من الاعتصام بالكتاب والسنة في العلم والعمل، ولا يمكن أن أحداً بعد الرسول يعلم ما أخبر به الرسول من الغيب بنفسه بلا واسطة الرسول، ولا يستغني أحد في معرفة الغيب عما جاء به الرسول، وكلام الرسول مبين للحق بنفسه، ليس كشف أحد، ولا قياسه عياراً عليه، فما وافق كشف الإنسان وقياسه وافقه، وما لم يكن كذلك خالفه، بل ما يسمى كشفاً وقياساً هو مخالف للرسول، فهذا قياس فاسد، وخيال فاسد، وهو الذي يقال فيه: نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي)[٣].

۞ ۞ ۞

ولقد كثرت الوصايا النبوية بلزوم التقوى لأن التقوى جماع الخير، وهي بمثابة القاعدة التي يبنى عليها العلم، والعمل، ومن تلك الأحاديث:

١- عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَخْطُبُ في حجة الوداع، فقال: "اتَّقُوا الله ربكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمرِكم؛ تدخُلُوا جنَّة ربِّكُمْ"[٤].

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٧٢).

(٢) تفسيره (٣/٤١٠).

(٣) الرد على المنطقيين (١/٥١١).

(٤) أخرجه الترمذي (١٢١) برقم (٦١٦) وقال (حديث حسن صحيح) وأحمد (٣٦/٤٨٦) برقم: (٢٢١٦١) و شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

٢- وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"(١).

قال ابن رجب -رحمه الله- (وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة " هاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها، وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم)(٢).

٣- وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"(٣).

---

(١) سبق تخريجه (٣٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/١١٦-١١٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٢) برقم (١٩٨٧) وقال (حديث حسن صحيح) وأحمد (٣٥/٢٨٤) برقم (٢١٣٥٤) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير ميمون بن أبي شبيب فقد روى له مسلم في المقدمة).

٤- وعن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه-: أنَّ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "اللهمَّ إنِّي أسألك الهدى، والتُّقى، والعَفَافَ، والغِنَى"(١).

٥- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات، فيعمل بهنّ، أو يُعلِّم من يعمل بهنّ؟" فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمساً وقال: "اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب"(٢).

٦- وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخطب في حجة الوداع فقال: "اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم"(٣).

٧- وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"(٤).

۞ ۞ ۞

وما أُتي أكثر الناس من بابٍ من أبواب الانحراف قدر ما أتوا من ضعف

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٠) برقم (٢٧٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨١) برقم (٢٣٠٥) وقال (حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً) وأحمد (٤٥٨/١٣) برقم (٨٠٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث جيد، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي طارق السعدي).

(٣) سبق تخريجه (١٧١).

(٤) أخرجه: مسلم (١٠٩٠) برقم (٢٧٢٢).

الخوف من الله، أو انعدامه؛ فضلوا في الفكر، وانحرفوا في العمل، ولو استقام لهم دينهم، وتحققت في نفوسهم تقوى الله - تعالى- لاستقام فكرهم واعتقادهم، واستقام أيضاً عملهم.

## المطلب السادس
## الدعاء

إن تعلق القلب بالله؛ يثمر اللجأ إليه، والدعاء باب من أعظم أبواب الهداية، وتحقيق الأمن الفكري، والسلامة من سبل الزيغ والضلال، فتعلق القلب بالله يثمر لجأ العبد إلى ربه طالباً الهداية والسداد، والسلامة من الشرور.

إن الهداية هداية التوفيق والإلهام بيد الله سبحانه وحده: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وهذا ما يعرفه أهل الإيمان يقول الله -عزَّ وجلَّ- عنهم إذ دخلوا الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال موسى -عليه الصلاة والسلام- فيما حكاه الله عنه: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وحقيقة الأمر: أن العبد مفتقر إلى ما يسأله من العلم والهدى طالب سائل، فبذكر الله والافتقار إليه يهديه الله ويدله، كما قال: "يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم"[(١)] الحديث.

وقد ورد ذلك في السنة من أوجه كثيرة جداً، منها:

**أولاً: طلب الهداية لذات المسلم:** وذلك يتكرر بقراءة سورة الفاتحة في كل ركعة.

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٩) برقم (٢٥٧٧).

١- فعن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثاً - غير تمام" فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى على عبدي وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي - وقال مرة فوض إليَّ عبدي - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة] قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[١].

والخداج: النقصان[٢].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (فهذا الحديث يدل على أن الله يستمع لقراءة المصلي حيث كان مناجياً له، ويرد عليه جواب ما يناجيه به كلمة كلمة، فأول الفاتحة حمد، ثم ثناء، وهو تثنية الحمد وتكريره، ثم تمجيد، والثناء على الله بأوصاف المجد والكبرياء والعظمة، ثم ينتقل العبد من الحمد والثناء والتمجيد إلى خطاب الحضور، كأنه صلح حينئذ للتقريب من الحضرة فخاطب خطاب الحاضرين، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وهذه الكلمة قد قيل: إنها تجمع سر الكتب المنزلة من السماء كلها؛ لأن

(١) أخرجه مسلم (١٦٩) برقم (٣٩٥).

(٢) النووي: شرح مسلم (٤/١٠١).

الخلق إنما خلقوا ليؤمروا بالعبادة، كما قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لذلك، فالعبادة حق الله على عباده، ولا قدرة للعباد عليها بدون إعانة الله لهم، فلذلك كانت هذه الكلمة بين الله وبين عبده؛ لأن العبادة حق الله على عبده، والإعانة من الله فضل من الله على عبده.

وبعد ذلك الدعاء بهداية الصراط المستقيم؛ صراط المنعم عليهم، وهم الأنبياء وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، كما ذكر ذلك في سورة النساء.

فمن استقام على هذا الصراط حصل له سعادة الدنيا والآخرة، واستقام سيره على الصراط يوم القيامة، ومن خرج عنه فهو إما مغضوب عليه، وهو من يعرف طريق الهدى، ولا يتبعه كاليهود، أو ضال عن طريق الهدى كالنصارى ونحوهم من المشركين.

فإذا ختم القارئ في الصلاة قراءة الفاتحة، أجاب الله دعاءه فقال: "هذا لعبدي ولعبدي ما سأل" وحينئذ تؤمن الملائكة على دعاء المصلى، فيشرع للمصلين موافقتهم في التأمين معهم، فالتأمين مما يستجاب به الدعاء)[1].

وقال المناوي -رحمه الله-: ("ولعبدي ما سأل" أي: له السؤال، ومني الإعطاء)[2].

٢- وعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي: "يا حصين كم

(١) فتح الباري (٥/٢٦٢-٢٦٣)

(٢) فيض القدير (٤/٦٢٣).

تعبد اليوم إلها؟" قال أبي: سبعة، ستةً في الأرض، وواحداً في السماء. قال "فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟" قال: الذي في السماء. قال: "يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك" قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني. فقال: "قل اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي"[1].

قال المباركفوري -رحمه الله-: ("اللهم ألهمني رشدي" أي: وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح.

"وأعذني من شر نفسي" أي: أجرني واحفظني من شرها، فإنها منبع الفساد. وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية؛ لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء)[2].

٣- وعن الحسن بن علي -رضى الله عنهما- قال: علمني رسول الله -ﷺ- كلمات أقولهن في الوتر: "اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت"[3].

(١) الترمذي (٥٤٩) برقم" (٣٤٨٣) وقال (هذا حديث حسن غريب).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/٣٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٧٢) برقم (١٤٢٥) والترمذي (٩٧) برقم (٤٦٦) وقال (هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي واسمه ربيعة بن شيبان. ولا =

قال العظيم آبادي -رحمه الله-: (" اللهم اهدني ": أي ثبتني على الهداية، أو زدني من أسباب الهداية إلى الوصول بأعلى مراتب النهاية.

"فيمن هديت": أي في جملة من هديتهم أو هديته من الأنبياء والأولياء كما قال سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

"وعافني فيمن عافيت": أي من أسوأ الأدواء والأخلاق والأهواء. وقال ابن الملك: من المعافاة التي هي دفع السوء.

"وتولني فيمن توليت": أي تول أمري، ولا تكلني إلى نفسي في جملة من تفضلت عليهم. قال المظهر: أمر مخاطب من تولى إذا أحب عبداً، وقام بحفظه وحفظ أمره.

"وبارك": أي أكثر الخير. "لي": أي لمنفعتي. "فيما أعطيت": أي فيما أعطيتني من العمر والمال والعلوم والأعمال. "وقني": أي احفظني.

"شر ما قضيت": أو ما قدرت لي من قضاء وقدر فسلم لي العقل والدين.

"تقضي": أي تقدر أو تحكم بكل ما أردت. "ولا يقضى عليك": فإنه لا معقب لحكمك ولا يجب عليك شيء.

"إنه": أي الشأن. "لا يذل": بفتح فكسر أي لا يصير ذليلا أي حقيقة. ولا عبرة بالصورة. "من واليت": الموالاة ضد المعاداة. "ولا يعز من عاديت": هذه الجملة ليست في عامة النسخ إنما وجدت في بعضها، نعم روى البيهقي

---

= نعرف عن النبي -ﷺ- في القنوت في الوتر شيئا أحسن من هذا) وقال ابن عبد البر (وهذا يرويه الحسن بن علي من طرق ثابتة أن رسول الله -ﷺ- علمه هذا الدعاء يقنت به في الصلاة) الاستذكار (٢/٢٩٦).

وكذا الطبراني من عدة طرق: "ولا يعز من عاديت".

"تباركت": أي تكاثر خيرك في الدارين. "ربنا": بالنصب أي يا ربنا. "وتعاليت": أي ارتفعت عظمتك وظهر قهرك وقدرتك على من في الكونين، وقال ابن الملك: أي ارتفعت عن مشابهة كل شيء)[1].

٤- وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك"[2] الحديث.

٥- وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا استفتح الصلاة كبر، ثم قال: "إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم اهدني لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال، وسيئ الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت"[3].

(١) عون المعبود (٤/٢١١) وانظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي (٢/٤٦٠-٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٥) برقم (٧٧١).

(٣) أخرجه النسائي (١١٣) برقم (٨٩٦) وصححه الألباني: مشكاة المصابيح (١/٢٦٠) برقم (٨٢٠).

قال علي القاري -رحمه الله-: ("اللهم اهدني لأحسن الأعمال" أي الظاهرة "وأحسن الأخلاق" أي: الباطنة. "لا يهدي لأحسنها" أي المذكورات من النوعين "إلا أنت".

"وقني سيء الأعمال، وسيء الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت" وفي العدول عن الأسوأ المقابل للأحسن إلى السيئ نكتة لا تخفى)[١].

٦- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبي -ﷺ- يدعو يقول: "رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدي لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهَّاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً إليك أواهاً منيباً رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري"[٢].

٧- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- كان يقول: "اللهم إني أسألك: الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى"[٣].

٨- وعن طارق بن أشيم الأشجعي -رضي الله عنه- قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي -ﷺ- الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني"[٤].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٣/٣٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٥٨) برقم (٣٥٥١) وقال (حديث حسن صحيح) وأبو داود (١٨٠) برقم: (١٥١٠) وأحمد (٣/٤٥٢) برقم (١٩٩٧).

(٣) سبق تخريجه (١٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٨١) برقم (٢٦٩٧).

**ثانياً: طلب الهداية للكفار، فلغيرهم من المسلمين المنحرفين من باب أولى:**

١ - قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: "اللهم اهد دوساً، وأت بهم"[(١)].

٢ - عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله - -صلى الله عليه وسلم- حاصر أهل الطائف فجاءه أصحابه، فقالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف: فادع الله عليهم. فقال: "اللهم اهد ثقيفاً "[(٢)].

٣- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فاسمعتني في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أكره، فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى علي فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اهد أم أبي هريرة" فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣) برقم (٢٩٣٧) ومسلم (١٠٢٠) برقم (٢٥٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٩/٢٣) برقم (١٤٧٠٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٠١/١٢) برقم (٣٣١٦٣) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده قوي على شرط مسلم).

دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً. قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال فقال رسول الله -ﷺ-: "اللهم حبب عُبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين" فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني إلا أحبني[1].

٤- وعن عبد الله -رضي الله عنه- قال: كأني أنظر إلى النبي -ﷺ- يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون"[2].

قال ابن حبان -رحمه الله-: (يعني هذا الدعاء أنه قال يوم أحد لما شج وجهه قال "اللهم اغفر لقومي" ذنبهم بي من الشج لوجهي، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة، ولو دعا لهم بالمغفرة؛ لأسلموا في ذلك الوقت لا محالة)[3].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله: أن النبي- -ﷺحكى نبياً من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين وقد جرى لنبينا -ﷺ- مثل هذا يوم أحد)[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٠) برقم (٢٤٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٠) برقم (٣٤٧٧) وصحيح مسلم (٧٤٥) برقم (١٧٩٢).

(٣) صحيح ابن حبان (٣/٢٥٤).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/١٥٠).

**اللجوء إلى الله بطلب إصابة الحق والسداد فيه:**

١- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله -ﷺ- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"[1].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "اهدني لما اختلف فيه من الحق" معناه: ثبتني عليه كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦])[2].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: (وأما سؤال المؤمن من الله الهداية، فإن الهداية نوعان:

هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن.

وهداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] .... وإن أنكره من أنكره من فقهاء العراق ظناً منهم أن المسلم لا يحتاج أن يدعى له بالهدى، وخالفهم جمهور العلماء اتباعاً للسنة في ذلك)[3].

(١) أخرجه مسلم (٣٠٤) برقم (٧٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٦/٥٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٠٠).

وقال ابن حبان -رحمه الله-: (كل ما في هذه الأخبار: اللهم اهدني، اللهم إني أسألك الهدى، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد بها الثبات على الهدى، والزيادة فيه؛ إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة، وقد هداه الله قبل ذلك)[1].

٢- وعن علي -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (أما "السداد" هنا بفتح السين، وسداد السهم: تقويمه ومعنى: "سددني": وفقني واجعلني منتصباً في جميع أموري مستقيماً، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا: فهو الرشاد.

ومعنى: "اذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم" أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدد السهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه، ولزومه السنة.

وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى؛ لئلا ينساه)[3].

وقال المناوي -رحمه الله-: (قال القاضي: أمره بأن يسأل الله الهداية والسداد، وأن يكون في ذلك مخطرا بباله أن المطلوب هداية كهداية من ركب متن الطريق وأخذ في المنهج المستقيم، وسداداً كسداد السهم نحو الغرض، والمعنى أن يكون في سؤاله طالباً غاية الهدى، ونهاية السداد. اهـ.

---

(١) صحيح ابن حبان (٣٨٥/٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩١) برقم (٢٧٢٥)

(٣) شرح مسلم (٤٣/١٧).

وقال بعضهم: معناه إذا سألت الهدى فأخطر بقلبك هداية الطريق؛ لأن سالك الفلاة يلزم الجادة ولا يفارقها خوفاً من الضلال، وكذا الرامي إذا رمى شيئاً سدد السهم نحوه؛ ليصيبه فأخطر ذلك بقلبك؛ ليكون ما تنويه من الدعاء على شاكلة ما تستعمله في الرمي.

وقال القونوي: اشترط في هذا الحديث صحة الاستحضار للأمر المطلوب من الحق حال الطلب، وذلك لأن الإجابة تابعة للتصور، فالأصح تصوراً للحق تكون أدعيته مجابة، وصحة التصور تابعة للعلم المحقق والشهود الصحيح)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: (وقد يشكل الشيء، ويشتبه أمره في الابتداء، فإذا حصل الاستعانة بالله، واستهداؤه، ودعاؤه، والافتقار إليه، أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣])[2].

**دعاء الله بطلب الثبات على الحق:**

ومن ذلك:

١ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنه سمع رسول الله –ﷺ– يقول: "إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرِّفه حيث يشاء" ثم قال رسول الله –ﷺ–: "اللهم مصرف القلوب: صرف قلوبنا على طاعتك"[3].

(١) فيض القدير (٤/٦٨٥).

(٢) الصفدية (١/٢٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٥) برقم (٢٦٥٤).

قال القاري -رحمه الله-: ("صرف قلوبنا على طاعتك" أي: إليها أو ضمن معنى التثبيت، ويؤيده ما ورد: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قيل: وفيه إرشاد للأمة، والظاهر أن كل أحد من العباد كما أنه مفتقر إليه تعالى في الإيجاد، لا يستغني عنه ساعة من الإمداد)[1].

٢- وقد كان النبي -ﷺ- يكثر أن يقول في دعائه: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقيل له: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ فقال: "نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله -عز وجل- يقلبها كيف يشاء"[2].

٣- وعن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك " فقلت: يا رسول الله، أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: "نعم، ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله -عز وجل- أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب " قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: "بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني"[3].

---

(١) مرقاة المفاتيح (١/٣٧٣).

(٢) سبق تخريجه (٣٢).

(٣) سبق تخريجه (٤٣).

٤- وعن شداد بن أوس أن رسول الله -ﷺ- كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم "(١).

قال القاري -رحمه الله-: ("اللهم إني أسألك الثبات في الأمر" أي: في جميع الأمور المتعلقة بأمر الدين)(٢).

إن كثيراً من الخلق قد ضلوا لما غفلوا عن اللجْءِ إلى الله سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه النسائي (١٥٤) برقم (١٣٠٤) والترمذي (٥٣٩) برقم (٣٤٠٧) وأحمد (٣٥٦/٢٨) برقم: (١٧١٣٣) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن بطرقه وإسناده ضعيف) وابن حبان (٣١٠/٥) برقم: (١٩٧٤) وقال شعيب الأرنؤوط (رجاله ثقات إلا أنه منقطع).
(٢) مرقاة المفاتيح (٣٨/٤).

# المطلب السابع
# محبة الحق وقصده

عظم الإسلام الحق، وجعل له منزلة عليا، فعليه قامت السموات والأرض، وأنزل الله الكتاب بالحق.

فقال الله -عز وجل-:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٥].

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ [آل عمران: ٣].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

والخلق بطبيعتهم فطروا على محبة: (الحق).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والقلب خلق يحب الحق، ويريده ويطلبه)[1].

(١) الفتاوى (١٠/٨٨).

وقال -رحمه الله-: (والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به، ومعرفة الباطل والتكذيب به، ومعرفة النافع الملائم والمحبة له، ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة، فما كان حقاً موجوداً صدقت به الفطرة وما كان حقاً نافعاً عرفته الفطرة، فأحبته واطمأنت إليه، وذلك هو المعروف، وما كان باطلا معدوماً كذبت به الفطرة، فأبغضته الفطرة فأنكرته)[1].

والمؤمن مستقيم على الفطرة، وافق اعتقاده وعمله فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأما الكفار والمنافقون فقد اجتالتهم الشياطين عن دينهم.

ولذلك فإن من صفات أهل الإيمان قبولهم للحق، ورجوعهم إليه عند التنازع وأوبتهم إلى الحق إذا بين لهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

قال الطبري-رحمه الله-: (﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد.. وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد

(١) المصدر نفسه (٤/٣٢).

وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحقّ، ويعبدون ما لا يضرّ، ولا ينفع.

وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ يعني: أولو العقول، والحجا)[1].

والإنسان مأمور بالعدل والحق ولو على نفسه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[النساء: ١٣٥].

وعلى ذلك جرى الصالحون، وأئمة الهدى، قال الحسن البصري -رحمه الله- واصفاً الصحابة: (وخضوعهم بالطاعة لربهم -تعالى- واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم)[2].

وكانوا يتواصون به، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية -رضي الله عنهما-: (أما بعد: فالزم الحق، ينزلك الحق منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق)[3].

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: (ولا يَمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[4].

(١) امع البيان في تأويل القرآن (٢١/٢٧٣- ٢٧٤).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء (٢/١٤٣).

(٣) الذهبي: السير (١١/٢٣٣).

(٤) يوسف بن حسن المبرد: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/٥٥٥-٥٥٦).

وفي السنة أحاديث كثيرة تدل على حرص النبي -ﷺ- على الحق، واهتمامه بإقامته، والرجوع إليه وقبوله من كل أحد، ومن تلك الأحاديث:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- بأي شيء كان نبي الله -ﷺ- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"[1].

وعن أم سلمة -رضي الله عنها - عن رسول الله -ﷺ- أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها، أو فليتركها"[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة، وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة"[3].

وعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسول الله -ﷺ- فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون! قال: "سبحان الله، وما ذاك؟" قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله -ﷺ-

(١) سبق تخريجه (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣) برقم (٢٤٥٨) ومسلم (٧١١) برقم (١٧١٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٤٥) برقم (٢٦٠١).

شيئاً، ثم قال: إنه قد قال: "فمن حلف، فليحلف برب الكعبة " قال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال "سبحان الله، وما ذاك؟" قال: تقولون: ما شاء الله وشئت. قالت: فأمهل رسول الله -ﷺ- شيئاً، ثم قال: إنه قد قال: "فمن قال ما شاء الله، فليفصل بينهما، ثم شئت"[(١)].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: (وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان)[(٢)].

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: .... فقال: "يا أبا هريرة" وأعطاني نعليه قال: "اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة " فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله -ﷺ- بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله -ﷺ- فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله -ﷺ-: "ما لك يا أبا هريرة؟" قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لأُستي قال: ارجع. فقال له رسول الله -ﷺ-: "يا عمر ما حملك على ما فعلت؟" قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: "نعم " قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها، فخلهم

(١) أخرجه أحمد (٤٥/٤٣) برقم (٢٧٠٩٣) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٤١٩).

يعملون، قال رسول الله -ﷺ-: "فخلِّهم"[1].

قال النووي -رحمه الله-: (وفيه إشارة بعض الأتباع على المتبوع بما يراه مصلحة، وموافقة المتبوع له إذا رآه مصلحة، ورجوعه عما أمر به بسببه)[2].

وعن أبيض بن حمال -رضي الله عنه- أنه وفد إلى رسول الله -ﷺ- فاستقطعه الملح، فقطع له، فلما أن ولى، قال رجل من المجلس: أتدري ما قطعت له؟ إنما قطعت له الماء العِدّ قال: فانتزعه منه[3].

الماء العِدُّ: الماء الدائم الذي لا ينقطع[4].

وقد أفاد الحديث: (أن الحاكم إذا حكم، ثم ظهر أن الحق في خلافه ينقض حكمه، ويرجع عنه)[5].

وعن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"[6].

---

(١) سبق تخريجه (١٥٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١/٢٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي:(٢٤٢) برقم (١٣٨٠) وقال: (حديث أبيض حديث غريب، والعمل على هذا عند أهل العلم) وأبو داود (٣٤٧) برقم (٣٠٦٦) وابن حبان (١٠/٣٥١) برقم (٤٤٩٩) وقال الألباني: (حسن لغيره دون جملة: "الخفاف") التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان:(٦/٤٦٨).

(٤) انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي (٤/٥٢٧).

(٥) العظيم آبادي: عون المعبود (٨/٢١٩).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٥٨) برقم (٤٢٥١) والترمذي (٢٤٩٩) برقم (٢٤٩٩ ) وقال: (حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة ) والحاكم: المستدرك (٤/٢٧٢) برقم (٧٦١٧) وقال: (حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) وقال الذهبي: (علي بن مسعدة: لين) وحسنه الألباني: المشكاة:(٢/٧٢٤) برقم (٢٣٤١).

وعن عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: "أتدرون من السابقون إلى ظل الله -عز وجل- يوم القيامة؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم"[1]

وفي الآثار عن الصحابة -رضي الله عنهم- ما يدل على تعظيمهم للحق، ومن ذلك:

قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لما ولي الخلافة في خطبته المشهورة وفيها: (أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني)[2].

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي)[3].

وعن علي -رضي الله عنه- قال: (أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال)[4].

وقال رجل لعبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أوصني بكلمات جوامع نوافع، فقال له عبد الله: (اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وزل مع القرآن حيث زال، ومن أتاك بحق فاقبل منه وإن كان بعيداً، ومن أتاك بباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً)[5].

وعن محمد بن كعب القرظي، قال: سأل رجل علياً -رضي الله عنه- عن مسألة، فقال فيها. فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠/٤٤٠) برقم (٢٤٣٧٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف؛ لضعف ابن لهيعة).

(٢) ابن سعد: الطبقات (٣/١٨٣).

(٥) المصدر نفسه (٣/٢٩٣).

(٤) أبو نعيم: الحلية (١/٨٥).

(٥) الطبراني: المعجم الكبير (٩/١٠٢) برقم (٨٥٣٧).

فقال علي -رضي الله عنه-: (أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم)[1].

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: (لن تزالوا بخير؛ ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم الحق فعرفتموه؛ فإن عارفه كفاعله)[2].

وقد كانوا في الجملة كما قال عنهم ابن رجب -رحمه الله-: (كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم)[3].

إن آفة كثير من الخلق أنهم ردوا الحق ولو عرفوه، ولذلك قال الله -تعالى- عن اليهود: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وإذ ردوا الحق فإنهم لبسوا الحق بالباطل، يقول الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾ أي: تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (١/٢٦٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/٣٣١).

(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير (١٠).

الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٠).

## المبحث الثاني
## الأسس والمقومات العلمية

وفيه سبعة مباحث:

المطلب الأول: فضل العلم وأهميته.

المطلب الثاني: ضبط مصادر التلقي.

المصدر الأول: الكتاب.

المصدر الثاني: السنة.

المصدر الثالث: الإجماع.

المصدر الرابع: القياس.

المصدر الخامس: الفطرة.

المصدر السادس: الحس والتجربة.

المصدر السابع: العقل.

## المطلب الأول
## فضل العلم وأهميته

العلم نور يهدي به الله من شاء من خلقه إلى صراطه المستقيم، والعلماء هم ورثة الأنبياء، فإذا كان الناس أمواتًا، فإن العلماء أحياء.

والعلم خير كله، وفضائله أوسع من أن تحصر، وهذا جملة منها:

١ - أن العلماء هم أهل الرفعة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قال القرطبي -رحمه الله-: (أي في الثواب في الآخرة، وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم.

وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (خص -سبحانه- رفعه بالأقدار والدرجات الذين أوتوا العلم والإيمان، وهم الذين استشهد بهم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى الرسول -ﷺ- هو الحق بقوله

(١) الجامع لأحكام القرن (١٧/٢٩٩).

تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦] فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها، كما قال تعالى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [يوسف: ٧٦].

قال زيد بن أسلم: بالعلم.

فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان، فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين، وآخر لا ينام الليل، وآخر لا يفطر، وغيرهم أقل عبادة منهم، وأرفع قدراً في قلوب الأمة، فهذا كرز بن وبرة، وكهمس، وابن طارق يختمون القرآن في الشهر تسعين مرة،وحال ابن المسيب، وابن سيرين، والحسن وغيرهم في القلوب أرفع)(١).

٢- العلم سبب من أسباب الحماية من اتباع سبل الشيطان، ولهذا أمر الله برد المشكلات إلى أهل العلم الذين يستنبطون حلولها من معادنها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

٣- صاحب العلم لا يُسوى بمن هو دونه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

قال ابن عاشور -رحمه الله-: (والمعنى: أَعْلِمهم يا محمد بأن هذا المؤمن العالِم بحق ربه ليس سواء للكافر الجاهل بربه، وإعادة فعل ﴿ قُلْ ﴾ هنا للاهتمام بهذا المقول ولاسْترعاء الأسماع إليه.

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٤٩).

والاستفهام هنا مستعمل في الإِنكار، والمقصود: إثبات عدم المساواة بين الفريقين، وعدم المساواة يكنّى به عن التفضيل، والمراد: تفضيل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون)[1].

٤- أن الله تعالى استشهدهم على أعظم مشهود، وهو توحيده، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام)[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (استشهد سبحانه بأولي العلم على أجلّ مشهود عليه وهو توحيده فقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط)، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

**أحدها**: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

**والثاني**: اقتران شهادتهم بشهادته.

**والثالث**: اقترانها بشهادة ملائكته.

**والرابع**: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، ومنه الأثر المعروف عن النبي -ﷺ-: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[3].

**الخامس**: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به،

(١) التحرير والتنوير (١٢/٣٧٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٤٣٥).

(٣) سبق تخريجه (١٣١).

وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

**السادس**: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم هذا فضلاً وشرفاً.

**السابع**: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

**الثامن**: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده.

**التاسع**: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادته بفعل آخر غير شهادت، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقاً وتعليماً، وهم الشاهدون بها له إقراراً واعترافاً، وتصديقاً وإيماناً.

**العاشر**: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله)[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٤٨).

٥- أن الله سبحانه وتعالى جعل أهل العلم هم أهل خشيته، بل خصهم من بين الناس بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وهذا حصر لخشيته في أولي العلم، وقال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

وقد أخبر أن أهل خشيته هم العلماء، فدل على أن هذا الجزاء المذكور للعلماء بمجموع النصين، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)[1].

٦- أن الله -سبحانه وتعالى- أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالاستزادة من العلم، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٧- أن الله - سبحانه وتعالى- استشهد بأهل العلم والإيمان يوم القيامة على بطلان قول الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

٨- أن الله -تعالى- (أمر أهل العلم بالفرح بما آتاهم، وأخبر أنه خير مما يجمع الناس، فقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فسر فضل الله بالإيمان، ورحمته بالقرآن، والإيمان والقرآن هما العلم النافع،

(١) المصدر نفسه (١/٥١).

والعمل الصالح والهدى، ودين الحق، وهما أفضل علم، وأفضل عمل)[1].

٩- أن الله -تعالى- (شهد لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيراً كثيراً، فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال ابن قتيبة والجمهور: الحكمة إصابة الحق والعمل به وهي العلم النافع والعمل الصالح)[2].

١٠- والعلم سبيل الجنة والرحمة والرفعة والذكر، ومما يبين هذه الفضيلة ما رواه كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول -ﷺ- لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله -ﷺ- ما جئتك لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٥١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه أبو داود (٤٠٣) برقم (٣٦٤١) وابن ماجه (٣٩) برقم (٢٢٣) والترمذي: برقم (٢٦٨٢) وقال: (ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم ابن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هكذا: حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء ابن حيوة، عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش) وأحمد(٤٥/٣٦) برقم (٢١٧١٥) وقال شعيب الأرنؤوط: (حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"(١).

١١- من يسلك طريق العلم فقد أراد الله به الخير، فعن معاوية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"(٢).

١٢- صاحب العلم مغبوط من جميع الناس، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها"(٣).

وقال علي -رضي الله عنه- لكميل بن زياد: (يا كميل: العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق)(٤).

١٣- أن صاحب العلم غيث للعباد، كما أن المطر غيث للبلاد، فعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت

---

(١) سبق تخريجه (٤٨-٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩) برقم (٧١) ومسلم (٣٩٨) برقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) برقم (٧٣) ومسلم (٣١٧) برقم (٨١٦).

(٤) حلية الأولياء (١/٨٠).

الكلأ، والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان؛ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[1].

١٤- أن العلماء هم أهل العدالة، قال النبيّ -ﷺ-: "يحمل هذا العِلْمَ من كلّ خَلَف عدولُه، يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين"[2].

۞ ۞ ۞

إنه لما كان سبب الضلال هو التقصير في طلب الحق أو القصور في فهمه أو كليهما.

كان العلم سدا منيعاً للحماية من الفتن عموماً؛ ولهذا إذا ذهب أهل العلم يظهر الجهل وبرزت الفتن، وكثر القتل.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "يقبض العلم؛ ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج" قيل: يا رسول الله، وما الهرج؟ فقال: "هكذا بيده، فحرَّفها، كأنه يريد القتل[3].

وفي قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم كمل المئة ما يدل على أثر العلم في الحماية من الانحرف عن الحق.

(١) أخرجه البخاري (٤١) برقم (٧٩) ومسلم (٩٣٨) برقم (٢٢٨٢).

(٢) سبق تخريجه (١٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢) برقم (٨٥).

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.

فانطلق؛ حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.

فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"[(١)].

والجهل سبب للوقوع في الشرك، كما أن العلم سبب لحماية جناب التوحيد، فعن أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن حديثو عهد بجاهلية، وقد كانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب، شجرة عظيمة، يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كل عام، فيعلقون بها أسلحتهم، ويريحون تحتها، ويعكفون عليها يوماً، فرأينا، ونحن نسير مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط؟ فقال: "الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨) برقم (٣٤٧٠) ومسلم (١١٠٧) برقم (٢٧٦٦).

بيده كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم"[١].

من هذا الحديث يتبين أن سبب ضلال قوم موسى -عليه السلام- عن الحق هو الجهل، كما أن سبب طلب بعض الصحابة لرسول الله -ﷺ- ما طلبوه، هو الجهل وعدم العلم.

وفي الجملة، فإن العلم يحمي صاحبه عن الانحراف إلى درجة البهيمية.

يقول الحسن البصري -رحمه الله-: (لولا العلماء؛ لصار الناس مثل البهائم) أي: أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمة إلى حد الإنسانية[٢].

(١) أخرجه الطبراني: الكبير (٣/٢٤٤) برقم (٣٢٩٣) وابن حبان (١٥/٩٤) برقم (٦٧٠٢) و قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم) والترمذي (٣٦٢) برقم (٢١٨٠) وقال (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) إحياء علوم الدين (١/١١).

# المطلب الثاني
# ضبط مصادر التلقي

لقد خلق الله الإنسان وهو خُلو من العلم والمعرفة ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

قال الطبري -رحمه الله -: (يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئا ولا تعلمون، فرزقكم عقولا تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشرّ وبصَّركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص، فتتعارفون بها وتميزون بها بعضاً من بعض.

﴿ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ﴾ يقول: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك)[1].

وأمكن الله الإنسان من تحصيل العلم والمعرفة، حيث جعله مؤهلاً لذلك

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/٢٦٥)

بما خلق فيه من وسائل الفهم والإدراك ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

فالله -عز وجل- هو خالق الإنسان، وهو الذي ألهمه مصالحه، وعلمه ما لم يكن يعلم ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

وفي العلم الخاص علم الهداية يقول الله لنبيه -ﷺ-: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فالله خالق الإنسان، وهو معلمه، وبين الخلق والتعليم صلة؛ ذلك أن الخالق هو الأعلم بما يصلح للمخلوق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وبهذا فإن علم الإنسان يمتد ليتصل بالعلم الإلهي، فالله هو مُعلمُ خلقه بما شاء، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

يقول الله -عز وجل-: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فعلم الله محيط بكل شيء، والخلق:

- لا يحيطون بشيء مما يعلمه ربهم سبحانه، فما أدركوا إلا ما عُلِّموا ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

- ولا يحيطون بشيء من العلم بربهم إلا ما علمهم ربهم كما جاء في الحديث: ".. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك.. "(١).

ومما يوضح الارتباط بين الخلق والعلم، وأن الإنسان مخلوق مكرم، ومن تكريمه أن علَّمه الله، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣].

وإذا علمنا هذا، علمنا أن سلامة فكر الإنسان رهينة سلامة مصدر معرفته وفكره.

ومعرفته من حيث مصدرها لها علاقة بطبيعة المعلوم، فالمعلوم نوعان:

**الأول**: الغيب: وهذا لا يدرك إلا بالوحي.

الثاني: الشهادة: وهي التي يدركها الإنسان بحواسه.

---

(١) أخرجه: أحمد: المسند (٢٤٦/٦) برقم (٣٧١٢) وابن حبان (٢٥٣/٣) برقم (٩٧٢) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح)، والحاكم: المستدرك (٦٩٠/١) برقم (١٨٧٧) وقال (هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة (٣٨٣/١) برقم (١٩٩).

وكل ذلك لا يمكن للإنسان معرفته لولا أن الخالق أقدره على ذلك، فالعلم بالمحسوسات بالسمع والبصر الذي جعله الله في البشر، وتفسير الظواهر، وفهمها بالعقول التي خلقها الله في الناس.

إن التأصيل، وضبط مصادر المعرفة والتلقي أساس الأمن الفكري، فإن الاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته كل ذلك منوطٌ بسلامة المصدر الذي أخذ منه الاعتقاد، أو العمل.

وكما أن أصل سلامة الفكر أخذه من المصادر الصحيحة، فإن أصل الزيغ ومنبع الضلال التلقي من المصادر غير المعتبرة التي وصفها الضلال، وأثرها الإضلال.

ولذلك فإن الباحثين يكتبون في أصول المعرفة، ومصادرها، وإن كانوا قد اختلفوا في تسميتها:

فمنهم من يسميها: (مصادر)[1] ومنهم من يسميها: (وسائل)[2] ومنهم من يسميها: (أصولاً) و (منابع)[3].

وفي الدراسات الشرعية تسمى مصادر الأحكام الشرعية: (الأدلة الإجمالية)[4].

۞ ۞ ۞

(١) ينظر: معجم مجمع اللغة العربية الفلسفي (٢٠٣).

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي (٤٧٨/٢).

(٣) ينظر: "رابوبرت": مبادئ الفلسفة (١٩١).

(٤) ينظر: كتب أصول الفقه، وينظر في هذا: عبد الرحمن الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: (٨٦-٩٥).

وقد دلت النصوصُ على أهمية المصدر الذي يصدر عنه القولُ، أو الاعتقاد، أو العمل فالنبي -ﷺ- حين أرسل معاذاً علمه بم يحكم.

فعن معاذ -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- حين بعثه إلى اليمن فقال: "كيف تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟" قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟ " قال: فبسنة رسول الله -ﷺ-. قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله -ﷺ-؟" قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضربَ رسول الله -ﷺ- صدري، ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ، رسولِ الله -ﷺ- لما يُرضي رسول الله -ﷺ-"(١).

وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله -ﷺ- إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنِفِ، حيثما قيد انقاد"(٢).

وهذا كله يدل على أن الإنسان بحاجة إلى ضبط مصدر تلقيه.

وقد نص علماء الإسلام على مصادر المعرفة بناء على تمييزهم للمعلوم، وتفريقهم بين الموجودات، غيبها وشهادتها.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (طرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل،

(١) سبق تخريجه (٤٩).

(٢) سبق تخريجه (٣٣) وهذه الرواية أخرجها: ابن ماجه (٢٢) برقم (٤٣) وأحمد (٣٦٧/٢٨) برقم (١٧١٤١) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن) والطبراني: الكبير (٢٤٧/١٨) برقم (٦١٩).

والمركب منهما، كالخبر فمن الأمور ما لا يمكن علمه إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين، كالخبر المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

وقال- رحمه الله -: (طرق العلم ثلاثة:

**أحدها:** الحس: الباطن، والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها.

**والثاني:** الاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس، فما أفاده الحس معيناً، يفيده العقل والقياس كلياً مطلقاً فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين، لكن يجعل الخاص عاماً، والمعين مطلقاً، فإن الكليات إنما تعلم بالعقل، كما أن المعينات إنما تعلم بالإحساس.

**والثالث:** الخبر، والخبر يتناول: الكليات، والمعينات، والشاهد، والغائب، فهو أعم وأشمل، لكن الحس، والعيان أتم أكمل)[2].

ويقول -رحمه الله- كذلك: (وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم: الحس، والخبر، والنظر، وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور)[3].

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبيناً مصادر العقيدة وأصولها: (مآخذ العقائد الإسلامية أربعة:

**سلفيان:** وهما الفطرة، والشرع.

**وخلفيان:** وهما النظر العقلي المتعمق فيه، والكشف التصوفي.

(١) درء التعارض (١/١٧٨).

(٢) المصدر نفسه (٧/٣٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٧٥).

أما الفطرة: فأريد بها ما يعم الهداية الفطرية، والشعور الفطري، والقضايا التي يسميها أهل النظر ضروريات وبديهيات، والنظر العقلي العادي وأعني به ما تيسر للأميين ونحوهم ممن لم يعرف على الكلام، ولا الفلسفة.

وأما الشرع: فالكتاب و السنة.

وأما النظر العقلي المتعمق فيه فما يختص بعلم الكلام والفلسفة.

وأما الكشف التصوفي، فمعروف عند أهله ومن يوافقهم عليه)[1].

وقال-رحمه الله- أيضاً: (من تدبر القرآن، وتصفح السنة، والتأريخ علم يقيناً أنه لم يكن بين يدي السلف مأخذ يأخذون منه عقائدهم غير المأخذين السلفيين، وأنهم كانوا بغاية الثقة بهما، والرغبة عما عداهما، وإلى ذلك دعاهم الشرع حتى لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن من الحض على ذلك)[2].

وسأبين مصادر التلقي المؤصلة للإنسان على الحق في هذه المصادر:

**الأول:** الكتاب.

**الثاني:** السنة.

**الثالث:** الإجماع.

**الرابع:** القياس.

**الخامس:** الفطرة.

**السادس:** الحس والتجربة.

**السابع:** العقل.

(١) القائد إلى تصحيح العقائد (٣٧).

(٢) المصدر السابق (٣٩).

مقدمة في الكلام عن الوحي:

إن مصادر التشريع والدين أساسها: (الوحي) بشقيه: الكتاب، والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣-٤].

قال القرطبي- رحمه الله-: (فيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل)[1].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[النساء: ٨٠].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد -ﷺ- بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)[2].

فالسنة وحي إلا أنه غير متلو، فيه تفسير وتوضيح للقرآن، وتبيين لمشكله، وتفصيل لمجمله، وتوضيح لمبهمه إلى غير ذلك.

وفي الرجوع إلى طريقة السلف في الأخذ نجدهم أشد الناس تمسكاً وحرصاً على الأخذ من طريق الوحي بشقيه (الكتاب والسنة).

فكان الصحابة -رضي الله عنهم- إن نزلت بهم نازلة أو حل بهم حادث، أو ظهرت لهم معضلة، أو مشكلة سارعوا الخطى إلى رسول الله -ﷺ- بحثاً عن حلٍ وعلاج؛ امتثالاً لأمر الله الذي فهموا منه الخضوع والتلقي بالرضا والتسليم، لحكم وقضاء رسول الله -ﷺ- (فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٦٣).

وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء، وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله، وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها، فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا من كان)[1] قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

بل يمكن القول بأن الأمر بالرد إلى الوحي دليل على أنه يشتمل على بيان حكم كل شيء فقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ (نكرةٌ في سياق الشرط تعمُّ كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين: دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافياً، لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع)[2].

وعن معاذ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بعثه إلى اليمن فقال: "كيف تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟" قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟" قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضربَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدري، ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ، رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- لما يُرضي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"[3].

وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- يقول: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن هذه

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٦/١١٩).

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين (١/٤٩).

(٣) سبق تخريجه (٤٩).

لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد"[1].

وقوله: فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ (يدل على أنه كان -ﷺ- قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع، فإن المودِّع يستقصي ما لم يستقص غيره في القول والفعل)[2].

وقولهم: (فما تعهد إلينا) (يعنون وصيةً جامعةً كافيةً، فإنهم لَّما فهموا أنه مودَّعٌ استوصوهُ وصيَّة ينفعهم بها التمسُّك بعده، ويكون فيها كفاية لمن تمسَّك بها، وسعادة له في الدنيا والآخرة)[3].

وقوله -ﷺ- "لا يزيغ": من الإزاغة بمعنى الإمالة عن الحق، يقال زَاغَ عن الطَّريق يَزِيغُ إذا عَدَل عنه[4].

وقوله -ﷺ-: "من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ" (هذا إخبار منه -ﷺ- بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي

(١) سبق تخريجه (٣٣).

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (٢/١١٤).

(٣) المصدر نفسه (٢/١١٦).

(٤) انظر: ابن الأثير: النهاية: مادة (زيغ).

من كان على ما هو عليه وأصحابُه[1].

وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسُّك بسنَّته، وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعده)[2].

وأن النجاة إنما هي في لزوم سنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

وعن المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه"[3].

وفي رواية: "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما حرم الله"[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خَلَّفْتُ فيكم شيئين

---

(١) سبق تخريجه (٢١٥).

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (٢/١٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٣) برقم (٤٦٠٤)، وأحمد (٢٨/٤١٠) برقم (١٧١٧٤) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) وابن عبد البر: التمهيد (١/١٤٩).

(٤) رواه الترمذي (٤١٣) برقم (٢٦٦٤) وقال (حديث حسن غريب من هذا الوجه) والحاكم: المستدرك (١/١٩١) برقم (٣٧١) والدارقطني (٤/٢٤٥) برقم (١٤٩) وقال ابن الملقن (حديث صحيح من غير شك ولا مرية) البدر المنير (١/٢٥٦) وصححه الألباني: صحيح الجامع برقم (٢٦٥٧).

لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يفترقا؛ حتى يردا عليَّ الحوض"[1].

قال الزرقاني -رحمه الله-: (فإنهما الأصلان اللذان لا عدول عنهما، ولا هدى إلا منهما، والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما واعتصم بحبلهما، وهما العرفان الواضح، والبرهان اللائح بين المحق إذا اقتفاهما، والمبطل إذا خلاهما، فوجوب الرجوع إليهما معلوم من الدين ضرورة، لكن القرآن يحصل العلم القطعي يقيناً، وفي السنة تفصيل معروف)[2].

وعن مالك -رحمه الله- أنه بلغه أن رسول الله -ﷺ- قال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه"[3].

قال الباجي-رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما": على سبيل الحض على تعلمها أو التمسك بهما والاقتداء بما فيهما وبين -ﷺ- الأمرين فقال: "كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-" يريد والله أعلم ما سنه وشرعه، وأنبأنا عن تحليله وتحريمه، وغير ذلك من سننه، وهذا فيما كان

---

(١) رواه البزار: المسند (١٥/٣٨٥ ) برقم (٨٩٩٣) وقال: (ولا نعلمهما يرويان -يعني: حديث الباب وحديثاً آخر- عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وصالح بن موسى لين الحديث) المسند (١٥/٣٥٦) ورواه أبو بكر الشافعي: الفوائد - الشهير بالغيلانيات-: (١/٥١٠) برقم (٦٣٢) والدارقطني (٤/٢٤٥) برقم (١٤٩)، وابن عبد البر التمهيد (٢٤/٣٣١) ورواه ابن عدي : الكامل في ترجمة صالح بن موسى الطلحي (٥/١٠٦)، فذكر أحاديث منها حديث أبي هريرة السابق، ثم قال عنها كلها: (وهذه الأحاديث عن عبدالعزيز غير محفوظات، إنما يرويها عنه صالح بن موسى).

(٢) شرح الموطأ (٤/٣٠٧-٣٠٨).

(٣) الموطأ (٥/١٣٢٣) برقم (٣٣٣٨) قال ابن عبد البر: (هذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة، وعمرو بن عوف) التمهيد (٢٤/٣٣١) ومفهوم قوله يدل على تضعيفه لحديثي أبي هريرة، وعمرو بن عوف.

ورواه ابن عبد البر: الاستذكار (٨/٢٦٥) وجامع بيان العلم (٢/٥٥) برقم (٧٢٤).

فيه كتاب أو سنة، وما لم يكن فيه كتاب ولا سنة فمردود إليهما ومعتبر بهما)[١].

وعن عمرو بن عوف -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-"[٢].

قال ابن عبد البر -رحمه الله -: (الهدى كل الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ- فهي المبنية لمراد كتاب الله إذا أشكل ظاهره أبانت السنة عن باطنه، وعن مراد الله منه، والجدال في ما تعتقده الأفئدة من الضلال)[٣].

قال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: (سن رسول الله -ﷺ- وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة على دين الله، وليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن استنصر بها فهو المنصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)[٤].

وقال الإمام مالك -رحمه الله-: ( كان رسول الله -ﷺ- إمام المسلمين، وسيد العالمين يسأل عن الشيء، فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء)[٥].

علق ابن القيم -رحمه الله- على ذلك فقال:( فإذا كان رسول رب العالمين

---

(١) المنتقى (٢٤١/٤).

(٢) ابن عبد البر: التمهيد (٣٣١/٢٤) وقال ابن حجر: (قال مالك في الجامع: أنه بلغه أن رسول الله -ﷺ- قال ذلك.

وأسنده ابن عبد البر من طريق: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه، مثله سواء، فالظاهر أن مالكاً أخذه عنه).

(٣) الاستذكار (٢٦٥/٨-٢٦٦).

(٤) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (٢٦٥/١).

(٥) رواه ابن القيم: إعلام الموقعين (٢٥٦/١).

لا يجيب إلا بالوحي، وإلا لم يجب، فمن الجرأة العظيمة إجابة من أجاب برأيه، أو قياس، أو تقليد من يحسن به الظن، أو عُرف، أو عادة، أو سياسة، أو ذوق، أو كشف، أو منام، أو استحسان، أو خرص والله المستعان وعليه التكلان )[1].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم: الخبر في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس)[2].

۞ ۞ ۞

إن التلقي عن الوحي له أثر في تحقيق الأمن بكل أبعاده العقدية والفكرية لأمور منها:

**عصمة الوحي:**

إن (العلم إما نقل مصدق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا: فإما مزيف مردود، وإما موقوف لا يعلم أنه بهرج، ولا منقود)(٣) فالكل راجع للوحي فهو ميزان العلوم، فكل قول نصره الوحي المعصوم عمل به، وكل قول رده الوحي نبذ وطرح.

وعصمة الوحي أمر لا نقاش فيه ولا جدال.

أما عصمة الكتاب فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (قرر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر، وهو

(١) المصدر نفسه.

(٢) الرسالة (٣٩).

(٣) ابن تيمية: الفتاوى (١٣/٣٢٩-٣٣٠).

القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل)[1].

قال قتادة وثابت البناني -رحمها الله-: (حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً، أو تنقص منه حقا؛ فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً، وقال في غيره: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ [المائدة: ٤٤] فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا)[2].

قال ابن سعدي-رحمه الله-: (﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم)[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٢٧).

(٢) القرطبي: الجامع (١٠/٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٩).

به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته)[1].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ﴾ جامع لأوصاف الكمال ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء، ولهذا قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه)[2].

وأما السنة فقد (اجتمع كل من آمن بالرسول -ﷺ- على أنه معصومٌ، فيما يبلغه عن الله، فلا يستقر في خبره خطأ، كما لا يكون فيه كذب، فإن وجود هذا وهذا في خبره يناقض مقصود الرسالة، ويناقض الدليل الدال على أنه رسول)[3].

قال الشاطبي -رحمه الله-: (فاعلم أن النبي -ﷺ- مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بيّن، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصومًا بلا خلاف؛ إما بأنه لا يخطئ ألبتة، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض)[4].

وقال دراز -رحمه الله-: (التنزيه وعصمة الأنبياء من المقطوع في عمومه بالأدلة القطعية والنقلية، فكل ما ورد مخالفًا لذلك من جزئيات الأدلة يعلم أنه ليس

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/١٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٥٠).

(٣) ابن تيمية: درء التعارض (٣/٣٩).

(٤) الموافقات (٤/٤٧٠) وانظر: الزركشي: البحر المحيط (٤/٥٠٦) الآمدي: الإحكام (١/١٧٠) ابن النجار: شرح الكوكب المنير (٢/١٦٩).

بمخصص، فيجري فيه أحد الأمرين المذكورين: إما التأويل، أو الإهمال)[1].

كما أن (الإيمان مبناه على: أن الرسول -ﷺ- صادق فيما يخبر به عن الله معصوم في خبره، وعلى أنه جاء بهذا الكتاب، وعلى أنه أراد من الأمة أن يثبتوا حقائقه ويفهموه ويتدبروه، ولا ينفوا حقائق ما أخبر به ويقروا بلفظه، فلا يمكن وجود الإيمان بالرسول إلا بهذه الأصول الثلاثة)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ومعلوم أنه -ﷺ- قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا ؛ فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة ؛ كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة.

ومن المعلوم من دين المسلمين أنه -ﷺ- معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها.

والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين؛ وإنما كمل بما بلغه ؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده)[3].

ومن المعلوم أن أفضل الناس إيماناً، وعلماً، وفكراً هم: أولياء الله ومع ذلك: (يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له، أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه، من غير اعتبار بالكتاب والسنة.

هو مما اتفق عليه أولياء الله -عز وجل- من خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم؛ بل إما أن يكون كافراً، وإما أن

(١) تعليقه في الحاشية على الموافقات للشاطبي (١١/٤).

(٢) ابن القيم: الصواعق (١١٦٢/٣).

(٣) الفتاوى (١٥٥/٥-١٥٦).

يكون مفرطاً في الجهل.

وهذا كثير في كلام المشايخ كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة.

وقال أبو القاسم الجنيد -رحمة الله عليه-: عِلْمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا، أو قال: لا يقتدى به.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أَمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ؛ لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤])[1].

فكيف لإنسان أن يترك نصوصاً معصومة، لنصوص غير معصومة عرضة لاحتمالات كثيرة من: زيغ وانحراف، ونسيان وقصور ونحو ذلك من أوجه الخلل.

فهل من العقل في شيء أن يترك معلوم لمظنون، قطعي لمحتمل؟!.

فالعقل السليم يعلم أن الوحي معصوم في خبره، ولا يجوز عليه الخطأ، فلا يجوز مثلاً أن يصدر عنه خبران متناقضان في الحقيقة، ولا أمران متناقضان في الحقيقة إلا وأحدهما ناسخ والآخر منسوخ، وأما غير الوحي فليس بمعصوم، فيجوز أن يكون قد قال خبرين متناقضين، وأمرين متناقضين ولم يشعر بالتناقض[2].

وانظر لتنبيه ابن القيم -رحمه الله- وحرصه على اللفظ الصادر عن

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١١/٢٠٩-٢١٠).

(٢) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٤/١٦٨).

المعصوم في مقابل اصطلاحات أرباب التصوف حيث قال: (فلا تعدل عن ألفاظه، فإنها معصومة، وصادرة عن معصوم، والإجمال، والإشكال في اصطلاحات القوم، وأوضاعهم)(١).

(ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً، وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحي يوحى، فما صح عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم: فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً، وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوماً)(٢).

وأهمية هذه العصمة للوحي تظهر بأن إعمال النصوص المعصومة تحقق السعادة والأمن التام للإنسان في الدارين.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه -ﷺ- من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت)(٣).

---

(١) مدراج السالكين (٣/٩٩).

(٢) ابن القيم: روضة المحبين (١٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٨٦).

وقال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢].

(أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين.

وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة)[1].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة، ويباعدكم من النار، إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه"[2].

ونصوص الوحي إنما جاءت لحفظ: (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة يأمر بها الشرع، وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة ينهى عنها الشرع.

يقول العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها)[3].

---

(١) السعدي: تيسير الكريم (٥٠١).

(٢) رواه البغوي: شرح السنة (١٤/٣٠٤) برقم (٤١١٣) قال محققه شعيب الأرناؤوط: (رجاله ثقات، وهو مرسل) والبيهقي: شعب الإيمان (٧/٢٩٩) برقم (١٠٣٧٦) وقال الألباني: (وبالجملة فالحديث حسن على أقل الأحوال) السلسلة الصحيحة (٦/٨٦٧) برقم(٢٨٦٦).

(٣) قواعد الأحكام (١/٨).

ويقول أيضاً -رحمه الله-: (الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجاب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه،أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد؛ حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح)[1].

يقول الشاطبي -رحمه الله-: (إذا ثبت أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، وذلك على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضروريات، أو الحاجيات، أو التحسينيات.. فلا بد أن يكون وضعها على ذلك الوجه أبدياً وكلياً، وعاماً في جميع أنواع التكاليف والمكلفين، وجميع الأحوال، وكذلك وجدنا الأمر فيها والحمد لله)[2].

**التلقي عن الوحي فرقان بين الحق والباطل:**

إن التلقي عن الوحي هو جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وفيه السعادة والاستقرار.

يقول ابن تيمية -رحمه الله -: (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان، والهدى، والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق.

(١) المصدر نفسه (٢/٧٣).

(٢) الموافقات (٢/٣٧).

وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه؛ لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول -ﷺ- وقد يكون علم من غير الرسول لكن فى أمور دنيوية مثل: الطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة.

وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول، فالرسول أعلم الخلق بها، وأرغبهم فى تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد فى: (العلم، والقدرة والإرادة) وهذه الثلاثة بها يتم المقصود.

ومن سوى الرسول: إما أن يكون فى علمه بها نقص أو فساد.

وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يبينه، إما لرغبة، وإما لرهبة، وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصاً ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان)[1].

**الحجة القاطعة للوحي:**

إن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الوحي الذي يصون الإنسان ويأخذ بحجزه عن الوقوع في الضلال والانحراف.

يقول الشاطبي -رحمه الله-: (إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلال.

(١) الفتاوى (١٣/١٣٥-١٣٦).

وأن الحجة القاطعة، والحاكم الأعلى هو الشرع لا غير)[1].

فالمقاصد الشرعية إنما تتلقى أولاً من نصوص الشرع.

قال الشاطبي- رحمه الله-: (نصوص الشارع مفهمة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية)[2].

**الوحي شفاء، وهو رافع للنزاع والخصومة:**

قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الحج: ٧٥].

قال ابن كثير- رحمه الله-: (يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد -ﷺ- وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد -إنه: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله.

وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة.

وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وتكذيبًا وكفرًا. والآفة من الكافر لا من القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤])[3].

---

(١) الاعتصام (٢/٣٥٥).

(٢) الموافقات (٣/١٢٥)..

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/١١٢).

ومن رحمة الوحي وخصائصه أن يرفع الخلاف عند الرد إليه (وهذا؛ لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم، فلكل واحد منهم عقل)[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله- في أنجع وسيلة عند مناظرة المبتدعة والمنحرفين أن يقال: (ائتونا بكتاب، أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك، وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة)[2].

۞ ۞ ۞

إن الاعتصام بالكتاب والسنة يعد أصلاً من أصول الصحابة في التلقي، ومنهجاً سار عليه الأئمة، فكان اعتصامهم بالكتاب والسنة من أعظم نعم الله عليهم، وهي نعمة موصولة لمن اختط لنفسه هذا المنهج في التلقي.

فعن ميمون بن مهران -رحمه الله- قال: (كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظرَ في كتاب الله -تعالى- فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله، نظرَ في سنة رسول الله -ﷺ- فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس هل علمتم أن رسول الله -ﷺ- قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم، فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي -ﷺ- جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به)[3].

وفي رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما-:

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/١٦٣).

(٢) الفتاوى (٢٠/١٦٣).

(٣) رواه الدارمي (١/٦٩) برقم (١٦١) والبيهقي: السنن الكبرى (١٠/١١٤) برقم (٢٠١٢٨) وابن القيم: إعلام الموقعين (١/٦٢)

(الفهم، الفهم فيما أُدلي إليك، وفيما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، ثم اعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق)(١).

وعن الشعبي عن شريح: أنه كتب إلى عمر -رضي الله عنه- يسأله، فكتب إليه: (أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله، فبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يقض به الصالحون، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك والسلام عليكم)(٢).

وعن عبد الرحمن بن يزيد -رحمه الله- قال: أكثروا على عبد الله ذات يوم، فقال عبد الله: (إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي، ولسنا هنالك، ثم إن الله -عز و جل- قدر علينا أن بلغنا ما ترون، فمن عَرَض له منكم قضاء بعد اليوم، فليقض بما في كتاب الله، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، فليقض بما

(١) رواه الدارقطني (٢٠٧/٤) برقم (١٦) وابن عبد البر: الاستذكار (٣١/٢٢)، وابن أبي شيبة: المصنف (٣٤٥/٤) والبيهقي: السنن الكبرى (١٥٠/١٠) برقم (٢٠٣٢٤) وابن حزم: المحلى (٣٩٩/٩) ووكيع: أخبار القضاة: (٧٠/١)، وابن تيمية: منهاج السنة (٣٨/٦) وقال (ورسالة عمر المشهورة في القضاء إلى أبي موسى الأشعري تداولها الفقهاء وبنوا عليها واعتمدوا على ما فيها من الفقه وأصول الفقه) وابن القيم: إعلام الموقعين (٨٦/١) وقال (وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه، وإلى تأمله والتفقه فيه).

(٢) أخرجه النسائي: السنن الكبرى (٤٦٨/٣) برقم (٥٩٤٤) والمجتبى: برقم (٥٣٩٩) والبيهقي: السنن الكبرى (١١٥/١٠) برقم (٢٠١٢٩) والدارمي (٧١/١) برقم (١٦٧) وقال المقدسي (إسناده صحيح) الأحاديث المختارة (٢٩٣/١).

قضى به نبيه -ﷺ- فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه -ﷺ- فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه -ﷺ- ولا قضى به الصالحون، فليجتهد رأيه ولا يقول: إني أخاف، وإني أخاف، فإن الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات، فدَع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[1].

يقول ابن تيمية -رحمه الله -: (كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله، ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول -ﷺ- جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم: فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من

(١) أخرجه النسائي (٥٤٧) برقم (٥٣٩٧) وقال (هذا الحديث جيد، جيد) والبيهقي: السنن الكبرى (١٠/١١٥) برقم (٢٠١٣٠) والدارمي (١/٧١) برقم (١٦٥).

السلف أنه عارض القرآن بعقل، ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل.

والنقل -يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين- إما أن يفوض، وإما أن يؤول.

ولا فيهم من يقول: إن له ذوقا أو وجداً، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث ؛ فضلاً عن أن يدعي أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته.

أو يقول الولي أفضل من النبي، ونحو ذلك من مقالات أهل الإلحاد، فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين.

وإنما يعرف مثل هذه إما عن ملاحدة اليهود أو النصارى، فإن فيهم من يجوز أن غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله في الحواريين، فإنهم عندهم رسل وهم يقولون: أفضل من داود وسليمان ؛ بل ومن إبراهيم وموسى وإن سموهم أنبياء إلى أمثال هذه الأمور.

ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها؛ أو بسنة الرسول -ﷺ- تفسرها، فإن سنة رسول الله -ﷺ- تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه)[1].

(١) رسالة: الفرقان بين الحق والباطل (٢٣ - ٢٤).

## المصدر الأول: الكتاب

والمقصود به القرآن الكريم:

**والقرآن في اللغة:**

الجمع، وسمي قُرْآناً؛ لأَنه يجمع السُّوَر فيَضُمُّها، وقيل: لجَمعِه الأحكام، والقَصَصَ وغيرِ ذلك[1].

**وفي الاصطلاح:**

عرفه ابن قدامة -رحمه الله- بقوله: (كتاب الله سبحانه هو كلامه وهو القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام على النبي -ﷺ-)[2].

**القرآن كتاب هداية وحماية:**

إن القرآن كتاب هداية أنزله الله للبشر، وجعل فيه النور والشفاء لما في الصدور، وقد تضافرت الأدلة على بيان ما في هذا الكتاب العزيز من الهدى والحق والخير، وما في الإعراض عنه من الضلال، والشر والزيغ، ومن هذه الأدلة:

- قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

(١) انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٥/٦٥) وابن منظور: لسان العرب (١/١٢٨).

(٢) روضة الناظر (٦٢).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير الآيتين: (تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة)[١].

- قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (لا عصمة لأحد إلا فى كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- أو فى إجماع العلماء على معنى فى أحدهما)[٢].

- قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

فأمر بإتباع القرآن، وحذَّر من إتباع أولياء من دونه، فذلك مفضٍ إلى الضلال والهلاك.

- قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ذكر سبحانه أنه يجزي الصادف عن آياته مطلقاً -سواء كان مكذباً، أولم يكن- سواء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول -ﷺ- فهو كافر سواء

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٢٢٥).

(٢) شرح صحيح البخاري (١٠/٣٢٨).

اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه إتباعاً لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذبٍ بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافراً من لا يكذبه إذا لم يؤمن به.

ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه عن الضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله، وإن كان له نظر وجدل في عقليات وأمورٍ غير ذلك، وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين)(١).

• وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم، فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ﴿ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصر عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة.)(٢).

• وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥٦/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦٨/٣).

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد -ﷺ- لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه، فهو عزيز بعز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة)[1].

• وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

قال ابن سعدي- رحمه الله-: (﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحاً؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.

وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢١).

قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ أي: قبل نزوله عليك ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازي كُلا بحسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)[1].

وفي السنة بيان لأهمية ودور القرآن في كونه مصدر الهداية، والسلامة من كل انحراف وضلال، من أخذ به أُخذ بيده إلى الجنة:

ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: ".. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله.."[2] الحديث.

(أي: بالتمسك به، والعمل بمقتضاه)[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢)

(٢) صحيح مسلم (٤٨٣) برقم (١٢١٨).

(٣) ابن حجر: الفتح (٥/٣٦١).

وعن زيد بن الأرقم -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "كتاب الله فيه الهدى والنُّورُ، من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأهُ ضلَّ"[1].

وعن جابر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "القرآن مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ من جعلهُ إمامهُ قادهُ إلى الجنة، ومن جعله خلفَ ظهرِهِ ساقهُ إلى النار"[2].

لأنه (القانون الذي تستند إليه السنة، والإجماع، والقياس، فمن لم يجعله إمامه فقد بنى على غير أساس، فانهار به في نار جهنم)[3].

وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أبشروا وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"؟ قالوا: نعم قال: "فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً"[4].

وعن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال: "ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله -عز وجل- هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"[5].

قال النووي -رحمه الله-: ("كتاب الله هو حبل الله" قيل المراد بحبل الله:

---

(١) رواه مسلم (٩٨٠) برقم (٢٤٠٨).

(٢) رواه ابن حبان (٣٣١/١) برقم (١٢٤) وأخرجه البزار: برقم (١٢٢) قال الهيثمي (رجاله ثقات) مجمع الزوائد (١٧١/١)، قال ابن سلام (فجعله يَمْحَلُ بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه، والماحل: الساعي) غريب الحديث (١٧٤/٤).

(٣) المناوي: فيض القدير (٦٩٩/٤).

(٤) رواه ابن حبان (٣٢٩/١) برقم (١٢٢) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن على شرط مسلم)، وابن أبي شيبة (٤٨١/١٠) برقم (٣٠٦٢٨)

(٥) رواه مسلم (٩٨٠) برقم (٢٤٠٨)

عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به)[1].

وقال القرطبي: (والحبل ينصرف على وجوه:

منها: العهد والوصل، وما يُنْجَى به من المخاوف.

ومنها: الأمان.

وكلُّها متقاربة المعنى؛ لأنَّ الحبل في الأصل: واحد الحبال التي تُرْبَط بها الآلات، وتجمع بها المتفرقات، ثمَّ استعير لكل ما يعول عليه، ويتمسك به، ثمَّ كثر استعماله في العهد ونحوه.

ومعنى هذا: أن الله تعالى أوجب علينا التمسُّك بكتابه، وسُنَّة نبيه -ﷺ- والرجوع إليهما عند الاختلاف)[2].

عن الحارث قال: مررت في المسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "ألا إنها ستكون فتنة" فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: "كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدَكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى

(١) شرح مسلم (١٥/١٨١)

(٢) المفهم (٦/١٢٠).

قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراط مستقيم"[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، وإن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة من تمسك به، ونجاة من تبعه، لا يعوج فيقوم، و لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد"[(٢)].

وخرج جندب البجلي في سفر له، فخرج معه ناس من قومه حتى إذا كانوا بالمكان الذي يودع بعضهم بعضاً قال: (أي قوم، عليكم بتقوى الله،

---

(١) رواه: الترمذي (٤٦٤) برقم (٢٩٠٦) و قال (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال) والطبراني: المعجم الكبير (٨٤/٢٠) برقم (١٦٠)، والدارمي (٥٢٦/٢) برقم (٣٣٣١) قال ابن كثير (وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه- وقد وَهِم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي -ﷺ-) تفسير القرآن العظيم (٢١/١)، وضعفه الألباني: السلسلة الضعيفة: برقم (٦٣٩٣).

(٢) رواه: الحاكم: المستدرك (٧٤١/١) برقم (٢٠٤٠) وقال (صحيح الإسناد) وابن نصر: قيام الليل: برقم (٧٠) واللفظ له، قال الألباني (هذا إسناد لا بأس به في المتابعات، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الهجري واسمه إبراهيم بن مسلم وهو لين الحديث) السلسلة الصحيحة (١٥٩/٢) برقم (٦٦٠) والطبراني: المعجم الكبير (١٢٩/٩) برقم (٨٦٤٢)، و ابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠) برقم (٣٠٦٣٠)، وذكر ابن كثير أن فيه (إبراهيم بن مسلم، وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأزدي: رفّاع كثير الوهم. قلت: فيحتمل -والله أعلم- أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهد من وجه آخر) تفسير القرآن العظيم (٢٢/١).

عليكم بهذا القرآن فالزموه على ما كان من جهد وفاقة، فإنه نور بالليل المظلم وهدى بالنهار)[1].

وعن زيد بن جبير قال: قال لي أبو البختري الطائي: (اتبع هذا القرآن فإنه يهديك)[2].

عن أبي الأحوص قال: قال عبد الله: (إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه، فهو آمن)[3].

ولقد دل على تعظيم القرآن العقل السليم، قال ابن الوزير - رحمه الله-: (مما يدل على تعظيم القرآن عقلاً، أن العقلاء ما زالوا يستدلون على حسن الكتب، وعظم نفعها بمقدار صاحبها، وقالت العرب: (كل إناء يرشح بما فيه) ولا شك أن تآليف العلماء هدى وشفاء، و نورٌ وبيانٌ، ولا شك أن في العلوم مصالح ومفاسد، كما في قوله تعالى في تعلم السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].. فإذا تقرر هذا، فالرجوع إلى كتاب من يعلم مصالحنا ومفاسدنا ما لا نعلمه أولى بنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وهذا كله بعد علمنا بأنه كلام الله بدليل المعجزات، وطريقة السلف)[4].

۞ ۞ ۞

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٠/٤٨٣) برقم (٣٠٦٣١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١٠/٤٨٣) برقم (٣٠٦٣٢).

(٣) رواه الدارمي (٢/٥٢٥) برقم (٣٣٢٢) وقال حسين أسد (إسناده صحيح) وابن أبي شيبة (١٠/٤٨٤) برقم (٣٠٦٣٤).

(٤) ترجيح أساليب القرآن (١٤).

إن دلائل القرآن هي الأصل، قرر ذلك العلماء على اختلاف مذاهبهم في العقائد والأحكام.

قال الغزالي -رحمه الله-: (وأولى ما يستضاء به من الأبواب، ويسلك من طريق النظر والاعتبار، ما أرشد إليه القرآن، فليس بعد بيان الله بيان)[1].

وقال الرازي -رحمه الله-: (أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزاد في تقرير دلائل على ما ورد في القرآن)[2].

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين)[3].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند شرحه لحديث حذيفة -رضي الله عنه-: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"(٤): (ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي، ولو قاله من قاله من رفيع، أو وضيع)[5].

قال ابن الوزير -رحمه الله-: (فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو: كلام الله الحكيم، وكلام من شهد بعصْمَتِهِ القرآن الكريم، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب، وقِشر ولباب)[6].

(١) نقلاً عن ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن (٢٠).
(٢) المصدر السابق (٢٠).
(٣) درء التعارض (١/٣٨).
(٤) انظر تخريجه (٤٠٦).
(٥) فتح الباري (١٣/٣٧).
(٦) الروض الباسم (١/١٧).

و قال ابن تيمية -رحمه الله-: (أما طرق الأحكام الشرعية التي نتكلم عليها في أصول الفقه، فهي بإجماع المسلمين: (الكتاب) لم يختلف أحد من الأئمة في ذلك كما خالف بعض أهل الضلال في الاستدلال على بعض المسائل الاعتقادية)[1].

وإذ جعل الله -عز وجل- القرآن كتاب هداية للبشر، فذلك يقتضي أن يكون ذلك الكتاب مفصلاً كاملاً، شاملاً شافياً.

يقول ابن الوزير -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] فانظر إلى موقع ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الإيجاز في موضعه والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله -تعالى- بالغيوب من مصالح المؤمنين الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة، فأي كتاب فصل على علم مثل هذا الذي صدر عنه تفصيله؟! ونحو ذلك قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف ١-٢] فإن معنى القيم: المنفي عنه الخطأ والتعارض والتناقض، وإيهام الضلال، والعِوج بكسر العين: يختص المعاني، وبفتحها: يختص الأجسام، وإنما جمع بين نفي العوج وإثبات القيومية له، وأحدهما يغني عن الآخر، تأكيداً لذلك ومبالغة فيه، فكيف يقوم مقامه سواه، أو يساوي كتاب بكتاب الله؟!)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب

(١) الفتاوى (١١/٣٣٩).

(٢) ترجيح أساليب القرآن (١٠- ١١).

اعتقادها ويجب أن تذكر قولاً، أو تعمل عملاً، كمسائل التوحيد، والصفات، والقدر والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه المسائل.

أما القسم الأول: فكل ما يحتاج الناس إلي معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل، فقد بيَّنه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر؛ إذ هذا من أعظم ما بلَّغه الرسول البلاغ المبين، وبيَّنه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بيَّنوه وبلَّغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة، ثم التابعون عن الرسول لفظَه ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله -ﷺ- التي نقلوها أيضاً عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد، وتمام الواجب والمستحب... وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقصاً في عقله وسمعه، ومن له نصيب من قول أهل النار الذين قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

... وأم القسم الثاني -وهو دلائل هذه المسائل الأصولية-: فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين، أو المتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق، فدلالته موقوفة علي العلم بصدق المخبر، ويجعلون ما يبنى عليه صدق المخبر معقولات محضة فقد غلطوا في ذلك غلطاً عظيماً، بل ضلوا ضلالاً مبيناً، في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سلف الأمة- أهل العلم والإيمان- من أن الله – سبحانه وتعالى- بين من الأدلة العقلية التي يُحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قَدْرَهُ، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه)[1].

(١) درء التعارض (١/٢٧-٢٨).

ولذلك فإن القرآن اشتمل من العلوم والمعارف على ما لم تعهده البشرية من قبله.

ولقد عرف الرعيل الأول من هذه الأمة لهذا القرآن العظيم قدره، وجعلوه أصل الآراء والاعتقادات، والأقوال والأعمال، فاجتمعت الأمة على الحق.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله، ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم: فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل، ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل.

والنقل -يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين- إما أن يفوض، وإما أن يؤول.

ولا فيهم من يقول: إن له ذوقا أو وجداً، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث؛ فضلاً عن أن يدعي أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته.

أو يقول: الولي أفضل من النبي. ونحو ذلك من مقالات أهل الإلحاد، فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين، وإنما يعرف مثل هذه إما عن ملاحدة اليهود أو النصارى، فإن فيهم من يجوز أن غير النبي أفضل من النبي، كما قد يقوله في الحواريين، فإنهم عندهم رسل وهم يقولون: أفضل من داود وسليمان، بل ومن إبراهيم وموسى، وإن سموهم أنبياء إلى أمثال هذه الأمور.

ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها، أو بسنة الرسول -ﷺ- تفسرها، فإن سنة رسول الله -ﷺ- تبين القرآن، وتدل عليه وتعبر عنه)[1].

(فمضى الرعيل الأول، وضوء ذلك لم تطفئه عواطف الأهواء، ولم يلتبس بظُلَم الآراء، وأوصوا من عداهم ألا يفارقوا ذلك النور، الذي اقتبسوه منهم)[2].

وهم -رحمهم الله- إذ تلقوا القرآن العظيم تلقوا ألفاظه، ومعانيه، فقهوا

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨-٢٩).

(٢) ابن القيم: مختصر الصواعق (١/١٤٧).

عن الله -عز وجل- مراده.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فالصحابة أخذوا عن رسول الله -ﷺ- ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، يأخذون المعاني أولاً، ثم يأخذون الألفاظ؛ ليضبطوا بها المعاني؛ حتى لا تشذ عنهم... فإذا كان الصحابة قد تلقوا عن نبيهم معاني القرآن، كما تلقوا عنه ألفاظه، لم يحتاجوا -بعد ذلك- إلى لغة أحد، فنقل معاني القرآن عنهم، كنقل ألفاظه سواء، ولا يقدح في ذلك تنازع بعضهم في بعض معانيه، كما وقع من تنازعهم في بعض حروفه، وتنازعهم في بعض السنة؛ لخفاء ذلك على بعضهم، فإنه ليس كل فرد منهم تلقى من نفس الرسول -ﷺ- بلا واسطة جميع القرآن والسنة، بل كان عضهم يأخذ عن بعض، ويشهد بعضهم في غيبة بعض، وينسى هذا بعض ما حفظه صاحبه)[1].

والسلف متفقون على أن القرآن لا يعارضه إلا قرآن فقط.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (المقصود أنهم كانوا متفقين على أن القرآن لا يعارضه إلا قرآن لا رأي، ومعقول، وقياس، ولا ذوق، ووجد، وإلهام، ومكاشفة.

وكانت البدع الأولى مثل "بدعة الخوارج" إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي.

قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان

(١) مختصر الصواعق (٢/٤٥٨-٤٥٩).

وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الواحدة: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه، فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي -ﷺ- أحاديث صحيحة في ذمهم، والأمر بقتالهم)[1].

لقد تقرر لدى العلماء والأئمة أن القرآن كلية الشريعة وعمدة الملة، وأنه لا طريق إلى الله سواه، به النجاة والسلامة، وبتركه الخسران والضلال والانحراف.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا؛ فكلام الأئمة السابقين،

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠-٣١).

والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة)[1].

إن تمسك الصحابة -رضي الله عنهم- بتدبر القرآن وفهم معانيه ساهم في عصمتهم عن الزلل والانحراف، ونجاهم من شرور الفتن، وحقق لهم الفلاح في دنياهم وأخراهم.

يقول ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك: (من المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم، وسعادتهم، وقيام دينهم، ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف، كان الاجتماع والائتلاف والعلم، والبيان فيه أكثر)[2].

إن للقرآن قدرة على شفاء أمراض القلوب بشقيها: (الشبهات، والشهوات) لما فيه من البينات، والأدلة القطعية التي تزيل كل مرض وآفة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (جماع أمراض القلب هي: أمراض الشبهات والشهوات.

والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور، والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه،وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين،

(١) الموافقات (٤/١٤٤).

(٢) الفتاوى (١٣/٣٣٢).

والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد، والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها وأقربها إلى العقول، وأفصحها بيانا فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه، ومعرفة المراد منه، فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق، والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار، وعلم أن ما عداه من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم: بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تغني عن الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها فهي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، وأحسن ما عند المتكلمين وغيرهم، فهو في القرآن أصح تقريراً، وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلا التكلف، والتطويل، والتعقيد)[1].

(١) إغاثة اللهفان (١/٤٤).

## المصدر الثاني: السنة

**تعريف السنة:**

**أولاً: تعريف السنة لغة:**

قال ابن فارس -رحمه الله-: (السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سناً، إذا أرسلته إرسالاً، ثم اشتق منه رجلٌ مسنون الوجه، كأنه اللحم قد سن على وجهه، والحمأ المسنون من ذلك، كأنه قد صُبِّ صباً.

ومما اشتق منه السنُّة، وهي: السيرة، وسنة رسول الله -ﷺ- سيرته)[1].

**ثانياً: تعريف السنة في الاصطلاح:**

يختلف تعريفها عند الأصوليين عن تعريفها عند أهل الحديث والفقهاء:

**فعند المحدثين:**

**السنة:** (ما أثر عن النبي -ﷺ- من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلقية، أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها) وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٦٠-٦١) مادة (سن).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (١٣/٢٤٥-٢٤٦) وينظر: السيوطي: تدريب الراوي (١/٤٢-٤٣) والسباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (٤٧) ومحمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين (١٦).

**وأما في اصطلاح الأصوليين:**

فقد جاء في إرشاد الفحول: (السنة في اصطلاح أهل الشرع: قول النبي -ﷺ- وفعله، وتقريره)[1].

(ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماءُ الحديث: إنما بحثوا عن رسول الله -ﷺ- الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنَّه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة، وخلق وشمائل، وأخبار، وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.

وعلماء الأصول: إنما بحثوا عن رسول الله -ﷺ- المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله، وأفعاله، وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه: إنما بحثوا عن رسول الله -ﷺ- الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً، أو حرمة، أو إباحة، أو غير ذلك)[2].

وعرفها ابن تيمية - رحمه الله- بقوله: (السنة كالشريعة هي: ما سنه الرسول -ﷺ- وما شرعه، فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل، وقد ير اد به كلاهما.

فلفظ السنة يقع على معان كلفظ الشرعة؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره في

(١) الشوكاني: إرشاد الفحول (١/١٥٥).

(٢) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع (٤٨-٤٩).

قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] سنة وسبيلاً، ففسروا الشرعة بالسنة والمنهاج بالسبيل.

واسم "السنة" و"الشرعة" قد يكون في العقائد والأقوال، وقد يكون في المقاصد والأفعال)(١).

**ثالثاً: أدلة حجية السنة:**

لقد تضافرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على حجية السنة، ووجوب إتباعها وتصديق أخبارها، والعمل بما جاءت به من أحكام، وأخلاق وتوجيهات.

كما دل على ذلك إجماع الأمة، واقتضاه العقل.

**الأدلة من الكتاب على حجية السنة:**

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر الله -عز وجل- بطاعته، وطاعة رسوله -ﷺ- وأعاد الفعل؛ إعلاماً بأن طاعة الرسول -ﷺ- تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، أو لم فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

أي: (مهما أمركم فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر)(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٩).

(٢) انظر: ابن القيم: إعلام الموقعين (٤٨/١).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٦٠٤/٦).

قال المهدوي -رحمه الله-: (هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي -ﷺ- أمر من الله تعالى، والآية وإن كانت في الغنائم، فجميع أوامره -ﷺ- ونواهيه داخل فيها)[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: (فهذا أمر عام يقتضي وجوب الأخذ بكل ما آتانا الرسول العظيم من غير تعرض في هذه الآية بالذات إلى فرد من أفراد الأوامر التي وجهها إلينا رسول الله -ﷺ-)[2].

٣- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (وهذا أمر من الله -عز وجل- بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين، وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة)[3].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (أن قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون: دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولو لم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند التنازع إلى ما لا يوجد عنده فصل النزاع)[4].

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧).

(٢) مذكرة أصول الفقه (١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٧٨٥).

(٤) إعلام الموقعين (١/٥٤).

وقال -رحمه الله-: (أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم؛ لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين، فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر)[1].

**الأدلة من السنة على حجية السنة:**

دلت على حجية السنة مجموعة من الأحاديث النبوية، وقد عقد الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه كتاباً سماه: (كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة) أورد تحته مجموعة من الأحاديث منها:

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبى"[2].

قال الطيبي -رحمه الله-: ("ومن أبى" عطف على محذوف، أي: عرفنا الذين يدخلون الجنة، والذي أبى لا نعرفه، وكان من حق الجواب أن يقال: من عصاني فعدل إلى ما ذكره؛ تنبيهاً به على أنهم ما عرفوا ذاك، ولا هذا إذ التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه، وزل عن الصواب، وخل عن الطريق المستقيم دخل النار، فوضع "أبى" موضعه، وضعاً للسبب موضع المسبب)[3].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٨) برقم (٧٢٨٠).

(٣) المناوي: فيض القدير (١٢/٥).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم"[١].

٣- وروى الترمذي -رحمه الله- في سننه عن المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما حرم الله"[٢].

(قال الخطابي: في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيء كان حجة بنفسه، فأما ما رواه بعضهم أنه قال: "إذا جاءكم الحديث، فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه، فخذوه"فإنه حديث باطل لا أصل له.

وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة)[٣].

قال العظيم آبادي -رحمه الله-: (ولقد ظهرت معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم- ووقع بما أخبر به، فإن رجلاً خرج من الفنجاب من إقليم الهند، وانتسب نفسه بأهل القرآن وشتان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد والمرتدين، وكان قبل ذلك من الصالحين، فأضله الشيطان وأغواه، وأبعده عن الصراط

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩) برقم (٧٢٨٨) ومسلم (٥٢٩) برقم (١٣٣٧).

(٢) سبق تخريجه (٢٢١).

(٣) العظيم آبادي: عون المعبود (١٢/٢٣٢).

المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في إهانة النبي -ﷺ- ورد الأحاديث الصحيحة بأسرها، وقال: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله -تعالى- وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط، دون أحاديث النبي -ﷺ- وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن، فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال، وجعله إماماً، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده، وخروجه عن دائرة الإسلام، والأمر كما قالوا -والله أعلم-)[١].

٤- وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- يقول: وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله -ﷺ- إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"[٢].

قال ابن رجب: (وقوله -ﷺ-: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة" فهاتان الكلمتان يجمعان سعادة الدنيا والآخرة:

أما التقوى: فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها، وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن

(١) المصدر نفسه (١٢/٢٣٣).

(٢) سبق تخريجه (٣٣).

قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١] وقد سبق في شرح التقوى بما فيه كفاية في شرح حديث النبي -ﷺ- لمعاذ -رضي الله عنه-[(١)].

وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بَرٌّ، أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربَّه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله.

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة والعيد، والثُّغور، والحدود، والله ما يستقيم الدِّين إلا بهم، وإن جاروا، أو ظلموا، والله لَمَا يُصلِحُ الله بهم أكثرُ مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظٌ، وإن فرقتهم لكفر)[(٢)].

قال ابن حبان -رحمه الله-: (في قوله -ﷺ- "فعليكم بسنتي" عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته، بيان واضح أن من واظب على السنن، وقال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنه)[(٣)].

٥- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قال: "ما أخبرتكم أنه من عند الله، فهو الذي لا شك فيه"[(٤)].

---

(١) انظر: الحديث الثامن عشر: جامع العلوم والحكم (١/٣٩٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/١١٧).

(٣) صحيح ابن حبان (١/١٨٠).

(٤) رواه البزار: برقم (٨٩٠٠) والهيثمي: مجمع الزوائد (١/١٧٩) وقال (رواه البزار، وفيه أحمد ابن منصور الرمادي، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه).

٦- وفي قصة تأبير النخل عن موسى بن طلحة عن أبيه، وفيه قوله -ﷺ- "...فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله -عز وجل-"[(١)].

٧- وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- يقول: وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد"[(٢)].

٨- وقال النبي -ﷺ-: "أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[(٣)].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله: "خير الهدي هدي محمد" هو بضم الهاء وفتح الدال فيهما، وبفتح الهاء وإسكان الدال أيضا ضبطناه بالوجهين وكذا ذكره جماعة بالوجهين وقال القاضي عياض رويناه في مسلم بالضم وفي غيره بالفتح، وبالفتح ذكره الهروي وفسره الهروي على رواية الفتح: بالطريق أي: أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدى، أي: الطريقة والمذهب.

وأما على رواية الضم فمعناه: الدلالة والإرشاد.

---

(١) رواه مسلم (٩٦١) برقم (٢٣٦١).

(٢) سبق تخريجه (٢١٥).

(٣) رواه مسلم (٣٣٥) برقم (٨٦٧).

قال العلماء: لفظ الهدى له معنيان:

**أحدهما**: بمعنى الدلالة والإرشاد، وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩] ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[فصلت: ١٧] أي: بينا لهم الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾[الإنسان: ٢] ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

**والثاني**: بمعنى اللطف والتوفيق، والعصمة والتأييد، وهو الذي تفرد الله به، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦])[1].

**الإجماع على حجية السنة:**

أجمع أهل العلم على وجوب الرجوع إلى الرسول-ﷺ- عند التنازع، وذلك بالرجوع إليه نفسه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد وفاته.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله -ﷺ- لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس)[2].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (ولا أعلم من الصحابة، ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله -ﷺ- إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة... كلهم يثبت الأخبار، ويجعلها سنة يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله-ﷺ- وأهل

(١) شرح مسلم (١٥٤/٦).

(٢) نقلاً عن ابن القيم: إعلام الموقعين (٣٦١/٢).

العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة)[1].

وقال ابن حزم -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]: (الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجِنَّةِ والناس، كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله -ﷺ- وكل من أتى بعده -عليه الصلاة السلام- وقبلنا، ولا فرق)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله -ﷺ- في شيء من سنته دقيق وجليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب إتباع الرسول -ﷺ- وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله ﷺ)[3].

وقال ابن القيم -رحمه الله- في سياق بيان الفوائد التي تضمنتها الآية السابقة: (ومنها: أن الناس قد أجمعوا أن الرد إلى الله -سبحانه- هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول -ﷺ- والردُّ إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته)[4].

وقال الشوكاني-رحمه الله-: (اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام)[5].

---

(١) نقلاً عن: السيوطي: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (٣٥).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩٧).

(٣) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٢٢-٢٣).

(٤) إعلام الموقعين (١/٤٩-٥٠) وانظر: الشوكاني: إرشاد الفحول (٣٣).

(٥) إرشاد الفحول (١/٩٦).

وقد دل العقل على حجية السنة من حيث أنه من المعلوم (أنه قد بلغ الرسالة كما أمر، ولم يكتم منها شيئاً ؛ فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة؛ كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة.

ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة، كما أنه معصوم من الكذب فيها.

والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة، كما أمره الله، وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده، كما قال -ﷺ-: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"[1].

وقال -ﷺ-: "ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، وما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به"[2].

وقال أبو ذر: (لقد توفي رسول الله -ﷺ- وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً)[3].

إذا تبين هذا: فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى)[4].

هذا وهو -ﷺ- لم يمت حتى بين الدين وأوضح السبيل، وأرشد الضال،

(١) سبق تخريجه (٢١٥).

(٢) سبق تخريجه (٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٥/٢٩٠) برقم (٢١٣٦١) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر) والطبراني: الكبير (٢/١٥٥) برقم (١٦٤٧).

(٤) ابن تيمية: الفتاوى (٥/١٥٥-١٥٦).

وقدم الدواء للعليل، فلم يترك عذراً لمنحرف زائغ عن الطريق المستقيم، ولهذا كان أئمة المسلمين لا يتكلمون في الدين بأن هذا واجب، أو مستحب، أو حرام، أو مباح إلا بدليل شرعي من الكتاب أو السنة، وما دلا عليه[1].

۞ ۞ ۞

إن الرسول -ﷺ- إنما هو مبلغ عن ربه، بلغ عنه الأمر والنهي، والحلال والحرام، فترك الأمة على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

فمن (علم أن الرسول -ﷺ- أعلم الخلق بالحق، وأفصح الخلق في البيان، وأنصح الخلق للخلق علم أنه قد اجتمع في حقه كمال العلم بالحق وكمال القدرة على بيانه، وكمال الإرادة له، ومع كمال العلم والقدرة والإرادة يجب وجود المطلوب على أكمل وجه، فيعلم أن كلامه أبلغ ما يكون وأتم ما يكون، وأعظم ما يكون بيانا لما بينه في الدين من أمور الإلهية وغير ذلك، فمن وقر هذا في قلبه لم يقدر على تحريف النصوص)[2].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (إن الله سبحانه قد أخبر في كتابه أن ما على الرسول إلا البلاغ المبين، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد شهد الله له -وكفى بالله شهيداً- بالبلاغ الذي أمر به، فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤].

---

(١) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٢٧/٣٧٢-٣٧٣).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (١٧/١٢٩).

وشهد له أعقل الخلق وأعلمهم، وأفضلهم بأنه قد بلغ، فأشهد الله عليهم بذلك في أعظم مجمع وأفضله، فقال في خطبته في عرفات في حجة الوداع: "إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فرفع أصبعه إلى السماء مستشهداً بربه الذي فوق سمواته، وقال: "اللهم اشهد"[(١)] فلو لم يكن عرف المسلمون، وتيقنوا ما أرسل به، وحصل لهم منه العلم واليقين لم يكن قد حصل منه البلاغ المبين، ولما رفع عنه اللوم)[(٢)].

وإذا كان الرسول -ﷺ- عن ربه مبلغاً، فإن على من قبل ما في الكتاب أن يقبل ما في السنة، فكلاهما وحي، بل دل الكتاب على وجوب قبول السنة.

قال الشافعي -رحمه الله-: (فكلُّ من قبل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله -ﷺ- سُنَنَهُ، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله -ﷺ- فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته.

فيجمع القبول لما في كتاب الله والسنة رسول الله -ﷺ- القبول كلِّ واحدٍ منهما عن الله، وإن تفرقت فروعُ الأسباب التي قبلَ ها عنهما، كما أحلَّ وحرَّمَّ، وفرضَ وحَدَّ أسباب متفرقة، كما شاء جل ثناؤه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣])[(٣)].

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: (فالواجب كمال التسليم للرسول -ﷺ- والانقياد لأمره، وتلقي قبول خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه

(١) رواه مسلم (٤٨٣) برقم (١٢١٨).

(٢) مختصر الصواعق (١/١١٥-١١٦).

(٣) الرسالة (٣٣).

بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم، والتسليم، والانقياد، والإذعان، كما نوحد المُرْسِلَ بالعبادة، والخضوع، والذل، والإنابة، والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول.

فلا نحكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره، ولا يوقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على شيخه وإمامه، وذوي مذهبه، وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه، وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم، وأعرض عن أمره، وخبره وإلا خرمه.. بل إذا بلغه الحديث يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله -ﷺ- فهل يسوغ أن يؤخر قبوله، والعمل به؛ حتى يعرضه على رأي فلان، وكلامه، ومذهبه؟!)(١).

والرسول -ﷺ- الصادق المصدوق المصدق، كل ما قاله صدق، فالأدلة (القاطعة قد قامت على صدق الرسول -ﷺ- فيما يخبر به، ودلالتها على صدقه أبين، وأظهر من دلالة الشبه العقلية على نقيض ما أخبر به عند كافة العقلاء، ولا يستريب في ذلك إلا مصاب في عقله، وفطرته)(٢).

وأما كلام البشر، ففيه الصدق والكذب، وما يقع من الخطأ عند الناس في فهم السنة لا يمهد العذر بحال لتكذيبهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وأما كلام المعصوم -ﷺ- فقد قام البرهان

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٧٠-٧١).

(٢) ابن القيم: مختصر الصواعق (١/١١٣).

القاطع على صدقه، ولكن قد يحصل الغلط في فهمه، فيفهم منه ما يخالف صريح العقل، فيقع التعارض بين ما فهم من النقل، وبين ما اقتضاه صريح العقل)[1].

فالآفة ليست في النص، وإنما هي في فهم بعض الخلق للنص.

إن (من أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمداً -ﷺ- من الكتاب والحكمة، ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل، كفعل أهل الكتاب، فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً.

وقد قال النبي -ﷺ-: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"[2].

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: خط لنا رسول الله -ﷺ- خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: "هذا سبيل الله، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه" ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣]"[3].

وجماع ذلك بحفظ أصلين:

**أحدهما**: تحقيق ما جاء به الرسول -ﷺ- فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة، والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

---

(١) المصدر نفسه (١/١١٤).

(٢) سبق تخريجه (٢١٥).

(٣) رواه أحمد (٧/٢٠٦) برقم (٤١٤٢) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن)، وابن حبان (١/١٨٠) برقم (٦)، والحاكم: المستدرك (٢/٣٤٨) برقم (٣٢٤١) وقال (صحيح الإسناد)، والدارمي (١/٧٨) برقم (٢٠٢).

**والثاني**: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأياً، ولا رواية)[1].

(فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً، وجزاه أفضل ما جزى نبياً عن أمته قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، وكان إنعام الله به أفضل نعمة أنعم بها على العباد)[2].

(١) الفتاوى (١٥/١٥٥-١٥٦).

(٢) الفتاوى: ٢٧/٣٧٢.

## المصدر الثالث: الإجماع

الإجماع هو: (اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع)(١).

**أدلة حجية الإجماع:**

يرى أهل السنة والجماعة حجية الإجماع، واعتباره أصلاً من أصول التشريع -خلافاً للشيعة والخوارج، والنظام من المعتزلة- ويستدلون لذلك بجملة من الأدلة، هذا بيانها:

**١- من الكتاب:**

أ- يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وهذه الآية من أشهر الأدلة على حجية الإجماع، وبها تمسك الأئمة كعمر بن عبد العزيز، ومالك وغيرهم من الأئمة(٢).

ووجه الاحتجاج بالآية: أن الله -تعالى- توعد على متابعة غير سبيل المؤمنين، ولو لم يكن ذلك محرماً لما توعد عليه.

ب- قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) الإحكام (١/١٩٦).

(٢) انظر: الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه (١/١٧٣) وابن تيمية: الفتاوى (١٩/١٧٨-١٧٩).

ووجه الاحتجاج بهذه الآية: أن الله عدلهم، وجعلهم حجة على الناس في قبول أقوالهم، كما جعل الرسول -ﷺ- حجة علينا، ولا معنى لكون الإجماع حجة سوى كون أقوالهم حجة على غيرهم[1].

ج- قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكراً[2].

وهناك آيات أخرى استدل بها أهل السنة والجماعة على حجية الإجماع، وهي عمومات كقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١] وهي كما قال الغزالي - رحمه الله-: (ظواهر لا تنص على الغرض)[3].

**٢- من السنة:**

إن الدلالة النصية الأقوى على حجية الإجماع هي في نصوص السنة المبينة، وهذه طائفة منها:

أ - عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ- قال: "إن الله لا يجمع أمتي، أو قال

(١) انظر: الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام (١/٢١٢).

(٢) انظر: ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢).

(٣) المستصفى (١/١٧٥).

أمة محمد -ﷺ- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار"[1].

قال المباركفوري: (فالحديث يدل على أن اجتماع المسلمين حق، والمراد إجماع العلماء، ولا عبرة بإجماع العوام؛ لأنه لا يكون عن علم)[2].

ب- قوله -ﷺ-: "من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[3].

ج- قوله -عليه أفضل الصلاة والسلام-: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك"[4].

د- قوله-ﷺ-: "من أراد بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة"[5].

قال الإمام الشافعي -رحمه الله - تعليقاً على الحديث: (إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان، فلا يقدر أحدٌ أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعةً من المسلمين والكافرين، والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى؛ لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.

---

(١) سبق تخريجه (١٣١).

(٢) تحفة الأحوذي (٥/٤٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤٩) برقم (٧٠٥٤)، ومسلم (٧٧٢) برقم (١٨٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (٧٩٥) برقم (١٩٢٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٠) برقم (٢١٦٥) وقال (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) وأحمد (١/٣١٠) برقم (١٧٧) وقال: شعيب الأرنؤوط (صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين) والحاكم (١/١٩٧) برقم (٣٨٧) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠/٤٣٦) برقم (٤٥٧٦).

ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب، ولا سنة، ولا قياس إن شاء الله)[1].

وهذه الأحاديث كلها لم تزل ظاهرة مقبولة، وقد استفدنا العلم القطعي بعصمة الأمة عن الخطأ بمجموعها، وإن لم يتواتر آحادها، وبمثل ذلك نجد الاضطرار في أنفسنا إلى التصديق بشجاعة علي، وسخاوة حاتم، وإن لم تكن آحاد الأخبار عنهما متواترة، بل يجوز الكذب على كل واحد منهما، ثم إن هذه الأحاديث لم تزل مشهورة بين الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، يتمسكون بها في إثبات الإجماع؛ حتى جاء النظام من المعتزلة، ويستحيل في العادة توافق الأمم في أعصار متكررة على التسليم لما لم تقم الحجة بصحته[2].

(١) الرسالة (٤٧٥-٤٧٦)

(٢) انظر: الغزالي: المستصفى (١/١٧٦) والآمدي: الإحكام (١/٢١٩-٢٢٣).

## المصدر الرابع: القياس

### تعريف القياس في اللغة والاصطلاح:

**القياس في اللغة:**

التقدير والمساواة[1].

**القياس في الاصطلاح:**

وعرفه الغزالي -رحمه الله- بقوله: (حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم، أو صفة، أو نفيهما عنهما)[2].

وعرفه الآمدي -رحمه الله- بقوله: (الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل)[3].

**القياس لفظ مجمل:**

إن (لفظ القياس لفظ مجمل، يدخل فيه: القياس الصحيح، والقياس الفاسد.

فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة، وهو الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين.

الأول: قياس الطرد، والثاني: قياس العكس، وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب (٣٧٩٣/٥) والفيومي: المصباح المنير (٥٢١/٢) والآمدي: الإحكام (١٨٣/٣).

(٢) المستصفى (٥٤/٢).

(٣) الإحكام (١٩٠/٣).

فالقياس الصحيح مثل: أن يكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع، يمنع حكمها، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط.

وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو: أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع، فمثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه.

وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره، فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم، ويمنع مساواته لغيره؛ لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس، وقد لا يظهر.

وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد، فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس، فإنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر.

وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس: علمنا قطعاً أنه قياس فاسد بمعنى أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم، فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً؛ لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد، وإن كان من الناس من لا يعلم فساده)[1].

**القياس الصحيح هو الميزان:**

يقول ابن القيم -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧] (والميزان يراد به العدل والآلة التي يعرف بها العدل وما يضاده ؛ والقياس الصحيح هو الميزان؛ فالأولى تسميته بالاسم لذي سماه

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/٥٠٤-٥٠٥).

الله به، فإنه يدل على العدل، وهو اسم مدح واجب على كل واحد في كل حال بحسب الإمكان، بخلاف اسم القياس فإنه ينقسم إلى حق وباطل، وممدوح ومذموم، ولهذا لم يجئ في القرآن مدحه ولا ذمه، ولا الأمر به ولا النهي عنه، فإنه مورد تقسيم إلى صحيح وفاسد.

والصحيح هو الميزان الذي أنزله مع كتابه)[1].

**والقياس لفظ لُغَوي مستعمل في الأثر:**

**فمن ذلك:**

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: مات رجل بالمدينة، ممن ولد بها، فصلى عليه رسول الله -ﷺ- ثم قال: "يا ليته مات بغير مولده" قالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: "إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة"[2].

٢- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رجلاً سأل النبى -ﷺ- من أين يحرم؟ قال: "مهل أهل المدينة من ذى الحليفة، ومهل أهل الشام من الجحفة، ومهل أهل اليمن من يلملم، ومهل أهل نجد من قرن" وقال ابن عمر: (وقاس الناس ذات عرق بقرن)[3].

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٧٩).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١/٦٠٢) برقم (١٩٥٨) وابن ماجه (١٧٦) برقم (١٦١٤) وأحمد (١١/٢٣٦) برقم (٦٦٥٦) وابن حبان (٧/١٩٦) برقم (٢٩٣٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن)

(٣) أخرجه أحمد (٨/٢٣) برقم (٤٤٥٥)، وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

**أهمية القياس ومنزلته بين الأدلة الشرعية:**

(لما كان القياس من أهم مصادر الفقه الإسلامي وأكثرها اتساعًا؛ كانت منزلة سامية، ومكانته عالية، فقد أعتنى به الأصوليون فأكثروا من مسائله ومباحثه، وبينوا حجيته وأنواعه وأقسامه وشروطه، فهو مناط الاجتهاد بلا نزاع وأصل الرأي)[1].

ومما يدل على أهمية القياس أن عده الإمام الشافعي -رحمه الله- أحد أركان العلم حيث قال: (ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء: حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم: الخبر في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس)[2].

إن القياس طريق للحكم فيما نزل بالمسلم من حوادث ووقائع فـ: (كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه حكم اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد القياس)[3].

فالحكم الشرعي يعرف من طريقين: إما النص، وإما عن طريق تحري معاني النص ومقاصده، والإلحاق به وذلك، هو القياس[4].

**حجية القياس:**

وقد دل على حجية القياس الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين:

(١) رمضان اللخمي: دراسات أصولية في حجية القياس وأقسامه (٥).

(٢) الإمام الشافعي: الرسالة (٣٩).

(٣) الشافعي: الرسالة (٤٧٧).

(٤) انظر: عمر الأشقر: نظرات في أصول الفقه (٧٩).

**أما الكتاب:**

فقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

وجه الاستدلال بهذه الآية: (أن الاعتبار مشتق من العبور، وهو المرور، يقال: عبرت على النهر، وعبرت النهر، والمعبر: الموضع الذي يعبر عليه، والمِعْبَر: السفينة التي يعبر فيها، كأنها أداة العبور، والعَبْرَة: الدمعة التي عبرت من الجفن، وعبر الرؤيا: جاوزها إلى ما يلازمها.

قالوا: فثبت بهذه الاستعمالات أن الاعتبار حقيقة في المجاوزة، فوجب أن لا يكون حقيقة في غيرها دفعاً للاشتراك، والقياس عبور من حكم الأصل إلى حكم الفرع، فكان داخلا تحت الأمر)[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وجه الاستدلال: أن العدل هو التسوية، والقياس هو التسوية بين مثلين في الحكم، فيتناوله عموم الآية[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وإذا عرف أن مادة العدل، والتسوية، والتمثيل، والقياس، والاعتبار، والتشريك، والتشبيه، والتنظير من جنس واحد فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح العقلي، والشرعي)[3].

**أما من السنة فكثير ومنه:**

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن امرأة أتت رسول الله -ﷺ- فقالت:

---

(١) الشوكاني: إرشاد الفحول (٢/٩٢)، وانظر: أصول السرخسي (٢/١٢٥).

(٢) انظر: الشوكاني: إرشاد الفحول (٢/٩٩).

(٣) الفتاوى (٢٠/٨٢).

إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: "أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟" قالت: نعم، قال: "فدين الله أحق بالقضاء"[١].

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قلنا يا رسول الله أيقضي الرجل شهوته وتكون له صدقة؟! قال: "نعم، أرأيت لو جعل تلك الشهوة فيما حرم الله عليه ألم يكن عليه وزر؟" قلنا: بلى. قال: "فإنه إذا جعلها فيما أحل الله -عز وجل- فهي صدقة"[٢].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال: "هل لك من إبل؟" قال: نعم، قال: "ما ألوانها؟" قال: حمر. قال: "هل فيها من أورق؟"قال: نعم، قال: "فأنى ذلك" قال: لعله نزعه عرق! قال: " فلعل ابنك هذا نزعة"[٣].

وعلى جواز القياس العلماء منذ عصر الصحابة فلم يزالوا على إجازة القياس والعمل به، حتى أحدث النظام المعتزلي ومن تابعه على نفي القياس.

قال ابن عقيل الحنبلي -رحمه الله-: (وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعماله، وهو قطعي)[٤].

وقال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: (عندي أن المعتمد اشتهار العمل

(١) أخرجه البخاري (٣٧١) برقم (١٩٥٣)، ومسلم (٤٤٢) برقم (١١٤٨).

(٢) سبق تخريجه (١٩) وهذه الرواية أخرجها أحمد (٣٥/٤٣٤) برقم (٢١٥٤٨) وقال شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح رجاله رجال الصحيح) والنسائي: الكبرى (٥/٣٢٦) برقم (٩٠٢٨).

(٣) سبق تخريجه (٣٦).

(٤) الشوكاني: إرشاد الفحول (٢/١٠٢).

بالقياس في أقطار الأرض، شرقاً وغرباً، قرناً بعد قرن، عند جمهور الأمة إلا عند شذوذ متأخرين)[1].

قال المزني -رحمه الله-: (الفقهاء من عصر رسول الله -ﷺ- إلى يومنا وهلم جرا استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام من أمر دينهم، قال: وأجمعوا أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل؛ فلا يجوز لأحد إنكار القياس؛ لأنه التشبيه بالأمور والتمثيل عليها)[2].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وقد جاء عن الصحابة -رضي الله عنهم- من اجتهاد الرأي والقول بالقياس على الأصول عند عدمها ما يطول ذكره) وأضاف: (وعلى ذلك كان العلماء قديماً وحديثاً عندما ينزل بهم، ولم يزالوا على إجازة القياس؛ حتى حدث إبراهيم بن سيار النظام وقوم من المعتزلة سلكوا طريقه في نفي القياس، والاجتهاد في الأحكام وخالفوا ما مضى عليه السلف)[3].

وقال أبو القاسم عبيد الله بن عمر-رحمه الله-: (ما علمت أن أحداً من البصريين، ولا غيرهم ممن له نباهة سبق إبراهيم النظام إلى القول بنفي القياس، والاجتهاد ولم يلتفت إليه الجمهور)[4].

قال النووي -رحمه الله- في شرحه لحديث: "أرأيتم لو وضعها في حرام": (فيه: جواز القياس وهو مذهب العلماء كافة، ولم يخالف فيه إلا أهل الظاهر ولا يعتد بهم.

(١) المصدر نفسه (٢/١٠٢).

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٤٠).

(٣) جامع بيان العلم (٢/١٣١- ١٣٢).

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٣٢)

وأما المنقول عن التابعين ونحوهم من ذم القياس، فليس المراد به القياس الذي يعتمده الفقهاء المجتهدون)[1].

وقال الغزالي -رحمه الله-: (ما نقل إلينا من الصحابة من اشتوارهم في الوقائع المتفرقة، ورجوعهم إلى المصالح والمقاييس، وهذا منقول في صور متفرقة، تورث علم القطع، كأخبار التواتر وقد أجمعوا عليه، والإجماع حجة مقطوع بها)[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (المقصود أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يستعملون القياس في الأحكام، ويعرفونها بالأمثال والأشباه والنظائر، ولا يلتفت إلى من يقدح في كل سند من هذه الأسانيد وأثر من هذا الآثار، فهذه في تعددها واختلاف وجوهها وطرقها جارية مجرى التواتر المعنوي الذي لا يشك فيه، وإن لم يثبت كل فرد من الإخبار به)[3].

قال إمام الحرمين أبو المعالي -رحمه الله-: (الذي ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكري القياس لا يعدون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون، مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواتراً؛ لأن معظم الشريعة صادر عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام)[4].

وعلق عليه الذهبي -رحمه الله- بقوله: (هذا القول من أبي المعالي أداه إليه اجتهاده، وهم فأداهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس،

(١) شرح صحيح مسلم (٧/٩٢).

(٢) المنخول (٣٢٠).

(٣) أعلام الموقعين (١/٢٩٠).

(٤) الذهبي: السير (١٣/١٠٥).

فكيف يرد الاجتهاد بمثله)[1].

إن القياس الصحيح من طرق الاستنباط وسبيلاً لمعرفة الأحكام الشرعية، فقد عده ابن تيمية -رحمه الله- طريقاً من طرق معرفة الأحكام الشرعية بعد الكتاب والسنة والإجماع فقال: (الطريق الخامس: القياس على النص والإجماع.

وهو حجة أيضاً عند جماهير الفقهاء، لكن كثيراً من أهل الرأي أسرف فيه؛ حتى استعمله قبل البحث عن النص، وحتى رد به النصوص وحتى استعمل منه الفاسد، ومن أهل الكلام وأهل الحديث وأهل القياس من ينكره رأساً، وهي مسألة كبيرة، والحق فيها متوسط بين الإسراف والنقص)[2].

(١) السير (١٣/١٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٣٤١).

## المصدر الخامس: الفطرة

### معنى الفطرة:

**الفطرة في اللغة:**

الفِطْـرةُ: الابْتـداء والاخِـتراع. قـال تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

وفَطَرَ الله الخلق يَفْطُرُهم خلقهم وبدأهم.

والفِطْرةُ بالكسر الخِلْقة، أنشد ثعلب:

هَوِّنْ عليكَ فقد نال الغِنَى رجلٌ في فِطْرةِ الكَلْب لا بالدِّينِ والحَسَب

والفِطْرةُ ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ من المعرفة به، وقـد فَطَـرهُ يَفْطُـرُه بالـضم فَطْراً أَي خلقه، والفِطْرةُ الخلقة التي يُخْلَقُ عليها المولود في بطن أُمه[1].

**معنى الفطرة شرعاً:**

لقد وردت نصوص في كتاب الله، وسنة رسوله -ﷺ- في الفطرة، منها:

قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

قال ابـن عاشـور -رحمـه الله-: (والمـراد بالـدين الإسـلام لا محالـة؛ لأن

(١) انظر: ابن منظور: لسان العرب (٥/٥٥) وابن الأثير: النهاية (٣/٨٨٢).

الخطاب لمحمد -ﷺ- فهو مأمور بإقامة وجهه للدين المرسل به، ومعنى إقامة الوجه للدين القصد إليه والجد فيه، والمراد بوجهه جميع ذاته، فخص الوجه بالذكر؛ لأنه جامع الحواس وآلات الإدراك، و﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿وَجْهَكَ﴾ والحنيف المائل، والمراد هنا الميل عن غير ذلك الدين من الشرك قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣١].

ودخل في هذا الخطاب جميع المسلمين باتفاق أهل التأويل)[1].

إن الفطرة ما فُطر عليه الإنسان ظاهراً وباطناً، أي جسداً وعقلاً.

فسير الإنسان على رجليه فطرة جسدية، ومحاولة مشيه على اليدين خلافُ الفطرة.

واستنتاج المسببات من أسبابها، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، واستنتاج الشيء من غير سببه خلاف الفطرة العقلية، والجزم بأن ما نشاهده من الأشياء هو حقائق ثابتة في نفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار ثبوتها خلاف الفطرة العقلية.

(فوصف الإسلام بالفطرة لا يقصد به أنه الفطرة الظاهرة الجسدية؛ لأن الإسلام عقائد وتشريعات، وكلها مدركة بالعقل، وإنما المقصود أنه الفطرة الباطنية العقلية.

وفي إضافة الفطرة إلى اسم الله تعالى في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ معنى من التشريف يُؤذِنُ بأنها فطرة سامية، كالإضافة في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

(١) مقاصد الشريعة (٢٥٩).

وإذ كانت المخلوقات كلها من صنع الله، فإضافة بعضها إلى الله ما قُصد بها إلا الإيماءُ إلى تشريفه)[1].

وجاءت لفظة الفطرة في السنة النبوية، ومن ذلك:

- قوله -ﷺ-: "عَشْرٌ من الفِطْرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء" قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، زاد قتيبة قال: وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء[2].

- وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: "إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به"[3].

- وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "ليلة أسري بي رأيت موسى، وإذا هو رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، وأنا أشبه ولد إبراهيم -ﷺ- به، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن، فشربته، فقيل: أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر

(١) ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (٣٦).

(٢) رواه مسلم (١٢٩) برقم (٢٦١).

(٢) رواه البخاري (٧٠) برقم (٢٤٧) ومسلم (١٠٨٦) برقم (٢٧١٠).

غوت أمتك"[1].

يقول ابن عاشور -رحمه الله-: (يعني أخذت ما فطر الله عليه الإنسان وهو اللبن؛ لأن حياة الإنسان به في بدء نشأته، فكان ذلك الاختيار رمزاً إلى مبنى دينه، ولو أخذت الإناء الآخر لكان مؤذناً بعدم ملاءمته لهم فتضطرب فيه أحوالهم، ولا تتفق فيه عقائدهم ولا أعمالهم)[2].

- ولعل أشهر حديث في الفطرة: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة -رضي الله عنه-: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠][3].

وقد اختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في آية الروم، وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- السابق على أقوال متعددة كثيرة، منها:

١- أن المقصود بالفطرة: الإسلام، وهو أشهرها، وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، قال ابن حجر -رحمه الله-: (وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام)[4].

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

(١) رواه البخاري (٦٥١) برقم (٣٣٩٤) ومسلم (٩٤) برقم (١٦٨).

(٢) أصول النظام الاجتماعي (٤٠-٤١).

(٣) رواه: البخاري (٢٦٣) برقم (١٣٥٨) ومسلم (١٠٦٦) برقم (٢٦٥٨).

(٤) فتح الباري (٣/٢٤٨).

وقالوا: (قد أجمعوا -أي السلف- في قول الله -عز وجل-: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على أن قالوا: فطرة الله: دين الله الإسلام)[1].

واحتجوا: بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- السابق: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه: يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"[2].

وفي رواية: "ما من مولود يولد إلا وهو على الملة "[3].

وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال للناس يوماً: "ألا أحدثكم بما حدثني الله -عز وجل- في الكتاب؟ إن الله -عز وجل- خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا حرام فيه، فمن شاء اقتنى، ومن شاء احترث، فجعلوا مما أعطاهم الله -عز وجل- حلالاً وحراماً، وعبدوا الطواغيت.."[4] الحديث.

فيكون معنى الحديث: أن الطفل خلق: (سليماً من الكفر، مؤمناً مسلماً على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم؛ حين أخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢])[5].

٢- وقال آخرون: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، أي على ما فطر

---

(١) ابن عبد البر: التمهيد (٧٢/١٨).

(٢) سبق تخريجه (٢٨٩).

(٣) رواه مسلم (١٠٦٦) برقم (٢٦٥٨).

(٤) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير (٣٦٣/١٧) برقم (٩٩٧) الطحاوي: شرح مشكل الآثار (٨/١٠) وابن عبد البر: التمهيد (٧٣/١٨) وابن القيم: أحكام أهل الذمة (٩٥٨/٢).

(٥) ابن عبد البر: التمهيد (٧٧/١٨) وانظر: ابن القيم: أحكام أهل الذمة (٩٥٨/٢).

الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ، من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم، وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه.

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (ما رسمه مالك في الموطأ، وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا)[1]

وقال المروزي -رحمه الله- : (كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول، ثم تركه)[2].

٣- وقالت فرقة: ليس المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولا قوله -ﷺ-: "كل مولود يولد على الفطرة " العموم، وإنما المراد بالناس: المؤمنون؛ إذا لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد، وقد ثبت أنه خلق أقواما للنار، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قالوا: والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب، ألا ترى إلى قوله -عز وجل-: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] ولم تدمر السموات والأرض، وقوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٤٤] ولم تفتح عليهم أبواب الرحمة[3].

٤- وقالت طائفة: (الفطرة هي الخِلقة التي خُلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خِلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة،

(١) التمهيد (١٨/٧٩).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٦-٢٧).

يريد خِلقة مخالفة لِخِلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته)[1].

واحتجوا على أن الفطرة الخلقة، والفاطر الخالق، لقول الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] يعني خالقهن، وبقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢] يعني: خلقني.

قالوا: فالفطرة الخلقة، والفاطر الخالق، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار، وإنما المولود على السلامة في الأغلب خِلقة، وطبعاً، ليس معها إيمان ولا كفر، ولا إنكار ولا معرفة؛ ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ؛ إذا ميزوا. واختاره ابن عبد البر، والقرطبي، وابن عطية الأندلسي -رحمهم الله-[2].

٥- وذهب بعض أهل العلم أن الحديث منسوخ، نقله أبو عبيد عن محمد بن الحسن -رحمهما الله- حيث سأله عن معنى الحديث فقال: (سألت محمد بن الحسن عن هذا الحديث، فقال: كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض، وقيل الأمر بالجهاد) وقال أبو عبيد: (كأنه يعني أنه لو كان يولد على الفطرة، ثم مات قبل أن يهوده أبواه أو ينصرانه لم يرثهما، ولم يرثاه؛ لأنه مسلم، وهما كافران، ولما جاز أن يسيء فلما فرضت الفرائض، وتقررت السنن على خلاف ذلك علم أنه يولد على دينهما)[3].

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٤).

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها بتوسع مع أدلتها: ابن عبد البر: التمهيد (٦٧/١٨) وما بعده، والقرطبي: جامع أحكام القرآن (٢٥/١٤-٣٠) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣١٣/٦) وابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٤٦/٤- ٢٤٧) وابن حجر: فتح الباري (٢٤٨/٣) وابن القيم: شفاء العليل (٣٨١-٣٨٨)، وأحكام أهل الذمة (٩٤٤/٢) وما بعده.

(٣) أبو عبيد: غريب الحديث (٢١/٢-٢٢)، والنووي: شرح مسلم (٩/٩).

علق على ذلك ابن عبد البر -رحمه الله- بقوله: (وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن، فأظن محمد بن الحسن حاد عن الجواب فيه: إما لإشكاله عليه، أو لجهله به، أو لكراهية الخوض في ذلك، وأما قوله فيه إن ذلك القول كان من النبي - عليه السلام- قبل أن يؤمر الناس بالجهاد، فليس كما قال)[1].

قال النووي -رحمه الله- بعد أن استعرض الأقوال في معنى الفطرة: (والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئا للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا، وهذا معنى: "يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه" أي: يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم، وإلا مات على كفره)[2].

إن وصف الدين بأنه دين الفطرة أي: الفطرة الإنسانية، أي: الانفعالات الحاصلة لنفوس البشر في حال سلامة النفوس من اكتساب التعاليم الباطلة، والعوائد السيئة، وهي أساس النظم التي أقيمت عليها الحضارة الأولى في البشر من توخي الصلاح، ودرء الفساد، وإصابة الحق، سواء كان حصولها بالإلهام المودَعِ في الخلقة المشار إليها في القرآن في قصة ابني آدم بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

أم كان حصولها بواسطة تلقين الوحي الإلهي.

(١) التمهيد (١٨/٦٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٩/٩).

ثم إن وصف الإسلام بأنه دين الفطرة ليس المقصود منه أن تعاليم الإسلام لا تشتمل إلا على ما هو الفطرة، أو ما تشهد الفطرة بصدقه، بل المقصود منه أن الأصول التي في الإسلام هي من الفطرة، وتتبعها أصولٌ وتفريعاتٌ هي من المقبول لدى الفطرة، فإن من الفضائل الإنسانية ما هو من قسم الذائعات المقبولة -وقد جاء به الإسلام وحرض عليه- وذلك ما كان من العوائد الصالحة الموروثة في البشر، والتي أثارتها مقاصدُ خيرية سالمة من الأضرار، أو أُلهمت إليها توفيقات إلهية منزهة عن الغايات الخبيثة، فصارت أدباً راسخاً في الأنفس، وظهرت لها آثار جميلة في إقامة نظام المعاملة بين باعث خير ووازع شر، كما ورد في الصحيح أن رسول الله -ﷺ- مرَّ برجل من الأنصار يعظ أخاه -أي ينهاه ويعاتبه- في الحياء فقال: "دعه، فإن الحياء من الإيمان"(١).

ويستبين من هذا أن الوجدان الإنساني العقلي لا يدخل تحت الفطرة منه إلا الحقائق والاعتبارات، ولا يدخل فيه الأوهام والتخيلات؛ لأنها ليست مما فُطر عليه العقل، ولكنها ممَّا عرض للفطرة عروضاً كثيراً؛ حتى لازمت أصحاب الفطرة في غالب الأحوال، فاشتبهت بالفطريات.

وإنما كان عروضها للفطرة بسوء استعمال العقل، وسوء فهم الأسباب، ولذلك تجد العقلاء متفقين في الحقائق والاعتبارات، ولا تجدهم متفقين في الوهميات والتخيلات، بل تجد سلطان هذين الأخيرين أشد بمقدار شدة ضعف العقول، وتجد أهل العقول الراجحة في سلامة منهما.

فوصف الإسلام في الآية بالفطرة يدل على أنه جارٍ على ما فُطر عليه البشر

(١) رواه البخاري (٢٨) برقم (٢٤) ومسلم (٤٨) برقم (٣٦).

عقلاً، فهو مقصود بالفطرة، فلأجل تلبسه بدلائل الفطرة أطلق عليه لفظ الفطرة، كأنه هو الفطرة نفسها، كما يقال: فلان عدل.

فقد استبان أن الآية تدل على أن جميع أصول الإسلام وقواعده تنفجر من ينبوع الفطرة، والإحاطة بذلك ليست إلا لعلام الغيوب، ولكن حظنا من ذلك ملاحظة أمثلة منها جامعة، والاهتداء بأشعة وصلت إلينا من منافذها الواسعة؛ لنتدبر فيما وقع من قبل الشارع، ونقيس عليه ما أشبهه في حكمه[1].

**الحكمة من جعل دين الإسلام الفطرة:**

إن الله تعالى لما أراد أن يجعل دين الإسلام ديناً عاماً لكل البشر في كل وقت وزمان ومكان، دائماً أبداً إلى قيام الساعة، جعله متماشياً متسقاً مع الفطرة المتقررة في نفوس سائر الخلق؛ لتكون الجامعة العامة للبشر مشتقة من الوصف العظيم المشترك بينهم، وهو وصف الفطرة؛ لأن شعوب الأرض -وهم مختلفون في الأخلاق والعوائد والمشارب والتعاليم- لا يمكن جمعهم جمعاً عملياً غير وهمي في جامعة واحدة ما لم يكن عمودها، وقاعدتها، وجذرها شيئاً مرتكزاً في سائر النفوس، وقدراً مشتركاً بينهم لا يتخلف ولا يختلف.

فذلك ضمان لانتفاء الغواية عن أتباعه وأمته، بحيث لو انحرفوا عنه انحرافاً قليلاً لا يلبثون أن يراجعوه، ويهتدوا إلى إقامته.

إن وصف الفطرة للدين الإسلامي هو وصف اختص به الإسلام دون سائر الأديان، فلم يوصف دين من الأديان بأنه الفطرة، كما لم يوصف أحدها بأنه عام ودائم، فلا جرم أن بين هذه الأوصاف -الفطرة، والعموم، والدوام-

(١) انظر: ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي (٣٨-٤٠) ومقاصد الشريعة (٢٦٥).

تناسباً وتلازماً.

إذاً لا يسهل بل لا يمكن أن يضم الإسلام تحت جناحيه أمماً مختلفة الحضارات، والآراء، والأخلاق، والعادات في عصور مختلفة ما لم يكن مبني أصوله على أساس واحد يجمعها، وهو أساس الفطرة، وبهذا يظهر موقع التذييل لآية وصف الإسلام بأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠][1].

**حاجة الفطرة إلى معصوم عن الخطأ:**

إن الفطرة تهتدي إلى أصول الإسلام، وتطمئن إلى شرائعه وأحكامه، والعاقل يعلم أن من قضايا الفطرة ما هو بديهي لكل أحد، أو واضح للمتأمل، ومنها ما هو خفي عن المدركات، ومنها ما تضاءل وخفت في النفوس؛ لما غشيها من سلطان الأهواء والشهوات. على أن العقلاء متفاوتون في إدراك الواضح على قدر القرائح والعلوم، فكانت الفطرة محتاجة إلى تنبيهٍ معصومٍ عن الخطأ في تعريف القضايا، ودلالاتها ومواقعها، وهو التنبيه المتلقَّى من الوحي الإلهي -سواء الكتاب أو السنة-؛ ليعصِمَ الفطرة، ويحميها من الميل، والانحراف عن الجادة القويمة المستقيمة[2].

**العبرة بالفطر السليمة:**

إن العبرة تكون في الفطر السليمة السالمة من العوادي، الباقية على أصل خلقتها، فبعض (الناس قد يحمله اللدد في نصره لقول معين على أن يجحد ما

---

(١) انظر: ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي (٤٠ - ٤٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤٢).

يعلمه الناس من التراضي وطيب النفس، فلا عبرة بجحد مثل هذا؛ فإن جحد الضروريات قد يقع كثيراً عن مواطأة وتلقين في الأخبار والمذاهب، فالعبرة بالفطرة السليمة التي لم يعارضها ما يغيرها؛ ولهذا قلنا: إن الأخبار المتواترة يحصل بها العلم حيث لا تواطؤ على الكذب؛ لأن الفطر السليمة لا تتفق على الكذب، فأما مع التواطؤ والاتفاق، فقد يتفق جماعات على الكذب)[1].

فالشريعة الإسلامية داعية أهلَها إلى تقويم الفطرة، والحفاظ على أعمالها وإحياء ما اندرس منها، أو اختلط بها.

فحفظ الأنفس والعقول والأنساب من الفطرة، والحضارة الحق من الفطرة؛ لأنها من آثار حركة العقل الذي هو من الفطرة، وأنواع المعارف الصالحة من الفطرة؛ لأنها نشأت عن تلاقح العقول.

وبالنظر في المقصد العام من التشريع نجده لا يعدو أن يساير حفظ الفطرة، والحذر من خرقها واختلالها، ولعل ما أفضى إلى خرق عظيم فيه يعد في الشرع محذوراً وممنوعاً، وما أفضى إلى حفظ كيانها يعدُّ واجباً، وما كان دون ذلك في الأمرين فهو منهي عنه، أو مطلوب في الجملة، وما لا يمسها مباح.

ومن هنا نعلم أن القضاء بالعرف والعوائد إنما يرجع إلى معنى الفطرة؛ لأن شرط العادة التي يقضى بها أن لا تُنافي الأحكام الشرعية، فهي تدخل تحت حكم الإباحة، وهي من الفطرة، إما لأنها لا تنافيها، وحينئذٍ فالحصول عليها مرغوب لفطرة الناس، وإما لأن الفطرة تناسبها وهو ظاهر[2].

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١٥/٢٩).

(٢) انظر: ابن عاشور: مقاصد الشريعة (٢٦٥-٢٦٧).

**وأصل الدين الذي فطر الله عليه عباده يجمع أصلين:**

**أحدهما:** عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما يعبد بما أحبه، وأمر به، وهذا هو المقصود الذي خلق الله له الخلق، وضده الشرك، والبدع.

**والثاني:** حل الطيبات التي يستعان بها على المقصود، وهو الوسيلة، وضدها تحريم الحلال.

والأول كثير في النصارى، والثاني -وهو تحريم الطيبات- كثير في اليهود، وهما جميعاً في المشركين.

وهذان الأصلان: هما ما صرح به في قوله تعالى في الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء، فأتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"[1] الحديث.

(وهذا هو الدين الذي فطر الله عليه خلقه، فإنه محبوب لكل أحد، فإنه يتضمن الأمر بالمعروف الذي تحبه القلوب، والنهي عن المنكر الذي تبغضه، وتحليل الطيبات النافعة، وتحريم الخبائث الضارة)[2].

**الفطرة أصل الأصول:**

يرى العلامة محمد بن طاهر بن عاشور- رحمه الله - أن الفطرة هي أصل الأصول، فوصف الإسلام بهذا (الوصف العظيم صالحٌ لأن يكون الأصل العام؛ لفهم مناحي التشريع والاستنباط منها، فهو أولى الأوصاف بأن يجعل

---

(١) رواه: النسائي: السنن الكبرى (٢٦/٥) برقم (٨٠٧٠) وأحمد (١٦٢/٤) برقم (١٧٥١٩) وابن حبان (٤٢٢/٢)، برقم (٦٥٣) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح)، والطبراني: الكبير (٣٥٨/١٧) برقم (٩٨٧) والأوسط (٢٠٦/٣) برقم (٢٩٣٣).

(٢) ابن تيمية: درء التعارض (٣٢٢/٤).

أصلاً جامعاً لكليات الإسلام؛ لكونه وصفاً مُفرداً، تندرج تحته الأوصاف المتآخية في الاندراج تحته.

ففي وصف الإسلام به في آية: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] تنبيه للعلماء -في فهم الشريعة والتفقه فيها، وفي تنفيذ الشريعة وسياسة الأمة بها- بأن عليهم أن يسايروا هذا الوصف الجامع، ويجعلوه رائدَهم وعاصمَهم في إجراء الأحكام، بمنزلة إبرة المغناطيس لربان السفينة) ويضيف -رحمه الله- قائلاً: (فإن الباحث عن نظام الاجتماع الإسلامي يجد هذا الوصف أجدى عليه من قواعد كثيرة، ولا جرم أن يكون أهل هذا الفن أحوج إلى قواعد أوسع من قواعد أهل أصول الفقه.

فإن كل فعل يحب العقلاء أن يتلبس به الناس، وأن يتعاملوا به، فهو من الفطرة، وكل فعل يكرهون أن يقابلوا به، ويشمئزون من مشاهدته وانتشاره، فهو انحراف عن الفطرة.

هذا إذا خلِّي العاقل وعقله، منزهاً عن عوارض ميول الشهوات، والأهواء، فإن أحدٌ مال بشهوة، أو هوىً، أو تضليلٍ إلى أن يفعل ما لا يحمد الناس فعله، فذلك انحراف عارض للعقول، وليس من المعروف في شيء)[1].

ولأهمية هذا الأصل يقول ابن عاشور -رحمه الله-: (وإذ قد استبان أن الفطرة هي الأصل الأصيل لحقيقة دين الإسلام، كان حقاً على المتفقهين في الدين أن يلحظوا تطبيق هذا الأصل في مواقع الاستنباط، فإن شرائع الإسلام

(١) أصول النظام الاجتماعي (٤٣-٤٤).

آيلة إليه، وملاحظته عون عظيم للفقيه عند: التردد، أو التوقف، أو تعارض الأدلة)[1].

۞ ۞ ۞

إن مخالفة الإنسان للفطرة السليمة مفتح شر، وباب انحراف إن في الاعتقاد والفكر، أو في العمل والسلوك.

ولا تزال الاستقامة رهينة البقاء على الفطرة، والمستقيمون على الدين إيماناً، وعملاً هم: المقيمون على الفطرة، والمنحرفون عن الدين إيماناً وعملاً هم: المفارقون للفطرة السليمة.

---

(١) المصدر نفسه (٤٥).

## المصدر السادس: الحس والتجربة

**تعريف الحس:**

والحس والحسيس الصوت الخفي، وأحس الرجل الشيء إحساساً علم به قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وأصل الإحساس الإبصار، ومنه ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] أي: هل ترى؟ ثم استعمل في الوجدان والعلم بأي حاسة كانت.

والإحساس العلم بالحواس، وحواس الإنسان مشاعره الخمس: (السمع، والبصر والشم، والذوق، واللمس)[1].

وعرفه الجرجاني -رحمه الله-: (القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمسة الظاهرة كالجواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة، فتدركها)[2].

**الدليل الحسي في القرآن:**

استخدم القرآن الحس والمشاهدة كثيراً للتدليل، والاستشهاد على صدق ما جاء به، ولإقامة الحجة على الخلق، فإن ما يشاهده الإنسان ويدركه بحواسه يوجب عليه أن يسلم به.

---

(١) انظر: المصباح المنير (١/١٣٦) وابن منظور: لسان العرب (٦/٤٩) وابن الأثير: النهاية: مادة (حسس).

(٢) التعريفات (١١٧).

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ ﴾ أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ أي: العقول والإدراك، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: ما أقل تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم، في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره)[1].

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة)[2].

وقد أمر تعالى خلقه أن ينظروا في غرائب صنعه، وعجائبه كخلقه للسماوات والأرض، والدواب ونحو ذلك للاعتبار بما تقع عليه عينانه وحواسه؛ ليدفعه ذلك النظر الحسي إلى الإقرار العقلي الباطيني بالخالق الفرد الصمد المطاع الإله.

فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/١٨٢).

(٢) تيسير الكريم (٤٤٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] فـ: (بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن في الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها، وأخلص لبنها من بين فرث ودم، بأنه هو وحده المستحق لأن يعبد، ويطاع ولا يعصى)[1].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [: ١٩-٢٠].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (يقول تعالى مخبرًا عن الخليل عليه السلام، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه.

ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة: الثوابت، والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبرارٍ وقفار، وأشجار وأنهار،

(١) الشنقيطي: أضواء البيان (٣/٢٦).

وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول للشيء: كن، فيكون؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩])[1].

**الدليل الحسي في السنة:**

استخدمت السنة الحس كوسيلة؛ لتقريب الفهم، وإبلاغ الحجة، ومن ذلك:

عن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: كنا جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها يعني العصر والفجر" ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣][2].

وعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بقوم يلقحون، فقال: "لو لم تفعلوا لصلح" قال: فخرج شيصاً -هو البسر الرديء الذي ييبس- فمر بهم، فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[3].

وفي قصة رجم ماعز -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع رجلين من أصحابه، يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلب، فسكت عنهما ثم سار ساعة؛ حتى مر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: "أين فلان، وفلان" فقالا: نحن ذان يا رسول الله، قال: "انزلا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤) برقم (٥٥٤) ومسلم (٢٤٩) برقم (٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٢) برقم (٢٣٦٣).

فكلا من جيفة هذا الحمار" فقالا: يا نبي الله من يأكل من هذا؟ قال: "فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها"[(١)].

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: إن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: "إن هذين: حرام على ذكور أمتي "[(٢)].

وقد نصَّ أهل العلم على أن الحس من مصادر المعرفة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (وانظر إلى الحواس التي منها تشرف على الأشياء كيف جعلها الله في الرأس كالمصابيح فوق المنارة؛ لتتمكن بها من مطالعة الأشياء)[(٣)].

ومع ذلك فإن المنهج العلمي للمسلم قائمٌ على عدم إغفال دليل على حساب دليل فلا يؤدي إعمال دليل الحس والمشاهدة، ودليل العقل إلى إغفال دليل النقل الشرعي، كما لا يؤدي سوءُ فهم ما وصل بطريق النقل الشرعي إلى تعطيل ما سخره الله تعالى لنا بطريق الحس والمشاهدة وإعمال العقل، بل يُنزل كلاً منهم منزلته، بلا إفراط ولا تفريط.

وبهذا المنهج يدرك المسلم الحدود التي يقف عندها العلم الناتج عن دليل

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤) برقم (٤٤٢٨) والنسائي: الكبرى (٤/٢٧٦) برقم (٧١٦٤) والبيهقي: السنن الكبرى (٨/٢٢٧) وقال ابن كثير (إسناده صحيح) تفسير القرآن العظيم (٧/٣٨٣).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٦) برقم (٥١٤٥) وأبو داود (٤٤٤) برقم (٤٠٥٧) وصححه الألباني: المشكاة (٢/١٢٥٤) برقم (٤٣٩٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢٦٤).

الحس، أو العقل، فلا يُقحمه مثلاً في الغيبيات التي ثبتت عن طريق الوحي، فيؤدي جهله بها إلى استهتاره واستهزائه بها والعياذ بالله.

وبهذا المنهج يُعلم أن دليل الحس أو العقل مهما كان، فإنه لا يرتقي إلى مصافِّ القطعيات الشرعية، فيركن مطمئناً إلى تلك القطعيات، ويحذر من أن يؤتى من قِبل سوء الفهم، وكلما بدا له تصادم أو تناقض الشرع مع العقل أو الحس اتهم عقله أو حسه، ولم يتهم النص الشرعي البتة اللهم إلا من جهة سوء فهمه، وإنما مَردُّ ذلك إلى عقله، فكانت التهمة منصرفةً إلى العقل دوماً بلا ريب.

## المصدر السابع: العقل

**معنى العقل في اللغة والاصطلاح:**

**في اللغة:**

العقل: عَقَلَ يَعْقِل عَقْلاً ومَعْقُولاً، العين والقاف واللام أصلٌ واحد، يدلُّ عُظْمُه على حُبْسة في الشَّيء أو ما يقارب الحُبْسة. والعَقل: نقيض الجهل والعقل الحابس عن ذَميم القَول والفِعل. والعَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والعَقْلُ التَّثَبُّت في الأُمور، والعَقْلُ القَلْبُ والقَلْبُ العَقْلُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه، وقيل العَقْلُ هو التمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائر الحيوان[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (و العقل فى لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً، يراد به القوة التي بها يعقل وعلوم وأعمال تحصل بذلك، لا يراد بها قط فى لغة جوهر قائم بنفسه، فلا يمكن أن يراد هذا المعنى بلفظ العقل)[2].

**العقل في الاصطلاح:**

عرفه الباجي-رحمه الله- بقوله: (العلم الضروري، الذي يقع ابتداء، ويعم العقلاء)[3].

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٤/٥٦)، وابن منظور: لسان العرب (١١/٤٥٨).

(٢) الفتاوى (١/٢٤٤).

(٣) الحدود (٣١).

وقال الحارث بن أسد المحاسبي -رحمه الله- في حد العقل: (إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء)[1].

وقال الغزالي -رحمه الله-: (العقل: اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان، كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه.

**فالأول**: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

**الثاني**: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد.

**الثالث**: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب، وهذبته المذاهب، يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة، فيقال إنه غبي غمر جاهل.

**الرابع**: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب، لا بحكم الشهوة العاجلة.

فالأول: هو الأس والمنبع، والثاني: هو الفرع الأقرب إليه، والثالث: فرع

(١) لغزالي: إحياء علوم الدين (١/١٦٤).

الأول والثاني؛ إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع: هو الثمرة الأخيرة، وهو الغاية القصوى، فالأولان بالطبع، والأخيران بالاكتساب)(١).

وعرفه عثمان حسن: (العقلُ يقع بالاستعمال على أربعة معان: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم)(٢).

**مكانة العقل في الإسلام:**

لقد بلغ من تكريم الإسلام للعقل أن جعله مناطاً للتكليف فلا ثواب، ولا عقاب إلا بالعقل.

قال -ﷺ-: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"(٣).

بالعقل تميز الإنسان، وكُرم، وفُضل عن جميع الخلق، فهو أداة لفهم مقاصد الأحكام، فجاء الوصف بأولي الألباب، أي: أولي العقول والأفهام والنُهى قال تعالى بعد أن ذكر جملة من أحكام الحج: ﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال سبحانه عقب بيان أحكام القصاص: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

---

(١) حياء علوم الدين (١/١٦٤-١٦٦) بتصرف يسير.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٨١) برقم (٤٤٠٣) والترمذي (٢٥٠) برقم (١٤٢٣) وقال (حسن غريب من هذا الوجه.. والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم) والنسائي (٣٦٢) برقم (٣٤٣٢) وابن حبان (١/٣٥٦) برقم (١٤٣) وقال: شعيب الأرنؤوط (رجاله ثقات رجال مسلم) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٣٥١٢).

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون)[1].

والعقلاء فقط هم المنتفعون بالموعظة والذكر، القادرون على تدبر الآيات، فقال سبحانه:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد أكثر القرآن من ذم من ألغى عقله، واتبع آبائه وأجداده، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١].

إن العقل بهذا هو أداة الإدراك، وآلة المعرفة، وميزان الحق.

يقول الإمام الشافعي -رحمه الله- عن العقل: (هو آلة التمييز)[2].

(١) تيسير كريم الرحمن (٨٤).

(٢) نقلاً عن السمعاني: قواطع الأدلة (٢٤٩).

ويقول ابن القيم -رحمه الله- عن العقل بأنه: (آلة كل علم، وميزانه الذي به يعرف صحيحه من سقيمه، وراجحه من مرجوحه، والمرآة التي يعرف بها الحسن من القبيح)[1].

ولقد عدَّ العلماء العقل بهذا مصدراً من مصادر المعرفة، واستدل القرآن الكريم بالعقل، وهذا أكبر برهان على أنه مصدر للمعرفة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (والقرآن قد دل على الأدلة العقلية التي بها يعرف الصانع وتوحيده، وصفاته وصدق رسله، وبها يعرف إمكان المعاد، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح، مالا يوجد مثله فى كلام أحد من الناس)[2].

ومع ذلك فإن العلماء يعرفون أن للعقل حداً لا يتجاوزه، فالسبيل إلى المطالب الإلهية إنما هو من طريق الوحي.

قال ابن تيمية -رحمه الله- بأن كبار العقليين: (معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين فى عامة المطالب الإلهية، وإذا كان هكذا، فالواجب تلقى علم ذلك من النبوات)[3].

وإن من الثابت المقرر لدى أهل العلم أن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، فنصوص الكتاب والسنة لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة الصحيحة، وأن المقدم عند موارد النزاع هو النقل؛ لأن (الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا، أو لم نعلمه، فهو مستغن في

(١) مفتاح دار السعادة (١٢٠).

(٢) الفتاوى (١٢/٨١).

(٣) الفتاوى (٥/٣٠).

نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه، وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به، وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته، وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكن جاهلاً ناقصاً)[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (نقول قولاً عاماً كلياً: إن النصوص الثابتة عن الرسول -ﷺ- لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها.

وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة، وألفاظ مجملة، فمتي وقع الاستفسار والبيان، ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية لا براهين عقليه)[2].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: (إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل، فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل، فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل)[3].

وقال ابن تيمية -رحمه الله -: (إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به؛ والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل)[4].

فـ(ليس في الشريعة شيء يخالف القياس ولا في المنقول عن الصحابة

---

(١) ابن تيمية: درء التعارض (٣/٢٥).

(٢) درء التعارض (٣/١٠٣).

(٣) الموافقات (١/٨٧).

(٤) درء التعارض (٥/١٥٢).

الذي لا يعلم لهم فيه مخالف وأن القياس الصحيح دائر مع أوامرها ونواهيها وجودا وعدما كما أن المعقول الصحيح دائر مع أخبارها وجودا وعدما فلم يخبر الله رسوله بما يناقض صريح العقل ولم يشرع ما يناقض الميزان والعدل)[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله -: (إن الحجج السمعية مطابقة للمعقول والسمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصريح بل هما أخوان نصيران وصل الله بينهما، وقرن أحدهما بصاحبه فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦] فذكر ما ينال به العلوم وهي: السمع، والبصر، والفؤاد الذي هو محل العقل.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] فأخبروا أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤] وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] فدعاهم إلى استماعه بأسماعهم وتدبره بعقولهم ومثله قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] فجمع سبحانه بين السمع والعقل، وأقام بهما حجته على

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (٢/٧١).

عباده، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلاً، فالكتاب المنزل، والعقل المدرك حجة الله على خلقه، وكتابه هو الحجة العظمى، فهو الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبداً، فليس لأحد عنه مذهب، ولا إلى غيره مفزع في مجهول يعلمه، ومشكل يستبينه، وملتبس يوضحه، فمن ذهب عنه، فإليه يرجع، ومن دفع حكمه فبه يحاج خصيمه؛ إذ كان بالحقيقة هو المرشد إلى الطرق العقلية، والمعارف اليقينية التي بالعباد إليها أعظم حاجة، فمن رد من مدعي البحث والنظر حكومته، ودفع قضيته، فقد كابر وعاند، ولم يكن لأحد سبيل إلى إفهامه ولا محاجته، ولا تقرير الصواب عنده، وليس لأحد أن يقول إني غير راض بحكمه، بل بحكم العقل، فإنه متى رد حكمه، فقد رد حكم العقل الصريح وعاند الكتاب والعقل)[1].

و(المسائل التي يقال: أنه قد تعارض فيها العقل والسمع، ليست من المسائل البينة المعروفة بصريح العقل، كمسائل الحساب والهندسة، والطبيعيات الظاهرة، والإلهيات البينة ونحو ذلك، بل لم ينقل أحد بإسناد صحيح عن نبينا -ﷺ- شيئاً من هذا الجنس، ولا في القرآن شيء من هذا الجنس، ولا يوجد ذلك إلا في حديث مكذوب موضوع يعلم أهل النقل أنه كذب، أو في دلالة ضعيفة غلط المستدل بها علي الشرع)[2].

**وجوب تسليم العقل للشرع:**

قال الطحاوي -رحمه الله -: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٥٧- ٤٥٩).

(٢) ابن تيمية: درء التعارض (٣/٥٨).

التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار موسوساً، تائهاً، زائغاً، شاكاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً)[1].

فلا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه، ومعقوله، وقياسه.

قال محمد بن شهاب الزهري -رحمه الله-: (من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم)[2].

وقد ضرب العلماء مثلاً في انقياد واستسلام العقل للنقل فقالوا: (إن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير فإن العامي يمكنه أن يصير عالما ولا يمكن العالم أن يصير نبيا رسولا فإذا عرف العامي المقلد عالما فدل عليه عاميا آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي لأني أنا الأصل في علمك بأنك مفت، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرف أنه مفت فلزم القدح في فرعه ! فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفت ودللت عليه شهدت له بوجوب تقليده دونك فموافقتي لك في هذا العلم المعين لا تستلزم موافقتك في كل مسألة وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لا يستلزم خطأك في

(١) العقيدة الطحاوية (١٠).

(٢) شرح الطحاوية (٢٠١).

علمك بأنه مفت، هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطئ.

والعاقل يعلم أن الرسول -ﷺ- معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره)[1].

إن الشرع هو الذي هدى العقل للتميز بين الخير والشر، والمنفعة والمضرة، والمصلحة والمفسدة، (ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم: أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله، واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها، فهو من شر البرية، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير، والحيوان البهيم.

وفي الصحيح من حديث أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وانتفعوا وزرعوا.

وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[2] متفق على صحته.

(١) شرح الطحاوية (٢٠١).

(٢) رواه البخاري (٤١) برقم (٧٩) ومسلم: كتاب (٩٣٨) برقم (٢٢٨٣).

فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات الله، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية، خرب الله العالم العلوي والسفلي، وأقام القيامة)[1].

إن حاجة العقل للشرع حاجة ملحة مضطر إليها، فـ(الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة ؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع ؛ فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه ؛ وحركة يدفع بها ما يضره.

والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا.

وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم، فإن الحمار والجمل يميز به بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد، والعدل والبر والتصدق والإحسان، والأمانة والعفة، والشجاعة والحلم،

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٠).

والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى المماليك والجار، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله والتوكل عليه، والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به، والتسليم لحكمه والانقياد لأمره ؛ وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ؛ وخشيته في الغيب والشهادة، والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه، واحتساب الثواب عنده، وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به، وطاعته في كل ما أمروا به، مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته، ومضرته في دنياه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار، في المعاش والمعاد)[1].

۞ ۞ ۞

**إن للعقل المسلم إذاً حصناً حصيناً -هو الوحي- قادراً على انتشاله، ووضعه على الجادة، عند انحرافه، وهو معين لا ينضب، وسند داعم عند اشتداد المحن والفتن.**

**لكننا بحاجة إلى إعادة ربط عقل المسلم بمعاييره الطبيعية، وهي ثوابت الوحي المعصوم** (ذلك أن التغيير لا يتحقق، والحضارة لا تُبعث -كما هو ملاحظ تاريخياً- إلاّ بالعقيدة الدينية، والتعاليم النبوية (معارف الوحي) فالحضارة، كما يقول الأستاذ مالك بن نبي -رحمه الله-: لا تظهر في أمة من الأمم، إلاّ في صورة وحي، يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجاً.. أو هي على الأقل -تقوم أسسها: في توجيه الناس نحو معبود غيبي، بالمعنى العام.. فكأنما قُدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة، إلاّ حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية،

(١) ابن تيمية (١٩/٩٩-٢٠٠).

أو بعيداً عن حقيقته، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته كاملة- وهذا لا يتحقق دون معارف الوحي- يكتشف معها أسمى معاني الأشياء، التي تشكل له مركز الرؤية، وتتفاعل مع عبقريته)[1].

فالوحي إذاً هو الإطار المرجعي الذي يمنح العقل القيم المعصومة، فلا تعارض في الإسلام: بين صحيح المقول، وصريح المنقول، ذلك أن مصدر العقل والوحي هو الله، فلا يمكن أن يقع التناقض والتعارض، وأن أي تعارض معناه ضعف في سند المنقول، أو عجز وخطأ في كيفية الاستدلال، وعند احتمال التعارض، فإن حكم الوحي المعصوم مقدم على حكم العقل المظنون[2].

(١) مقدمة عمر حسنه لكتاب: عبد الرحمن بن سليمان الطريري: العقل العربي وإعادة التشكيل (٣).

(٢) المصدر نفسه (٥).

# المبحث الثالث
# الأسس والمقومات المنهجية

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الجمع بين الأدلة.

المطلب الثاني: الإيمان بالمتشابه، والعمل بالمحكم.

المطلب الثالث: التثبت من الأخبار الشرعية.

المطلب الرابع: اتباع مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

المطلب الخامس: الأخذ عن العلماء.

المطلب السادس: حسن الفهم.

المطلب السابع: قيام العلماء بواجبهم.

المطلب الثامن: السؤال عما أشكل، وترك السؤال المذموم.

## المطلب الأول
## الجمع بين الأدلة

إن من سمات هذا الدين التي أبان عنها القرآن العزيز اتساقه، وتصديق بعضه بعضاً، وعدم تناقضه؛ لأنه واحد المصدر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ولا يمكن للناس تبين تلك السمة إلا بالتدبر، والنظر في آيات الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، ولذلك صدرت هذه الآية الكريمة بالحض على التدبر، وجمع النصوص، وفهم بعضها في ضوء بعض.

والتدبر إذا وقع صدَّق القرآن بعضه بعضاً في فهم القارئ كما هو مصدق بعضه بعضاً في واقع الأمر.

وإذا أعرض الإنسان عن التدبر، ولم يأخذ بالأدلة كلها، وضرب الأدلة بعضها ببعض اختلفت عليه، فكان سبباً في انحرافه على الحق.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله -ﷺ- جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة[1] إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها؛ حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج

(١) أي: ناحية.

رسول الله -ﷺ- مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: "مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والمقصود هنا ذكر أصل جامع تنبني عليه معرفة النصوص، ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنة، فإن الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمى الإيمان والإسلام؛ لكثرة ذكرهما، وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلما كثر التكلم فيه، فتكلم به مطلقاً، ومقيداً بقيد ومقيد بقيد آخر في موضع آخر، كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه، كثر من يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده، ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه؛ حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف ما تنازعوا فيه)[(٢)].

۞ ۞ ۞

لقد كان عدم الجمع بين الأدلة، والاقتصارُ على بعضها، وضربُ القرآن أو السنة بعضها ببعض سبباً من أسباب انحراف الفرق قديماً وحديثاً.

---

(١) سبق تخريجه (٤٣).

(٢) الفتاوى (٧/٣٥٦-٣٥٧).

واعتبر ذلك بهذا المثال ناظراً إلى هاتين المجموعتين من النصوص:

١- يقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

٢- ويقول الله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

فهاتان مجموعتان من النصوص يلحق بهما ما في معناهما:

تسمى الأولى: نصوص الوعيد.

وتسمى الثانية: نصوص الوعد.

وقد صار فهم هذه النصوص سبباً لانحراف طائفتين: (الخوارج، والمرجئة).

فالخوارج: أخذوا بعموم آيات الوعيد، وقالوا: المعصية الواحدة كافية للخلود في النار، ولا بد من اجتماع الطاعات كلها للخلود في الجنة.

والمرجئة: أخذوا بعموم نصوص الوعد، وقالوا: الإيمان هو التصديق،

ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا بد من اجتماع المعاصي كلها للحكم بالخلود في النار.

والذي عليه أهل السنة والجماعة: الإيمان بالوعد والوعيد، فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط: بأن لا يتوب، فإن تاب، تاب الله عليه، وبأن لا يكون له حسناتٌ تمحو ذنوبه، لأن الحسنات يذهبن السيئات، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له، فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

فهكذا الوعد له تفسير وبيان، فمن قال بلسانه: لا إله إلا الله وكذَّب الرسول، فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك إن جحد شيئاً مما أنزل الله.

فلابد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول -ﷺ- ثمَّ إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتداً كان فى النار، فالسيئات تحبطها التوبة، والحسنات تحبطها الردة، ومن كان له حسنات وسيئات، فإن الله لا يظلمه، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، والله - تعالى- قد يتفضل عليه، ويحسن إليه بمغفرته ورحمته.

ومن مات على الإيمان، فإنه لا يخلد في النار)[(١)].

ومن الجمع بين النصوص الرد إلى النصوص المحكمة، والأصول الجامعة التي تُردُّ إليها النصوص العامة، وهناك أصل جامع محكم تردُّ إليه نصوص الوعيد، وبالرجوع إليه يندفع التعارض المتوهم، فالقرآن ليس فيه تناقض ولا اختلاف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) الفتاوى (٨/٢٧٠-٢٧١).

## المطلب الثاني
## الإيمان بالمتشابه، والعمل بالمحكم

لقد أنزل الله كتابه الكريم على عبده ورسوله محمد -ﷺ- وجعله في غاية الإتقان والاتساق والائتلاف ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولكن ورد وصف القرآن الكريم كله بأنه محكمٌ، فقال الله - عز وجل -: ﴿الٓرۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال سبحانه: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

وورد وصفه بأنه متشابه، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وورد وصفه بأن منه المحكم، ومنه المتشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذا أدى إلى اختلاف أهل العلم في القرآن: هل هو متشابه أو محكم؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن القرآن كله محكم.

القول الثاني: أن القرآن كله متشابه.

القول الثالث: أن منه محكماً، ومنه متشابهٌ[1].

وصواب القول في ذلك أن القرآن منه محكم، ومنه متشابه باعتباراتٍ، هذا ملخص القول فيها:

١- أن القرآن كله موصوف بالإحكام أي: الإتقان، وهذا هو الإحكام العام،وعلى هذا تحمل الآيات التي وصفت القرآن كله بالإحكام.

٢- أن القرآن كله موصوف بالتشابه أي: التماثل، والتناسب في الإتقان، فهو متشابهٌ في الإعجاز، متشابه في حسن ألفاظه، وهو متشابهٌ؛ إذ يصدقُ بعضه بعضاً، فلا تعارض، ولا تناقض.

٣- أن القرآن منه محكم، ومنه متشابه، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧].

ولعل في ذكر أنواع المتشابه ما يؤكد هذا المعنى:

**أنواع التشابه:**

المتشابه الواقع في النصوص على ضربين:

**أحدهما:** حقيقي.

**الثاني:** إضافي.

**فأما الأول: فهو المتشابه الحقيقي:**

الذي ليس للناس سبيل إلى فهم معناه، حتى لو كان المرء من أهل العلم (فإذا نظر المجتهد في أصول الشريعة، وتقصاها، وجمع أطرافها، لم يجد فيها ما

(١) ينظر: الزركشي: البرهان (٢/٦٨).

يُحكمُ له معناه، ولا ما يدل على مقصوده ومغزاه)[1].

وهذا المتشابه الحقيقي هو الذي استأثر الله بعلمه، وأمثلته كثيرة:

فمنها: مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

ومنها: حقائق الصفات وكيفيتها، ككيفية سمع الله -عز وجل- وبصره، فذلك مما استأثر الله -عز وجل- بعلمه.

ومنها: حقائق ما في البرزخ والآخرة من مثل: عذاب القبر ونعيمه، وما وعد الله -عز وجل- أولياءه، وأوعد أعداءه، فإن ذلك كله غير معلوم الحقيقة للبشر، بل ولا يخطر على قلوبهم يقول تعالى في الحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ"[2].

والواجب نحو هذا النوع الإيمان به دون تتبع لما لا يمكن للناس علمه، ولذلك كانت النصوص، وأقوال السلف دالةً على وجوب الإيمان به، ومن ذلك قول -عز وجل-: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فهم يؤمنون بالمتشابه، ويعلمون أن كلاً من المحكم والمتشابه حقٌّ وصدقٌ، وكل واحدٍ منهما يصدق الآخر، ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله، وليس شيءٌ من عند الله بمختلف، ولا متناقض[3].

---

(١) الشاطبي: الموافقات (٣/ ٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٣) برقم (٣٢٤٤) ومسلم (١١٣٦) برقم (٢٨٢٤).

(٣) ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظم (٢/ ١٠).

**النوع الثاني: المتشابه الإضافي:**

وهو ما صار متشابهاً بالنسبة إلى الناظر في النص، وإلا فالنص نفسه غير متشابهٍ في حقيقة الأمر.

**ومرد التشابه هو إلى أحد أمرين:**

١- تقصير الناظر في الاجتهاد، والنظر في النصوص.

٢- زيغان الناظر باتباعه الهوى.

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- في الكلام على هذا النوع: (إنَّه لم يصر متشابهاً من حيث وضع في الشريعة، من جهة أنَّه قد حصل بيانه في نفس الأمر، ولكنَّ الناظر قصَّر في الاجتهاد، أو زاغ عن طريق البيان اتباعاً للهوى)[1].

وعلى ذلك فإن أخذ النَّصِّ عفواً، أو أخذاً أولياً دون النظر إلى ما يعارضه، أو يقيده، أو يخصصه؛ من اتباع المتشابه إذ (من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطْلقات قبل النظر في مقيداتها، أو في العمومات من غير تأملٍ هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكس، بأن يكون النَّصُّ مقيداً فيطلق، أو خاصاً فيعم بالرأي من غير دليلٍ سواه، فإن هذا المسلك رميٌ في عماية واتباع للهوى في الدليل، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبهٌ إذا لم يُقيد، فإذا قُيِّد صار واضحاً)[2].

والواجب نحو هذا النوع أن يرد إلى عالمِهِ، كما قال الرسول -ﷺ-: "إن

(١) الموافقات (٣/٩٢).

(٢) الشاطبي: الاعتصام (١/٣١٢).

القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم، فردوه إلى عالِمِهِ"[1].

والعالم عليه أن يرد المتشابه إلى المحكم (فمن ردَّ ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكَّمَ محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس)[2].

۞ ۞ ۞

**إن الواجب على العبد في مقابل النصوص أن يتحقق بأمرين:**

**الأول:** العمل بالمحكم.

**الثاني:** الإيمان بالمتشابه.

يقول الله -تعالى-: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي الحديث أن النبي -ﷺ- قال: "نزل الكتاب الأول من باب واحد، على حرف واحد، وأنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجراً، وآمراً، وحلالاً، وحراماً، ومحكماً، ومتشابهاً، وأمثالاً، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه وقولوا: آمنا به كلٌّ من عند ربنا"[3].

ويقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: (يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن

(١) سبق تخريجه (٤٣).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/٥).

(٣) رواه الحاكم: المستدرك (١/٧٣٩) برقم (٢٠٣١) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي، وابن حبان (٣/٢٠) برقم (٧٤٥) وقال شعيب الأرنؤوط (رجاله ثقات إلا أنه منقطع).

بالمتشابه، ولا يدين به، وهو من عند الله كله)[1].

ويقول قتادة -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: (آمنوا بمتشابهه، وعملوا بمحكمه)[2].

وقال الضحاك -رحمه الله-: (نعمل بالمحكم، ونؤمن به، ونؤمن بالمتشابه، ولا نعمل به، وكل من عند ربنا)[3].

ولخطورة اتباع المتشابه حذرنا النبي -ﷺ- من متبعي المتشابه، ففي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله -ﷺ-: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم"[4].

وكان السلف يردعون متبعه ويؤدبونه تأديباً بليغاً، فعن سليمان بن يسار قال: إن رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر -رضي الله عنه- فأرسل إليه عمر، وقد أعد له عراجين النخل، فقال له عمر -رضي الله عنه-: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر -رضي الله عنه-: وأنا عبدالله

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/١٨٦).

(٢) المصدر نفسه (٣/١٨٥).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٨٦).

(٤) سبق تخريجه (٤٠).

عمر، ثم أخذ عرجوناً من تلك العراجين، فضربه حتى أدمى رأسه[1].

وما وصف متبعي المتشابه بالزيغ، والتحذير منهم، وتأديبهم إلا لما يجره اتباع المتشابه من انحرافٍ عن الحق وضلال.

واعتبر ذلك بالخوارج؛ لتعلم كيف انحرفوا بسبب اتباع المتشابه، فقد أخذوا -مثلاً- قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] على ظاهره، وقطعوا عن بيانه، وزعموا أن ذلك يعني ألا يُحكَّم البشر، وألا يطلب منهم الحكم بشرع الله بين المتخاصمين، فنقموا على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه حكَّم الحكمين، وهذا بزعمهم حكم بغير ما أنزل الله.

وقد ردَّ عليهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بجملة آياتٍ منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

فأمر الله -عز وجل- بتحكيم حكمين في أمر امرأة ورجل قال علي -رضي الله عنه-: (فأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أعظم دماً، وحرمة من امرأة ورجل)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في بيان أول زيغ الخوارج: (كان أول كلمةٍ خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا لله انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها)[3].

(١) رواه الآجري: الشريعة (٧٣) والدرامي: السنن (٥١/١) برقم (١٤٦) واللالكائي: شرح أصول الاعتقاد (٦٣٤/٤) وذكر الحافظ ابن حجر إسناداً صحيحاً عن ابن الأنباري: الإصابة (٤٥٨/٣-٤٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٨٤/٢) برقم (٦٥٦) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٣) الفتح (٦١٩/٦) وينظر في هذا الموضوع: الشاطبي: الاعتصام (٣٠٣/١).

ولو ردوا هذه الآية الكريمة إلى الآيات المحكمات الأخرى، وأوكلوا الأمر إلى الراسخين في العلم لسلموا من ذلك الزيغ.

واعتبر ذلك في كل دليل يستدل به أصحاب المذاهب الباطلة على اعتقاداتهم، فانظر مثلاً في الخوارج استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] على كفر مرتكب الكبيرة.

وانظر في المقابل استدلال المرجئة بقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] على أنه لا يضر مع الإيمان شيء.

ولو رد القوم أنفسهم إلى المحكمات؛ لسلموا فالله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

إن التكلف والتطلع إلى أمر فوق الذي علمناه، واطلعنا عليه، باب شر مفسد على الأمة، مفرق لجماعتها؛ لما يجره من تعدد الآراء فيما ليس فيه نص.

وتعدد الآراء دافع لاختلاف الأهواء، والافتراق.

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (ومن طماح النفوس إلى ما لم تكلف به، نشأت الفرق كلها، أو أكثرها)(١).

(١) الموافقات (٢/٨٩).

## المطلب الثالث
## التثبت من الأخبار الشرعية

لقد جاءت الشريعة، آمرة بالصدق، داعية إليه، حاثة على التثبت من الأخبار، خاصة الأخبار الشرعية التي التثبت فيها أعظم وأوجب؛ لأنها أخبار عن الله ورسوله -ﷺ- وليس كذباً عليهما ككذب على من سواهما.

والأحاديث متضافرة على التحذير من الكذب على النبي -ﷺ- فمن ذلك:

عن علي -رضي الله عنه- قال: قال النبي-ﷺ-: "لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كَذَبَ عليَّ، فليلج النار"[1].

١- وعن أنس-رضي الله عنه- قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي-ﷺ- قال: "من تعمد علي كذباً، فليتبوأ مقعده من النار"[2].

٢- وعن المغيرة -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي-ﷺ- يقول: "إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ، من كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار"[3].

٣- وعن سلمة -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي-ﷺ- يقول: "من يقل عليَّ ما لم أقل، فليتبوَّأ مقعده من النار"[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٦) برقم (١٠٦) ومسلم (٢٢) برقم (١).
(٢) رواه البخاري (٤٦) برقم (١٠٨) ومسلم (٢٢) برقم (٢).
(٣) رواه البخاري (٤٦) برقم (١٠٨) ومسلم (٢٢) برقم (٣).
(٤) رواه البخاري (٤٦) برقم (١٠٩).

٤- وعن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من حدث عني بحديث يُرَى أنَّه كَذبٌ، فهو أحد الكَاذِبينَ"[(١)].

فالخطب في الكذب على النبي-صلى الله عليه وسلم- خطير وعظيم، فهو مورد للنار، ولذلك بوب الإمام ابن حبان -رحمه الله- لحديث: "من قال عليَّ متعمداً ما لم أقل، فليتبوَّأ مقعده من النار " (ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب الشيء إلى المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهو غير عالم بصحته)[(٢)].

(وفي معنى الكذب على النبي-صلى الله عليه وسلم- الكذب على الصحابة والتابعين، ولا سيما فيما لا مجال للرأي فيه مما لا يعرف من الشرع؛ لأن له حكم المرفوع إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- كما نبه على ذلك أئمة الحديث)[(٣)].

والكذب كثير فإن (أهل الوضع والاختلاق الذين وضعوا من الكذب أكثر مما بأيدي المسلمين من الصحيح، لكن الله فرَّق بين الحق والباطل بأهل النقد العارفين بالنقل: علماء الجرح والتعديل)[(٤)].

وإنما وجب التثبت؛ لأن المنقولات فيها صدق وكذب، والمرجع في ذلك هو إلى علم الحديث، وعلماء الحديث الجهابذة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان قاعدة في التمييز بين الصدق والكذب في المنقولات: (المقصود هما أن نذكر قاعدة فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدق، وكثير من الكذب.... والمرجع في التمييز بين

(١) رواه مسلم في المقدمة: صحيفة (٢١).

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ١٢٠).

(٣) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٦).

(٤) ابن تيمية: الرد على البكري (١١).

هذا وهذا إلى علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب، ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة، وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب ونحو ذلك.

فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجل هؤلاء قدراً، وأعظم صدقاً، وأعلاهم منزلة، وأكثر ديناً)[١].

۞ ۞ ۞

لقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- يحتاطون ويتثبتون في أمر الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأبو بكر -رضي الله عنه- تثبت من خبر المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعطي الجدة السدس[٢].

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: (كان أول من احتاط في الأخبار)(٣) وقال: (إليه المنتهى في التحري في القول، وفي القبول)[٤].

وكذلك فعل الصحابة -رضي الله عنهم- يقول الإمام الذهبي -رحمه الله- عن علي -رضي الله عنه-: (فقد زجر الإمام علي -رضي الله عنه- عن رواية المنكر وحث على التحديث بالمشهور.

وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية، والمنكرة من الأحاديث في الفضائل، والعقائد، والرقائق ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان في معرفة الرجال والله أعلم)[٥].

---

(١) منهاج السنة (٣٤/٧-٣٥).

(٢) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ (٤/١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/١).

(٤) المصدر نفسه (٥/١).

(٥) المصدر نفسه (١٣/١).

وكان ازدياد الشرور، وتكاثر الفتن، وفشو الكذب من أعظم أسباب تثبت الصحابة، واهتمامهم بالأسانيد.

فعن عن طاوس بن كيسان -رحمه الله- قال: جاء هذا إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- يعني بشير بن كعب فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: عُدْ لحديث كذا وكذا، فعاد له، ثم حدَّثه، فقال له: عُدْ لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كلَّه، وأنكرت هذا؟ أم أنكرت حديثي كلَّه وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: (إنا كنا نحدث عن رسول الله -ﷺ- إذ لم يكن يُكْذَبُ عليه، فلما ركب النَّاس الصَّعب والذَّلول، تركنا الحديث عنه)[1].

يقول الإمام النووي -رحمه الله- في شرح هذا الأثر: وأما قول ابن عباس-رضى الله عنهما-: (فلما ركب الناس الصعب والذلول).... فهو مثال حسن. وأصل الصعب والذلول في الإبل، فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب، المحبوب المرغوب فيه، فالمعنى: سلك الناس كل مسلك مما يحمد، ويذم)[2].

فازدادت عناية السلف بالتثبت لَمَّا رأوا الفتن، وانتشارها.

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها، فيخبرها، ويفشيها، وينشرها، وقد لا يكون لها صحة)[3].

واستقرار التدوين في السنة لا يعني عدم الحاجة إلى التثبت؛ ذلك أنه كلما

(١) رواه مسلم (٢٣) برقم (٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (١/٤٠-٤١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٠).

ازدادت الفتن والشرور -وهي تزداد في آخر الزمان- ازداد الوضع والكذب.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي-ﷺ- قال: "سيكون في آخر الزمان أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم"[(١)].

وفي لفظ: "يكون آخر الزمان دجَّالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم"[(٢)].

والوضع في الحديث عند حدوث الفتن والشرور كثيرٌ؛ إذ الفتن داعٍ عظيم من دواعي الاختلاف والكذب، وما من زمان إلا والذي عده شرٌ منه، وأحداث الزمان تظهر أنه عند اشتداد الأمور، وزيادة الفتن يظهر النقول والكذب، أو نبش المدونات؛ لإظهار موضوع الحديث ومكذوبه، وضعيفه، وواهيه، بل قد يظهر من الأحاديث ما لا يعرف في القرون الأولى ولم يذكره أحدٌ من العلماء، لا على سبيل الاعتقاد، ولا على سبيل النقل فقط[(٣)] ويصبح محبوباً للنفوس، متناقلاً لمجرد وجود تشابه بواقعه، ونحو ذلك.

ولقد عني علماء الحديث -رحمهم الله- بعلم رواية الحديث: (رواية، ودراية) وبذلوا الوسع في وضع قواعد التمييز بين المقبول والمردود، مما يتعلق بالسند، أو المتن فجاءت علوم عظيمة متعلقة الرجال جرحاً وتعديلاً، وتأريخاً، فعُرِّفت بطبقات الرواة وأحوالهم، وعرِّفت مراتب الحديث: صحة وضعفاً، وأنواع الحديث من جهة إسناده في جملة من أنواع علوم الحديث الشاهدة بعظيم عناية العلماء بحديث رسول الله -ﷺ-.

---

(١) رواه مسلم (٢٣) برقم (٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣) برقم (٧).

(٣) ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: الرد على الأخنائي (٤١).

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (قد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين؛ لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين، فشأنهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً؛ حتى ثَبَّتُوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها.

وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها والقوامون بأمرها وشأنها؛ إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢])[1].

لقد نشأ عن اهتمام المحدثين بالإسناد وشدة تحريه أن سرى ذلك المنهج إلى بقية العلوم والمعارف، فلا تجد فناً من فنون العلم سواء التفسير، أو الفقه، أو الأدب، أو التاريخ، أو الرجال، أو النحو..الخ.. إلا وقد تُلقي بالإسناد؛ حتى أنه دخل في سياق الكلمة الواحدة من أخبار الحمقى والمغفلين، بل نوادر الظرفاء، وانظر مثلاً كتاب: البخلاء للخطيب البغدادي، وكتاب: أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي.

بل شق طريقاً في بعض كتب الطب كما فعل الطبيب المشهور أبو بكر الرازي محمد بن زكريا في كتابه الحاوي.

قال صالح أحمد العلي: (فبفضل عناية الرازي بذكر أسانيده في كتاب

(١) شرف أصحاب الحديث (١٠).

(الحاوي) العظيم، استطعنا أن نعرف أسماءَ وآراء، ومكانة عدد كبير جداً من الأطباء الإغريق، والسريان، والعرب، ما كنا لنعرف آراءهم، أو حتى أسماءهم لو لم يذكرهم الرازي في أسانيده)[1].

لقد كان للإسناد عند السلف قيمة وأهمية عند التلقي، فلا بد في أي كلمة منقولة من إسناد صحيح معتبر؛ لتأخذ حكمها، ووضعها المرسوم، فهذه الأسانيد هي معايير القبول، والرد، والتصحيح، والترجيح، ولهذا قرروا القاعدة المشهورة وهي: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل)[2] أو كما عبر عنها ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: (العلمُ إما نقل مُصَدَّق، وإما استدلال مُحقَّق)[3].

۞۞۞

إن الواجب على المسلم عند سماعه خبراً، أو قولاً -سواء كان هذا الخبر والقول صادراً عن شخص أو جهة، أو أي وسيلة تعنى بنقل الخبر وبثه: مكتوب، أو مرئي، أو مسموع- أن يسلك منهج التثبت والتبين وفق ما تقدم، فعليه:

**أولاً: النظر في إسناد الخبر:**

فلا يقبل خبر مجهول، أو مطعون فيه، وتفصيل ذلك في كتب المصطلح، وعلم الجرح والتعديل، فلا بد من تسمية القائل والناقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (من أراد أن ينقل مقالة عن طائفة، فليسم القائل والناقل، وإلا فكل أحد يقدر على الكذب)[4].

(١) مقاله: الرواية والأسانيد (٣٣) نقلاً عن عبد الفتاح أبو غدة: لمحات من تاريخ السنة (١٥٠)

(٢) انظر: عبد الفتاح أبو غدة: لمحات من تاريخ السنة (١٤٨-١٤٩)

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٥٥).

(٤) منهاج السنة (٢/٤١٣).

**ثانياً: الاطلاع والعلم بحال المخبر أو الناقل:**

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (إن أهل العلم أجمعوا على أن الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل، الصادق، المأمون على ما يخبر به)(1).

لذلك لا بد من اجتماع شرطين عند قبول خبر الناقل:

١ - **اتصافه بالعدالة:** مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

قال القرطبي -رحمه الله-: (وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجُرحة؛ لأن الله تعالى أمر بالتثبت قبل القبول، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم؛ فإن حكم الحاكم قبل التثبت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة)(2).

وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال ابن جرير -رحمه الله-: (وقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم)(3).

فالكافر والفاسق ليسا من أهل العدالة، والرضا عند نقل الأخبار وتحملها.

٢- **اتصافه بالضبط:** وهو الشرط الثاني في الراوي ليكون ثقة في خبره، والمقصود بالضبط أن يكون الناقل متيقظا غير مغفل، حافظاً إن حدث

(١) الكفاية (١٠٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣١٣/١٦).

(٣) جامع البيان (٦٢/٦).

من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، وإذا شارك الرواة المتقنين لم يخالفهم[1].

فقد يكون الراوي الرجل عدلاً مأموناً في دينه فيه خير وصلاح، لكنه غير ضابط لما ينقله، إما لسوء في حفظه، أو كثرة وهم، أو غفلة أو نسيان أو نحو ذلك.

فوصوف العدالة ليس شرطاً كافياً لقبول الخبر واعتماده، فلا بد من اجتماع وصف الضبط لدى الناقل هذا الوصف الذي يمنع الناقل من النسيان، أو الوهم، أو الخطأ.

وهناك شروط وضوابط أخرى وضعها علماؤنا الأبرار عند قبول الأخبار سبكوها ضمن علوم متخصصة كـ: علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل وعلم علل الحديث، وعلم الرجال ونحو ذلك.

۞۞۞

والتحديث بالأحاديث المتداولة دون تثبت، أو طلب لإسنادها، وبحث عن حال رواتها أمرٌ خطير؛ إذ هو ضرب من القول على الله بغير علم.

(قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (للناس أحاديث يتحدثون بها على أبواب دورهم ما سمعنا بشيء منها، وقد حرم الله علينا أن نقول عليه ما لم نعلم).

والقول على رسوله-ﷺ- قول عليه؛ لأن ما قاله الرسول-ﷺ- من أمر فالله أمرنا به، فلو كان قد قاله لكنا مأمورون به، ولا يجوز أن نقول: إن الله أمرنا ما لم نعلم أن الله أمرنا به، فكيف إذا لم يذكره عالم ولا عارف؟ فكيف إذا

(١) انظر: ابن الصلاح: علوم الحديث (٩٤)، والسيوطي: تدريب الراوي (٣٠١).

كان أهل المعرفة بالحديث يقطعون بأنه كذب موضوع؟! والعلم بذلك مسلم لأهله لهم فيه طرق، ومعارف يختصون ها كما يختص علماء الأحكام بالعلم بطرقها)[1].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الرد على البكري (١٢).

## المطلب الرابع
## اتباع مذهب السلف، أهل السنة والجماعة

السلف هم: السابقون، فسلف الأمة هم الصدر الأول من صحابة رسول الله -ﷺ- ومن سلك سبيلهم، خاصة أهل القرون المفضلة.

وقد ذهب الناس في تحديد السلف أهل السنة والجماعة مذاهب عدداً:

فمنهم: من يحدد ذلك بالناحية الزمانية.

ومنهم: من يحدد ذلك بالجانب المنهجي.

ووقع في أقوال كثير من هؤلاء خلط مقصود يراد به إدخالُ من ليس من السلف أهل السنة والجماعة فيهم.

وأولى ما رأيت من التعاريف، تعريف الإمام السفاريني - رحمه الله- إذ يقول: (المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شُهر بلقبٍ غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والكرامية، ونحو هؤلاء)[1].

وبهذا يتضح أن من سار على منهج هؤلاء المتقدمين، فهو سلفي من أهل السنة والجماعة، و من أعرض عن منهجهم، ولو تقدم في الزمان فليس منهم.

(١) لوامع الأنوار (١/٢٠).

**معنى أهل السنة في اصطلاح أهل العلم:**

إن حقيقة السنة هي الإسلام الذي جاء به رسولنا محمد-ﷺ-.

قال الإمام البربهاري -رحمه الله-: (اعلم أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة، وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً)(١).

وأهل السنة المراد بهم أهل التمسك بما كان عليه الرسول -ﷺ- ولذلك كان أئمة السلف في رسائلهم المؤلفة في قضايا الاعتقاد، يسمون العقيدة الصحيحة: (سنة).

قال سفيان بن عيينة -رحمه الله- تمهيداً لبيان أصول العقائد عند السلف: (السنة: عشرة، فمتى كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة)(٢).

وقال الإمام أحمد -رحمه الله- قبل بيانه لجملة من أصول عقائد السلف: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله -ﷺ-)(٣).

**وقد تضافرت النصوص في الأمر بالزوم السنة ومذهب السلف، فمن ذلك:**

**من الكتاب:**

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١) شرح السنة (٢١).
(٢) نقلاً عن اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥٥-١٥٦).
(٣) نقلاً عن المصدر نفسه (١/١٥٦).

والسلف إنما يتبعون الرسول -ﷺ- فمن أعرض عن مذهب السلف، فهم ممن شاق الرسول -ﷺ- ورؤوس المؤمنين وسادتهم هم السلف، فمن اتبع غير سبيل السلف فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، واستحق من الوعيد ما ذكر في الآية.

٢- وقوله -عز وجل-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم مقدمو السلف وقادتهم، فمن تبعهم بإحسان واقتدى بهم، فقد رضي الله عنه، ومن أعرض عن منهجهم واقتفى طريقاً غير طريقهم فقد حل عليه الغضب بدل الرضا.

ومن السنة:

٣- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ: تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينُهُ شهادته"[(١)].

والخيرية تقتضي أنهم أهل للاتباع والائتساء.

٤- وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢) برقم (٢٦٥٢) ومسلم (١٠٢٣) برقم (٢٥٣٣).

(٢) سبق تخريجه (٣٣).

فنهى -ﷺ- عن المحدثات، وأمر بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والنهي للتحريم، والأمر للوجوب.

٥- **ومن أقوال الصحابة** أنقل جملة من أقوال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-:

أ- (عليكم بتقوى الله وهذه الجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد -ﷺ- على ضلالة أبداً، وعليكم بالصبر حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر)(١).

ب-(عليكم بالطريق، فإن لزمتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن خالفتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)(٢).

ج- (عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق)(٣).

د- (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم)(٤).

هـ- (من كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب محمد -ﷺ- فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله -تعالى- لصحبة نبيه -ﷺ-

(١) رواه ابن بطة: الإبانة الكبرى (١/٣١٣-٣١٤).

(٢) رواه ابن بطة: الإبانة الكبرى (١/٣٣٢).

(٣) رواه الدارمي (١/٥٠) برقم (١٤٥) واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٨٧) برقم (١٠٨).

(٤) رواه الدارمي (١/٦١) برقم (٢١١) واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٨٦) برقم (١٠٤).

فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

٦- ومن أقوال السلف:

أ- قول الحسن البصري -رحمه الله -: (سنتكم -والله الذي لا إله إلا هو- بينهما: بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذاكم -إن شاء الله - فكونوا)[2].

ب- قول الأوزاعي -رحمه الله -: (اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم)[3].

ج- قول أبي العالية-رحمه الله -: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم -ﷺ- وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء)[4].

(١) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٩٧) برقم (٩٢٣) و (٢/١٩٧) برقم (٩٢٦).

(٢) رواه الدارمي: السنن (١/٢٩٦) برقم (٢٢٢) وقال محققه حسين أسد: (إسناده ضعيف المبارك بن فضالة يدلس، ويسوي، وقد عنعن ) ورواه المروزي: تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٧٨) برقم (٧٤٣) وابن القيم: إغاثة اللهفان (١/٧٠)

(٣) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٥٤) والآجري: الشريعة (٥٨).

(٤) رواه المروزي: السنة (٨) وابن بطة: الإبانة الكبرى (١/٣٣٨).

د- قول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله -: (أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه -ﷺ- وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من علم ما في خلافها من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم السابقون، وإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت: إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)[1].

إن المتأمل في مذهب السلف أهل السنة والجماعة، يجد أنهم أهل الحق؛ لأنهم أتباع رسول الله -ﷺ-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله -ﷺ- وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباعاً لها

(١) رواه أبو داود (٥٠٤) برقم (٤٦١٢) وابن وضاح: البدع والنهي عنها (٣٠).

تصديقاً وعملاً وحباً، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها)[1].

ويقول-رحمه الله-: (من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله -ﷺ- باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله -ﷺ- حيث قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "[2].

ويعلمون أن أصدق الكلام، كلام الله، وخير الهدى هدى محمد -ﷺ- ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد -ﷺ- على هدى كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين)[3].

وهم أهل الفهم الرشيد عن الله وعن رسوله -ﷺ- ولذلك تأتي أقوالهم على الاستقامة والسداد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد كلام عن اختلاف المبتدعة والمنحرفين: (وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور؛ تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد، والصحة والاطراد، وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح، وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يؤفك عنه من أفك، خارجاً عن موجب العقل والسمع، مخالفاً

(١) الفتاوى (٣/٣٤٧).

(٢) سبق تخريجه (٣٣).

(٣) الفتاوى (٣/١٥٧).

للفطرة والسمع)[1].

وأما أهل البدع والانحراف فليسوا على شيء، لا من جهة الاستدلال فهم يستدلون بالمتشابه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، ولا من جهة فهم ما استدلوا به، فغنهم ليسوا أهل فهم عن الله - عز وجل -.

قال الشاطبي-رحمه الله-: (وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة، يستدلون بالكتاب والسنة، يحمّلونها مذاهبهم، ويُغَبِّرون بمشتبهاتها على العامة، ويظنون أنهم على شيء)[2].

(فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي؛ مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم، والعمل)[3].

(١) الفتاوى (٥/٢١٢-٢١٣).

(٢) الموافقات (٣/٧٢).

(٣) المصدر نفسه.

## المطلب الخامس
## الأخذ عن العلماء

العالِم هو: العارف بشرع الله سبحانه، المتفقه في دينه، العامل بما يعلم على هدى وبصيرة، الذي وهبه الله الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والعالم هو: الذي جعله الله -عزّ وجلّ- عماد الناس عليه في الفقه والعلم، وأمور الدين والدنيا.

والعالم هو من: (فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء)(١).

والعالم هو من: أئمة الدين، الذين نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر، وكمال اليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والعالم هو من: الفرقة التي نَفّرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة، مهمة الإنذار ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (١/٧).

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والعالم هو من: هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم؛ حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، يقول -ﷺ-: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس"(١).

**أهمية العالم ومنزلته:**

لقد جعل الإسلام للعلماء منزلة رفيعة، ومقاماً ليس لغيرهم من الناس، وأقامتهم أدلاء على أحكام الله -عزَّ وجلَّ-، وهذا ينبني عليه أمران:

الأول: أن طاعتهم طاعة لله سبحانه ولرسوله -ﷺ- فالتزام أمرهم واجب.

الثاني: أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تبع لطاعة الله ورسوله -ﷺ-.

ومن أدلة هذه المنزلة وهذا الاعتبار للعلماء:

١ - قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد اختلف أهل العلم في المراد بقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ فمنهم من قال: هم أهل العلم، ومنهم من قال: هم الأمراء والسلاطين.

قال الجصاص الحنفي -رحمه الله-: (ويجوز أن يكونوا جميعاً مرادين بالآية؛ لأن الاسم يتناولهم جميعاً؛ لأن الأمراء يلون أمر تدبير الجيوش والسرايا، وقتال العدو، والعلماء يلون حفظ الشريعة، وما يجوز مما لا يجوز،

(١) سبق تخريجه (١٢٨).

فأمر الناس بطاعتهم والقبول منهم، ما عدل الأمراء والحكام، وكان العلماء عدولاً مرضيين، موثوقاً بدينهم، وأمانتهم فيما يؤدون)[1].

٢- أن الله أوجب الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل: قال سبحانه: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

فـ (ذلك أن السائل لا يصح له أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه؛ لأنه إسناد أمر إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا، بل لا يمكن في الواقع؛ لأن السائل يقول لمن ليس بأهل لما سئل عنه: أخبرني عما لا تدري، وأنا أسند أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء، ومثل هذا لا يدخل في زمرة العقلاء)[2].

قال الشاطبي -رحمه الله-: (فتاوي المجتهدين بالنسبة إلى العوام كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى المجتهدين، والدليل عليه أن وجود الأدلة بالنسبة إلى المقلدين وعدمها سواء إذ كانوا لا يستفيدون منها شيئاً، فليس النظر في الأدلة والاستنباط من شأنهم، ولا يجوز ذلك لهم ألبتة)[3].

فالعلماء بمثابة الأدلاء فبهم يعرف حكم الله، ويستعان بفهمهم لفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله -ﷺ- لا أن طاعتهم مقصودة لذاتها.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من

(١) أحكام القرآن (٣/١٧٠).

(٢) الشاطبي: الموافقات (٤/٢٦٢).

(٣) الموافقات (٤/٢٩٣).

غير نظر فيه، ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة، بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يُقلِّده به، ولذلك سمي تقليداً بخلاف ما استعان بفهمه، واستضاء بنور علمه في الوصول إلى الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول، فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره، فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى.

قال الإمام الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله -ﷺ- لم يكن له أن يدعها لقول أحد)[1].

٣- أن العلماء ورثة الأنبياء، وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر: فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[2].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (يعني: أنهم وَرثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خَلَفُوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله)[3].

٤- أن العلماء هم المبلغون عن الأنبياء: فقال -ﷺ-: "تَسْمَعُونَ، ويُسمع

(١) الروح (٣٥٦).

(٢) سبق تخريجه (٢٠٦).

(٣) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم (٤٦).

منكم، ويُسْمَعُ ممن سَمِعَ منكم"[1].

٥- العلماء هم هؤلاء المبلغون المستحقون لدعوة النبي -ﷺ-: "نَضَّرَ اللهُ امرأ سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه ربَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[2].

لقد جمع العلماء بين نقل أقوال الرسول -ﷺ- لمن بعدهم وفقه تلك الأقوال وفهمها، فالعالم حاملُ فقه وفقيه.

٦- وهم المعنيون بقوله -ﷺ-: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[3].

قال النووي -رحمه الله-: (وهذا إخبار منه -ﷺ- بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاء من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف وما بعده، فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه)[4].

(١) رواه أبو داود (٤٠٤) برقم (٣٦٥٩) وأحمد (١٠٣/٥) برقم (٢٩٤٤) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح) وابن حبان (٢٦٣/١) برقم (٦٢).

(٢) رواه أحمد من حديث زيد بن ثابت (٤٦٧/٣٥) برقم (٢١٥٩٠) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح) والترمذي (٤٣٠) برقم (٢٦٥٨) وقال: (حديث زيد بن ثابت حديث حسن ) وأبو داود (٤٠٤) برقم (٣٦٦٠) وابن ماجه (٤٠) برقم (٢٣٠) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: (٧٦٠/١) برقم (٤٠٤)

(٣) سبق تخريجه (١٣١).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١٧/١).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فأخبر أن الغالين يحرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة فلولا أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء)(١).

وقال المناوي -رحمه الله-: (وهذا إخبار منه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه وأنه تعالى يوفق له في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهذا من أعلام نبوته، ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم بأن الحديث، إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئاً)(٢).

٧- أن نجاة الناس منوطة بوجود العلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضَلُّوا، وأَضَلُّوا"(٣).

ضلوا بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله تعالى بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، وأضلوا الناس الذين اتبعوهم، وحينذاك يهلك الجميع.

وبناء على ما تقرر آنفاً من أن للعلماء اعتبار في الشريعة، فإنه لا بد من

(١) إغاثة اللهفان (١/١٥٩).

(٢) فيض القدير (٦/٣٩٦).

(٣) رواه البخاري (٤٥) برقم (١٠٠) ومسلم (١٠٧٢) برقم (٢٦٧٣).

التنبيه على أن السنة بينت أن اعتبار العلماء لا يعني: تقديس ذواتهم وأشخاصهم، فنصبح كبني إسرائيل الذين قال الحق في حقهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن" وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً، استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً، حرموه"(١).

قال الشاطبي -رحمه الله-: (فعلى كل تقدير لا يتبع أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة، قائم بحجتها، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلاً، وأنه من وجد متوجهاً غير تلك الوجهة في جزئية من الجزئيات، أو فرع من الفروع لم يكن حاكماً، ولا استقام أن يكون مقتدىً به فيما حاد فيه عن صوب

---

(١) رواه الترمذي (٤٩٢) برقم (٣٠٩٥) وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث ) والبيهقي: السنن الكبرى (١١٦/١٠) برقم (٢٠١٣٧) وحسنه الألباني: صحيح سنن الترمذي (٢٤٧/٤) برقم (٣٠٩٥) على أن الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر الحديث من رواية الترمذي نقل عنه قوله: (وقال -أي الترمذي-: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام ابن حرب وعطيف بن أعين ليس بمعروف) تخريج أحاديث الكشاف (٦٦/٢) رواه الترمذي (٤٩٢) برقم (٣٠٩٥) والبيهقي: السنن الكبرى (١١٦/١٠) برقم (٢٠١٣٧).

الشريعة البتة)[1].

والطاعة المطلقة للعلماء هي التي ذم الله بها بني إسرائيل بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

فالحق بين طرفين:

- طرف لا يعتبر للعلماء منزلة.

- وطرف يطيعهم طاعة مطلقة.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (إذا ثبت أن الحق هو المعتبر دون الرجال، فالحق أيضاً لا يعرف دون وسائطهم، بل بهم يتوصل إليه، وهم الأدلاء على طريقه)[2].

**وجوب الأخذ عن العلماء:**

إنه إذا تقرر أن للعلماء منزلة ومكانة واعتباراً في الشريعة، فإن من الواجب السعي إليهم، والأخذ عنهم، فهم ورثة الأنبياء، فمن أراد أن ينال شيئاً من إرث النبوة فعليه بمجالسة العلماء، والأخذ عنهم، والآخذ عن العلماء السالك في طريق العلم يسهل الله له طريقاً إلى الجنة.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"[3].

والصدور عن رأي العلماء علامة خير ورشد قال سلمان الفارسي -رضي الله عنه-:

(١) الاعتصام (٢/٨٦٠).

(٢) الاعتصام (٢/٨٨٠).

(٣) سبق تخريجه (٤٩).

(لا يزال الناس بخير ما بقي الأول؛ حتى يتعلم، أو يعلم الآخر، فإن هلك الأول قبل أن يعلم، أو يتعلم الآخر هلك الناس)[1].

وسنة التلقي عن أهل العلم سنة ماضية حضَّ عليها الرسول -ﷺ- فقال: "تَسْمَعُونَ، ويُسمع منكم، ويُسْمَعُ ممن سمع منكم"[2].

فبين -ﷺ- أن هذا العلم يؤخذ بالتلقي، وكل جيل من أهل العلم يُبَلغهُ لمن بعده.

ولقد فقه السلف -الصحابة ومن بعدهم- هذا المنهج في التلقي فكان حرصهم كبيراً على التلقي أهل العلم.

عن أبي جحيفة -رضي الله عنه- قال: (كان يقال: جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالط الحكماء)[3].

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: (من فقه الرجل: ممشاه، ومدخله، ومخرجه، مع أهل العلم)[4].

وقال عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: (كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه)[5].

---

(١) أخرجه الدارمي (١/٧٨).

(٢) سبق تخريجه (٣٥٧).

(٣) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (١/١٢٦).

(٤) المصدر نفسه (١/٤٩).

(٥) الرامهرمزي: المحدث الفاصل (٢٠٦).

وقال ميمون بن مهران -رحمه الله-: (العلماء هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء)(١).

وقال ابن ماجة القزويني-رحمه الله-: (جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل، فبينا هو عنده، إذْ مَرَّ الشافعيُّ على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه، وتبعه، فأبطأ، ويحيى جالس، فلما جاء، قال يحيى: يا أبا عبد الله، كم هذا؟ فقال: دع عنك هذا؟ إن أردت الفقه، فالزم ذنب البغلة)(٢).

إن الكتب لا تغني عن أحد ما لم يكن ثمة حملة صادقون لها؛ إذ لو أغنت الكتب عن أحد لأغنت عن بني إسرائيل.

فعن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "خذوا العلم قبل أن يذهب " قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله، وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب -لا يغضبه الله- ثم قال: "ثكلتكم أمهاتكم، أو لم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل، فلم يغنيا عنهم شيئاً، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته"(٣).

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: "هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شيء "فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا، وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: "ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود

(١) المصدر نفسه (٢٠٦).

(٢) رواه الذهبي: السير (١٠/٨٦-٨٧).

(٣) رواه الدارمي (١/٦٨) برقم (٢٤٦) وقال حسين سليم أسد (إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، ولكنه حديث حسن بشواهده).

والنصارى فماذا تغني عنهم؟"[1].

فذهاب العلم إذن ليس بذهاب الكتب،وإنما هو بذهاب العلماء.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أتدرون ما ذهاب العلم؟) قالوا: لا، قال: (ذهاب العلماء)[2].

إن الاقتصار بالتلقي عن الكتب فقط يحرم المتلقي من أموراً عظيمة منها:

- الاقتداء بسلفه من أهل العلم، فإنَّ أهل العلم لم يكن بعضهم يأخذ عن بعض العلم فقط، بل كانوا يأخذون السمت والخلق، قال ابن سيرين -رحمه الله-: (كانوا يتعلمون الهدي، كما يتعلمون العلم)[3].

- ومنها: الفهم السليم؛ ذلك أن من تعلم من الكتب غالباً ما يفضي به ذلك إلى ضروب من سوء الفهم، ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام)[4].

وقيل للإمام أبي حنيفة -رحمه الله -: في مسجد كذا حلقة يتناظرون في الفقه فقال: (ألهم رأس؟) قالوا: لا قال: (لا يفقهون أبداً)[5].

وقال بعض السلف: (من أعظم البلية، تشيُّخ الصحيفة)[6].

أي: الأخذ والتعلم من الصحف، أي: الأوراق والكتب.

(١) أخرجه الترمذي (٤٣٠) برقم (٢٦٥٣) وقال (حديث حسن غريب) والدارمي (١/٧٥).

(٢) رواه الدارمي (١/٦٨) برقم (٢٤٩).

(٣) رواه الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي (١/٧٩)

(٤) ذكره ابن جماعة: تذكرة السامع (٨٧).

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (١/١٣٩).

(٦) نقلاً عن ابن جماعة: تذكرة السامع (٨٧).

- ومنها: الأدب، وخصوصاً أدب التواضع فإن من الملاحظ أن من أخذ عن الكتب فقط تعالى على أهل العلم ورأى لنفسه من المنزلة ما ليس لهم.

إن الابتعاد عن هذا المنهج الرشيد في تلقي العلم عن العلماء والصدور عن أقوالهم خاصة عند الفتن والنوازل؛ أوقع الخوارج في المحظور، فسفكوا الدم الحرام، فكان سمة الخوارج الاعتراض على أجلة العلماء: صحابة رسول الله -ﷺ- يرفضون أقوالهم، بل ويتبرأون منهم، ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم، وكذلك فعل أتباعهم في كل حين إلى عصرنا الحاضر، إمامهم في ذلك ذو الخويصرة حيث اعترض على النبي -ﷺ- فقال له: (يا محمد اعدل..)[1].

إن اهتداء المرء موكول باعتصامه بالكتاب والسنة،واعتصامه بالكتاب والسنة موكول باقتدائه بأهل العلم بالكتاب والسنة.

إن المتلقي عن غير العلماء يقع في الانحراف ثم غالباً ما يعتذر بالجهل، ولكن هذا لا يمهد العذر له إذ إن جهل المرء لا يعفيه من تبعات الوقوع في الخطأ والانحراف، بل يلزمه إذا كان جاهلاً أن يسأل أهل العلم:

يقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] فأمر عند عدم العلم بسؤال أهل الذكر؛ لأنهم الأدلاء على حكم الله وحكم رسوله -ﷺ-.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات،

(١) سبق تخريجه (٦٧).

فلما قدمنا على النبي -ﷺ- أخبر بذلك، فقال: "قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال"[1] الحديث.

إن عدم اعتبار العلماء، يقابله الأخذ عن غير الأكفاء، ومن العوام والجهلاء، وإذا وقع ضل الناس.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضَلُّوا، وأَضَلُّوا"[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يَدرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل)[3].

وحتى تقع العصمة من ذلك الضلال والإضلال، وجب التبرؤ من الأخذ عن الجهال، وأغرار الناس، والانصراف إلى أهل العلم الذين يستحقون التصدر، والأخذ والتلقي عنهم.

وإذا عرف الناس للعلماء منازلهم؛ أثمر ذلك ثمرات جليلة منها:

١ - أن تكون اعتقاداتهم وأعمالهم على وفق شرع الله -عز وجل- في الجملة؛

(١) أخرجه أبو داود (٦٢) برقم (٣٣٦) وابن ماجه (٧٣) برقم (٥٧٢) وقال الألباني: (حسن لغيره) المشكاة (١/١٦٥) برقم (٥٣١) أخرجه أبو داود (٦٢) برقم (٣٣٦) وابن ماجه (٧٣) برقم (٥٧٢).

(٢) سبق تخريجه (٣٥٨).

(٣) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (١/١٥٥).

لأن العلماء بعلمهم أضاؤوا الطريق للسالكين، فدلوهم على الحق[1].

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضل الهداة"[2].

٢- توحيد الصف واجتماع الكلمة؛ لأن الناس إذا لم يكن من يقودهم في العلم والعمل، تفرقوا وتشتت أمرهم، فإذا كانوا تبعاً لعلمائهم، وتوحد صفهم، واجتمعن كلمتهم.

٣- غياب كثير من أسباب الانحراف؛ إذ قد ثبت أن أهم موارد الانحراف عائد إلى الجهل، فإذا رجع الناس إلى العلماء، وصدروا عن أقوالهم، فقد غوَّروا منابع الانحراف، وقطعوا موارده، وقد عصمهم الله من الانحراف والزيغ؛ لائتمارهم بأمره سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

(١) ويروى في ذلك حديث ضعيف عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضل الهداة". أخرجه أحمد (١٨٥/٢٥) برقم (١٢١٣٩) قال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف جداً) وضعفه الألباني: السلسلة الضعيفة (٧٩٥/١٢) برقم (٥٨٧٤) ومع ذلك فإنه صحيح المعنى.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥/٢٥) برقم (١٢١٣٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف جداً) ومع ذلك فإنه صحيح المعنى.

## المطلب السادس
## حسن الفهم

إن (صحة الفهم، وحسن القصد: من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم: نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى)[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم أحدهما: فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات، والعلامات؛ حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (١/٨٧-٨٨).

بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين، أو أجراً، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، وكما توصل سليمان -ﷺ- بقوله: (ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما) إلى معرفة عين الأم، وكما توصل أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله للمرأة التي حملت كتاب حاطب لما أنكرته: (لتخرجن الكتاب أو لنجردنك) إلى استخراج الكتاب منها، وكما توصل الزبير بن العوام بتعذيب أحد ابني أبي الحقيق بأمر رسول الله -ﷺ- حتى دلهم على كنز جبي لما ظهر له كذبه في دعوى ذهابه بالإنفاق بقوله: (المال كثير والعهد أقرب من ذلك)[1].

و(درجات الفهم متفاوتة في الناس أعظم تفاوت فإن قوى الأذهان كقوى الأبدان، والناس متفاوتون في هذا وهذا تفاوتاً لا ينضبط.

وقد سئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هل خصكم رسول الله -ﷺ- بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة، وكان فيها العقل أي الديات، وفكاك الأسير[2].

وكان أبو بكر الصديق أفهم الأمة لكلام الله ورسوله -ﷺ- ولهذا لما أشكل على عمر مع قوة فهمه قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقول النبي -ﷺ- للصحابة: "إنكم تأتونه وتطوفون به" فأورده عليه عام الحديبية، فقال له الصديق: أقال لك إنك تأتيه العام؟

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧) برقم (١١١).

قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به[1].

فأجابه بجواب النبي -ﷺ-.

وأشكل عليه قتال الصديق لمانعي الزكاة، وقد قال النبي -ﷺ-: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم" فقال: ألم يقل إلا بحقها فإيتاء الزكاة من حقها[2].

ولما أخبرهم -ﷺ-: "إن عبداً خيره الله بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عند الله" بكى أبو بكر وقال: نفديك بأبنائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله -ﷺ- هو المخير، وكان أبو بكر أعلم الأمة به[3].

وكذلك فهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس من سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] أنها إعلام لرسول الله -ﷺ- بحضور أجله[4].

ولذلك كان الصحابة أعلم الأمة على الإطلاق، وبينهم وبين من بعدهم في العلم واليقين، كما بينهم وبينهم في الفضل والدين.

ولهذا كان ما فهمه الصحابة من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم فانضاف حسن قصدهم إلى حسن فهمهم، فلم يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر، ولا يحفظ عنهم في ذلك

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢)

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣) برقم (١٣٩٩، ١٤٠٠) ومسلم (٤٢) برقم (٢٠) وانظر: الخطيب البغدادي: الفقه والمتفقه (١/١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠) برقم (٣٩٠٤) ومسلم (٩٧١) برقم (٢٣٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٣) برقم (٣٦٢٧).

خلاف، لا مشهور، ولا شاذ، فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه، وساء قصده، وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم، وفساد القصد، وقد يجتمعان وقد ينفردان، وإذا اجتمعا تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرم الله منهم.

وإذا تأملت أصول المذاهب الفاسدة رأيت أربابها قد اشتقوها من بين هذين الأصلين)[1].

ولذلك (إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم، وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود.

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[2] حدثنا أبو كريب قال أنبأنا جابر بن نوح أنبأنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال: قال عبد الله يعنى ابن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناوله المطايا لأتيته.

وقال الأعمش أيضاً عن أبى وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن؛ حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[3].

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٥٠٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١/٨٠).

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٣/٣٦٤).

فالصحابة -رضوان الله عليهم جميعاً- آتهم الله فهماً حسناً، فتدبروا القرآن حق تدبره، كيف لا يكون ذلك وقد علموا أن الله تعالى أمر وحض على تدبر القرآن الكريم؟! فالقرآن ما أنزل إلا ليتفهم وليتدبر.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١-٢] فأخبر أنه أنزله ليعقلوه وأنه طلب تذكرهم.

وقال أيضاً ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] (فحض على تدبره، وفقهه وعقله، والتذكر به والتفكر فيه، ولم يستثن من ذلك شيئاً، بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه، مثل قوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ومعلوم أن نفى الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفه ما لم يتدبر لما تدبر.

وقال علي -رضي الله عنه- لما قيل له: هل ترك عندكم رسول الله شيئاً؟ فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة[1].

فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الأمة، والفهم أخص من العلم والحكم، قال الله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

(١) سبق تخريجه (٣١٨).

وقال النبي -ﷺ-: "رب مبلغ أوعى من سامع"(١).

وقال -ﷺ-: "بلغوا عني، ولو آية"(٢).

وأيضاً فالسلف من الصحابة، والتابعين، وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها)(٣).

ولما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أحسن الناس عقيدة، كانوا أحسن الناس فهماً للقرآن الكريم، وذلك؛ لأن (الناس يتفاضلون في فهم الكلام بحسب ما يخص الله به كل واحد منهم من قوة الفهم وحسن العقيدة.

ولهذا لما وصف الله النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً -والرهبان من الرهبنة- وأنهم لا يستكبرون كانوا بذلك أقرب مودة إلى الذين آمنوا كما قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

فلما كان فيهم رهبة وعدم كبر كانوا أقرب إلى الهدى فقال في حق المسلمين منهم ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

قال ابن عباس: مع محمد وأمته،وهم الأمة الشهداء)(٤).

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري (٣٨) برقم (٦٧) ومسلم (٦٩٥) برقم (١٦٧٩).

(٢) سبق تخريجه (٤٤).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٣).

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦٢٧/٧).

إن الوحي كما هو الأصل العلمي للسلامة من الضلالات والانحرافات والشبهات، فإن الأخذ بشقه الأول: القرآن إنما هو على أصوله من جهة الفهم لنصوص الكتاب العزيز.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فآياته شاهدة بصدقه، وهو شاهد بصدق رسوله بآياته، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الدليل والمدلول عليه، فهو الدليل بنفسه على نفسه.

كما قال بعض العارفين: كيف أطلب لدليل على من هو دليل على كل شيء.

فأي دليل طلبته عليه فوجده أظهر منه، ولهذا قال الرسل لقومهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] فهو أعرف من كل معروف وأبين من كل دليل فالأشياء عرفت به في الحقيقة، وان كان عرف بها في النظر والاستدلال بأفعاله وأحكامه عليه)(١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحكم والدليل، وهو الدعوة والبينة، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] أي من ربه وهو القرآن وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ

(١) الفوائد (٢١).

ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١-٥٢].

فأخبر سبحانه أن الكتاب الذي أنزله على رسوله -ﷺ- يكفي عن كل آية، ففيه الحجة والدلالة على أنه من الله، وأن الله سبحانه أرسل به رسوله -ﷺ- وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة، وينجيه من العذاب ثم قال: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فإذا كان الله سبحانه عالماً بجميع الأشياء كانت شهادته أصدق شهادة وأعدلها، فإنها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به، فيكون الشاهد به أعدل الشهداء وأصدقهم، وهو سبحانه يذكر علمه عند شهادته، وقدرته وملكه عند مجازاته، وحكمته عند خلقه، وأمره ورحمته عند ذكر إرسال رسوله، وحلمه عند ذكر ذنوب عباده ومعاصيهم، وسمعه عند ذكر دعائهم ومسألته، وعزته وعلمه عند قضائه وقدره.

فتأمل ورود أسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والأمر والثواب والعقاب)[1].

(١) مدارج السالكين (٣/٤٦٩).

## المطلب السابع
## قيام العلماء بواجبهم

لقد اعتبرت الشريعة الإسلامية للعلماء منزلةً ليست لغيرهم من الناس، وجعلت لهم مقاماً رفيعاً، وأقامتهم أدلاء للناس على أحكام الله -عز و جل-.

وهذا ينبني عليه أمران:

الأول: أن طاعتهم طاعة لله سبحانه ولرسوله -ﷺ- فالتزام أمرهم واجب.

الثاني: أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تبع لطاعة الله ورسوله-ﷺ-.

فالعلماء هم (فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء)[1].

وهم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم؛ حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، يقول -ﷺ-: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس"[2].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (وأما هذه الطائفة:

فقال البخاري: هم أهل العلم.

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (١/٧).

(٢) سبق تخريجه (١٢٨).

وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت -أي النووي-: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم: شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

وفى هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي -ﷺ- إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث)[1].

وأياً ما كان القول في هذه الطائفة، فإن من المتفق عليه أن العلماء هم رؤوسها المقدَّمون فيها، وغيرهم من الناس تبع لهم.

وهم رأس الجماعة التي أمرنا بلزومها، وحذرنا من مفارقتها، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة"[2].

والمحصل من أقوال أهل العلم في معنى الجماعة قولان:

القول الأول: أن الجماعة: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على الإمام الشرعي.

القول الثاني: أن الجماعة هي: المنهج والطريقة، فمن كان على هدي النبي

(١) شرح صحيح مسلم (١٣/٦٧).

(٢) سبق تخريجه (٤٦).

-ﷺ- وصحبه، والسلف الصالح، فهو مع الجماعة[1].

وعلى القولين، فإن رأس كيان هذه الجماعة هم العلماء، فهم الذين يعقدون للإمام البيعة، وطاعته تبع لطاعتهم، وهم الأدلاء على المنهج والطريقة لعلمهم بهدي النبي -ﷺ- وصحبه والسلف الصالح.

ولذلك يسوق الإمام الآجري -رحمه الله- في باب: لزوم الجماعة، جملة من الآيات والأحاديث ثم يقول: (علامة من أراد الله عز وجل به خيراً: سلوك هذه الطريق: كتاب الله -عز وجل- وسنن رسول الله -ﷺ- وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان -رحمة الله تعالى عليهم- وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء - مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء)[2].

إن (مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون، وهم المراد بقوله -أي البخاري-: وهم أهل العلم)[3].

والعلماء وإن غابت شخصهم، فآثارهم موجودة، قال عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة)[4].

ويستدل على أهمية وخطورة دور العالم تجاه أمته من خلال بيان ما أعطته

(١) ينظر عبد الرحمن اللويحق: مفهوم جماعة المسلمين (١٨).

(٢) الشريعة (١٤).

(٣) ابن حجر: فتح الباري (٣١٦/١٣).

(٤) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٦٨/١).

الشريعة من مكانة، هذه المكانة التي ما كانت لتعطى له، لولا أن له دوراً محورياً وهاماً في حياة الخلق بتحقيق مصالحهم في العاجل والآجل.

فطلب الله -تعالى- من الخلق طاعتهم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد اختلف أهل العلم في المراد بقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ فمنهم من قال: هم أهل العلم، ومنهم من قال: هم الأمراء والسلاطين.

قال الجصاص الحنفي -رحمه الله-: (ويجوز أن يكونوا جميعاً مرادين بالآية؛ لأن الاسم يتناولهم جميعاً؛ لأن الأمراء يلون أمر تدبير الجيوش والسرايا، وقتال العدو، والعلماء يلون حفظ الشريعة، وما يجوز مما لا يجوز، فأمر الناس بطاعتهم والقبول منهم، ما عدل الأمراء والحكام، وكان العلماء عدولاً مرضيين، موثوقاً بدينهم، وأمانتهم فيما يؤدون)[1].

كما أوجب الله الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل، فقال سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

فـ (ذلك أن السائل لا يصح له أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه؛ لأنه إسناد أمر إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا، بل لا يمكن في الواقع؛ لأن السائل يقول لمن ليس بأهل لما سئل عنه: أخبرني عما لا تدري، وأنا أسند أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء، ومثل هذا لا يدخل في زمرة العقلاء)[2].

(١) أحكام القرآن (٣/١٧٠).

(٢) الشاطبي: الموافقات (٤/٢٦٢).

قال الشاطبي -رحمه الله-: (فتاوي المجتهدين بالنسبة إلى العوام كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى المجتهدين، والدليل عليه أن وجود الأدلة بالنسبة إلى المقلدين وعدمها سواء إذ كانوا لا يستفيدون منها شيئاً، فليس النظر في الأدلة والاستنباط من شأنهم، ولا يجوز ذلك لهم ألبتة)[1].

فالعلماء بمثابة الأدلاء فبهم يعرف حكم الله، ويستعان بفهمهم لفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله -ﷺ- لا أن طاعتهم مقصودة لذاتها.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه، ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة، بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يُقلِّده به، ولذلك سمى تقليداً.

بخلاف ما استعان بفهمه، واستضاء بنور علمه في الوصول إلى الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول، فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره، فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى.

قال الإمام الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله -ﷺ- لم يكن له أن يدعها لقول أحد)[2].

والعلماء هم ورثة الأنبياء، فهم يرثون: علمهم، ودورهم في صيانة الأمة وتحصينها من الانحراف والضلال، وردع أهل الباطل بالحجة والبيان.

---

(١) الموافقات (٤/٢٩٣).

(٢) الروح (٣٥٦).

فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(١).

قال ابن رجب -رحمه الله-: (يعني: أنهم وَرثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خَلَفُوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله، والذود عن دين الله)(٢).

والعلماء هم المبلغون عن الأنبياء والرسل: فقال -صلى الله عليه وسلم-: "تَسْمَعُونَ، ويُسمع منكم، ويُسْمَعُ ممن سمع منكم"(٣).

فبين -صلى الله عليه وسلم- أن هذا العلم يؤخذ بالتلقي، وكل جيل من أهل العلم يُبَلغهُ لمن بعده. وهؤلاء المبلغون هم المستحقون لدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-: "نَضَّرَ اللهُ امرأ سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(٤).

ولقد جمع العلماء بين نقل أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمن بعدهم، وفقه تلك الأقوال وفهمها، فالعالم حاملُ فقه وفقيه.

ونجاة الناس منوطة بوجود العلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا: فعن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

(١) سبق تخريجه (٢٠٦).

(٢) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم (٤٦).

(٣) سبق تخريجه (٣٥٦-٣٥٧).

(٤) سبق تخريجه (٣٥٧).

يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضَلُّوا، وأَضَلُّوا"[1].

ضلوا بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله تعالى بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، وأضلوا الناس الذين اتبعوهم، وحينذاك يهلك الجميع.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يَدرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل)[2].

كما أن فقد العالم -حسياً كان أم معنوياً- مؤذنٌ بضلال وزيغ كما حصل لمن قبلنا من أهل الكتاب، فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: "هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شيء" فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا، وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: "ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟"[3].

فذهاب العلم إذن ليس بذهاب الكتب، وإنما هو بذهاب العلماء مصداقاً لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنّ ذهاب العلم أن يذهب حملته"[4].

(١) سبق تخريجه (٣٥٨).

(٢) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (١/١٥٥).

(٣) سبق تخريجه (٣٦٣).

(٤) سبق تخريجه (٣٦٣).

إن من أظهر مهام العالِم تعليم الناس والدعوة إلى دين الله تعالى، وبيان العلم وعدم كتمانه، ويزداد هذا تأكيد هذا الأمر حين تحتاج الأمة إلى بيان أمر جلل نزل بساحتها يحتاج الناس إلى بيان حكمه وتوضيح خطره.

إنه الميثاق الذي أخذه الله عليهم حين قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من كتم علماً؛ تلجم بلجام من نار يوم القيامة"[1].

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: (وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا

(١) أخرجه ابن حبان (١/٢٩٧) برقم (٩٥) قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط الصحيح) وأحمد (١٣/١٧) برقم (٧٥٧١) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح) وفي المسند أيضاً: (١٣/٤١٦) برقم (٨٠٤٩) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونوا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق)[1].

لقد ثبت أن عدم قيام بعض أهل العلم ببعض ما أوجب الله عليهم، دفع فئاماً من القاصرين علماً وقدراً إلى ملء هذه المنزلة، والتصدي لما هم ليسوا من أهله.

إن واجب أهل العلم أوسع من أن يُجمل القول فيه في صفحات لكن أهم ما يجب أن يطرح هنا أن يتصدى العلماء لمظاهر الانحراف الفكري، بمعالجتها بما لا يمكن أن يقوم به غيرهم من الناس، وهذا يكون بأمور:

١- تعليم الناس وتوجيههم؛ لتحقيق الحصانة الفكرية العلمية في المجتمع المسلم من مظاهر الزيغ والانحراف.

٢- الجهر بمنهج الاعتدال في الإسلام، وألا يكون أهل الانحراف والابتداع أرفع صوتاً بانحرافهم، وابتداعهم من أهل الحق والخير والعلم.

٣- الاحتساب على المنحرفين، بنهيهم عن انحرافهم، ومحاورتهم، وكشف عوارهم للناس، والرد عليهم بالتأليف والكتابة، وغيرها من الوسائل المناسبة.

٤- حسم القضايا التي يطرحها المنحرفون، وبيان المنهج الحق فيها من مثل قضايا التكفير، وقضايا الأسرة والمرأة ونحو ذلك.

٥- معالجة موارد الانحراف، بقطع تلك الموارد والأسباب، ورأس ذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٦٠).

الجهل، فيجتهد العلماء في رفع جهل الجاهلين، ثم يتبع ذلك الأسباب الأخرى المتعلقة بالبيئة والظروف العامة في المجتمعات المسلمة.

إن قيام العالِم بمهامه ودوره يقطع على المتطاولين الطريق، ويمنع دعاة الضلالة من بث سمومهم وأضاليهم، ويحمي الأمة ككل من الزيغ والانحراف، والتيه والضياع.

## المطلب الثامن
## السؤال عما أشكل، وترك السؤال المذموم

إن الإنسان لم يخلق عالماً يعرف كل شيء، أو لا يجهل شيئاً، وإنما خلقه الله وأخرجه إلى الدنيا لا يعلم شيئاً، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

ولما كان الإنسان في بداية أمره على هذه الحال، فقد حث الشرع الحكيم على سلوك طريق العلم، والبحث والسؤال عنه، بل ووعد سالك هذا السبيل بأن يسهل له طريق الجنة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"(١).

كما أمر بسؤال أهل العلم فيما يجهله المرء، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣ ].

وأمر برد ما يجهله العبد إلى أهل العلم الذي يعرفون الاستنباط من الأدلة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) سبق تخريجه (٤٩).

وها هو الرسول -ﷺ- ينهى عن الفتوى بغير علم، ويأمر بالسؤال فيما يشكل على العبد ويتحير فيه، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر في رأسه، فشجه، ثم احتلم، فقال لأصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء ؛ فاغتسل، فمات؛ فلما قدمنا على النبي -ﷺ- أخبر بذلك، فقال: "قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال؛ إنما كان يكفيه أن يتيمم، أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده"(1).

قال الخطابي -رحمه الله: (في هذا الحديث من العلم أنه عابهم بالفتوى بغير علم وألحق بهم الوعيد بأن دعا عليهم، وجعلهم في الإثم قتلة له)(2).

لذلك حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- رجالاً ونساء على سؤال رسول الله -ﷺ- فيما يشكل عليهم من أمر الدين، حتى وإن كان مما يستحيا منه فهذه أم سليم سألت رسول الله -ﷺ- عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل " فقالت أم سليم: واستحييت من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟ فقال نبي الله -ﷺ-: "نعم فمن أين يكون الشبه؟ إن ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمِن أيهما علا، أو سبق يكون منه الشبه"(3).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (في هذا الحديث بيان ما كان عليه نساء

---

(1) سبق تخريجه (٣٦٥).

(2) معالم السنن (١/٢٠٨).

(3) أخرجه مسلم (١٤٤) برقم (٣١١).

ذلك الزمان من الاهتمام بأمر دينهم والسؤال عنه، وهذا يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئاً من دينه أن يسأل عنه، قال رسول الله -ﷺ-: "شفاء العي السؤال".

وقالت عائشة: رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن.

وأم سليم من فاضلات نساء الأنصار)[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (وهكذا المؤمن مهتبل بأمر دينه فهو رأس ماله، كما قال الحسن: رأس مال المؤمن دينه لا يخلفه في الرحال، ولا يأتمن عليه الرجال)[2].

وهذه سبيعة الأسليمة -رضي الله عنها- بعد أن وضعت حملها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل فقال لها: ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح، فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت، وأتيت رسول الله -ﷺ- فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي[3].

يستفاد من هذا الحديث مباشرة المرأة السؤال عما ينزل بها ولو كان مما يستحي النساء من مثله[4].

(١) التمهيد (٨/٣٣٨).

(٢) الاستذكار (١/٣٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٨) برقم (٣٩٩١) ومسلم (٦٠٠) برقم (١٤٨٤).

(٤) فتح الباري (٩/٤٧٥).

وهذا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: كنت رجلاً مذاء، وكنت أستحيي أن أسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود، فسأله، فقال: "يغسل ذكره ويتوضأ"(١).

ومما يدل على حرص الصحابة على السؤال فيما أشكل عليهم؛ حتى مع شدة غضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- أن عويمراً العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلاً وجَد مع امرأته رجل أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسأل عاصم عن ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسائل وعابها؛ حتى كبُر على عاصم ما سمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر، فقال: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير؛ قد كره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسألة التي سألته عنها.

قال عويمر: والله لا أنتهي؛ حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسط الناس، فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتلُه فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قد أنزل الله فيك، وفي صاحبتك، فاذهب فأت بها"(٢) الحديث.

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وفيه أن المحتاج إلى المسألة من مسائل العلم لا يردعه عن تفهمها غضب العالم وكراهيته لها؛ حتى يقف على الثلج

(١) أخرجه البخاري (٥١) برقم (١٣٢) ومسلم (١٤٢) برقم (٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٠) برقم (٥٢٥٩) ومسلم (٦٠٤) برقم (١٤٩٢).

منها، وفيه أن السؤال عما يلزم علمه من أمر الدين واجب في المحافل وغير المحافل، وأنه لا حياء يلزم فيه، ألا ترى إلى قوله فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله -ﷺ- وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟)[(١)].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (إن المحتاج إلى معرفة الحكم لا يرده كراهة العالم لما سأل عنه ولا غضبه عليه ولا جفاؤه له بل يعاود ملاطفته إلى أن يقضي حاجته، وإن السؤال عما يلزم من أمور الدين مشروع سراً وجهراً، وأن لا عيب في ذلك على السائل ولو كان مما يستقبح)[(٢)].

ولهذا يستحب للعبد السؤال عما يستفاد به علم أو أدب أو بيان حكم أو رفع شبهة وقد يجب[(٣)].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (إن أحدكم لا يزال بخير ما اتقى الله -عز وجل- وإذا حاك في صدره شيء أتى رجلاً عالماً، فسأله فشفاه منه، وأيم الله ليوشك أن لا تجدوه)[(٤)].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئاً من أمر دينه أن يسأل عنه)[(٥)]

(١) التمهيد (٦/١٩٠).
(٢) فتح الباري (٩/٤٦٢).
(٣) ينظر: فتح الباري (٩/٤١٤).
(٤) أخرجه ابن الجعد: المسند (٣٨٠) برقم (٢٥٩٨) وابن أبي شيبة: المصنف (١٣/٣٠٤) برقم: (٣٥٧١٨).
(٥) الاستذكار (١/٢٩٣).

فالجاهل لا يعذر، وإنما يلزمه السؤال عما لا يعرفه وعلى ذلك كان السلف -رضي الله عنهم أجمعين-.

ويقول ابن باز -رحمه الله-: (فالواجب على الرجال والنساء من المسلمين التفقه في الدين، والسؤال عما أشكل عليهم، وعدم السكوت على الجهل، وعدم الإعراض، وعدم الغفلة؛ لأنهم خلقوا ليعبدوا الله ويطيعوه سبحانه وتعالى ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم، والعلم لا يحصل بالغفلة والإعراض، بل لا بد من طلب للعلم، ولا بد من السؤال لأهل العلم حتى يتعلم الجاهل)[١].

إن العلم خزائن ومفتاحها السؤال، وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور. فمن استشكل شيئاً فكتاب الله يكفيه ويشفيه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فلا يخرج مرضه -أي القلب- عن شهوة، أو شبهة أو مركب منهما، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل، ودواؤها العلم كما قال النبي ﷺ في حديث صاحب الشجة الذي أفتوه بالغسل فمات: "قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا! إنما شفاء العي السؤال"[٢].

فجعل العي -وهو عي القلب عن العلم واللسان عن النطق به- مرضاً وشفاؤه سؤال العلماء، فأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان؛ لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم؛ ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٩/٤٠٠).

(٢) سبق تخريجه (٣٦٥).

مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

ولهذا السبب نسبة العلماء إلى القلوب كنسبة الأطباء إلى الأبدان، وما يقال للعلماء أطباء القلوب فهو لقدر ما جامع بينهما، وإلا فالأمر أعظم، فإن كثيراً من الأمم يستغنون عن الأطباء، ولا يوجد الأطباء إلا في اليسير من البلاد، وقد يعيش الرجل عمره أو برهة منه لا يحتاج إلى طبيب، وأما العلماء بالله وأمره، فهم حياة الموجود وروحه، ولا يستغنى عنهم طرفة عين)[1].

ولما كان العلماء بهذه الأهمية في حياة العباد توعد الله سبحانه وتعالى من كتم ما آتاه الله من هذا العلم بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال النبي -ﷺ-: "من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"[2].

وأخبر الله تعالى أنهم يستحقون لعنة اللاعنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (كما أن العالم يستغفر له كلّ شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء الذين يكتمون، فيلعنهم الله،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١١١).

(٢) أخرجه الحاكم: المستدرك (١/١٨٢) برقم (٣٤٦) وقال: (هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة) وعلق الذهبي فقال: (على شرطهما ولا علة له).

ويلعنهم اللاعنون)[1].

لهذا ينبغي على علماء الأمة ودعاتها بيان الحق للناس وعدم كتمانه؛ لأن كاتم علم النبوة عمن يستحقه ومن يطلبه ملعون وخاسر في الدنيا والآخرة، فكما أن على الجاهل سؤال أهل العلم، كذلك على أهل العلم عدم كتمان الحق عن الطالبين له.

وعن هذه القضية يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: (فالواجب على طالب العلم وعلى كل مسلم أشكل عليه أمر من أمور دينه أن يسأل عنه ذوي الاختصاص من أهل العلم، وأن يتبصر وأن لا يقدم على أي عمل بجهل يقوده إلى الضلال.

فعلى المسلمين أن يسألوا وعلى أهل العلم أن يبينوا، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم خلفاء الرسل في بيان الحق والدعوة إليه والإفتاء به، وعلى جميع المسلمين أن يسألوا عما أشكل عليهم، وأن يستفتوا أهل العلم.

وأهل العلم هم علماء الكتاب والسنة، وهم الذين يرجعون في فتاواهم إلى كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وهؤلاء هم أهل العلم، وليس أهل العلم من يقلد الرجال ولا يبالي بالكتاب والسنة، إنما العلماء هم الذين يعظمون كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- ويرجعون إليهما في كل شيء هؤلاء هم أهل العلم.

وعلى طالب العلم أن يتأسى بهم ويجتهد في سلوك طريقهم، وعلى عامة المسلمين أن يسألوهم عما أشكل عليهم في أمر دينهم ودنياهم)[2] لا سيما في

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٢).

(٢) مجموع فتاوى (٢٧/٩٩).

هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن وعم الجهل.

قد يقول قائل: كيف نسأل عن كل ما أشكل علينا والله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١] فهذه الآية تدل على أن هناك أشياء لا ينبغي السؤال عنها؛ حتى وإن أشكلت على العبد؟

فالجواب كما قال أبو بكر الجصاص -رحمه الله-: (ليس في الآية دلالة على حظر المسألة عن أحكام الحوادث؛ لأنه إنما قصد بها إلى النهي عن المسألة عن أشياء أخفاها الله تعالى عنهم، واستأثر بعلمها وهم غير محتاجين إليها، بل عليهم فيها ضرر إن أبديت لهم كحقائق الأنساب، لأنه قال: "الولد للفِرَاش"(١)، فلما سأله عبد الله بن حذافة عن حقيقة خلقه من ماء من هو، دون ما حكم الله تعالى به من نسبته إلى الفراش نهاه الله عن ذلك، وكذلك الرجل الذي قال: أين أنا؟ لم يكن به حاجة إلى كشف عيبه في كونه من أهل النار(٢).

وكسؤال آيات الأنبياء، وفي فحوى الآية دلالة على أن الحظر تعلق بما وصفنا قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٢].

يعني: الآية سألوها الأنبياء -عليهم السلام- فأعطاهم الله إياها وهذا تصديق تأويل مقسم، فأما السؤال عن أحكام غير منصوصة فلم يدخل في حظر الآية، والدليل عليه أن ناجية بن جندب لما بعث النبي -ﷺ- معه البدن

(١) أخرجه البخاري (٤١٣) برقم (٢٢١٨) ومسلم (٥٨٠) برقم (١٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠) برقم (٧٢٩٤) ومسلم (٩٦٠) برقم (٢٣٥٩).

لينحرها بمكة، قال: كيف أصنع بها عطب منها؟ فقال: "انحرها واصبغ نعليها بدمها، واضرب بها صفحتها، وخل بينها وبين الناس، ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رفقتك شيئاً"(١).

ولم ينكر النبي -ﷺ- سؤاله.

وفي حديث رافع بن خديج أنهم سألوا النبي -ﷺ-: إنا لاقوا العدو غداً، وليس معنا مُدىً؟(٢)، فلم ينكره عليه.

وحديث يعلى بن أمية في الرجل الذي سأله عما يصنع في عمرته؟(٣)، فلم ينكره عليه.

وأحاديث كثيرة في سؤال قوم سألوه عن أحكام شرائع الدين، فيما ليس بمنصوص عليه غير محظور على أحد.

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال: قل: يا رسول الله، إني أريد أن أسألك عن أمر، ويمنعني مكان هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ فقال: "ما هو؟" قلت: العمل الذي يدخلني الجنة؟ قال: "قد سألت عظيماً، وإنه ليسير: شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان"(٤).

فلم يمنعه السؤال، ولم ينكره.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٢) برقم (١٣٢٥) بلفظ مقارب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١) برقم (٢٤٨٨) ومسلم (٨١٥) برقم (١٩٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠) برقم (١٧٨٩) ومسلم (٤٦٠) برقم (١١٨٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧) برقم (٣٩٧٣) الطبراني: الكبير (٧٣/٢٠) برقم (١٣٧).

وذكر محمد بن سيرين عن الأحنف عن عمر قال: تفقهوا قبل أن تسودوا[1].

وكان أصحاب رسول الله -ﷺ- يجتمعون في المسجد يتذاكرون حوادث المسائل في الأحكام، وعلى هذا المنهاج جرى أمر التابعين، ومن بعدهم من الفقهاء إلى يومنا هذا، وإنما أنكر هذا قوم حشو جهال قد حملوا أشياء من الأخبار لا علم لهم بمعانيها، وأحكامها فعجزوا عن الكلام فيها، واستنباط فقهها، وقد قال النبي -ﷺ-: "رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[2].

وهذه الطائفة المنكرة لذلك كمن قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ معناه: إن تظهر لكم، وهذا يدل على أن مراده فيمن سأل مثل سؤال عبد الله بن حذافة، والرجل الذي قال: أين أنا؟ لأن إظهار أحكام الحوادث لا يسوء السائلين؛ لأنهم إنما يسألون عنها؛ ليعلموا أحكام الله -تعالى- فيها.

ثم قال الله -تعالى-: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] يعني: في حال نزول الملك، وتلاوته القرآن على النبي -ﷺ- إن الله يظهرها لكم، وذلك مما يسؤكم ويضركم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (٨/٥٤٠) برقم (٢٦٦٤٠).

(٢) سبق تخريجه (٣٥٧).

وقوله -تعالى-: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] يعني: هذا الضرب من المسائل لم يؤاخذكم الله بها بالبحث عنها، والكشف عن حقائقها، والعفو في هذا الموضوع التسهيل والتوسعة في إباحة ترك السؤال عنها، كما قال -تعالى-: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ومعناه: سهل عليكم)(١).

فكما أنه جاء في القرآن الكريم النهي عن السؤال عن أشياء، كذلك جاء (ثبوت الأمر بالسؤال عما يحتاج إليه؛ لقوله -تعالى-: ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧] فمن سأل عن نازلة وقعت له لضرورته إليها، فهو معذور فلا إثم عليه ولا عتب ، فكل من الأمر بالسؤال والزجر عنه مخصوص بجهة غير الأخرى)(٢).

وهكذا فهم الصحابة -رضوان الله عليهم- الأمرين.

فهذه عائشة -رضي الله عنها- لما سمعت قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من حُوسب عذب" قالت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك "(٣).

وعن حفصة -رضي الله عنها- لما سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة، أحد الذين بايعوا تحتها " قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال

(١) القرطبي: أحكام القرآن (١٥٢/٤ - ١٥٣).

(٢) فتح الباري (٢٦٨/١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥) برقم (١٠٣) ومسلم (١١٥٢) برقم (٢٨٧٦).

النبي -ﷺ- قد قال الله -عز و جل-: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢](١).

(وسأل الصحابة -ﷺ- لما نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ أينا لم يظلم نفسه؟ فأجيبوا: بأن المراد بالظلم: الشرك(٢).

والجامع بين هذه المسائل الثلاث: ظهور العموم في الحساب، والورود، والظلم فأوضح لهم أن المراد في كل منها أمر خاص، ولم يقع مثل هذا من الصحابة إلا قليلاً مع توجه السؤال وظهوره، وذلك لكمال فهمهم، ومعرفتهم باللسان العربي، فيحمل ما ورد من ذم من سأل عن المشكلات على من سأل تعنتاً كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً: "فإذا رأيتم الذين يسألون عن ذلك فهم الذين سمى الله، فاحذروهم"(٣).

ومن ثم أنكر عمر على صبيغ ؛ لما رآه أكثر من السؤال عن مثل ذلك وعاقبه)(٤).

وقد بين الشاطبي -رحمه الله- المواضع التي لا يجوز فيها السؤال، والبحث عن الاستشكال فقال: (إن لكراهية السؤال مواضع، نذكر منها

(١) أخرجه مسلم (١٠١٢) برقم (٢٤٩٦).

(٢) سبق تخريجه (١٣٥).

(٣) سبق تخريجه (٤٠).

(٤) ابن حجر: فتح الباري (١/١٩٧).

عشرة مواضع:

**أحدها**: السؤال عما لا ينفع في الدين: كسؤال عبد الله بن حذافة من أبي، وروي في التفسير أنه -عليه الصلاة والسلام- سئل ما بال الهلال يبدو رقيقاً كالخيط، ثم لا يزال ينمو؛ حتى يصير بدراً ثم ينقص إلى أن يصير كما كان، فأنزل الله: ﴿عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية[١] فإنما أجيب بما فيه من منافع الدين.

**والثاني**: أن يسأل بعد ما بلغ من العلم حاجته: كما سأل الرجل عن الحج أكل عام؟[٢] مع أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قاض بظاهره أنه للأبد؛ لإطلاقه، ومثله سؤال بني إسرائيل بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧].

**والثالث**: السؤال من غير احتياج إليه في الوقت: وكان هذا - والله أعلم- خاص بما لم ينزل فيه حكم، وعليه يدل قوله: "ذروني ما تركتكم"[٣].

وقوله: "وسكت عن أشياء رحمة لكم لا عن نسيان، فلا تبحثوا عنها"[٤].

**والرابع**: أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها: كما جاء في النهي عن الأغلوطات[٥].

(١) أخرجه ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٩) برقم (١٣٣٧).

(٣) سبق تخريجه (٢٦١).

(٤) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (١٠/١٢) برقم (١٩٥٠٩) وقال (هذا موقوف).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٠٤) برقم (٣٦٥٦ ) وسكت عنه، وأحمد (٣٩/٩٣) برقم (٢٣٦٨٨) =

**والخامس**: أن يسأل عن علة الحكم: وهو من قبيل التعبدات التي لا يعقل لها معنى، أو السائل ممن لا يليق به ذلك السؤال، كما في حديث قضاء الصوم دون الصلاة[1].

**والسادس**: أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق: وعلى ذلك يدل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦].

ولما سأل الرجل يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع؟ قال عمر بن الخطاب: (يا صاحب الحوض لا تخبرنا، فإنا نرد على السباع وترد علينا) الحديث[2].

**والسابع**: أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب، والسنة بالرأي: ولذلك قال سعيد: (أعراقي أنت)[3] وذلك لاشتهار أهل العراق -آنذاك- بالأخذ بالرأي.

وقيل لمالك بن أنس: الرجل يكون عالماً بالسنة أيجادل عنها؟ قال: (لا ولكن يخبر بالسنة، فإن قبلت منه وإلا سكت)[4].

**والثامن**: السؤال عن المتشابهات: وعلى ذلك يدل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] الآية.

---

= وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف) وضعفه الألباني: ضعيف الجامع: برقم (٦٠٣٥).

(١) أخرجه البخاري (٨٣) برقم (٣٢١) ومسلم (١٥٢) برقم (٣٣٥).

(٢) أخرجه مالك: الموطأ (٣١/٢) برقم (٦٢).

(٣) أخرجه مالك: الموطأ (١٢٦١/٥) برقم (٣١٩٥).

(٤) أخرجه ابن رجب: جامع العلوم والحكم (٢٤٨/١).

وعن عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه عرضاً للخصومات أسرع التنقل)[1].

ومن ذلك سؤال من سأل مالكاً عن الاستواء؟ فقال: (الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة)[2].

**والتاسع**: السؤال عما شجر بين السلف الصالح: وقد سئل عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين؟ فقال: (تلك دماء كف الله عنها يدي، فلا أحب أن يلطخ بها لساني)[3].

**والعاشر**: سؤال التعنت والإفحام، وطلب الغلبة في الخصام: وفي القرآن في ذم نحو هذا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وفي الحديث: "أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ"[4].

هذه الجملة من المواضع التي يكره السؤال فيها يقاس عليها ما سواها، وليس النهي فيها واحداً، بل فيها ما تشتد كراهيته، ومنها ما يخف، ومنها ما يحرم، ومنها ما يكون محل اجتهاد، وعلى جملة منها يقع النهي عن الجدال في

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه برقم (٣٠٤) وابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٥٧).

(٢) أخرجه الدارمي: الرد على الجهمية (٦٦) برقم (١٠٤) والمقدسي: إثبات صفة العلو (١١٩) والذهبي: العلو للعلي الغفار (١٣٩).

(٣) أخرجه ابن سعد: الطبقات (٥/٣٩٤) وابن عساكر: تاريخ دمشق (٦٥/١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٣) برقم (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨) برقم (٢٦٦٨).

الدين كما جاء: "إن المراء في القرآن كفر"(1).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ الآية [الأنعام: ٦٢].

وأشباه ذلك من الآي، أو الأحاديث فالسؤال في مثل ذلك منهي عنه، والجواب بحسبه)(2).

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٣) برقم (٤٦٠٣) وأحمد (٣٦٩/١٣) برقم (٧٩٨٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين) وابن حبان (٣٢٤/٤) برقم (١٤٦٤).
(٢) الموافقات (٣١٩/٤ - ٣٢١).

## المبحث الرابع
## الأسس والمقومات الاجتماعية، والتربوية

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: الأساس الخلقي.

المطلب الثاني: الحض على إعمال الفكر.

المطلب الثالث: مراعاة اختلاف أفهام الناس.

المطلب الرابع: الشورى.

المطلب الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس: لزوم جماعة المسلمين.

المطلب السابع: القيام بحقوق ولاة الأمر، وطاعتهم.

المطلب الثامن: التثبت في باب الأخبار والوقائع.

المطلب التاسع: قيام ولاة الأمر بواجبهم.

المطلب العاشر: التحذير من الإقامة في أماكن الشر والانحراف.

## المطلب الأول
## الأساس الأخلاقي

الخلق: (عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية)(١).

وهذا الدين بطبيعته دين أخلاقي، فالرسول -وصفه ربه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

والمتأمل لنصوص القرآن الكريم يجد أن أي القرآن زاخرة بالكلام عن الخلق، أمراً بالخلق الحسن، ونهياً عن الخلق السيء، أو مدحاً لذوي الأخلاق الحسنة، وذماً لذوي الأخلاق السيئة، أو بيان لعظيم ثواب ذوي الأخلاق الحسنة، وعظيم عقاب مرتكب المناهي الأخلاقية.

وفي السنة بين الرسول -ﷺ- أن تقوى الله، وحسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -ﷺ- عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: "تقوى الله، وحسن الخلق"(٢).

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤) برقم (٢٠٠٤) وقال (هذا حديث صحيح غريب) وابن حبان (٢/٢٢٤) برقم (٤٧٦) وأحمد (٢/٣٩٢) برقم (٩٠٨٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن بالمتابعات).

كما رغب في حسن الخلق مبيناً أنه أعظم عطاء أعطيه المرء المسلم.

ففي الحديث قالوا: يا رسول الله ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: "حسن الخلق"(١).

كما أخبر بأن حسن الخلق هو المثقل للميزان، والرافع إلى الدرجات العليا.

فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم، والصلاة"(٢).

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما شيء أثقل من ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء"(٣).

وبيّن - عليه الصلاة والسلام- أن حسن الخلق من كمال الإيمان.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنها- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"(٤).

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه ابن حبان (٢/٢٢٦) برقم (٤٧٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤) برقم (٢٠٠٣) وقال: (حديث غريب من هذا الوجه) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٨٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٣) برقم (٢٠٠٢) وقال (هذا حديث حسن صحيح).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٦) برقم (١١٦٢) وقال (حديث حسن صحيح) وأبو داود (٥١٠) برقم: (٤٦٨٢) والحاكم: المستدرك (١/٤٣) برقم (١) علق الذهبي بقوله (لم يتكلم عليه المؤلف وهو صحيح) وأحمد (١٢/٣٦٤) برقم (٧٤٠٢) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح وهذا إسناد حسن رجاله ثقات).

**إن إحسان الخلق أساس من أسس سلامة الفكر، يظهر ذلك بذكر جملة من الأخلاق الحسنة، وأثرها في استقامة الاعتقاد والفكر، ومن ذلك:**

**١- الصدق:**

حث الله تعالى عباده المؤمنين على التزام طريق الصادقين فقال تعالى قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد بين الله تعالى جزاء الصادقين والصادقات عنده ليكون ذلك مدعاة لالتزام هذا الخلق العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

كما بين الله تعالى أن التزام الصدق خير لصاحبه، قال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

والصدق هادٍ إلى الجنة كما أن الكذب هادٍ إلى النار.

فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب

حتى يكتب عند الله كذاباً"[1].

وقد بين النبي -ﷺ- أن الصدق يورث صاحبه الطمأنينة القلبية الدينية، كما أن الكذب يرث صاحبه الشك والحيرة والتردد.

فعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- قال حفظت من رسول الله -ﷺ-: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة"[2].

ولما كان الصدق يورث الطمأنينة صحب النبي -ﷺ- الدعوة إليه، والأمر به من بداية دعوته.

فعن أبي سفيان صخر بن حرب -رضي الله عنه- في حديثه الطويل في قصة هرقل قال هرقل: فماذا يأمركم -يعني النبي ﷺ- قال أبو سفيان: قلت يقول: (اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة)[3].

وقد بين النبي -ﷺ- أن العباد إذا صحبوا الصدق في تعاملاتهم حلت البركة لكل من تعامل بهذا الأمر العظيم ولازمه.

فعن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو قال حتى يتفرقا، فإن صَدَقَا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٧) برقم (٦٠٩٤)، ومسلم (١٠٤٨) برقم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٠٩) برقم (٢٥١٨) والنسائي (٥٧٥) برقم (٥٧١١) والحاكم: المستدرك (٢/١٥) برقم (٢١٦٩) وقال (حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢) برقم (٧).

وكذبا مُحقت بركة بيعهما"[1].

والمتعامل بالصدق ينال درجات الصديقين والنبيين، والشهداء في الجنان العاليات، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"[2].

وبالصدق ينجي الله العبد من المضايق، وفي قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك خير شاهد ودليل، ومن الأدلة على ذلك ما وقع للثلاثة النفر من الأمم السابقة الذين انطبقت الصخرة عليهم وهم في الغار، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون؛ إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء، لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.." الحديث[3].

ومن وقع منه خلل في هذا الخلق العظيم وقع فيه خلل في عقيدته، ودخل سراديب النفاق المظلمة.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"[4].

من هذا الحديث يتبين أن من أخل بخلق الصدق، فإن ذلك علامة وآية على خلل في معتقده.

ولما كانت العقيدة الصحيحة الصافية هي رأس مال العبد بين النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢) برقم (٢٠٧٩) ومسلم (٦٢١) برقم (١٥٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥) برقم (١٢٠٩) وقال (حديث حسن).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٧) برقم (٣٤٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠) برقم (٣٣) ومسلم (٥٦) برقم (٥٩).

أن التحلي بهذا الخلق الكريم خير للمرء مما فاته من حظوظ الدنيا.

فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طهر"(١).

والمفارق لهذا الخلق العظيم فقد من إيمانه كماله وتمامه، وقد وضح النبي -ﷺ- ذلك.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاحة، والمراء وإن كان صادقاً"(٢).

لذلك إذا أراد العبد أن يكون ذا إيمان كامل، ومعتقد سليم، ومطمأن القلب والفؤاد، إذا أراد ذلك فعليه ملازمة هذا الخلق العظيم، عليه ملازمته وإن رأى فيه الهلاك فإن فيه النجاة، وعليه مخالفة ضده وإن رأى فيه النجاة فإن فيه الهلكة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣/١١) برقم (٦٦٥٢) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف لانقطاعه) وقال الألباني: (وهذا سند حسن، بل صحيح، فإن ابن لهيعة وإن كان ضعيفاً، فإنه من رواية عبد الله بن وهب عنه وهي صحيحة) السلسلة الصحيحة (٣٦١/٢) برقم (٧٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١/١٤) برقم (٨٧٦٦) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف) ثم قال: (وفي الباب عن أبي أمامة، مرفوعاً: "أنا زعيم ببيت في ربض (أي: ما حولها) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه". أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) ومن طريقه البيهقي (٢٤٩/١٠) وفي إسناده ضعف) ثم بعد أن أورد بعض الشواهد قال: (لكن بمجموع هذه الشواهد يمكن تحسين الحديث باللفظ الذى أوردناه من حديث أبي أمامة) وقال الألباني: (صحيح لغيره) صحيح الترغيب برقم (٢٩٣٩).

**٢- العدل:**

العدل خلق عظيم؛ لأن به قيام السموات والأرض، وهو خلق يجب على المؤمن أن يتحلى به مع جميع الناس، مع المسلم والكافر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والعظيم والحقير، والقريب والبعيد، كيف لا؟! وقد أمرنا الله تعالى أن نعامل أعدى أعدائنا بالعدل، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد في كل حال.

وقال بعض السلف: ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه)[١].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد أمر الله تعالى ورسوله الكريم بالعدل في كثير من القضايا، فأمر الله تعالى بالعدل في الشهادة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي كونوا قوامين بالحق لله - عز وجل- لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا ﴿ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل لا بالجور)[٢].

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٦٢).

وأمر بالعدل بين الأولاد فقال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١].

قال ابن كثير - رحمه الله-: (أي يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث)[(١)].

وقد أوصى النبي -ﷺ- بشير بن الخصاصية حين أعطى أحدهم عطية دون الآخرين، أوصاه بالعدل بينهم.

فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله -ﷺ- فأتى رسول الله -ﷺ- فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله؟ قال: "أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟" قال: لا، قال: "فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم"[(٢)].

والعدل يكون حتى في العقيدة، فالعادل في معتقده هو من استوت سريرته وعلانيته، يقول سفيان ابن عيينة -رحمه الله -: (إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة، فذلك الجور)[(٣)].

وهذا الجور هو جور المنافق الذي فارقت سريرته علانيته، ولما كان المنافق

(١) المصدر نفسه (٢/٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠) برقم (٢٥٨٧) ومسلم (٦٦٢) برقم (١٦٢٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/١٧٣).

مخالفاً لخلق العدل، كان ظالماً جائراً في كل شيء، وقد بين النبي -ﷺ- بعض هذا الظلم الذي يقوم به المنافق نتيجة لمخالفته لهذا الخلق العظيم، فقال -ﷺ-: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(1).

وكما أن الله تعالى أمر بالعدل، فقد نهى عن ضده وحرمه حتى على نفسه، ففي الحديث الذي رواه أبو ذر -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- فيما يرويه عن ربه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"(2).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقد وعد الله -سبحانه وتعالى- كل عبد التزم بهذا الخلق الكريم الجزاء العظيم، وعد كل عبد مهما كانت منزلته ودرجته، سواء كان رئيساً أو مرؤوساً، يقول -ﷺ-: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن -عز وجل- وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما وِلُوا"(3).

قال النووي -رحمه الله-: (المقسطون هم العادلون، وقد فسره في آخر الحديث، والأقساط والقسط بكسر القاف: العدل، يقال: أقسط أقساطاً، فهو مقسط؛

(١) أخرجه البخاري (٣٠ برقم (٣٤) ومسلم (٥٥) برقم (٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٩) برقم (٢٥٧٧).

(٣) سبق تخريجه (٦٠).

إذا عدل قال الله تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

قال القاضي: يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقة على ظاهر الحديث، ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة.

قلت: الظاهر الأول ويكون متضمنا للمنازل الرفيعة فهم على منابر حقيقة.

وأما قوله -ﷺ-: "الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" فمعناه: أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة، أو قضاء أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك)[(١)].

وقال -ﷺ-: "وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال"[(٢)].

وذكر -ﷺ- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: "الإمام العادل"[(٣)].

كما أخبر تعالى أنه يحب أهل العدل ومن أحبه الله يحفظه ويكلؤه ويرعاه ويسدده قال تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

(١) شرح مسلم (١٢/٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم (١١٤٨) برقم (٢٨٦٥).

(٣) سبق تخريجه (٦١).

## المطلب الثاني
## الحض على إعمال الفكر

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (قول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: تقوموا قياما خالصاً لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد -ﷺ- ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك)[(١)].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (أي ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٥٢٥).

قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله، مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟)(١).

وفي نصوص القرآن تختم كثير من الآيات بالحض على التفكر والتدبر، والتأمل، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

ولقد حث النبي -ﷺ- على إعمال الفكر، وثارة الذهن؛ للوصول إلى الحقائق عبر العديد من الأساليب، فمن ذلك:

(١) تيسير الكريم (٦٨٣).

**١- أسلوب الحوار والمناقشة:**

فهذا الأسلوب يثير انتباه المستمعين، ويحث عقولهم على إعمال الفكر، فإن أجابوا رسخ العلم، وإن لم يجيبوا أجاب النبي -ﷺ- فكان ذلك أدعى لحفظ المعلومة، ورسوخها في نفوسهم.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"(١).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يقول: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "تدرون من المسلم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" قال: "تدرون من المؤمن؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه"(٢).

أما الحوار، فيعد حديث جبريل -عليه السلام- في بيان أركان الإيمان أشهر الأحاديث في ذلك، فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال بينما نحن عند رسول الله -ﷺ- ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١) برقم (٥٢٨) ومسلم (٢٦٣) برقم (٦٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥٢١/١١) برقم (٦٩٢٥) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

-ﷺ- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان" قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: "يا عمر أتدرى من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[(١)].

قال القاضي عياض -رحمه الله -: (هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال؛ حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه؛ إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن، والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة)[(٢)].

(١) سبق تخريجه (٣٤).

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم (١/١٥٨).

### ٢- المقارنة والموازنة الفكرية:

فكان يستخدم الموازنة وإثارة الذهب ببيان ارتباط الأمور بعضها ببعض، أو رد الأمور المتشابهة إلى بعضها، فعن أبي إمامة -رضي الله عنه- قال: إن فتى شاباً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مَهْ، مَهْ فقال: "ادنه" فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار" فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: "تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل، ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن" قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل" قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل،

(١) سبق تخريجه (٣٦).

ولم تصم" قلن: بلى قال: "فذلك من نقصان دينها"[1].

**٣- استخدام السؤال للكشف عن الذكاء والقدرة العقلية:**

لاختبار الناس وكشف قدراتهم، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقُها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟" فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة"[2].

**٤- ضرب الأمثال:**

فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"[3].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"[4].

(١) أخرجه البخاري (٨٠) برقم (٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦) برقم (٦١) ومسلم (١١٣٠) برقم (٢٨١١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩٧) برقم (٥٠٢٠) ومسلم (٣١٢) برقم (٧٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٩١) برقم (٥٥٣٤) ومسلم (١٠٥٥) برقم (٢٦٢٨).

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"(١).

**٥- استخدام وسائل الإيضاح:**

**- فاستخدم الحصى:**

فعن بريدة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هل تدرون ما هذه وهذه؟" ورمى بحصاتين، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "هذاك الأمل، وهذاك الأجل"(٢).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ ثلاث حصيات، فوضع واحدة، ثم وضع أخرى بين يديه، ورمى بالثالثة، فقال: "هذا ابن آدم، وهذا أجله، وذاك أمله"(٣).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: "هو مسجدكم هذا" لمسجد المدينة(٤).

---

(١) سبق تخريجه (٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٥٩) برقم (٢٨٧٠) وقال (حديث حسن غريب من هذا الوجه).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٩/٢١) برقم (١٣٧٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد).

(٤) أخرجه مسلم (٥٤٧) برقم (١٣٩٨).

قال النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (وأما أخذه -ﷺ- الحصباء وضربه في الأرض، فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة، والحصباء بالمد الحصى الصغار)[1].

**- واستخدم الرسم على الأرض:**

فقد ورد في السنة المطهرة أن الرسول -ﷺ- لجأ في بعض المواقف التعليمية إلى استخدام الرسم في تعليم أصحابه -رضي الله عنهم- لتوضيح بعض المعاني المجردة لهم.. وهذه وسيلة تعليمية ناجحة، إذ من المسلمات لدى التربويين في الوقت الراهن أنه كلما زاد عدد الحواس التي تشترك في الموقف التعليمي، زادت فرص الإدراك والفهم، كما أن المتعلم يحتفظ بأثر التعليم فترة أطول.

فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: خط النبي -ﷺ- خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا"[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خط رسول الله -ﷺ- في الأرض أربعة خطوط، قال: "تدرون ما هذا؟" فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله -ﷺ-: "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم

(١) شرح صحيح مسلم (٩/١٦٩).

(٢) سبق تخريجه (٣٨).

ابنة عمران -رضي الله عنهن أجمعين"[1].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: خط رسول الله -ﷺ- خطًا بيده، ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً" قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه" ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]"[2].

## ٦- التدريب على إعمال العقل والفكر:

فكان -ﷺ- يفوض أحد الصحابة الجواب عن سؤال السائل؛ ليدربه على التعليم، وليعلم ما لديه من علم ومعرفة.

فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله -ﷺ- فقال رسول الله -ﷺ- لعمرو بن العاص: "اقض بينهما" قال: وأنت ها هنا يا رسول الله ؟ قال: "نعم" قال: على ما أقضي؟ قال: "إن اجتهدت فأصبت لك عشرة أجور، وإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر واحد"[3].

وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: جاء خصمان إلى رسول الله -ﷺ- يختصمان، فقال لي: "قم يا عقبة اقض بينهما" قلت: يا رسول الله أنت أولى بذلك مني، قال: "وإن كان، أقض بينهما، فإن اجتهدت، فأصبت فلك عشرة

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٩) برقم (٢٦٦٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح) والحاكم: المستدرك (٣/٢٠٤) برقم (٤٨٥٢) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد).

(٢) أخرجه أحمد (٧/٤٣٦) برقم (٤٤٣٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٣) أخرجه الدارقطني (٤/٢٠٣) برقم (١).

أجور، وإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر واحد"(1).

وعن نمران بن جارية عن أبيه أن قوماً اختصموا إلى النبي -ﷺ- في خُصٍّ كان بينهم، فبعث حذيفة يقضي بينهم، فقضى للذين يليهمُ القِمْطُ، فلما رجع إلى النبي -ﷺ- أخبره فقال: "أصبت، وأحسنت"(2).

وعن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم" قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: "والله ! ليهنِك العلم أبا المنذر"(3).

ولما بعث النبي -ﷺ- معاذاً -رضي الله عنه- إلى اليمن قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء"؟ قال: أقضي بكتاب الله ، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله" قال: فبسنة رسول الله -ﷺ-، قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله -ﷺ- ولا في كتاب الله" قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله -ﷺ- صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله"(4).

(١) أخرجه الدارقطني (٢٠٣/٤) برقم (٣).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٥٢) برقم (٢٣٤٣) والدارقطني (٢٢٩/٤) برقم (٨٩) وقال: (لم يروه غير دهثم بن قران، وهو ضعيف، وقد اختلف في إسناده).

(٣) أخرجه مسلم (٣١٦) برقم (٨١٠).

(٤) سبق تخريجه (٤٩) ولمزيد بيان ينظر: عبد الفتاح أبو غدة: الرسول المعلم (١٠٠) وما بعده.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٤٨٧/١) وينظر: سعيد الغامدي: حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢/٢-٣٣).

## المطلب الثالث
## مراعاة اختلاف أفهام الناس

إن الناس تتباين عقولهم، وتختلف فهومهم، فهم على درجات في الفهم، والعالم يخاطب أناساً كثراً، فكان واجباً عليه مراعاة قدرة الناس على فهم ما يقول لئلا يصير ذلك القول فتنة لهم، مثال ذلك: تكليم الناس في دقائق العلوم وصعاب المسائل التي لا تصل إليها أفهامهم ولا تدركها عقولهم، كمن يحدث عوام الناس بدقائق المسائل في القضاء والقدر وهي مسائل لا يصلح ذكرها لعوام الناس، ولا يدركها إلا خواصهم.

وقد عد الإمام الشاطبي -رحمه الله- تكليم الناس في هذه الدقائق من باب البدعة الإضافية فقال: (ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل مغزاه، فإنه من باب وضع الحكمة في غير موضعها)[(١)].

وقد جاء النهي عن ذلك في جملة أحاديث وآثار منها:

عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أنه نهى عن الأغلوطات)[(٢)].

قال الإمام الأوزاعي -رحمه الله-: (الغلوطات: شداد المسائل، وصعابها)[(٣)].

(١) الاعتصام للشاطبي (٤٨٧/١) وينظر: سعيد الغامدي: حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢/٢ -٣٣).

(٢) سبق تخريجه (٣٩٨).

(٣) رواه أحمد: المسند (٩٢/٣٩) وابن رجب: جامع العلوم والحكم (٢٤٨/١).

وعن المقدام بن معدي كرب -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا حدثتم الناس عن ربهم، فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم، ويشق عليهم"(١).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لولا حداثة قومك بالكفر؛ لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم - عليه السلام- فإن قريشاً استقصرت بناءه، وجعلتُ له خَلفاً"(٢).

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)(٣).

فنهى عن تحديث الناس بما لا يعقلون؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى تكذيب الله -عز وجل- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة)(٤).

وقد جعل الإمام البخاري هذا الأثر عن علي -رضي الله عنه- في ترجمة باب قال فيه: (باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم؛ كراهية ألا يفهموا)(٥).

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبضعهم فتنة)(٦).

---

(١) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (٢/٢٨١) برقم (١٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦) برقم (١٥٨٥) ومسلم (٥٢٦) برقم (١٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠) برقم (١٢٧).

(٤) الفتح (١/٢٢٥).

(٥) صحيح البخاري: صحيفة (٥٠).

(٦) أخرجه مسلم: المقدمة: صحيفة (٢٣).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين،وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي.

وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب)(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (حفظت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعاءين: فأما أحدهما فَبَثَثْتُهُ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)(٢).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء، وأحوالهم، وزمنهم)(٣).

وأضاف بعضهم: (يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة، وتغير الأحوال، والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به)(٤).

وعن وهب بن منبه -رحمه الله- قال: (ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق، يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغي للعالم

(١) الفتح (١/٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨) برقم (١٢٠).

(٣) الفتح (١/٢١٦).

(٤) المصدر نفسه (١/٢١٧).

أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم)[1].

وقال أيوب -رحمه الله-: (لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم)[2].

**إن تحديث الناس بما لا يعقلون ولا يدركون يؤدي إلى نتائج سيئة منها:**

١ -أن يفهم السامع الكلام على غير وجهه فيفتن بأحد أمرين:

أ - التكذيب بالحق.

ب - العمل بالباطل.

قال ابن وهب -رحمه الله- في الكلام عن قول ابن مسعود السابق: (... إلا كان لبعضهم فتنة): (وذلك أن يتأولوه غير تأويله، ويحملوه على غير وجهه)[3].

ومما يدل على ذلك ما وقع لعبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- من ذلك، فعن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: (سبحان الله، أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً يحرَّق البيت، ويكون ويكون) ثم قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يخرج الدجال في أمتي.." ثم ذكر الحديث[4].

فأنت تلاحظ من هذا الحديث أن السامع فهم من كلام عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- غير ما أراد، ولهذا قال: (لقد هممت أن لا أحدث أحداً

(١) أخرجه الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٠٩) برقم (١٣٢٦).

(٢) أخرجه الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي (٢/١٠٩) برقم (١٣٢٢).

(٣) نقلا عن الشاطبي: الاعتصام (١/٤٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (١١٨٠) برقم (٢٩٤٠).

شيئا أبداً)؛ لأن هناك من يفهم الكلام على غير ما يُراد.

ولهذا ينبغي كتمان بعض العلم والحديث الذي يرى أنه قد ينتج عنه فهم سقيم من السامع.

وفي ذلك يقول الإمام الذهبي -رحمه الله -: (ينبغي للمحدث ألا يشهر الأحاديث التي يتشبث بها أعداء السنة من الجهمية.. وأهل الأهواء والأحاديث التي فيها صفات لم تثبت، فإنك لن تحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، فلا تكتم العلم الذي هو علم ولا تبذله للجهلة الذين يشغبون عليك أو الذين يفهمون منه ما يضرهم)[1].

وهذه المسألة تتعلق بحالات؛ لأنها الأصل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (أما أن يكون الكتاب والسنة نهى عن معرفة المسائل التي يدخل فيها يستحق أن يكون من أصول الدين، فهذا لا يكون اللهم إلا أن ننهى عن بعض ذلك في بعض الأحوال، مثل مخاطبة شخص بما يعجز عنه فهمه فيضل)[2] وذكر قول ابن مسعود، وقول علي -رضي اللهّ عنهما- السابقين.

٢ - ألا يفهم السامع شيئاً من المتكلم، وهذا وإن كان أسلم من الأول إلا أنه ينافي مقصود الكلام بتعليم الناس ما ينفعهم وفهمهم لذلك، فهو لم يعط الحكمة حقها من الصون، ولم يؤد الأمانة والبلاغ[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥٧٨/١٠).

(٢) مجموع الفتاوي (٣١١/٣).

(٣) ينظر: الشاطبي: الاعتصام (٤٨٧/١) وعلي محفوظ: هداية المرشدين (١١٢/٨).

والعالم الرباني يبدأ بالتدرج مع الناس فيربيهم على صغار العلم قبل كباره، ويبدأهم بالأهم قبل المهم، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: (حلماء فقهاء)(١).

وقال البخاري -رحمه الله-: (ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)(٢).

وقال الحافظ بن حجر -رحمه الله: (والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره: ما دق منها، وقيل: يعلمهم جزيئاته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله أو مقدماته قبل مقاصده)(٣).

و هناك كلام نفيسِ للإمام الشاطبي -رحمه الله- متعلق بهذا الموضوع حيث قال: (ليس كل علم يبث وينشر وإن كان حقاً، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلما ما تكلم فيها ولا حدث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك، فتنبه لهذا المعنى، وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت

(١) رواه البخاري: صحيحه: صحيفة (٣٩).

(٢) صحيحه: صحيفة (٣٩).

(٣) فتح الباري (١/١٦٢).

غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة لشرعية والعقلية)[1].

وقد راعى الشارع الحكيم في القضاء والحكم بين الناس، صفاء البال وحسن الفهم فنهى الحكم بين الخصوم عند حلول كل ما يشوش الفهم، فنهى القاضي عن الفصل بين الخصمين وهو غضبان ؛ لأن الغضب يقود إلى الفهم السيئ.

وعن هذا يقول ابن القيم -رحمه الله-: (هل يستريب عاقل في أن النبي -ﷺ- لما قال: "لا يقضي القاضي بين اثنين، وهو غضبان"[2] إنما كان ذلك؛ لأن الغضب يشوش عليه قلبه وذهنه، ويمنعه من كمال الفهم، ويحول بينه وبين استيفاء النظر، ويعمي عليه طريق العلم والقصد، فمن قصر النهي على الغضب وحده دون الهم المزعج، والخوف المقلق والجوع، والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه، والتعويل في الحكم على قصد المتكلم والألفاظ لم تقصد لنفسها، وإنما هي مقصودة للمعاني والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة، ومن عموم المعنى الذي قصده تارة، وقد يكون فهمه من المعنى أقوى وقد يكون من اللفظ أقوى وقد يتقاربان)[3].

(١) الموافقات (٤/١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٥) برقم (٧١٥٨) ومسلم (٧١٣) برقم (١٧١٧).

(٣) إعلام الموقعين (١/٢١٧).

# المطلب الرابع
## الشورى

(المشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض... والشورى: الأمر الذي يتشاور فيه)(١).

وقال ابن العربي -رحمه الله-: (المشاورة هي: الاجتماع على الأمر؛ ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده)(٢).

**الأدلة على مشروعية الشورى:**

ولقد ذخرت الشريعة الإسلامية بأدلة كثيرة تقرر هذا الأصل، والمبدأ العظيم، مع تنوع هذه الأدلة تبعاً لتنوع مصادرها سواء من القرآن الكريم، أو من السنة القولية، أو الفعلية، أو من فعل الصحابة -رضي الله عنهم- ونذكر بعضاً منها:

**من القرآن الكريم:**

١ - قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فدلت الآية على مشروعية الشورى، وأن على الحاكم النظر في أراء أهل

(١) الأصفهاني: المفردات (٢٧٠).

(٢) أحكام القرآن (١/٢٩٧).

الحل والعقد فيما يجد له من أمور؛ للوصول إلى رأي رشيد سديد.

وأمر الله لنبيه -ﷺ- بالمشاورة إنما توجيهاً لأهل الحكم بالاقتداء به في هذا الأمر وإلا فهو مستغني عن المشاورة بوحي السماء.

قال الحسن البصري والضحاك -رحمهما الله-: (ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده)(١).

وقال الطبري -رحمه الله-: (إن الله -عز وجل- أمر نبيه -ﷺ- بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمته مأتى الأمور التي تحزبهم من بعده، ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته -ﷺ- يفعله.

فأما النبي -ﷺ- فإن الله كان يُعرّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صواب ذلك، وأما أمته فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادقٍ وتآخٍ للحق، وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى، فالله مسددهم وموفقهم)(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٥٠).

(٢) جامع البيان (٤/١٥٣).

دلت الآية على أن صفة التشاور هي من صفات أهل الإيمان.

قال القرطبي -رحمه الله-: (فمدح الله المشاورة في الأمور؛ بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك، وقد كان النبي -ﷺ- يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من: الفرض، والندب، والمكروه، والمباح، والحرام، فأما الصحابة بعد استئثار الله تعلى به علينا، فكانوا يتشاورون في الأحكام، ويستنبطونها من الكتاب والسنة)(1).

**وفي السنة أدلة كثيرة، متنوعة فمنها القولي، ومنها العملي التطبيقي:**

١ - وعن عبد الرحمن بن غنم -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-: "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما"(2).

٢- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "المستشار مؤتمن"(3).

قال المناوي -رحمه الله-: (أي: أمين على ما استشير فيه، فمن أفضى إلى أخيه بسره وأمنه على نفسه، فقد جعله بمحلها، فيجب عليه أن لا يشير عليه إلا بما يراه صواباً، فإنه كالإمامة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا ثقة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٩/٥١٧) برقم (١٧٩٩٤) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب، وحديث عبد الرحمن بن غنم عن النبي -ﷺ- مرسل) وقال الهيثمي: (رواه أحمد، ورجاله ثقات إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي -ﷺ-) مجمع الزوائد (٩/٥٣).

(٣) رواه الترمذي (٤٥٢) برقم (٢٨٢٢) وقال (هذا حديث حسن) وأبو داود (٥٥٢) برقم (٥١٢٨) وابن ماجه (٤٠١) برقم (٣٧٤٥).

والسر قد يكون في إذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلا عند موثوق به، وفيه حث على ما يحصل به معظم الدين، وهو النصح لله ورسوله -ﷺ- وعامة المسلمين، وبه يحصل التحابب والائتلاف، وبضده يكون التباغض والاختلاف)[1].

ونقل المناوي -رحمه الله- عن بعضهم قوله: (يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير، فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة، وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان، وعلم المكان، وعلم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور، فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال، أو المكان وهكذا فينظر في الترجيح، فيفعل بحسب الأرجح عنده، مثاله: أن يضيق الزمن عن فعل أمرين اقتضاهما الحال، فيشير بأهمهما، وإذا عرف من حال إنسان بالمخالفة، وأنه إذا أرشده لشيء فعل ضده، يشير عليه بما لا ينبغي؛ ليفعل ما ينبغي، وهذا يسمى علم السياسة، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها، فلذلك قالوا: يحتاج المشير والناصح إلى: علم، وعقل، وفكر صحيح، ورؤية حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة، وتأن فإن لم تجمع هذه الخصال، فخطأه أسرع من إصابته، فلا يشير ولا ينصح)[2].

٣- وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهَّ -ﷺ-: "إذا استشار أحدُكُم أخاه فَلْيُشِرْ عليه"[3].

---

(١) فيض القدير (٦/٣٤٨)

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠١) برقم (٣٧٤٧) قال ابن حجر: (وإسناده صالح) تغليق التعليق (٢٥٣/٣).

أي: بما هو الأصلح وإلا فقد خانه، فيجب عليه بذل النصح وإعمال الفكر فإنه مؤتمن فإن بذل جهده فأخطأ لم يغرم[1].

٤- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه)[2].

**متعلق المشاورة:**

قال ابن حجر: (وقد اختلف في متعلق المشاورة:

فقيل: في كل شيء ليس فيه نص.

وقيل: في الأمر الدنيوي فقط.

وقال الداودي: إنما كان يشاورهم في أمر الحرب مما ليس فيه حكم؛ لأن معرفة الحكم إنما تلتمس منه. قال: ومن زعم انه كان يشاورهم في الأحكام، فقد غفل غفلة عظيمة، وأما في غير الأحكام، فربما رأى غيره، أو سمع ما لم يسمعه، أو يره كما كان يستصحب الدليل في الطريق.

وقال غيره: اللفظ وإن كان عاماً لكن المراد به الخصوص؛ للاتفاق على أنه لم يكن يشاورهم في فرائض الأحكام.

قلت: وفي هذا الإطلاق نظر، فقد أخرج الترمذي[3] وحسنه وصححه

(١) انظر: المناوي: فيض القدير (١/٣٥٤).

(٢) رواه الترمذي معلقاً ضمن أحاديث الباب (٢٩٥) برقم (١٧١٤) وعبد الرزاق: المصنف (٥/٣٣٠) برقم (٩٧٢٠) ورواه عنه أحمد (٣١/٢٤٣) برقم (١٨٩٢٨) ومن طريق أحمد رواه البيهقي: السنن الكبرى (٩/٢١٨) برقم (١٨٥٨٧) قال ابن حجر: (حديث أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجاله ثقات إلا أنه منقطع). فتح الباري (١٣/٣٤٠).

(٣) سنن الترمذي (٥٢٢) برقم (٣٣٠٠).

ابن حبان[1] من حديث علي قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢]. الآية قال لي النبي -ﷺ-: "ما ترى دينار؟" قلت: لا يطيقونه. قال: "فنصف دينار" قلت: لا يطيقونه. قال: "فكم؟" قلت: شعيرة. قال: "إنك لزهيد" فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة.

ففي هذا الحديث المشاورة في بعض الأحكام.

ونقل السهيلي عن ابن عباس: أن المشاورة مختصة بأبي بكر وعمر، ولعله من تفسير الكلبي، ثم وجدت له مستنداً في فضائل الصحابة لأسد بن موسى، والمعرفة ليعقوب بن سفيان بسند لا بأس به عن عبد الرحمن بن غنم -بفتح المعجمة وسكون النون وهو مختلف في صحبته-: أن النبي -ﷺ- قال لأبي بكر وعمر: "لو أنكما تتفقان على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة أبداً" وقد وقع في حديث أبي قتادة في نومهم في الوادي: "إن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا"[2] لكن لا حجة فيه للتخصيص.

ووقع في الأدب من رواية طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال: في بعض الأمر.

قيل: وهذا تفسير لا تلاوة، ونقله بعضهم قراءة عن ابن مسعود)[3].

(١) صحيح ابن حبان (١٥/٣٩٠) برقم (٦٩٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨) برقم (٦٨١).

(٣) الفتح (١٣/٣٤٠-٣٤١).

## نماذج من التطبيق العملي لمبدأ الشورى في سيرة النبي -ﷺ-:

### ١- في الإسراء والمعراج:

ففي الإسراء والمعراج تشاور-ﷺ- مع موسى -عليه الصلاة والسلام - في تخفيف الصلاة، ففي حديث الإسراء: ".. فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى -ﷺ- فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

قال: فرجعت إلى ربى، فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى - عليه السلام- حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة، فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فقال رسول الله -ﷺ- فقلت: قد رجعت إلى ربى؛ حتى استحييت منه"(١).

(١) أخرجه مسلم (٩٠) برقم (١٦٢).

٢- غزوة بدر:

حيث استشار رسول الله -ﷺ- صحابته الكرام في قتال قريش، وذلك قبل بدء المعركة حيث قال لهم: "أشيروا عليّ" فتكلم كبار الصحابة كأبي بكر، وعمر، والمقداد بن الأسود، وسعد بن معاذ -رضي الله عنه- وقد سُر رسول الله -ﷺ- من كلامهم، خاصة قول سعد -رضي الله عنه-: (كأنك تعرض بنا يا رسول الله! فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقى بنا عدونا غداً؛ إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك، فسر بنا على بركة الله)[(١)].

٣- غزوة أحد:

استشار النبي -ﷺ- أصحابه في الخروج لقتال قريش، أو البقاء في المدينة ومقاتلتهم في طرقاتها، وكان يعجبه الرأي الثاني، إلا أن كثيراً من الصحابة وخاصة الشباب منهم ممن لم يشارك في معركة بدر ألح عليه بالخروج، واستجاب لهم رسول الله -ﷺ-[(٢)] وبعد هذه الغزوة نزل قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] تأكيدا لمبدأ الشورى.

٤- غزوة الخندق:

لما علم رسول الله - -ﷺبتكالب أهل الأحزاب وتجمعهم على المسلمين استشار صحابته الكرام، فأشار عليه سلمان الفارسي -رضي الله عنه- بحفر الخندق في الجهة الضعيفة من المدينة المنورة والتحصن خلفه، وكان لهذا الخندق أبرز الأثر

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٢٧٩/١).

(٢) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد (١٩٢/٣).

في صد الأحزاب عن المسلمين، وهزيمتهم.

وفي أثناء هذه الغزوة ونظراً للضيق الشديد الذي أصاب المسلمين أراد رسول الله - ﷺ- أن يخفف عنهم هذا الضغط، فعرض على رؤساء غطفان - وهم من الأحزاب- ثلث ثمار المدينة المنورة على أن يتركوا القتال وينسحبوا، واستشار -ﷺ- في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة -رضي الله عنهما- وهما من زعماء الأوس والخزرج سكان أهل المدينة، فقالا: يا رسول الله ! إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا، فلا حاجة لنا به، والله لا نعطيهم إلا السيف، فأخذ برأيهما[1].

٥- صلح الحديبية:

عندما علم رسول الله - ﷺ- بأن قريشاً عزمت على صده عن البيت، وقد جاء معتمراً لا غازياً ومحارباً، استشار صحابته قائلاً: "أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله -عز وجل- قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محروبين" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: يا رسول الله ! خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا ضرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: "امضوا على اسم الله"[2].

وعندما تم الصلح بين رسول الله -ﷺ- وبين قريش على أن يرجع المسلمون هذه السنة، أمر الرسول - ﷺ- صحابته بالنحر والحلق والتحلل من العمرة، فلم يستجب لهذا الأمر أكثر أصحابه، فدخل على أم سلمة -رضي الله

(١) انظر: المصدر نفسه (٣/٢٧١ - ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٩٣) برقم (٤١٧٨، ٤١٧٩).

عنها- وكلمها في ذلك، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً، ويحلق ويذبح، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا وحلقوا[1].

**٦- في قصة الإفك:**

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر، وما علمت به، قام رسول الله -ﷺ- فيَّ خطيباً، فتشهد، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد: أشيروا عليَّ في أناس أَبَنُوا أهلي، وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي"[2].

وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يأتونه يستشيرونه عند اشتباه الأمور عليهم، فقد استشارت فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- النبي -ﷺ- فيمن تقدّم لخطبتها، حيث قالت: فلما حللت ذكرت له، أن معاوية بن أبى سفيان، وأبا جهم، خطباني، فقال رسول الله -ﷺ-: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد" فكرهته، ثم قال: "انكحي أسامة" فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به[3].

وعن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة -رضي الله عنه- جاء إلى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: "هل لك من أم؟" قال: نعم، قال: "فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها"[4].

---

(١) ينظر: حافظ حكمي: مرويات غزوة الحديبية (١٦٥ - ٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٥) برقم (٤٧٥٧) ومسلم (١١١٥) برقم (٢٧٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩٦) برقم (١٤٨٠).

(٤) أخرجه النسائي (٣٢٩) برقم (٣١٠٤) والبيهقي: الكبرى (٩/٢٦) برقم (١٧٦١٠) وأحمد =

**فوائد العمل بمبدأ الشورى:**

إن لهذا المبدأ العظيم فوائد عديدة تعم الجميع، ومنها:

١ – إن الشورى قربة وطاعة، فهي من العبادات المتقرب بها إلى الله – عز وجل – فمن التزم بها أجر على عمله لإقتدائه بنبيه -ﷺ- أولاً، وثانياً: أنه ما من أمر شرعي إلا وراءه من المصالح العاجلة والآجلة والحكم الخفية والظاهرة ما لا يقدر قدره.

٢ – إن في الشورى تسميحاً لخواطر الرعايا وتطيباً لنفوسهم، وإزالة لما يقع في قلوبهم عند وقوع الحوادث، وذلك أن ولي الأمر إذا جمع أهل الرأي والمشورة وشاورهم عرفوا من ذلك إكراهه للناس، فيذهب غيظ القلوب.

فقد (كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم، فأمر الله تعالى نبيه -ﷺ- أن يشاورهم في الأمر، فإن ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم. وأطيب لنفوسهم،فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم)[(١)].

ولقد وجه بعض السلف أمر الله -عز وجل- لنبيه -ﷺ- بالمشاورة على هذا الأمر.

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: (اختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكر نبيه -ﷺ- أن يشاورهم، وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه؟

= (٢٩٩/٢٤) برقم (١٥٥٣٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/٤).

فقال بعضهم: أمر الله نبيه -ﷺ- بقوله: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بمشاورة أصحابه في مكايد العرب، وعند لقاء العدو تطيباً منه بذلك أنفسهم، وتألفاً لهم على دينه، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله -عز وجل- قد أغناه بتدبيره له أموره، وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم)[1].

٣ - أن شورى صمام أمان وأساس استقرار واطمئنان، حيث يشعر أفراد المجتمع أن الحاكم إنما يريد المصلحة الكلية العامة للجميع، لا الاستبداد والظلم، وذلك طريق تآلف المجتمع وترابطه، فبرجوع الحاكم إلى أهل الحل والعقد، لأخذ رأيهم تتولد الثقة وتتألف القلوب، وتجد الرعية تبذل الجهد في طاعة حاكمها، لعلمها المطمئن بسعيه في مصالحها، وأما إن استبد واستأثر بالحكم فذلك مفض إلى الحقد المولد للفتن العامة والفساد العريض، هذا وإن أطاعته العامة فهي طاعة خائف مترقب.

قال ابن العربي -رحمه الله-: (الشورى: ألفة للجماعة، ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا)[2].

٤ - الوصول على الحق والعمل بمقتضاه، فغاية الشورى البحث عن الحق من خلال جهد بشري مؤمن ملتزم بمنهاج الله -تعالى- إنه تحري الحق والخضوع له، وحين ينجلي الرأي الحق، والموقف الحق، يمضيه الأمام أو ولي الأمر، ومن خلال تحري الحق بالجهد البشري المؤمن الملتزم قد تبرز

(١) جامع البيان (٣٤٣/٧).

(٢) أحكام القرآن (١٦٦٨/٤) وينظر: عبد الرحمن اللويحق: مشكلة الغلو (٦٠٨/٢ - ٦٠٩).

صورة متعددة، ولكنها لن تكون صور مؤمنة إلا إذا حملت معها بينة الإيمان ودليل القرآن وحكمة السنة[1].

٥ - الاستفادة من الطاقات البشرية وتفعيلها ففي المشاورة تنشيطاً للأتباع والمحكومين على العمل والعلم، على العمل لأنهم قاموا به بعد مشاركة في الرأي، فما أقبلوا عليه إلا بعد اقتناعهم به في الجملة، وعلى العلم لتكون مساهمتهم في اتخاذ الرأي أكثر فائدة واقرب للحق.

٦- تُعود الشورى المسلم على الحلم وتلقي الرأي المخالف بسعة صدر وحسن تفهم فالإنسان بطبعه يظن ما يعتقده صواباً لا يقبل الخطأ والمراجعة، لكن بالشورى تذهب هذه العنجهية؛ لما تضفيه الشورى من علاقة أخوية تفاعلية بين المستشارين حين يقر في نفوسهم أنهم يسعون بآرائهم لخدمة الجميع، فلا يسعهم والحال هذه إلا سماع الآراء المختلفة، واختيار أفضلها بغض النظر عمن قالها.

إنه ومع كثرة التخصصات وتنوعها تجعل للممارسة الشورية عقلاً جمعياً ثاقباً مصيباً للحق في غالب الأمر[2].

---

(١) ينظر: عدنان النحوي: ملامح الشورى (٥٨١).

(٢) ينظر: عبد الرحمن اللويحق: مشكلة الغلو (٢/٦١٠) وحسن عتر: الشورى في ضوء القرآن والسنة (١٣٨- ١٤٣).

## المطلب الخامس
## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من علامات المسلمين الفارقة عن غيرهم كونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهو أمر قد جعل الله فيه الخير حيث قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

بل هو من أخص أوصاف المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

قال القرطبي -رحمه الله -: (جعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه)[1].

وهو حصن حصين تتحصن به الأمة أفراداً، وأسراً، ومجتمعاً، يدرأ عنها كل المفاسد والعوادي.

(وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع

(١) الجامع لإحكام القرآن (٤/٤٧).

والتعاون والتناصر فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم؛ والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة. وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة؛ ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر، وناه)[1].

وهو ضرورة بشرية لا ينفك عنها حتى الإنسان نفسه، قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وكل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها: إما بمعروف وإما بمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته، ولا بد لكل حيّ من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بهما فعل نفسه ويقتضي بهما فعل غيره إذا أمكن ذلك، فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته.

وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان فصاعداً فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن أمر، ولهذا كان أقل الجماعة في الصلاة اثنين)[2].

والأمر بالمعروف: هو كل ما أُمِرَ به شرعاً، والنهي عن المنكر هو: كل ما يُنْهى عنه شرعاً[3].

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٢٨/٦٢).

(٢) الاستقامة (٢/٢٩٢).

(٣) انظر: ابن مفلح: الآداب الشرعية (١/٢١٦).

أما حكمه:

فقد قال النووي -رحمه الله -: (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أولا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده، أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف.

قال العلماء -رضي الله عنهم-: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين، والذي عليه الأمر والنهى لا القبول، قال الله عز وجل: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩])[١].

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٢].

قال النووي -رحمه الله -: (قوله -ﷺ-: "فليغيره" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة.

وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر: الكتاب، والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين)[٣].

(١) شرح مسلم (٢/٢٣).

(٢) سبق تخريجه (٤٥).

(٣) شرح مسلم (٢/٢٢).

ويعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوسائل العلاجية للانحراف قبل حصوله، وأثناء حدوثه، وبعد وقوعه، ولـذلك نجـد هـذا الاهتمام بـه في السنة.

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي -ﷺ- يقول: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[1].

قال ابن حجر -رحمه الله -: ("ونجوا" أي كل من الآخذين والمأخوذين، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها) وأضاف: (وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف)[2].

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم"[3].

(١) سبق تخريجه (٤٥).

(٢) فتح الباري (٥/٢٩٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠) برقم (٢١٦٩) وقال (هذا حديث حسن) والبيهقي: السنن الكبرى (١٠/٩٣) برقم (١٩٩٨٦) وأحمد (٣٨/٣٣٢) برقم (٢٣٣٠١) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف).

وعن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب"(١).

وعن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها فزعاً يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: زينب بنت جحش، فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث"(٢).

قال النووي -رحمه الله-: (وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)(٣).

وهو من تمام النصح، فعن تميم الداري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣) برقم (٤٣٣٨)، والترمذي (٤٨٧) برقم (٣٠٥٧) وقال (هذا حديث صحيح) وابن حبان (٥٣٩/١) برقم (٣٠٤) وأحمد (٢٠٨/١) برقم (٣٠) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٩) برقم (٣٣٤٦) ومسلم (١١٥٤) برقم (٢٨٨٠).

(٣) شرح مسلم (٢٤/٢).

(٤) سبق تخريجه (٤٤).

قال الصنعاني -رحمه الله -: (والنصيحة لعامة المسلمين: بإرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونحو ذلك)(١).

وهو داخل في مسؤولية كل من له ولاية، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: "ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"(٢).

قال الإمام النووي -رحمه الله -: (قال العلماء: الراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء، فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه: في دينه، ودنياه، ومتعلقاته)(٣).

وقال الطيبي -رحمه الله -: ("كلكم راع" تشبيه مضمر الأداة أي: كلكم مثل الراعي، وكلكم مسؤول عن رعيته وفيه معنى التشبيه وهذا مطرد في التفصيل ووجه التشبيه حفظ الشيء وحسن التعهد وهذا القدر المشترك في التفصيل وأفاد أن الراعي غير مطلوب لذاته بل أقيم لحفظ ما استرعاه)(٤).

---

(١) سبل السلام (٤/٢١٠-٢١١).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢) برقم (٧١٣٨) ومسلم (٧٦٣) برقم (١٨٢٩).

(٣) شرح مسلم (١٢/٢١٣).

(٤) المناوي: فيض القدير (٥/٣٨).

على أن واجب القيام بالمعروف والنهي عن المنكر يتجه هنا إلى فئتين من المجتمع ابتداءً:

**الفئة الأولى: الولاة:**

وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من الواجب المنوط بهم، ذلك أن المقصود من الولايات: إقامة الدين لله -عز وجل- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل الولاة وازع للأمة، ورادع لأهل الشر عن الشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وجميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله ؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا)[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا هو مقصود الولاية)[2].

ولما للحسبة من أهمية ومنزلة فقد كان النبي -ﷺ- يباشرها بنفسه، وذلك لعموم صلاحها وجزيل ثوابها.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟" ثم قال: "من غش فليس مني"[3].

وعن عائشة -رضي الله عنها-: أنها كانت اتخذت على سهوة لها ستراً فيه

(١) الفتاوى (٢٨/٦١).
(٢) الفتاوى (٢٨/٣٠٦).
(٣) سبق تخريجه (٦٤).

تماثيل، فهتكه النبي -ﷺ- فاتخذت منه نُمرقتين، فكانتا في البيت يجلس عليهما[1].

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله -ﷺ- فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله -ﷺ- لأبي طالب: "يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول -ﷺ- يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة؛ حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال: رسول الله -ﷺ-: "أما والله لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك" فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية[2].

وعن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله -ﷺ- وميمونة قالت: فبينا نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله -ﷺ-: "احتجبا منه" فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى، لا يبصرنا، ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه"[3].

كذلك احتساب على عمه العباس -رضي الله عنه- حين تمنى الموت، حيث نهاه عن ذلك، فعن أم الفضل أن النبي -ﷺ- دخل على العباس، وهو يشتكى فتمنى

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨) برقم (٢٤٧٩) ومسلم (٨٧٤) برقم (٢١٠٧).

(٢) سبق تخريجه (٧٨).

(٣) سبق تخريجه (٦٧).

الموت، فقال: "يا عباس يا عم رسول الله لا تتمن الموت إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيأ، فإن تؤخر تستعتب خير لك، فلا تتمن الموت"(١).

وأمر النبي -ﷺ- ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو غلام صغير بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت خلف رسول الله -ﷺ- يوماً فقال: "يا غلام ! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"(٢).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يقول: كنا مع النبي -ﷺ- في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله -ﷺ-: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها منتنة" فسمعها عبد الله بن أبي، فقال: قد

(١) أخرجه أحمد (٤٤/٤٤٤) برقم (٢٦٨٧٤) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف؛ لجهالة هند بنت الحارث وهي الخثعمية .. ولم يؤثر توثيقها عن غير ابن حبان، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين) والحاكم: المستدرك (١/٤٨٩) برقم (١٢٥٤) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ) وصححه الألباني: صحيح الترغيب برقم (٣٣٦٨).

(٢) سبق تخريجه (٣٥).

فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"[1].

لقد تميزت تطبيقات الشريعة الإسلامية فيما تميزت به بنظام الحسبة، حيث وجدت الحسبة لتأخذ مكانها بين المؤسسات في الدولة الإسلامية؛ لتأمين الحقوق، وإقامة العدل، وحماية الأحكام والفضيلة، وتطبيق أوامر الشريعة، ووقاية المجتمع من الشر والرذيلة واجتثاث جذورهما[2].

ولا بد لرجال الحسبة من رعاية الجوانب العلمية الشرعية، والجوانب التنفيذية؛ حتى يكون عملهم مفيداً.

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: (فحيث كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم ما فرضه الله على عباده، وهو من أخص وآكد مراتب الجهاد في سبيل الله الذي لا قوام للدين والدنيا إلا به.

كان من الواجب علينا وعلى ولي أمر المسلمين، بل وعلى المسلمين أجمعين الاهتمام به غاية الاهتمام،و إعطاؤه من العناية قولاً وفعلاً وتعاوناً على ذلك ما يسبب استقامة الدين،والنجاة من غضب رب العالمين... والمقام يفتقر إلى: قوة علمية، وقوة إرادية، وقوة تنظيمية، وقوة تنفيذية.

فبالقوة العلمية يعرف الطريق ليسلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٥) برقم (٣٥١٨) ومسلم (١٠٤١) برقم (٢٥٨٤).

(٢) انظر: عبد العزيز المرشد: نظام الحسبة في الإسلام (١٠) وعلي القرني: الحسبة في الماضي والحاضر (١/٤).

وبالقوة الإرادية يسلك الطريق ويستمر في السير.

وبالقوة التنظيمية تحصل قوة السير وكماله.

وبالقوة التنفيذية تحصل الثمرة والنتيجة.

فيتعين اتخاذ منهج شرعي لرجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظام يضمن الغاية المقصودة ها هنا)[1].

ولذلك فإن إيجاد نظام خاص بالحسبة، وجهاز قائم بهذه المهمة ضمن أجهزة الدولة أمر واجب.

وفي الحياة المعاصرة صورة عملية واضحة؛ حيث أسس مؤسس المملكة العربية السعودية الملك: عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- ولاية عرفت فيما بعد بـ: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

**الفئة الثانية: أهل العلم:**

فأهل العلم هم أخص المعنيين بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقيام أهل العلم بهذه المهمة، قيام بواجب مناط بهم ابتداءً قبل أن يناط بعامة الناس، مع أن قيامهم بهذا يحقق أيضاً قطع الطريق أمام العامة أو الجهلة الذين ينكرون بغير حلم، ولا علم، ولا فقه، فيتجاوزون في إنكارهم حدود الشرع المطهر.

وأما عامة المسلمين: فهؤلاء يضبط إنكارهم بضوابط شرعية كثيرة،

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦/١٧٣-١٧٤).

(٢) ينظر بتوسع حول هذا الموضوع: علي القرني: الحسبة الماضي والحاضر (٢/٧١٩-٧٥١).

وشروط تختلف باختلاف المنكَر،والمنكَر عليه، والمنكِر، ولكن حين تتحقق تلك الضوابط وتتوافر الشروط يسوغ للمرء الأمر والنهي.

قال النووي -رحمه الله-: (قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين.

قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير ولاية)[1].

وأضاف: (ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به، وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام، والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء)[2].

وقال -رحمه الله- ناصحاً: (واعلم أن هذا الباب أعنى باب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ

(١) شرح صحيح مسلم (٢/٢٣).

(٢) المصدر السابق.

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز و جل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه؛ لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته، ومداهنته وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً ومن حقه أن ينصحه، ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها وصديق الإنسان، ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وأن أدى ذلك إلى نقص في دنياه وعدوه من يسعى في ذهاب، أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- أولياء للمؤمنين؛ لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها)[١].

(١) المصدر السابق (٢/٢٤).

## المطلب السادس
## لزوم جماعة المسلمين

إن من أصول الدين، ومقاصده الرئيسة: (لزوم الجماعة) شهدت بذلك نصوص الوحيين، شهادة دلت بالاستقراء على مكانة هذا الأصل العظيم من الدين، فإنه إنما (بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة، والمخالفة)[1].

إن لزوم الجماعة وعدم الشذوذ عنها أصل من أصول الدين جاءت النصوص بالدعوة إليه، والأمر به، فلا قيام للدين وأهله إلا بلزوم الجماعة، فرحمة الله معلقة به.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً، وظاهراً.

وسبب **الفرقة**: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم.

ونتيجة **الجماعة**: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه.

ونتيجة **الفرقة**: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول -ﷺ- منهم)[2].

---

(١) البغوي: معالم التنزيل (١٢٢/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/١).

لقد شهد على هذا الأصل العظيم نصوص الوحيين الكتاب والسنة، فمن الكتاب:

١ - قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فأمرنا بالاعتصام بحبل الله الذي هو معقد الاجتماع، ونهى عن التفرق والاختلاف.

قال الإمام الطبري: (وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله)[(١)].

٢ - قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٣].

فأمر الله تعالى أهل الإيمان بلزوم الصراط المستقيم الذي هو طريق الجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وسلوك بنيات الطريق، وجواد الشيطان، والسبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر طرق أهل البدع والضلالات والانحراف[(٢)].

والآيات في هذا الأصل العظيم كثيرة.

(١) جامع البيان (٧/٧١).

(٢) انظر: ابن جرير: جامع البيان (٨/٨٨-٨٩) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣/١٢٥-١٢٧).

أما السنة فقد وردت جملة أحاديث في الأمر بلزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة منها:

١- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة"[1].

٢- وعن ابن عمر: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على ضلالة، ويدُ الله مع الجماعة، ومن شذَّ، شذَّ إلى النار"[2].

٣- وعن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلكم المؤمن"[3].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب لزوم الجماعة ونبذ التفرق، التي وعاها أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فكثرت وصاياهم بلزوم الجماعة، خاصة أيام الفتن، فمن ذلك:

أن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال في خطبته: (أيها الناس: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)[4].

---

(١) سبق تخريجه (٤٦).

(٢) سبق تخريجه (١٣١).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠) برقم (٢١٦٥) وقال (حسن صحيح) والحاكم: المستدرك (١/١١٤-١١٥) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٦/٢٣٩) برقم (٧٢٥٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٤) أخرجه الآجري: الشريعة (١/٢٩٨-٢٩٩) وابن جرير: جامع البيان (٤/٣٢).

**معنى الجماعة في الأحاديث المتقدمة:**

لقد تتبع بعض العلماء[1] هذه الأحاديث والآثار، وأقوال السلف في بيان معنى الجماعة، فتحصل من ذلك خمسة أقوال، هذا مجملها:

**القول الأول:** أن الجماعة هي: السواد الأعظم من أهل الإسلام[2]:

وأصل حجة القائلين بهذا القول: حديثان ذكرهما الإمام الطبري -رحمه الله- إذ قال: (واحتجوا بما روى الأوزاعي قال: حدثني قتادة، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقةً، وإن أمتي تفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة"[3].

وروى معتمر عن سليمان المزني عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يجمع الله أمتي على ضلالةٍ أبدًا، ويد الله على الجماعة هكذا، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذَّ، شذَّ في النار"[4])[5].

**القول الثاني:** أن الجماعة: هي جماعة أئمة العلماء:

---

(١) ينظر: ما نقله ابن بطال عن الإمام الطبري: شرح صحيح البخاري (١٠/٣٣-٣٥) وابن حجر: فتح الباري (١٣/٣٧)، والشاطبي: الاعتصام (٢/٢٦٠-٢٦٥).

(٢) انظر: ابن بطال: شرح البخاري (١٠/٣٣) وابن حجر: الفتح (١٣/٣٧) والشاطبي: الاعتصام (٢/٢٦٠-٢٦١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩) برقم (٣٩٩٣) وأحمد (١٩/٤٦٢) برقم (١٢٤٧٩) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف) وصححه الألباني: صحيح الجامع برقم (٢٠٤٢).

(٤) أخرجه الحاكم: المستدرك (١/١١٦) برقم (٣٩٦).

(٥) ابن بطال: شرح صحيح البخاري (١٠/٣٤).

وقد قال بهذا القول جمع من السلف فعن المسيب بن رافع -رحمه الله-: (كانوا إذا جاءهم شيء ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله -ﷺ- سمّوه: (صوافي الأمر) فجمعوا له العلماء، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق)[1].

وعلى هذا جرى علماء الأصول، حيث قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (وممن قال بهذا عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين)[2].

**القول الثالث:** أن الجماعة هم الصحابة على وجه الخصوص:

قال ابن حبان -رحمه الله-: (الأمر بالجماعة بلفظ العموم، والمراد منه الخاص؛ لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله -ﷺ- فمن لزم ما كانوا عليه، وشذَّ عن من بعدهم لم يكن بشاق للجماعة ولا مفارق لها، ومن شذَّ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقاً للجماعة، والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم، ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه، وإن قلت أعدادهم، لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا)[3].

**القول الرابع:** أن الجماعة هم: أهل الإسلام:

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: (وقال آخرون: الجماعة التي أمر رسول الله -ﷺ- بلزومها: جماعة أهل الإسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملل اتباعها، فإذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا بمجتمعين، ووجب

---

(١) ذكره الطبري في سياق من قال بهذا القول، ينظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري (٣٤/١٠).

(٢) الاعتصام (٢٦١/٢).

(٣) صحيح ابن حبان (١٢٤/١٤).

تعرف وجه الصّواب فيما اختلفوا فيه)[1].

**القول الخامس**: إن الجماعة: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير:

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: (والصواب في ذلك أنه أمر منه -ﷺ- بلزوم إمام جماعة المسلمين، ونهى عن فراقهم فيما هم عليه مجتمعون من تأميرهم إياه، فمن خرج من ذلك فقد نكث بيعته، ونقض عهده بعد وجوبه، وقد قال -ﷺ-: "من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم فاضربوا عنقه كائنًا من كان"[2])[3].

هذه هي الأقوال التي قال بها أهل العلم في معنى الجماعة، والذي يتضح لي -والله أعلم- أن للجماعة إطلاقين:

الأول: إطلاق الجماعة على المنهج والطريقة.

الثاني: إطلاق الجماعة عل البناء والكيان.

**وهذا تفصيل هذين الإطلاقين:**

الإطلاق الأول: إطلاق الجماعة على المنهج والطريقة: وهو سبيل المؤمنين:

إن نصوص الأمر بلزوم الجماعة يجب ألا تبحث بمعزل عن النصوص التي فيها النهي عن التفرق، أو فيها ذكر الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة؛

(١) نقلاً عن ابن بطال: شرح صحيح البخاري (١٠/٣٥)، وانظر الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٦٣-٢٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٣) برقم (١٨٥٢) بلفظ: "إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف، كائناً من كان ".

(٣) نقلاً عن ابن بطال: شرح صحيح البخاري (١٠/٣٥).

لأن فيها تلازماً واضحاً، يُظهر أن التفرق إنما هو مفارقة الحق، والإعراض عن المنهج الذي هو الصراط المستقيم، وأن الجمعة هم من لازموا الحق، فساروا على نهج سيد المرسلين محمد -ﷺ- وأصحابه، فصاروا الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وذلك ظاهر لمن فقه النصوص، وتتبع الأحاديث برواياتها.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "افتَرَقَت اليهود على إحدى، أو ثنتين وسبعين فِرقةً، وتَفرَّقت النصارى على إحدى، أو ثنتين وسبعين فرقةً وتفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة"[1].

وفي بعض الروايات: "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة "[2].

وفي تحديد هذه الفرقة الناجية وردت عدة روايات هي:

١- "وواحدة في الجنة: وهي الجماعة"[3].

٢- "كلها في النار إلا السواد الأعظم"[4].

---

(١) سبق تخريجه (١١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣) برقم (٤٥٩٧) وابن ماجه (٤٢٩) برقم (٣٩٩٣) وأحمد (١٣٤/٢٨) برقم (١٦٩٣٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن) والدارمي (٣١٤/٢) والطبراني: المعجم الكبير (٣٧٦/١٩) برقم (٨٨٤) والحاكم (١٢٨/١) برقم (٤٤٣) وابن بطة في الإبانة (٣٧٢/١) وصحح الحديث الشاطبي: الإعتصام (١٨٩/٢) ، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٩٩/٣) وقال الألباني (صحيح بما قبله) ظلال الجنة (٨).

(٣) سبق تخريجه آنفاً.

(٤) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (١٨٨/٨) برقم (١٦٥٦٠) الطبراني: المعجم الكبير (٢٦٨/٨) برقم (٨٠٣٥) والأوسط (١٧٥/٧) برقم (٧٢٠٢) وقال الهيثمي (رجاله ثقات) المجمع (٢٣٤/٦) واللالكائي: شرح اعتقاد أهل السنة (١٠٤/١) والآجري: الشريعة (٣١٢/١-٣١٣).

٣- "ما أنا عليه وأصحابي"[(١)]

ولا يمكن أن تتعدد المعاني، بل هي عائدة إلى معنى واحد، قال الآجري -رحمه الله- بعد سوق هذه الروايات: (ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى)[(٢)].

فمن لزم الكتاب، واتبع الرسول فهو الجماعة، فهو ملازم لما كان عليه النبي -ﷺ- وأصحابه وإن كان وحده، مما يدل على أن الجماعة مجموعة أوصاف، وليست مجرد كيان.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك)[(٣)].

وفي رواية: (الجماعة ما وافق الحق، إن كنت وحدك)[(٤)].

فـ: (حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي -ﷺ- وأصحابه -رضي الله عنهم- ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم)[(٥)].

الإطلاق الثاني للجماعة: إطلاقها على البناء والكيان:

ذلك أن المسلمين -ولو في قطر من الأقطار- إذا اتفقوا على إمام شرعي، صاروا جماعة يجب لزومها، وعدم مفارقتها.

---

(١) سبق تخريجه (١١٤).

(٢) الشريعة (١/٣٠٢).

(٣) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٠٩)

(٤) رواه ابن أبي شامة: الباعث على إنكار البدع (٩٢).

(٥) ابن أبي شامة: الباعث على إنكار البدع (٩٢) وانظر: الآجري: الشريعة (١/٣٠١).

ونصوص الأمر بلزوم الجماعة كثيراً ما تكون متوجهة نحو هذا الإطلاق؛ إذ تقترن بالكلام عن الإمام، وعن البيعة، يشهد بذلك حديث حذيفة -رضي الله عنه- إذ قال النبي -ﷺ-: "تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم"(١).

ولزوم الجماعة بهذا المعنى أصل من أصول الإسلام، ومبدأ من مبادئ أهل السنة والجماعة، ويعني أول ما يعني الطاعة ولزوم الأمر؛ إذ الولاية لا حقيقة لها إلا بالطاعة.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة)(٢).

ولذلك أمر الله بطاعة أولي الأمر إلا في المعصية، وشواهد ذلك كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"(٣).

٣- عن عبد الله -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية،

(١) انظر تخرجه (٤٠٦).

(٢) رواه الدارمي (١/٩١) برقم (٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٢) برقم (٧١٣٧) ومسلم (٧٦٧) برقم (١٨٣٥).

فلا سمعَ، ولا طاعة"[1].

كما يعني عدم الخروج على ولاة الأمر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-: (من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة.

وأما أهل الأهواء -كالمعتزلة- فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم)[2].

ولقد قال النبي -ﷺ- في لزوم الجماعة: "من رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ، فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات إلا مات ميتة جاهلية "[3].

وفي رواية: "من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خَرَجَ من السُّلطانِ شِبْرًا، فمات عليه، إلا مات مِيتَةً جاهليَّةً "[4].

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من فارق الجماعة قيد شِبْرٍ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه"[5].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية" هي بكسر الميم أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم)[6].

وقال ابن أبي جمرة -رحمه الله-: (المراد بالمفارقة: السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٣) برقم (٧١٤٤) ومسلم (٧٦٨) برقم (١٨٣٩).

(٢) الفتاوى (٢٨/١٢٧).

(٣) سبق تخريجه (٢٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٧٧٣) برقم (١٨٤٩).

(٥) رواه أبو داود (٥١٨) برقم (٤٧٥٨) وأحمد: المسند (٣٥/٤٤٤) برقم (٢١٥٦٠) وقال شعيب الأرنؤوط: (صحيح لغيره).

(٦) شرح صحيح مسلم (١٢/٤٤١).

الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق)[1].

وقال الصنعاني -رحمه الله-: (" فارق الجماعة" أي: خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم، واجتمعن به كلمتهم، وحاطهم عن عدوهم)[2].

واستقرار مذهب أهل السنة على القول بتحريم الخروج واضح من كتاباتهم؛ حتى صاروا يعدون ذلك عقيدة يدونونها ضمن عقائدهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة؛ للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي -ﷺ- وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين)[3].

وأود أن أشير هنا إلى أن عموم أدلة الأمر بلزوم الجماعة تدل على أن لزوم الجماعة ممكن لكل أحد؛ إذ لا تكليف بمستحيل، وإنما التكليف بالمستطاع، ولو تخلفت الجماعة، فلم توجد لم يكن لزومها مقدوراً عليه.

وإذا كانت الجماعة بمعنى المنهج سبيل المؤمنين لا تتخلف أبداً كان فرض المسلم لزومها بكل حال مهما نأت به الدار.

أما الجماعة فمعنى الكيان، فالجماعة بهذا الإطلاق قد تتخلف، وتخلفها على وجهين:

(١) ابن حجر: فتح الباري (١٣/٧).
(٢) سبل السلام (٣/٥٢٢).
(٣) منهاج السنة (٤/٥٢٩-٥٣٠).

الأول: تخلف مطلق، وهذا -والله أعلم- لا يكون إلا في زمن الفتن في آخر الزمان، ودليل ذلك ما جاء في حديث حذيفة -رضي الله عنه-: قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك"[(١)].

الثاني: تخلف خاص في مكان أو زمان: فتخلفها في مكان بأن يكون بعض الأماكن خارجة عن سلطة ولي الأمر، وهذا مر بتاريخ المسلمين كثيراً في بقاع متعددة من العالم الإسلامي.

وتخلفها في زمان بأن لا تكون الجماعة موجودة زمناً يسيراً عند موت الإمام أو عزله مثلاً وهذا الزمن اليسير لا يضر فيه تخلف الجماعة، والواجب على الأمة إذ ذاك السعي لإيجاد الجماعة بتنصيب الإمام الذي هو رأس بناء الجماعة، وهذا أمر مجمع على وجوبه[(٢)]، فإن كان الإمام إماماً لجزء من بلاد المسلمين كان على أهل ذلك القطر السعي لإيجاد إمام.

بل قد توجد الجماعة بمعنى الكيان، ولا تنتظم، يقول ابن تيمية -رحمه الله- في سياق الكلام عن خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: (فلما قتل -رضي الله عنه- تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ

(١) رواه البخاري (٦٨٩) برقم (٣٦٠٦) ومسلم (٧٧١) برقم (١٨٤٧).
(٢) انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية (٥)

وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة، وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان)[1].

وبهذا يتبين أن نفي جماعة المسلمين في هذا الزمان ضلالٌ مبين:

فإن كان المراد نفي جماعة المسلمين بمعنى المنهج وسبيل المؤمنين، فإن ذلك مخالف لصريح السنة: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس"[2].

فهؤلاء هم الجماعة الذين جعل الله بقاءهم من تمام إقامة الحجة على الخلق.

- وإن كان المراد نفي جماعة المسلمين بمعنى الكيان فلا يخلو النافي من أن يريد نفيها حيث قامت الأدلة على وجودها فقد ضل، كمن نفى أن المسلمين في المملكة العربية السعودية جماعة لهم إمام.

- وأما من نفى ذلك حيث لا توجد الجماعة بمعنى الكيان كمن يعيش في بلد كافر لا إمام للمسلمين فيه، فذلك واقع الحال.

- ولكن لا يجوز له إذ نفى وجود الجماعة بمعنى الكيان في أرض أن ينفيها في العالم كله، وفرض من هذا حاله أن يلزم الجماعة بمعنى: المنهج، ويسعى جاهده للانتماء إلى كيان المسلمين وجماعتهم.

۞ ۞ ۞

(١) الفتاوى (٢٥/٣٠٤-٣٠٥).

(٢) سبق تخريجه (١٢٨).

وبهذا التصنيف لأقوال العلماء تجتمع الأدلة، كما تجتمع أقوال أهل العلم؛ إذ ليس اختلافهم على هذه الأقوال الخمسة السابقة اختلاف تضاد بل هو اختلاف تنوع، ومآخذ أقوالهم فيما يبدو -والله أعلم- من تفسير نصوص معينة كان معنى لفظ الجماعة فيها منصرفاً إلى إطلاق محدد، من ذلك أن قول الطبري -رحمه الله- مأخوذ من شرحه لحديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه- حيث قال: (والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذي في طاعة من اجتمعوا على تأميره)[1].

وعادة السلف جارية على أن يذكر الواحد منهم بعض أنواع الاسم العام تمثيلاً عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- مبيناً بعض مناهج السلف في تفسير الألفاظ: (أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه)[2].

ولذلك أمكن جمع هذه الأقوال في هذين الإطلاقين، وهو جمع غير محدث، فقد قال بهذا بعض أهل العلم، فمن الأقوال التي فيها ما يظهر القول بهذا التقسيم قول الإمام الخطابي -رحمه الله-: (الفرقة فرقتان: فرقة الآراء والأديان، وفرقة الأشخاص والأبدان.

والجماعة جماعتان: جماعة هي الأئمة والأمراء، وجماعة هي العامة

(١) ابن حجر: فتح الباري (١٣/٣٧).
(٢) الفتاوى (١٣/٣٣٧).

والدهماء.

فأما الافتراق في الآراء والأديان، فإنه محظور في العقول، محرم في قضايا الأصول؛ لأنه داعية الضلال وسبب التعطيل والإهمال، ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل، ولكثرت الأديان والملل، ولم تكن فائدة في بعثة الرسل، وهذا هو الذي عابه الله عز وجل من التفريق في كتابه وذمه في الآي التي تقدم ذكرها.

وعلى هذه الوتيرة نجري الأمرَ أيضاً في الافتراق على الأئمة والأمراء، فإن في مفارقتهم مفارقة الألفة، وزوال العصمة، والخروج من كنف الطاعة، وظل الأمنة، وهو الذي نهى النبي -ﷺ- عنه وأراده بقوله: "من فارق الجماعة، فمات فميتته جاهلية"[1] وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ويتألفهم على رأي واحد، بل كانوا طوائف شتى وفرقاً مختلفين، آراؤهم متناقضة، وأديانهم متباينة، وذلك الذي دعا كثيراً منهم إلى عبادة الأصنام، وطاعة الأزلام، رأيا فاسداً اعتقدوه في أن عندها خيراً، وأنها تملك لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضراً.

وأما عزلة الأبدان، ومفارقة الجماعة التي هي العوام، فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة، وجارية مع المصلحة)[2].

وقال ابن العربي -رحمه الله-: (قوله: "عليكم بالجماعة" يحتمل معنيين: يعني أن الأمة أجمعت على قول، فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولاً آخر.

(١) سبق تخريجه (٢٧٥).

(٢) كتاب العزلة (٥٧-٥٨).

الثاني: إذا اجتمعوا على إمام، فلا تحل منازعته ولا خلعه، وهذا ليس على العموم بل لو عقده بعضهم لجاز، ولم يحل لأحد أن يعارض)[1].

إن أمن المجتمع بشكل عام راجع لهذا المنهج: "ما أنا عليه وأصحابي"[2] بإطلاقيه: (سبيل المؤمنين، وكيان المؤمنين) فهو صمام أمان واطمئنان، ومن خرج عليه، فقد فتح على نفسه وعلى مجتمعه باب: قلاقل واضطراب وفتن لا تنتهي إلا بالرجوع لهذا المنهج الحق.

فهو العاصم المانع، وهو السد الدافع لكل من أراد النيل من الأمة، وأمنها، واستقرارها.

(١) عارضة الأحوذي (٩/١٠)، وانظر: الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٦١-٢٦٤)، وابن القيم: إعلام الموقعين (٣/٣٩٧-٣٩٨).

(٢) سبق تخريجه (١١٤).

## المطلب السابع
## القيام بحقوق ولاة الأمر، وطاعتهم

اتفق أهل القبلة على وجوب نصب الإمام، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الخوارج، وبعض المعتزلة.

قال ابن حزم -رحمه الله-: (اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الإنقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي آتى بها رسول الله -ﷺ- حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم)[1].

ومستند هذا الإجماع: الآيات الدالة على وجوب طاعة ولي أولي الأمر، ووجوب الحكم بما انزل الله، والآيات التي جاء فيها الأمر بإقامة الحدود؛ إذ لا يتم هذا الواجب إلا بنصب الأئمة.

كما استندوا إلى الأحاديث الدالة على ما ذكر، والدالة أيضاً على أن البيعة واجبة في عنق كل مسلم من مثل حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ-: "من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"[2].

كما دل فعل الصحابة على أهمية نصب الخليفة، حيث تشاغلوا به عن دفن

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٣) برقم (١٨٥٠).

الرسول -ﷺ- ولو لم يكن بهذه الأهمية؛ لما فعلوا ذلك.

قال الهيتمي -رحمه الله-: (اعلم أيضاً أن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله -ﷺ-)[1].

وقيام أمور حياة الناس الدينية والدنيوية معتمد على وجود الآمر الناهي المنظم لشؤون الأمة وأمورها.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا، فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه.

فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية، ولا من أهل دين، فإنهم يطيعون ملوكهم، فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم، مصيبين تارة، ومخطئين أخرى)[2].

ومن كمال هذا الدين أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فأمر بطاعة ولاة الأمر.

---

(١) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة (٧- ٨).

(٢) الحسبة (٩).

فالإمام على الرعية حقوق أهمها:

أولاً: الطاعة:

إن الولاية لا قيام لها على الحقيقة إلا بالطاعة قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة)(١).

ولذلك أمر الله -عز وجل- بطاعة أولي الأمر، وشواهد ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (و أولو الأمر: أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء، والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وماذا فسدوا فسد الناس)(٢).

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"(٣).

٣- وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: (بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على

(١) سبق تخريجه (٤٦٦).

(٢) الفتاوى (٢٨/١٧٠).

(٣) سبق تخريجه (٤٦٦).

السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[1].

وهذه الطاعة طاعة مقيدة بطاعة الله -عز وجل-.

يقول ابن حجر -رحمه الله- في الكلام عن قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾: (قال الطيبي: أعاد الفعل في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته، ثم بين ذلك بقوله: ﴿مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ كأنه قيل: فإن لم يعملوا بالحق، فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله -ﷺ-)[2].

وقد دل على ذلك جملة من الأحاديث، منها:

١- عن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمعَ ولا طاعة"[3].

٢- وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه قال: قال النبي -ﷺ-: "سيليكم أمراء بعدي يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فمن أدرك ذلك منكم، فلا طاعة لمن عصى الله"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) برقم (٧١٩٩) ومسلم (٧٦٩) برقم (١٧٠٩).

(٢) الفتح (١١٢/١٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٣) برقم (٧١٤٤) ومسلم (٧٦٨) برقم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه الحاكم: المستدرك (٤٠١/٣) برقم (٥٥٢٨) وقال (حديث صحيح الإسناد و لم =

ثانياً: التوقير والتقدير:

إن توقير الولاة واحترامهم من السنة، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن من إجلال الله -تعالى- إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"[(١)].

وقال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: (ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا)[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن به صلاح الرعية، فإذا صلح أمنت العباد، والبلاد)[(٣)].

وقال سهل بن عبد الله -رحمه الله-: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم)[(٤)].

وقال طاووس بن كيسان -رحمه الله-: (من السنة أن يوقر أربعة: العالم،

= يخرجاه) ولم يوافقه الذهبي حيث قال (تفرد به عبد الله بن واقد وهو ضعيف) وأحمد (٤٢٨/٣٧) برقم (٢٢٧٦٩) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف) وقواه الألباني بمجموع طريقيه: السلسلة الصحيحة (١٣٨/٢-١٣٩) برقم (٥٩٠).

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٦) برقم (٤٨٤٣) والبيهقي: السنن الكبرى (١٦٣/٨) برقم (١٦٤٣٥) وقال شعيب الأرنؤوط (وقد حسنه الذهبي، والنووي، والحافظان العراقي وابن حجر) هامش: شرح السنة للبغوي (٤٢/١٣).

(٢) البغوي: شرح السنة (٥٤/١٠).

(٣) رواه ابن كثير معلقاً: البداية والنهاية (١٩٩/١٠).

(٤) رواه القرطبي معلقاً: الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠/٥).

وذو الشيبة، والسلطان، والوالد)[1].

وتوقير السلطان وتقديره من طرق نشر الأمن في الناس والطمأنينة، وإذا تجرأ الناس على السلطان بعدم التقدير والتوقير، تجرؤوا عليه بالفعل مما ينشر الأحقاد المتبادلة التي تؤول إلى نشر الفتن.

**ثالثاً: النصيحة والنصرة ومعاونته على البر:**

إن النصح للمسلم أمر واجب، والولاة من أولى الناس بذلك، ففي الحديث عن تميم الداري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2].

وفي الحديث الآخر عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالخيف من مِنى، فقال: "نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهم قلب المؤمن: إخلاص العمل، والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائه"[3].

والنصيحة كلمة عامة تدل على صدق القلب في رغبة الخير للمنصوح، ورغبة الخير منه.

قال ابن الصلاح -رحمه الله-: (والنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام

---

(١) رواه البغوي معلقاً: شرح السنة (١٣/٤١).

(٢) سبق تخريجه (٤٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧/٣٠٠) برقم (١٦٧٣٨) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين) والدارمي (١/٨٧) برقم: (٢٣٠).

الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة، وفعلاً)[1].

فتشتمل على المعاونة والطاعة والنصرة، قال النووي -رحمه الله-: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف، واعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم)[2].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: (والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك)[3].

وقال الخطابي -رحمه الله-: (ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح)[4].

والنصيحة التي يقوم بها المسلم للوالي من بيان الحق، والدلالة عليه نصيحة صادقة لا نفاق فيها، فقد عقد الإمام البخاري أسماه: باب: ما يكره من ثناء السلطان(٥) وإذا خرج قال غير ذلك، وأورد فيه أن أناساً قالوا لابن عمر -رضي الله عنهما-: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم

(١) صيانة صحيح مسلم (٢٢٣-٢٢٤).

(٢) نقلاً عن النووي: شرح صحيح مسلم (٢/٣٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٢٢٣).

(٤) نقلاً عن النووي: شرح صحيح مسلم (٢/٣٨).

(٥) صحيح البخاري (١٣٧٠).

إذا خرجنا من عندهم؟ قال: كنا نعدها نفاقاً[1].

وقصة هذا أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- لقي ناساً خرجوا من عند مروان، فقال: من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان، قال: وكل حق رأيتموه تكلمتم به، وأعنتم عليه، وكل منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه؟ قالوا: لا، والله بل يقول: ما ينكر، فنقول: قد أصبت أصلحك الله، فإذا خرجنا من عنده، قلنا: قاتله الله ما أظلمه وأفجره، قال عبد الله: كنا بعهد رسول الله -ﷺ- نعد هذا نفاقاً لمن كان هكذا[2].

ولذلك فإن السلطان يبين له الحق بالأسلوب المناسب لمقامه، وقدره، ففي الحديث عن عياض بن غنم الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من كان عنده نصيحة لذي سلطان، فلا يكلمه بها علانية، وليأخذه بيده فليخل به، فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له"[3].

فإن كان السلطان جائراً أو ظالماً كان الناصح مأجوراً في أدائه النصيحة؛ حتى وإن أدى به ذلك إلى الهلاك، فعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: عرض لرسول الله -ﷺ- رجل عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رأى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: "أين السائل؟" قال: أنا، يا رسول الله،

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠) برقم (٧١٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٣/٩) برقم (٥٣٧٣) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمر بن عبد الله).

(٣) أخرجه البخاري: التاريخ الكبير (١٩/٧) برقم (٨٤).

قال: "كلمة حق عند ذي سلطان جائر"[1].

وأما النصرة والتعاون على الخير فهما حقان واجبان لكل مسلم، والوالي من باب أولى، فقد قال -عز وجل-: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الحديث أن رسول الله -ﷺ- قال: "انصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً: قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالما؟ قال: "تأخذ فوق يديه"[2].

قال أبو يعلى -رحمه الله-: (وإذا قام الإمام بحقوق الأمة؛ وجب له عليهم حقان: الطاعة، والنصرة، ما لم يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة)[3].

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣١) برقم (٤٠١٢) والنسائي (٤٤٢) برقم (٤٢٠٩) وأحمد (١٢٦/٣١) برقم (١٨٨٣٠) كلاهما من حديث طارق بن شهاب - رضي الله عنه- وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١) برقم (٢٤٤٤).

(٣) الأحكام السلطانية (١٨).

## المطلب الثامن
## التثبت في باب الأخبار والوقائع

إن من الخلق الإسلامي الذي جاء به الكتاب العزيز، والسنة المطهرة: (خلق التثبت) وذلك تمحيص الخبر، والتحقق من صدقه قبل إنشائه، وإذاعته، وهذا (التثبت) وإن كان سنة جارية في كل حال إلا أنه يتأكد في حالين:

الأولى: وجود قرينة تشكك في الخبر، كفسق القائل، أو غرابة القول، أو كونه نقضاً لأصل تأكد بدليل قاطع، يقول الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

يقول الإمام ابن جرير -رحمه الله- في تفسير الآية: (أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله... لئلا تصيبوا قوما برآء مما قذفوا به بجناية بجهالة منكم ﴿ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها)(١).

وفي قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا)(٢).

قال الشوكاني -رحمه الله-: (المراد من التبين التعرف والتفحص، ومن

(١) جامع البيان (٢٦/١٢٣-١٢٥).

(٢) الموضح في وجوه القراءات (٣/١١٩٥) والنشر (٢/٢٥١) والمهذب في القراءات العشر (٢/٢٤٧)

التثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد؛ حتى يتضح ويظهر)[1].

الثانية: وقوع الفتن والشرور، واضطراب الأحوال، وتبلبل الأذهان، فإن ذلك إذا وقع في زمان ما أوجب التثبت والتبين؛ لما يستدعيه زمن الفتن والشرور من كثرة الكذب والافتراء، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

فهذه الآية إنكارٌ على قوم كانوا إذا (جاءهم خبرٌ عن سرية للمسلمين غازية أنهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم)[2] أو جاءهم خبر عن آخرين تخوفوا (من عدوهم بإصابتهم عدوهم منهم أذاعوا به... وأفشوه بين الناس قبل رسول الله -ﷺ- وقبل أمراء رسول الله -ﷺ-)[3].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة)[4].

(١) فتح القدير (٥/ ٦٠).

(٢) جامع البيان (٥/ ١٨٠).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٥).

قال ابن كثير -رحمه الله-: (ومعنى قوله: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي: يستخرجونه ويستعلمونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين، إذا حفرها واستخرجها من قعورها)[1].

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم، والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة، ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك.

وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع؛ لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا؟

(١) المصدر نفسه (٢/٣٦٦).

فيحجم عنه؟)[1].

وفي سبب نزول الآية: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بلغه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طَلَّق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد، فوجد الناس يقولون ذلك، فاستأذن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستفهمه واستوضحه: أطلقت نساءك؟ قال: "لا"، فقلت: الله أكبر[2].

وعند مسلم[3]: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: "لا" فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٤] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.

ورغم أن الاستعجال، وترك التثبت طبيعة بشرية حيث قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

ويقول أيضاً: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

أي: أن طبعه العجلة، ثم إن أفراد الناس متفاوتون في هذا الاستعجال على حسب تفاوتهم في غور النظر، والفكر، ولكنهم مع ذلك لا يخلون عنه[4].

إلا أن المنهج الشرعي نجده قد أمر ووجه الإنسان ودفعه إلى التخلق

(١) تيسير الكريم (١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٢٧) برقم (٥١٩١) و مسلم (٥٩٣) برقم (١٤٧٩).

(٣) صحيحه: صحيفة (٥٩٤) برقم (١٤٧٩).

(٤) انظر: القرطبي: أحكام القرآن (١٠/٢٢٦) وابن عاشور: التحرير والتنوير (٩/١٥٩).

بخلق التثبت والتحري، والتدقيق في كل قول وفعل، حتى لا تبنى الأحكام إلا على أسس ثابتة، وهذا المنهج واضح في كتاب الله، وسنة رسوله -ﷺ- وطريقة السلف الصالح، ففي الكتاب نجد أن الأمر بالتثبت -إضافة لما تقدم-: قد ورد في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة؛ فإن الأمور قسمان: واضحة، وغير واضحة.

فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية لمَّا لم يتثبتوا وقتلوا من سلم عليهم.... فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورًا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة

قوية في أنه إنما سلم تعوذاً من القتل وخوفا على نفسه، فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد؛ حتى يتضح له الأمر، ويتبين الرشد والصواب)[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فإن التثبت في الأمور كلها دليل على حسن الرأي وقوة العقل، وبه تتوضح الأمور، ويعرف بعد ذلك هل الإقدام خير أم الإحجام؟ لأن المتثبت لا بد أن يعمل فكره ويشاور في الأمور التي عليه أن يتثبت فيها، والفكر والمشاورة اكبر الأسباب لإصابة الصواب والسلامة من التبعة، ومن الندم الصادر من العجلة، ومن عدم استدراك الفارط ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي: لا بد أن تسأل عن حركة هذه الجوارح، وهل هي حركات نافعة بأن وضعت فيما يقرب إلى الله، أم ضارة بأن وجهت إلى معصية الله؟ فليتعاهد العبد بحفظها عن الأمور الضارة ليعد لهذا السؤال جواباً، فمن استعملها بطاعة الله فقد زكاها ونماها، وأثمرت له النعيم المقيم، ومن استعملها في ضد ذلك فقد دساها وأسقطها وأوصلته إلى العذاب الأليم)[2].

وفي قصة نبي الله سليمان -عليه الصلاة والسلام- مع خبر الهدهد كما

(١) تيسير الكريم (١٩٤).

(٢) المصدر نفسه (٦٠-٦١).

ذكرها القرآن: حين أتاه الهدهد وقال له: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] فقال له سليمان- عليه الصلاة والسلام-: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧].

(فلم يبادر -عليه السلام- بالإنكار؛ لكون الآتي بالخبر هدهداً، ولم يكن عنده علم به ولم يسارع أيضاً بتصديقه، لأنه ليس لديه مستند عليه، بل أخذ في طريق التثبت بواسطة الطريق الذي جاء الخبر به)(١).

وأما ما جاء في السنة فهو كثير، ومن ذلك:

قوله -ﷺ-: "بئس مطية الرجل زعموا"(٢).

وهذا ذم وزجر واضح بين منه -ﷺ- لطائفة من الناس تتسرع في نقل الخبر دون تثبت وتدقيق.

قال البغوي -رحمه الله-: (إنما ذم اللفظة؛ لأنها تستعمل غالباً في حديث لا سند له، ولا تثبت فيه، إنما هو يحكى على الألسن، فأمر النبي -ﷺ- بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه)(٣).

وقال الإمام الخطابي -رحمه الله-: (وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا تثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى على الألسن وعلى سبيل البلاغ، فذم -ﷺ- من الحديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك،

---

(١) الشنقيطي (أضواء البيان: ٩/٦٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٣٨) رقم (٤٩٧٢) والبيهقي: السنن الكبرى (١٠/٢٤٧) برقم (٢٠٩٥٥) وأحمد (٢٨/٣٠٧) برقم (١٧٠٧٥) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف لانقطاعه) وصححه الألباني: الصحيحة برقم (٨٦٦).

(٣) شرح السنة (١٢/٣٦١).

فلا يرويه حتى يكون معزيا إلى ثبتٍ، ومروياً عن ثقة، وقد قيل: الراوية أحد الكاذبين)[1].

وقال -ﷺ-: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"[2].

قال النووي-رحمه الله-: (وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب: ففيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثماً)[3].

وقال ابن حبان -رحمه الله-: (في هذا الخبر الزجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع؛ حتى يعلم على اليقين صحته، ثم يحدث به دون ما لا يصح)[4].

وقال-ﷺ-: "إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"[5].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تَثَبُّت، ولا تَدبُّر، ولا تبيُّن)[6].

ففي القيل والقال: (من دواعي الكذب، وعدم التثبت، واعتقاد غير

---

(١) معالم السنن (٤/١٣٠).

(٢) رواه مسلم: المقدمة (٢٢): برقم (٥).

(٣) شرح صحيح مسلم (١/٧٥).

(٤) المجروحين (١/٦).

(٥) سبق تخريجه (٦٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٦٦).

الحق، ومن أسباب وقوع الفتن، وتنافر القلوب، ومن الاشتغال بالأمور الضارة عن الأمور النافعة.

وقلَّ أن يسلم أحد من شيء من ذلك، إذا كانت رغبته في القيل والقال)[1].

وقد سار السلف الصالح على هذا المنهج قولاً وفعلاً، وجعلوه شعاراً ومعلماً في تقبل الأخبار ونقلها، فلا يقبل خبر إلا بعد التحري والتثبت، والتدقيق فيه.

قال عمر -رضي الله عنه-: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: كذبت، فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: أني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أرسله، اقرأ يا هشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كذلك أنزلت" ثم قال: "اقرأ يا عمر"فقرأت القراءة التي أقرأنيها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[2].

وثبت عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- أنهما

(١) ابن سعدي: بهجة قلوب الأبرار (١٥).

(٢) رواه البخاري (٩٩٣) برقم (٤٩٩٢) ومسلم (٣١٨) برقم (٨١٨).

قالا: (بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع)[1].

وفي قصة عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- في حديث الاستئذان ثلاثاً حينما طلب عمر منه أن يأتي بمن يشهد له، قال عمر: (سبحان الله إنما سمعت شيئاً، فأحببت أن أتثبت)[2].

وفي رواية قال له: (أما إني لم أتهمك، ولكن أحببت أن أتثبت)[3].

۞ ۞ ۞

وإذا دعا القرآن العزيز، والسنة المطهرة إلى هذا الخلق العظيم العاصم من المزالق: (التثبت) فإنه يدعو إليه في شِقَّيْ الخبر:

- الأخبار الواقعية: التي تحكي وقائع معينة.
- والأخبار الشرعية: المروية عن الرسول -ﷺ- وسلف الأمة.

ففي الوقائع: نجد أن القرآن دل على أهمية التثبت والتحري قبل الحكم ففي قصة نبي الله سليمان -عليه الصلاة والسلام- مع خبر الهدهد كما ذكرها القرآن: حين أتاه الهدهد وقال له: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] فقال له سليمان- عليه الصلاة والسلام-: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧].

قال عطية سالم -رحمه الله-: (فالأولى أن يكون موقفنا موقف التثبت، ولا نبادر بحكم قاطع إيجاباً أو نفياً، وذلك أخذاً من قضية الهدهد، وسبأ مع نبي

---

(١) صحيح مسلم: المقدمة: صحيفة (٢٢-٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٩) برقم (٢١٥٤).

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ (١/٨٠).

الله سليمان لما جاء يخبرهم، وكان -عليه السلام- لم يعلم عنهم شيئاً فلم يكذب الخبر بكونه من الهدهد، ولم يصدقه؛ لأنه لم يعلم عنهم سابقاً، مع أنه وصف حالهم وصفاً دقيقاً.

وكان موقفه -عليه السلام- موقف التثبت مع ما لديه من إمكانيات الكشف والتحقيق من الريح والطير والجن، فقال للمخبر وهو الهدهد: سننظر، أصدقت أم كنت من الكاذبين.

ونحن في هذه الآونة لسنا أشد إمكانيات من نبي الله سليمان آنذاك، وليس المخبرون عن مثل هذه النظريات أقل من الهدهد، فليكن موقفنا على الأقل موقف من سينظر أيصدق الخبر أم يظهر كذبه؟)[1].

ومنهج التثبت في الوقائع ظاهر في السنة؛ لأهميته وضرورته لاستقامة حياة الناس على الطمأنينة والأمن، وإبعاد كل ما يخل بهذا الاستقرار.

ففي قصة حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- لما أرسل لقريش يحذرها من غزو النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم، نجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يندفع بإقرار العقوبة عليه، بل سأله وتثبت منه عن سبب إرساله لقريش من يحذرهم من غزو النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم.

فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما حملك على ما صنعت؟ " قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- أردت أن يكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صدق ولا تقولوا له إلا خيراً" فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني، فلأضرب عنقه؟

(١) تكملة أضواء البيان (٨/٣٥٥).

فقال: "أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم " فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم(١).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يقول: كنا مع النبي -ﷺ- في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله -ﷺ-: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها منتنة" فسمعها عبد الله بن أبي، فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"(٢).

وفي قصة الإفك نجد أن النبي -ﷺ- تثبت وتحرى من زوجته عائشة -رضي الله عنها- فقال لها: "يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه" ودعا رسول الله -ﷺ- علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد -حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله- فأما أسامة بن زيد، فأشار على رسول الله -ﷺ- بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً.

---

(١) رواه البخاري (١٢٠٥) برقم (٦٢٥٩) ومسلم (١٠١١) برقم (٢٤٩٤).

(٢) سبق تخريجه (٤٥٤).

وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

ودعا رسول الله -ﷺ- بريرة فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟" قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

وسأل رسول الله-ﷺ - زينب بنت جحش عن عائشة فقال: "يا زينب! ما علمت؟ ما رأيت؟" فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع[1].

وقول زينب: (أحمي سمعي وبصري) أي: (من الحماية، فلا أنسب إليهما ما لم أسمع، وأبصر)[2].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: (أن النبي -ﷺ- كان إذا غزا بنا قوماً، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر؛ فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم)[3].

وقد تبرأ النبي -ﷺ- من فعل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- عندما أقدم على قتل بني جذيمة، حين دعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: (أسلمنا) فجعلوا يقولون: (صبأنا، صبأنا) فجعل خالد يقتل منهم، ويأسر، فقال -ﷺ-: "اللهم إني

(١) أخرجه البخاري (٧٨٥) برقم (٤١٤١) ومسلم (١١١٢) برقم (٢٧٧٠).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (٨/٤٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤) برقم (٦١٠).

أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين[1].

قال الخطابي -رحمه الله-: (أنكر عليه العجلة، وترك التثبت في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم: صبأنا)[2].

وفقه الصحابة هذا المنهج في التثبت والتحري.

فلما بلغ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد طَلَّق نساءه، لم يلبث أن جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- متثبتاً من الخبر، فاستأذن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له: أطلقت نساءك؟ قال: "لا" فقال عمر: فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نساءه[3].

(١) أخرجه البخاري (٨١٩) برقم (٤٣٣٩).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (٨/٥٧-٥٨).

(٣) سبق تخريجه (٤٨٦).

# المطلب التاسع
# قيام ولاة الأمر بواجبهم

لقد بين الله سبحانه تعالى في كتابه الكريم أن من مهام ولي أمر المسلمين إحقاق الحق ومنع الباطل ودفعه والأخذ على أيدي أصحابه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

وقد خطب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- وتلا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ ثم قال: (إلا أنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذَلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكرهة، ولا المخالف سرها علانيتها)[1].

والقيام بواجب الأخذ على يد المفسدين من مهام ولي الأمر، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله- ﷺ- قال: "ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته،

(١) رواه ابن كثير معلقاً: البداية والنهاية (١٠/١٩٩).

والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته"[1].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (قال العلماء: الراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء، فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه: في دينه، ودنياه، ومتعلقاته)[2].

إنه وبالنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] نجد أن المقصود الأعظم من الولايات هو: إقامة الدين لله وحده.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم)[3].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: (وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، وذلك يحصل بالعقوبة على ترك الواجبات، وفعل المحرمات)[4].

فأول واجب على الإمام والسلطان أن يسوس الدنيا بالدين، ويحكم

(١) سبق تخريجه (٤٥٠).

(٢) شرح مسلم (١٢/٢١٣).

(٣) الفتاوى (٢٨/٢٦٢).

(٤) ابن تيمية: الفتاوى (٢٨/١٠٧).

بشريعة سيد المرسلين -ﷺ- والآيات والأحاديث الموجبة للحكم بما أنزل الله كثيرة منها:

قوله سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

فهذه الآية أمر صريح للنبي -ﷺ- ومن بعده من ولاة أمر المسلمين بالحكم بشرع الله ودينه.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (فاحكم يا محمد بين الناس: عَربهم وعجمهم، أُميهم وكتابيهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك)(١).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة(٢).

ومن تمام إقامة الدين دعوة الناس إليه، وأمرهم بالاستقامة عليه، والأخذ على يد المفسدين وكل ذلك هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء فيه الحديث المشهور: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٣).

(٢) ينظر عبد الرحمن اللويحق: مشكلة الغلو في الدين (٤٣١/٢).

(٣) سبق تخريجه (٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا هو مقصود الولاية)[1].

وقال -رحمه الله-: (وجميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا)[2] ثم قال: (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر)[3].

وقال أيضاً-رحمه الله-: (وولى الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، فإذا كان الوالى يُمَكِّنُ من المنكر بمال يأخذه، كان قد أتى بضد المقصود، مثل من نصبته ليعينك على عدوك، فأعان عدوك عليك، وبمنزلة من أخذ مالاً ليجاهد به في سبيل الله، فقاتل به المسلمين)[4].

ويجب على السلطان أن يأمر وينهى، ويضرب على يد السفيه ويأطره على الحق أطراً، ومن الإصلاح والأمر بالمعروف تحصين الأمة من البدع والضلالات والشبه.

قال أبو يعلى -رحمه الله -: (إن على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من الزلل)[5].

(١) الفتاوى (٢٨/١٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢٨/٦١).

(٣) المصدر نفسه (٢٨/٦٦).

(٤) الفتاوى (٢٨/٣٠٦).

(٥) الأحكام السلطانية (٢٧) وينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية (٥١).

وواجب الإمام الناصح لأمته أن يكون أسبق الناس إلى الخير، سئل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ما بقاء هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: (ما استقامت بكم أئمتكم)[1].

۞ ۞ ۞

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وفريضة من فرائض الدين العظام، ومعلوم أن هذه الفريضة العظيمة لا تقوم إلا بولاية الإمام.

قال السبكي -رحمه الله-: (فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود وإقامة فرض الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله - تعالى-)[2].

وقال إمام الحرمين الجويني-رحمه الله-: (وأما الجهاد فموكول إلى الإمام، ثم يتعين عليه إدامة النظر فيه.. فيصير أمر الجهاد في حقه بمثابة فرائض الأعيان، والسبب فيه أنه تَطَوَّق أمور المسلمين، وصار مع اتحاد شخصه كأنه المسلمون بأجمعهم، فمن حيث اناط جر الجنود، وعقد الألوية، والبنود بالإمام وهو نائب عن كافة أهل الإسلام، صار قيامه بها على أقصى الإمكان به كصلواته المفروضة التي يقيمها)[3].

وهذا في جهاد الطلب ونشر الدعوة، وكذلك الأمر في جهاد الدفاع وحماية البيضة وتحصين الثغور وحماية الأمن الداخلي.

قال الماوردي-رحمه الله- في تعداده لواجبات الإمام: (الثالث: حماية البيضة، والذب عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨) برقم (٣٨٣٤).

(٢) معيد النعم ومبيد النقم (١٦).

(٣) غياث الأمم (٢١٠).

الأسفار؛ آمنين من تغرير بنفس، أو مال)[1].

وقال إمام الحرمين الجويني -رحمه الله-: (وأما اعتناء الإمام بسد الثغور، فهو من أهم الأمور، وذلك بأن يحصِّن أساس الحصون والقلاع، ويستظهر لها بذخائر الأطعمة، ومستنقعات المياه، واحتفار الخنادق وضروب الوثائق، وإعداد الأسلحة والعتاد وآلات والدفع، ويرتب على كل ثغر من الرجال ما يليق به)[2].

۞ ۞ ۞

وإنه كما يؤمر الرعية بالنصح للسلطان، فإن السلطان مأمور بالرفق بالرعية، والاهتمام بأحوالهم ومباشرة ذلك بنفسه، وأولى الأحوال ما يكون متعلقاً بالدين، والملة، والاعتقاد.

قال أبو يعلى -رحمه الله- في سياق الكلام عن واجبات الإمام: (.. أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ ليهتم بسياسة الأمة، وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة، أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله -تعالى-: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦] فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة، وقد قال النبي -ﷺ-: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[3])[4].

(١) الأحكام السلطانية (١٦) وينظر: أبو يعلى: الأحكام السلطانية (٢٧).

(٢) غياث الأمم (٢١١).

(٣) سبق تخريجه (٤٥٠).

(٤) الأحكام السلطانية (٢٨).

وقد دلت أحاديث كثيرة على أهمية هذا الأمر منها:

١- قول النبي -ﷺ-: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به"[(١)].

قال الإمام النووي -رحمه الله-:(هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى)[(٢)].

٢- وعن معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال سمعت من رسول الله - -ﷺيقول: "ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة "[(٣)].

وفي رواية: "ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثمَّ لا يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة "[(٤)].

٣- وعن عمرو بن مرة الجهني -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "من ولاه الله - عز وجل- شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم، وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته، وخلته، وفقره"[(٥)].

ولا يقصد بهذا ألا يستعين السلطان بأحد، فذلك فرض لمستحيل؛ إذ لا بد للحاكم من أعوان من الولاة والعمال، فمن دونهم (فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل)

(١) أخرجه: مسلم (٧٦٣) برقم (١٨٢٨).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢١٣/١٢).

(٣) أخرجه: البخاري (١٣٦٤) برقم (٧١٥١) و مسلم (٨١) برقم (١٤٢).

(٤) أخرجه: مسلم (٨١) برقم (١٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٣٤) برقم (٢٩٤٨)، وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة (٢٠٥/٢).

ويجتهد في وسعه، وفي هذا الأمر يقول الله - تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فنهى عن اتخاذ الكفار والمنافقين بطانة يستشارون، ويقربون من دون أهل الإيمان.

وفي الحديث: "من استعمل رجلاً من عصابة، و في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين"(١).

(١) أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس: المستدرك (١٠٤/٤) برقم (٧٠٢٣) وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، والبيهقي: الكبرى (١١٨/١٠) برقم (٢٠١٥١) والطبراني: المعجم الكبير (١١٤/١١) برقم (١١٢١٦) قال الهيثمي: (رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح) المجمع (٣٨٢/٥) وقال البوصيري: (رواه الطبراني من طريق حسين بن قيس المعروف بحنش، وهو مختلف فيه، ضعفه جماعة، ووثقه ابن نمير، وحسن له الترمذي غير ما حديث، وصحح له الحاكم، ولا يضر في المتابعات، ومع ذلك لم ينفرد به حسين بن قيس عن عكرمة، فقد تابعه عليه يزيد بن أبي حبيب) إتحاف الخيرة المهرة (٣٨٩/٥) وضعفه الألباني: ضعيف الجامع: برقم (٥٤٠٩).

## المطلب العاشر
## التحذير من الإقامة في أماكن الشر والانحراف

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

قال القرطبي -رحمه الله-: (وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي)(١).

وقال سعيد بن جبير-رحمه الله-: (إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها؛ وتلا ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾)(٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: بالتكذيب والاستهزاء ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ ﴾ أي: حتى

(١) الجامع (٥/٣٤٦).
(٢) القرطبي: الجامع (٥/٣٤٧).

يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والمراد بهذا كلّ فرد، فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيًا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد التذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)(1).

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلاً وأمته تبعاً، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور.

فإن كان مصلحة كان مأمورا به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق. ثم قال: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته.

هذا النهي والتحريم، لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم، وعن الإنكار، فإن

(1) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٧٨).

استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم)[(١)].

وعن جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فأمر لهم بنصف العَقْل، وقال: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين " قالوا: يا رسول الله لمَ؟ قال: "لا تراءى نارَاهما"[(٢)].

قال الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله-: (وقوله: (لا تراءى ناراهما) معناه الإشارة إلى التباعد بين المسلمين والكفار، وأن المسلم لا يكون مع الكفار، بل يكون بعيداً منهم بحيث لا ترى نارُه نارَهم ولا نارُهم نارَه، بمعنى أنهم إذا أوقدوا ناراً وهو أوقد ناراً فإن كلاً لا يرى نار الآخر، وذلك إشارة وكناية عن التباعد بين المسلمين والكفار.

وهذا يدل على البعد عن المشركين وعدم البقاء بين أظهرهم، لكن إذا كان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٨) برقم (٢٦٤٥) وقال: (رواه هشيم، ومعمر، وخالد الواسطي، وجماعة لم يذكروا جريراً) والترمذي (٢٨٠) برقم (١٦٠٤) وقد ذكره مرسلاً بإسناد آخر وقال: (ولم يذكر فيه: عن جرير. وهذا أصح، وأكثر أصحاب إسماعيل قالوا: عن قيس بن أبي حازم، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث سرية، ولم يذكروا فيه: عن جرير.
ورواه حماد بن سلمة، عن الحجاج بن أرطاة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير مثل حديث أبي معاوية.
وسمعت محمداً -يقصد البخاري- يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرسل) وصححه الألباني: صحيح أبي داود (٣٩٧/٧) برقم (٢٣٧٧).

البقاء بين المشركين فيه مصلحة للدعوة إلى الله -عز وجل- ودعوتهم للإسلام، فيكون سائغاً من هذه الناحية، أما إذا كان ليس كذلك، لا سيما إذا كان الإنسان يقيم بين المشركين ولا يتمكن من إظهار شعائر دينه فبقاؤه ضرر كبير عليه، وهو مستحق للوعيد الشديد، لكن إذا كان البقاء من أجل مصلحة تفوق هذه المفسدة، وهي كون بقائه فيه مصلحة للدعوة إلى الله عز وجل وهداية من يهدي الله عز وجل من الكفار على يديه وبسببه فإن هذا لا بأس به)[1].

وعن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من جامع المشرك، وسكن معه فإنه مثله"[2].

قال الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله-: (ومعناه: من اختلط به وامتزج به وسكن معه فإنه يكون مثله؛ لأن الاحتكاك قد يؤثر، والمشابهة في الظاهر قد يحصل منها تأثير على الباطن، فإذا كان الإنسان لا يستطيع إظهار شعائر دينه، فعليه أن يرتحل، وينتقل إلى بلد آخر يستطيع أن يظهر فيه شعائر دينه)[3].

وعن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملاً؛ حتى يفارق المشركين إلى المسلمين"[4].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وهذا محمول على من لم يأمن على دينه)[5].

---

(١) شرح سنن أبي داود نقلاً من المكتبة الشاملة.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٥) برقم (٢٧٨٧) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٦١٨٦).

(٣) شرح سنن أبي داود نقلاً من المكتبة الشاملة.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٧٦) برقم (٢٥٣٦) وأحمد (٢٤٢/٣٣) برقم (٢٠٠٤٣) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٥) الفتح (٣٩/٦).

وعن أبى سعيد الخدرى أن نبي الله -ﷺ- قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.

فانطلق؛ حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.

فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"[(١)].

قال النووي-رحمه الله-: (قوله: "انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فأنها أرض سوء" قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته)[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (٢٠٩).

(٢) شرح مسلم (١٧/٨٣).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية؛ لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: "ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء" ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها)[1].



(١) الفتح (٦/٥١٧).



# الفصل الثالث
# الحماية والتحصينات

وفيه تمهيد، وتسعة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق.

المبحث الثاني: التحذير من أعمال أهل الضلال: ومنها: الغلو.

المبحث الثالث: ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.

المبحث الرابع: التحذير من أوصاف معينة.

المبحث الخامس: التحذير من الإحداث والابتداع.

المبحث السادس: التحذير من الفتن.

المبحث السابع: التحذير من الدجال.

المبحث الثامن: التحذير من التلقي عن الإسرائيليات.

المبحث التاسع: التحذير من الأئمة المضلين.

## تمهيد:

لقد رعى الإسلام مصالح الإنسان كلها، لأن الغاية من الإسلام نفسه تحقيق الخيرية للخلق في العاجل والآجل، فعمل على تأمين الحصانة التامة للخلق من جميع العوادي المعنوية والحسية.

فكانت دعوة النبي -ﷺ- إلى التمسك بحبل الله المتين، والعض على سنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

وكما جاءت الشريعة بتأصيل الناس على الحق، ودعوتهم إلى الخير؛ جاءت بتحذيرهم من كل شر، وقد جعلت هذا الفصل معقوداً لبيان بعض ما جاءت به الشريعة في حماية الناس وتحصينهم من الباطل.

وقد جعلته في مباحث هي كالتالي:

المبحث الأول: التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق.

المبحث الثاني: التحذير من أعمال أهل الضلال: ومنها: الغلو.

المبحث الثالث: ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.

المبحث الرابع: التحذير من أوصاف معينة.

المبحث الخامس: التحذير من الإحداث والابتداع.

المبحث السادس: التحذير من الفتن.

المبحث السابع: التحذير من الدجال.

المبحث الثامن: التحذير من التلقي عن الإسرائيليات.

المبحث التاسع: التحذير من الأئمة المضلين.

# المبحث الأول
# التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق

لقد حذرت السنة من فرق الضلال، وأمرت بلزوم الحق، ورأس ذلك بين في قوله -ﷺ-: "افتَرَقَت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فِرقةً، وتَفرَّقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً وتفترَقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة"[1].

ولقد جاء التحذير مبيناً بوجه أخص خطر الخوارج ، وعظيم ضررهم على الأمة.

والخوارج: (صنف من المبتدعة يعتقدون أن من فعل كبيرة كفر، وخلد في النار، ويطعنون لذلك في الأئمة، ولا يحضرون معهم الجمعات والجماعات)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وهؤلاء أمر النبي -ﷺ- بقتالهم ؛ لأن معهم دينا فاسداً لا يصلح به دنيا، ولا آخرة)[3].

وعن طاوس قال: ذكر لابن عباس -رضي الله عنهما- الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ فقال -رضي الله عنه-: (يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند

(١) سبق تخريجه (١١٤).

(٢) النووي: روضة الطالبين (١٠/٥١).

(٣) الفتاوى (٢٨/٢٩١).

متشابهه، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به)[1].

وعن الحسن -وذكر الخوارج- قال: (حيارى سكارى، ليسوا يهوداً ولا نصارى، ولا مجوساً، فيعذرون)[2].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (قال المهلب وغيره: أجمع العلماء أن الخوارج إذا خرجوا على الإمام العدل، وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف؛ أن قتالهم واجب وأن دماءهم هدر، وأنه لا يتبع منهزمهم، ولا يجهز على جريحهم)[3].

۞ ۞ ۞

والأحاديث التي جاءت في شأنهم كثيرة، منها:

عن سويد بن غفلة قال: قال علي -رضي الله عنه-: إذا حدَّثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثَاءُ الأسنَانِ، سُفَهَاءُ الأحْلاَمِ، يقولون من قول خير البريَّة، يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، لا يجاوز إيمانهم حَنَاجِرَهُم، فأينما لقيتموهم فاقتُلُوهُم، فإنَّ في قتلهم أجرٌ لمن قتَلهم يوم القيامة"[4].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "يأتي فى آخر الزمان": فيه إخبار عن زمن خروج وظهور

(١) الآجري: الشريعة (١/٣٤٥).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٤٥).

(٣) شرح صحيح البخاري (٨/٥٨٤).

(٤) رواه البخاري (٦٩٠) برقم (٣٦١١) و (١٠٠٣) برقم (٥٠٥٧) ومسلم (٤١١) برقم (١٠٦٦) بزيادة: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم".

الخوارج، وأنه يكون في آخر الزمان، والمراد بآخر الزمان: قيل: المراد زمان الصحابة وفيه نظر؛ لأن آخر زمان الصحابة كان على رأس المائة، وهم قد خرجوا قبل ذلك بأكثر من ستين سنة، ويمكن الجمع بأن المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، والخلافة الراشدة، فقد كانت قصة الخوارج، وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة: ٣٨هـ[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام" معناه صغار الأسنان صغار العقول)[(٢)].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "يقولون من خير قول البرية" معناه في ظاهر الأمر كقولهم: (لا حكم إلا لله) ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى)[(٣)].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (ويحتمل أن يكون على ظاهره، والمراد القول الحسن في الظاهر، وباطنه على خلاف ذلك، كقولهم: (لا حكم إلا لله) في جواب علي -رضي الله عنه-)[(٤)].

قال النووي -رحمه الله-: ("يمرقون من الإسلام" وفي الرواية الأخرى: "يمرقون من الدين" قال القاضي: معناه: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى، ولم يتعلق به شيء منه. و(الرَّمِيَّة) هي الصيد المرمي، وهي فعيلة بمعنى مفعولة.

(١) انظر: ابن حجر: فتح الباري (١٢/٢٨٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٧/١٦٩).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) فتح الباري (١٢/٢٨٧).

قال: و" الدين" هنا: هو الإسلام، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال الخطابي: هو الطاعة أي من طاعة الإمام على اعتبار أن هذه هي صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء والأئمة)(١).

وقال ابن بطال -رحمه الله-: (قوله: "يمرقون من الدين"فالمروق عند أهل اللغة الخروج يقال: مرق من الدين مروقاً خرج ببدعة، أو ضلالة، ومرق السهم من الغرض إذا أصابه ثم نقره، ومنه قيل للمرق مرق لخروجه)(٢).

وأشار ابن عبد البر -رحمه الله- إلى سبب مروقهم من الدين وهو ما أحدثوه فيه من انحرافات وضلالات فقد استحلوا بما تأولوا من كتاب الله -عز و جل- دماء المسلمين، وكفروهم بالذنوب، وحملوا عليهم السيف، وخالفوا جماعتهم، فأوجبوا الصلاة على الحائض، ولم يروا على الزاني المحصن الرجم ولم يوجبوا عليه إلا الحد مائة، ولم يطهرهم عند أنفسهم إلا الماء الجاري أو الكثير المستبحر إلى أشياء يطول ذكرها، فمرقوا من الدين بما أحدثوا فيه مروق السهم من الرمية(٣).

وليس معنى أنهم يمرقون من الدين أنهم يكفرون.

قال النووي -رحمه الله-: (ومذهب الشافعي، وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون، وكذلك القدرية، وجماهير المعتزلة،

(١) شرح صحيح مسلم (١٩/٤).

(٢) شرح صحيح البخاري (٥٨٥/٨).

(٣) انظر: الاستذكار (٤٩٩/٢).

وسائر أهل الأهواء)[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (وأهل السنة لا يبتدعون قولاً، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم، مستحلاً لدمائهم، كما لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم)[2].

وعن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي، فسئل عن أهل النهر أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا، قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا[3].

وقال الخطابي -رحمه الله-: (أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم، فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام)[4].

وقوله-ﷺ-: "لا يجاوز إيمانهم حناجرهم" الحناجر: جمع حنجرة: وهي الحلقوم والبلعوم، وكله يطلق على مجرى النفس، وهو طرف المرئ مما يلي الفم، والمراد أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[5].

قال ابن حجر-رحمه الله-: (قال الداودي: يريد إنهم تعلقوا بشيء منه.

قلت: إن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله، فعسى أن

---

(١) شرح مسلم (١٦٠/٧).

(٢) منهاج السنة (٩٥/٥) والفتاوى (٢١٧/٧) و (٢٨٢/٢٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧٤٣/٨) برقم (٦٢).

(٤) ابن حجر: فتح الباري (٣٠٠/١٢).

(٥) انظر: ابن حجر: فتح الباري (٢٨٨/١٢).

يتم له مراده، وإلا فالذي فهمه الأئمة من السياق أن المراد أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم؛ لأن ما وقف عند الحلقوم، فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب)[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "فإذا لقيتموهم، فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً" هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء.

قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج، وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام، وخالفوا رأى الجماعة، وشقوا العصا، وجب قتالهم بعد إنذارهم، والاعتذار إليهم)[(٢)].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وقد استفاض عن النبي -ﷺ- الأحاديث بقتال الخوارج وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث.. وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمن معه من الصحابة، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها، لم يتنازعوا في قتالهم، كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين)[(٣)].

وقال ابن هبيرة -رحمه الله-: (وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين والحكمة فيه: أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى)[(٤)].

وعن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي -رضي الله عنه- الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي -رضي الله عنه-: أيها الناس، إني سمعت رسول

---

(١) الفتح (٩/١٠٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٧/١٦٩-١٧٠).

(٣) الفتاوى (٢٨/٥١٢).

(٤) ابن حجر: الفتح (١٢/٣٠١).

الله -ﷺ- يقول: "يخرج قوم من أمتي، يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قرائتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية " لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم، ما قُضي لهم على لسان نبيهم -ﷺ- لاتَّكَلُوا عن العملِ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟! والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب منزلاً؛ حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلُّوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحَّشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي -رضي الله عنه-: التمسوا فيهم المُخْدَجَ، فالتمسوه، فلم يجدوه، فقام علي -رضي الله عنه- بنفسه؛ حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر، ثم قال: صدق الله، وبلَّغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، آلله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله -ﷺ-؟ فقال: إي، والله الذي لا

إله إلا هو؛ حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: ("لا تجاوز صلاتهم تراقيهم" فكأنه أطلق الإيمان على الصلاة، وله في حديث أبي ذر لا يجاوز إيمانهم حلاقيمهم، والمراد: أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب)[2].

وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله -ﷺ- أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قالوا: لا حكم إلا لله. قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله -ﷺ- وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء: يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم -وأشار إلى حلقه- من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبى شاة، أو حلمة ثدي.

فلما قتلهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: انظروا، فنظروا، فلم يجدوا شيئاً فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت، ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وَقَوْلِ علي فيهم[3].

قال النووي -رحمه الله- في قول علي: (كلمة حق أريد بها باطل): (معناه أن الكلمة أصلها صدق، قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي -رضي الله عنه- في تحكيمه)[4].

(١) رواه مسلم (٤١٢) برقم (١٠٦٦).

(٢) الفتح (١٢/٢٨٨).

(٣) رواه مسلم (٤١٢) برقم (١٠٦٦).

(٤) شرح مسلم (٤/٣٠).

وقال -رحمه الله- أيضاً: (قوله -ﷺ-: "إحدى يديه طبي شاة" هو بطاء مهملة مضمومة، ثم باء موحدة ساكنة والمراد به ضرع الشاة، وهو فيها مجاز واستعارة إنما أصله للكلبة والسباع)(١).

وعن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال بعث علي -رضي الله عنه- إلى النبي -ﷺ- بذُهَيبَةٍ، فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن عُلاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا؟ فقال: "إنما أتألَّفهم" فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: "من يطع الله إذا عصيتُ؟ أيأمنني الله على أهل الأرض، فلا تأمنوني؟" فسأله رجل قتله -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه، فلما ولَّى قال"إن من ضئضئ هذا -أو فى عقب هذا- قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مُروق السهم من الرَّمِيَّة، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد"(٢).

قال ابن حجر -رحمه الله-: ("من ضئضئ" كذا للأكثر بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة أيضاً، وفي رواية الكشميهني بصادين مهملتين.

فأما: بالضاد المعجمة، فالمراد به: النسل والعقب، وزعم بن الأثير أن

---

(١) شرح مسلم (٤/٣٠) وانظر: ابن حجر: الفتح (١٢/٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٩) برقم (٣٣٤٤) ومسلم (٤٠٩) برقم (١٠٦٤).

الذي بالمهملة بمعناه)[1].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (قوله: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم" فمعناه أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تأولوه على غير سبيل السنة المبينة له، وإنما حملهم على جهل السنة، ومعاداتها، وتكفيرهم السلف ومن سلك سبيلهم، وردهم لشهاداتهم ورواياتهم، تأولوا القرآن بآرائهم، فضلوا، وأضلوا فلم ينتفعوا به ولا حصلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضغ الذي يبلع، ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته)[2].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (معنى قوله: "لا يجاوز حناجرهم" يقول: لا ينتفعون بقراءته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكلون والمشروب بما لا يجاوز حنجرته.

وقد قيل إن معنى ذلك: أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم، ولا تعتقده قلوبهم، وهذا إنما هو في المنافقين)[3].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث نص على أن القرآن قد يقرؤه من لا دين له، ولا خير فيه، ولا يجاوز لسانه)[4].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان" وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال)[5].

---

(١) الفتح (٨/٦٩).

(٢) الاستذكار (٢/٤٩٩).

(٣) التمهيد (٢٣/٢٢٣).

(٤) الاستذكار (٢/٥٠١).

(٥) الفتح (٨/٦٩).

قوله-ﷺ-: "لئن أنا أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد" قال ابن حجر-رحمه الله-: (وقد استشكل قوله: "لئن أدركتهم لأقتلنهم" مع أنه نهى خالداً عن قتل أصلهم، وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم، واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه وأول ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور.. واستدل به على تكفير الخوارج وهي مسألة شهيرة في الأصول)[1].

وعن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال بينا النبي -ﷺ- يقسم ذات يوم قسماً، فقال ذو الخويصرة - رجل من بني تميم -: يا رسول الله اعدل، قال: "ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟" فقال عمر: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: "لا، إن له أصحاباً يَحقِرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السَّهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافِه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجدُ فيه شيء، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، يخرجون على حين فُرقة من الناس، آيتهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ".

قال أبو سعيد أشهد لسمعته من النبي -ﷺ- وأشهد أني كنت مع عليٍّ حين قاتلهم، فالتمس في القتلى، فأتى به على النعت الذي نعت النبي-ﷺ-[2].

قوله: (ذو الخويصرة): يقال أن ذا الخويصرة اسمه حرقوص وروى عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: (حرقوص بن زهير هو ذو الثدية، وهو الذي قال للنبي-ﷺ-: ما عدلت)[3].

---

(١) المصدر نفسه (٦٩/٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٨) برقم (٦١٦٣) ومسلم (٤١٠) برقم (١٠٦٤).

(٣) انظر: ابن عبد البر: التمهيد (٣٣٢/٢٣).

قوله-ﷺ-: " يخرجون على حين فرقة من الناس": أي في وقت افتراق الناس، أي افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما-[1].

قوله-ﷺ-: "آيتهم رجل إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة " قال ابن حجر: (اسم هذا المذكور المقتول في وقعة النهر نافع كما تقدم، وقاتله اسمه الأشهب البجلي)[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قال القرطبي: إنما منع قتله، وأن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، ولا سيما من صلى كما تقدم نظيره في قصة عبد الله بن أبي.

وقال المازري: يحتمل أن يكون النبي -ﷺ- لم يفهم من الرجل الطعن في النبوة، وإنما نسبه إلى ترك العدل في القسمة، وليس ذلك كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع واختلف في جواز وقوع الصغائر، أو لعله لم يعاقب هذا الرجل لأنه لم يثبت ذلك عنه بل نقله عنه واحد وخبر الواحد لا يراق به الدم انتهى.

وأبطله عياض بقوله في الحديث: (اعدل يا محمد) فخاطبه في الملأ بذلك؛ حتى استأذنوه في قتله فالصواب ما تقدم)[3].

قال النووي -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله

(١) انظر: النووي: شرح مسلم (٤/٢٣).
(٢) الفتح (١/٣٤٠).
(٣) الفتح (٨/٦٩).

-ﷺ- فإنه أخبر بهذا وجرى كله كفلق الصبح، ويتضمن بقاء الأمة بعده -ﷺ- وأن لهم شوكة وقوة خلاف ما كان المبطلون يشيعونه، وأنهم يفترقون فرقتين، وأنه يخرج عليه طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة، ولا يقيمون بحقوق الإسلام، بل يمرقون منه، وأنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها ولله الحمد)[1].

وعن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "يخرج فيكم قوم، تَحْقِرُونَ صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعَمَلَكُمْ مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ، ينظر فى النَّصْلِ فلا يرى شيئاً، وينظر فى القدح فلا يرى شيئاً، وينظر فى الرِّيشِ فلا يرى شيئا، ويَتَمارَى في الْفُوقِ"[2].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وقوله: "يتمارى في الفوق" أي يشك إن كان أصاب الدم الفوق أم لا؟ و"الفوق" هو الشيء الذي يدخل فيه الوتر.

قال يقول: فكما يخرج السهم نقياً من الدم لم يتعلق به منه شيء، فكذلك يخرج هؤلاء من الدين يعني الخوارج)[3].

وعن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري -رضي الله عنه- فسألاه

---

(١) شرح مسلم (٤/٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٠) برقم (٥٠٥٨).

(٣) الاستذكار (٢/٥٠٠).

عن الْحَرُورِيَّةِ، أسمعت النبي -ﷺ-؟ فقال: لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي -ﷺ- يقول: "يخرج في هذه الأمة -ولم يقل: منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرَّامِي إلى سهمه، إلى نَصْلِهِ، إلى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فى الْفُوقَةِ هل عَلِقَ بها من الدَّمِ شيء"[1].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله: (فسألاه عن الحرورية) هم الخوارج سموا: حرورية؛ لأنهم نزلوا حروراء، وتعاقدوا عندها على قتال أهل العدل (وحروراء) بفتح الحاء وبالمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة.

وسموا: خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله-ﷺ-: "يخرج من ضئضئ هذا")[2].

وعن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرءون القرآن لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ، ثم لا يعودون فيه؛ حتى يعود السهم إلى فُوقِهِ" قيل: ما سيماهم؟ قال: "سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ" أو قال: "التَّسْبِيدُ"[3].

قوله: "يخرج ناس من قبل المشرق" (هم الخوارج وكان ابتداء خروجهم في العراق، وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى مكة المشرفة)[4].

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٢) برقم (٦٩٣١) مسلم (٤١٠) برقم (١٠٦٤).

(٢) شرح مسلم (٤/٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٤) برقم (٧٥٦٢).

(٤) ابن حجر: فتح الباري (١٣/٥٣٦).

"سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ "المراد أن علامتهم حلق الرؤوس[1].

قال النووي -رحمه الله-: (واستدل به بعض الناس على كراهة حلق الرأس، ولا دلالة فيه، وإنما هو علامة لهم، والعلامة قد تكون بحرام، وقد تكون بمباح)[2].

وعن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فُرقة من الناس سِيمَاهُمُ التَّحَالُقُ قال: "هم شرُّ الخلق -أو من أشرِّ الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق" قال فضرب النبي -ﷺ- لهم مثلاً، أو قال قولاً: "الرجل يرمى الرمية -أو قال الغرض- فينظر فى النصل فلا يرى بصيرة، وينظر فى النضيِّ فلا يرى بصيرة، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة".

قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق[3].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "هم شر الخلق أو من أشر الخلق" هكذا هو في كل النسخ أو من أشر بالألف، وهي لغة قليلة والمشهور شر بغير ألف، وفي هذا اللفظ دلالة لمن قال بتكفيرهم، وتأوله الجمهور: أي شر المسلمين)[4].

(١) انظر: النووي: شرح مسلم (٤/٢٤).

(٢) شرح مسلم (٤/٢٤).

(٣) رواه مسلم (٤١٠) برقم (١٠٦٤).

(٤) شرح مسلم (٧/١٦٧). وانظر: ابن حجر: الفتح (١٢/٢٨٦).

# المبحث الثاني
# التحذير من أعمال أهل الضلال

جاءت السنة بالتحذير من أعمال الضلال واتجاهاتهم في الانحراف، ودعت إلى النأي بالنفس وبالناس عن تلك الأعمال، ومن أظهرها: (الغلو).

**وفي هذا المبحث عرض مجمل لما جاء في السنة عن ذلك:**

**لقد اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلو بعبارة موجزة، وهذه بعض تلك التعريفات:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك)[١] وبنحو هذا التعريف عرَّفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-[٢].

وعرفه الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بأنه: (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)[٣].

وهذه التعاريف متقاربة وتفيد أن الغلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة، و(الحدود هي: النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به)[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٥٦).

(٣) فتح الباري (١٣/٢٧٨).

(٤) ابن تيمية: الفتاوى (٣/٣٦٢).

ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- الأمر وضوحاً فيحدد ضابط الغلو فيقول: (وضابطه تعدى ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١])[1].

وإذا أردنا في ضوء هذه الملامح العامة أن نتتبع مظاهر الغلو على مرّ التأريخ لم نقف على حصر، لأن مظاهر الانحراف لا تحصر، وإنما الحق هو الذي تعلم معالمه، فكما أن التفريط لا حد لصوره، فكذلك الإفراط.

ولكن المعيار في تحديد المظهر من مظاهر الغلو إنما هو إلى الشريعة فإن الغلو تجاوز لحدودها فما لم تعلم تلك الحدود؛ فإن المعيار سيكون مختلاً.

۞ ۞ ۞

لقد حذر النبي -ﷺ- من الغلو، وجمع -ﷺ- بين النهي عن الغلو بعامة، وبين بيان عاقبة الغلو، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ- غداة جمع: "هلم القط لي الحصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: "نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[2].

والنهي هنا وإن كان خاصاً، فهو نهي عام لكل غلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥٦).

(٢) سبق تخريجه (٣٩).

مجانبة هديهم، أي: هدي من كان قبلنا؛ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك)[1].

**التحذير من الغلو بنوعيه:**

إن الغلو ليس نوعاً واحداً، بل يتنوع باختلاف متعلقه من أفعال العباد، فهو على نوعين:

**الأول:** غلو كلي اعتقادي.

**الثاني:** غلو جزئي عملي[2].

**الأول: الغلو الكلي الاعتقادي:**

وهو: المتعلق بكليات الشريعة، وأمات مسائلها، والمراد بالاعتقادي ما كان متعلقاً بباب العقائد، فهو محصور في الجانب العقدي الذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها: الغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمعات العاصية، وتكفير أفراده واعتزالهم.

ويدخل في الغلو الكلي الاعتقادي، الغلو في فروع كثيرة؛ إذ المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في أمر كلي[3].

وهذا الغلو الكلي الاعتقاديُّ أشدُّ خطراً من الغلو الجزئي العملي؛ لأنه يتجاوز حدود خاصة عمل الإنسان ليكون هو المحدد لمواقفه من الخلق، ومنه يحدث الافتراق.

---

(١) نقلاً عن سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد (٢٧٥) ولم أجده في كتابات شيخ الإسلام التي بين يدي، إلا نحوه في الاقتضاء المستقيم (١/٢٨٩).

(٢) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

(٣) انظر: الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٠١).

(ذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية)[١].

وقد وقعت بذرة الغلو الكلي الاعتقادي في زمن النبي -ﷺ- وكان وقوعه نتاج عوج نفسية الغالي، وقد قال النبي -ﷺ- فيمن غلا غلواً اعتقادياً في زمنه، فطعن في مقام النبوة محذراً منه، ومن أضرابه: "إنَّ من ضِئْضِئِ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجِرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان"[٢].

**الثاني: الغلو الجزئي العملي:**

وهو ما كان متعلقاً بجزئية، أو أكثر من جزئيات الشريعة العملية، سواء أكان قولاً باللسان، أم عملاً بالجوارح وذلك مثل: قيام الليل كله.

وقد وقع هذا النوع في عهد النبي -ﷺ- وقام بعلاجها، ففي الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي -ﷺ- يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي -ﷺ- وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول اللهَّ -ﷺ- فقال: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر،

(١) الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٠٠)

(٢) سبق تخريجه (٥٢٢).

وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني!"[1].

فأنكر النبي -ﷺ- فعلهم هذا وجعله خروجاً عن منهجه، وتبرأ منه.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: دخل النبي -ﷺ- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي -ﷺ-: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"[2].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: بينا النبي -ﷺ- يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي -ﷺ-: "مره فليتكلم وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"[3].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وفيه أن كل شيء يتأذى به الإنسان،ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً، والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر)[4].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- دخل عليها، وعندها امرأة، قال: "من هذه؟" قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: "مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه[5].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "عليكم بما تطيقون" أي: اشتغلوا

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧) برقم (١١٥٠) ومسلم (٣٠٨) برقم (٧٨٤).

(٣) رواه البخاري (١٢٧٩) برقم (٦٠٧٤).

(٤) فتح الباري (١١/٥٩٠).

(٥) رواه البخاري (٣١) برقم (٤٣) ومسلم (٣٠٨) برقم (٧٨٥).

من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضى النهي عن تكلف ما لا يطاق)[1].

وهذا الغلو العملي تتكرر صوره في كل زمان على يدي أفراد من النّاس على مرّ التأريخ، وقد يتحول إلى رأي تتبناه جماعة أو فئة تلزم أفرادها بألوان من الغلو في التعبدات.

وأما الغلو الكلي الاعتقادي فقد نمت تلك البذرة الخبيثة؛ لتثمر شراً وفتناً فظهرت فرق الغلو، ولم ينقطع حبل الغلاة إلى عصرنا الحديث الذي أضحت فيه مشكلة الغلو من أهم المشكلات في العصر الحديث، وصارت همّاً يؤرق أعداء الإسلام والمسلمين، كما هي همّ يؤرق أهل الإسلام.

۞ ۞ ۞

**ومن التحذير من الغلو بيان مصير الغالي وعاقبته:**

فقد وردت أحاديث تبين مآل من غلا، وأنه صائر إلى الهلاك، بل يرد ذلك مكرراً ثلاث مرات في حديث واحد؛ مما يفيد عظيم الأمر وخطره، فعن عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثاً[2].

أي هلك المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد، المجاوزون الحدود في أقوالهم، وأفعالهم[3].

(١) فتح الباري (١/١٠٢).

(٢) سبق تخريجه (٣٩).

(٣) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم (١٦/٢٢٠) وابن تيمية: الفتاوى (٢٢/٢٢٤).

ومن التحذير من الغلو في النهي عن التشديد على النفس:

لقد وضع الشارع الشريعة في الأصل على مقتضى قدرة الإنسان ووسعه، وجعل للمشقات العارضة رخصاً تخففها رحمة بعباده وتيسيراً عليهم، كما نهى أن يغلو الإنسان فيشدد على نفسه.

فقال -عز وجل-: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال -ﷺ-: "إياكم والغلو في الدين"(١).

كما حذر رسول الله -ﷺ- من مشابهة أهل الكتاب، فقد سأل رجل النبي -ﷺ- فقال: إن من الطعام طعاماً أتحرج منه؟ فقال: "لا يتخلَّجنَّ في نفسك شيءٌ، ضارعت فيه النصرانية"(٢).

قال العظيم آبادي -رحمه الله-: (لا يدخل في قلبك ضيق وحرج؛ لأنك على الحنيفية السهلة، فإذا شككت وشددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية)(٣).

كما نهى النبي -ﷺ- عن التشديد على النفس، وبين أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من الله تعالى.

فقال -ﷺ- فيما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "لا تشددوا على أنفسكم

(١) سبق تخريجه (٣٩)

(٢) سبق تخريجه (٤٠).

(٣) عون المعبود (٣/٤١٢).

فيشدَّد عليكم، فإن قوماً شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]"[١].

وهذا التشديد على النفس الذي هو ضرب من ضروب الغلو، بينت السنة أن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع، وأنه ما من مشادٍ لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدُّلجة "[٢] وفي لفظ: "والقصد القصد تبلغوا"[٣].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (والمشادة بالتشديد المغالبة، يقال: شاده يشاده مشادة إذا قاواه.

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب)[٤].

قال ابن المنير -رحمه الله-: (في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته)[٥].

---

(١) سبق تخريجه (٤١).

(٢) رواه البخاري (٣١) برقم (٣٩).

(٣) رواه البخاري (١٢٤٠) برقم (٦٤٦٣) ومسلم (١١٣٣) برقم (٢٨١٦).

(٤) فتح الباري (١/٩٤)

(٥) ابن حجر: فتح الباري (١/٩٤).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر)[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "فسددوا" أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط. قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

قوله: "وقاربوا" أي أن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب منه.

قوله: "وأبشروا" أي: بالثواب على العمل الدائم، وأن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيماً له وتفخيماً.

قوله: "واستعينوا بالغدوة" أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة بالفتح سير أول النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

" والروحة" بالفتح السير بعد الزوال. "والدلجة" بضم أوله وفتحه واسكان اللام سير آخر الليل، وقيل سير الليل كله ولهذا عبر فيه بالتبعيض ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار.

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، وكأنه -ﷺ- خاطب مسافرا إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن

(١) الفتح (١/٩٤-٩٥).

هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة وقوله: في رواية بن أبي ذئب "القصد، القصد" بالنصب فيهما على الإغراء والقصد: الأخذ بالأمر الأوسط)[1].

(والتسديد العمل بالسداد، وهو القصد والتوسط في العبادة، فلا يقصر فيما أمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (فمتى كانت العبادة توجب له ضررا يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة مثل: أن يصوم صوما يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل، أو الفهم الواجب، أو يمنعه عن الجهاد الواجب، وكذلك إذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس ويسألهم.

وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها وأوقعته في مكروهات، فإنها مكروهة)[3].

والأحاديث الناهية عن التشديد على النفس، والتي فيها معالجة لما وقع منه عهد الرسول -ﷺ- كثيرة، وهذه النصوص يمكن أن يتبين منها المعيار الذي يحكم من خلاله على العمل بأنه تشديد على النفس وهذا ما سأبينه فيما يلي:

عن التشديد على النفس هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت بالإنسان "والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب أو

(١) الفتح (١/٩٥).

(٢) ابن رجب: المحجة في سير المدلجه (٥١).

(٣) الفتاوى (٢٥/٢٧٢-٢٧٣).

المستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بحرام ولا مكروه بمنزلة المحرم المكروه في الطيبات"[1].

**ولما كان للأمر علاقة قوية بالمشقة، فليعلم أن المشقة نوعان هما:**

**١- المشقة المعتادة:**

وهذه لا يخلو منها عمل ديني ولا دنيوي، والمطلوبات الشرعية كلها فيها كلفة، وهذه الكلفة متفاوتة بالمقدار، فالكلفة في صلاة الفجر ليست مثل الكلفة في صلاة الظهر، ونفس تسمية المطلوبات الشرعية تكليفا مشعر بوجود الكلفة، ولكنها كلفة معتادة، وإنما سميت مشقة تجوزاً، كما أنها ليست من مقصود الشارع، فلم يقصدها لذاتها بل من جهة ما في العمل نفسه من المصالح العائدة على المكلف في دنياه وأخراه.

كما أن في الأعمال الدنيوية كلفة ومشقة فكسب المعاش فيه كلفة، ولكنه واقع تحت قدرة الإنسان -في الجملة- فهو ممكن معتاد، بل إن أهل العقول يعدون المنقطع عن كسب المعاش بحجة المشقة كسلانا ويذمونه بذلك.

والمقصود أن هذا النوع من المشقة ليس مانعاً من التكليف؛ لأن أحوال الإنسان كلها كلفة في هذه الدار، ولكن الله جعل له قدرة بحيث تكون الأحوال والتصرفات تحت قهره، لا أن يكون هو تحت قهرها، وكذلك التكاليف[2].

**٢- المشقة غير المعتادة:**

وهذه المشقة لو أردنا ضبطها في ضوء النصوص الشرعية، ننظر إلى

---

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٣).

(٢) ينظر الشاطبي: الموافقات (٢/١١٩- ١٢٥).

العمل وما يؤدي إليه، فإن أدى الاستمرار عليه إلى انقطاع عنه أو عن بعضه أو أدى إلى وقوع خلل في صاحبه فهو مشقة غير معتادة، وهذا تفصيل لهذين القسمين:

الأول: الانقطاع عن العمل:

ويتحقق الانقطاع عن العمل بأحد أمرين:

أ- السآمة والملل ثم العجز:

وقد عبرت عنه النصوص أحياناً بتبغيض العبادة أو الملل أو العجز ونحو ذلك وإلى هذه المعاني أشارت النصوص الآتية:

عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- دخل عليها وعندها امرأة قال: "من هذه"، قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: "مه، عليكم من الأعمال بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه[1].

ب- الانقطاع بسبب تزاحم الحقوق:

فالمكلف مطالب بتكاليف وأعمال شرعية لا بد له منها يقوم فيها بحقوق الله عز وجل وبحقوق عباده، فإذا أوغل في عمل شاق فربما قطعه عن غيره، وقد وقع هذا لبعض صحابة رسول الله -ﷺ-.

فعن أبي جحيفة عن أبيه -رضي الله عنه- قال: آخى النبي -ﷺ- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له

(١) سبق تخريجه (٥٣٣).

طعاماً، فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي -ﷺ- فذكر ذلك له، فقال له النبي -ﷺ-: "صدق سلمان"(١).

قال الحافظ-رحمه الله-: (وفيه جواز النهي عن المستحبات، إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور)(٢).

**الثاني: وقوع الخلل:**

فالعمل متى ما كان مؤدياً إلى خلل في العامل - نفسي أو بدني - بأن يعذب الإنسان نفسه أو يمنعها عن لوازم الحياة تديناً وتعبداً فإنه من المشقة على النفس.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ-يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي -ﷺ- قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله -ﷺ- فقال: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣) برقم (١٩٦٨).

(٢) فتح الباري (٤/٢١٢).

ولكني أصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1].

فالنبي -ﷺ- استنكر عليهم هذا الفعل، لأنه تحريم للطيبات المدفوع إليها البشر بالغرائز الطبيعية، وفي منع الإنسان نفسه عنها إيقاع خلل بنفسه.

ومن التحذير من الغلو في النهي عن التشديد على الناس:

لقد بني هذا الدين على اليسر ورفع الحرج. وأدلة ذلك غير منحصرة، فاستقراء أدلة الشريعة قاض بأن الله جعل هذا الدين رحمةً للناس، ويسراً، والرسول -ﷺ- أصلُ بعثته الرأفة والرحمة بالناس، ورفع الإصر والأغلال التي كانت واقعة بطائفة منهم.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول - عليه الصلاة والسلام-: "إن الله لم يبعثني معنِّتاً، ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلِّماً ميسراً"[2].

ومن أبرز أوصافه -عليه الصلاة والسلام- أنه ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولذلك كان -ﷺ- يترك بعض الأفعال أو الأوامر، خشية أن يشق على أمته، ففي قصة صلاة التراويح لما صلى -عليه الصلاة والسلام- فصلى بصلاته

---

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٢) برقم (١٤٧٨).

ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: "قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم"[(١)]

وفي رواية: "فتعجزوا عنها"[(٢)].

وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس؛ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"[(٣)].

وكان النبي -ﷺ- يأمر أصحابه بالتيسير على الناس، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا"[(٤)]

والإنسان له في ذاته أن يأخذ نفسه بالأشد من المشروع، كأن يصلي صلاة طويلة، ولكن ليس له أن يلزم الناس بهذا، ولهذا كان الرسول -ﷺ- أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه، ولكنه يخفف في صلاته إذا صلى بالناس مراعاة لأحوالهم.

يقول أنس بن مالك -رضي الله عنه- في وصف صلاته -عليه الصلاة والسلام-: (كان -ﷺ- من أخفّ الناس صلاةً في تمام)[(٥)].

وكان -ﷺ- يأمر أصحابه بالتخفيف، فقد صلى معاذ بن جبل -رضي الله عنه- ليلة

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣) برقم (١١٢٩) ومسلم (٢٩٩) برقم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠) برقم (٢٠١٢) ومسلم (٣٠٠) برقم (٧٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٨) برقم (٨٨٧) ومسلم (١٢٧) برقم (٢٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨١) برقم (٣٠٣٨) ومسلم (٧٢١) برقم (١٧٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٤٩) برقم (٧٠٨) ومسلم (١٩٦) برقم (٤٦٩).

بقومه فافتتح البقرة، فانحرف رجلٌ فسلم، ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ فقال: لا والله ، ولآتين رسول الله فلأخبرنه، فأتى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله -ﷺ- على معاذ فقال: "يا معاذ أفتان أنت، أقرأ بكذا وأقرأ بكذا" وفي رواية أنه قال "أقر والشمس وضحاها، والضحى والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى"[(١)].

وقوله -ﷺ-: "أفتان أنت يا معاذ" أي: منفرٌ عن الدين وصاد عنه[(٢)].

وعن أبي مسعود الأنصاري -رضي الله عنه- قال: قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلانٌ فيها، فغضب رسول الله -ﷺ- ما رأيته غضب في موضع كان أشدّ غضباً منه يومئذ ثم قال: "يا أيها الناس، إنّ منكم منفرين، فمن أمَّ الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف، والكبير، وذا الحاجة"[(٣)].

وقد صرح -عليه الصلاة والسلام- بالأمر بالتخفيف عن الناس، وإطلاق حرية المرء في الأخذ بالأشد لنفسه ما لم يتجاوز الحدود الشرعية، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإنّ منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"[(٤)].

والتشديد على الناس لا يدخل فيه إلزامهم بما شرع الله عز وجل، بل هو

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٨) برقم (٦١٠٦) ومسلم (١٩٤) برقم (٤٦٥).

(٢) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم (١٨٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩) برقم (٧٠٤) ومسلم (١٩٥) برقم (٤٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩) برقم (٧٠٣) ومسلم (١٩٥) برقم (٤٦٧).

إلزام الناس بغير ما شرع الله، وهو قسمان:

١- ما لم يُشرع أصلاً:

٢- ما شرع أصله ولكن الغلو واقع في صفته أو قدره.

وهذا تفصيل لهذين التفصيلين:

**أولاً: إلزام الناس بما لم يلزمهم به الله:**

لقد أكمل الله الدين، وامتن على الأمة بهذا فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولذلك فإن كل حكم مستحدث بعد الرسول -ﷺ- لم تشهد له أدلة الشرع وقواعده العامة فهو مردود على صاحبه.

يقول الرسول -ﷺ- فيما روته عنه عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ"[(١)].

وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[(٢)].

ويقول الله عائباً على أهل الشرك اتخاذهم شركاء ألزموهم بما لم يلزمهم به الله، فشرعوا لهم ديناً لم يأذن به: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

ويقول -سبحانه- أيضاً مبيناً حال النصارى في إلزامهم أنفسهم برهبانية لم يقوموا بها حق القيام: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ

(١) أخرجه البخاري (٥١٤) برقم (٢٦٩٧) ومسلم (٧١٤) برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً: صحيفة (١٤٠٠) ومسلم (٧١٤) برقم (١٧١٨).

وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (وهذا ذمٌ لهم من وجهين:

أحدهما: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به.

والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل)[1].

وهذا الدين الذي أتم الله به النعمة، ورضيه للأمة جعل الله تكاليفه كلها داخلة تحت وسع العباد وطاقتهم، يقول تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ويقول في معرض ذكر أعمال المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٢].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفساً إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة، ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها من شرعنا من الشرائع)[2].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٥).

(٢) جامع البيان (١٨/٣٥).

ويقول الشاطبي -رحمه الله-: (ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح به التكليف شرعاً)[1].

ثانياً: التشديد على الناس بالمساواة بين الأحكام المتفاوتة:

إن الأحكام الشرعية تتفاضل فمنها: ما هو واجب ومنها ما هو مندوب، والواجب يتفاضل، فليس الإيمان بالله ورسوله -ﷺ- الذي هو أول الواجبات، كالنفقة على الأهل والولد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ذهب جمهور الفقهاء إلى تفاضل أنواع الإيجاب والتحريم، وقالوا: إن إيجاب أحد الفعلين قد يكون أبلغ من إيجاب الآخر، وتحريمه أشد من تحريم الآخر، فهذا أعظم إيجاباً، وهذا أعظم تحريماً)[2].

(١) الموافقات (٢/١٠٧).

(٢) الفتاوى (١٧/٥٩).

# المبحث الثالث
# ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم

وأكثر ما ورد في قصص بني إسرائيل فإن الله -عز وجل- قصَّ علينا أخبارهم في سور كثيرة من القرآن، وفي ضمن ذلك التحذير من أعمالهم، وأوصافهم.

ويعد استخدام (إنما أهلك من كان قبلكم) أحد الأساليب التي اعتمدتها السنة في التبليغ والبيان، والوعظ والإرشاد.

فمن ذلك:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم، بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"(١).

قال ابن رجب -رحمه الله-: (فمن امتثل ما أمر به النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلاً بذلك عن غيره، حَصَلَ له النجاةُ في الدنيا والآخرة، ومَنْ خالف ذلك، واشتغلَ بخواطرِه وما يستحسنه، وقع فيما حذَّرَ منه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدمِ انقيادهم وطاعتهم لرسلهم)(٢).

---

(١) سبق تخريجه (٢٦١).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٢٥٢).

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: أقرأني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سورة من الثلاثين من آل حم قال: يعني الأحقاف، قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، قال: فرحت إلى المسجد، فإذا رجل يقرؤها على غير ما أقرأني فقلت: من أقرأك؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فقلت لآخر: اقرأها، فقرأها على غير قراءتي، وقراءة صاحبي، فانطلقت بهما إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله إن هذين يخالفاني في القراءة، قال: فغضب وتمعر وجهه، وقال: "إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف"[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن أسامة كلم النبي -صلى الله عليه وسلم- في امرأة فقال: "إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركون على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك؛ لقطعت يدها"[2].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (وفيه: أن إنفاذ الحكم على الضعيف ومحاشاة الشريف مما أهلك الله به الأمم، ألا ترى أنه -صلى الله عليه وسلم- وصف أن بنى إسرائيل هلكوا بإقامة الحد على الوضيع وتركهم الشريف)[3].

وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا، فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم"[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٧/٨٨) برقم (٣٩٨١) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن) وابن حبان (٣/٢٢) برقم (٧٤٧) والحاكم: المستدرك (٢/٢٤٣) برقم (٢٨٨٥) وقال الذهبي في تعليقه (صحيح).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥) برقم (٦٧٨٦) ومسلم (٧٠٠) برقم (١٦٨٨).

(٣) شرح صحيح البخاري (٨/٤٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (٩٤١) برقم (٢٢٩٦).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي -ﷺ- قوماً يتدارؤون - أي: يختلفون- فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه"(1).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: هجرت إلى رسول الله -ﷺ- يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله -ﷺ- يعرف في وجهه الغضب، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"(2).

قال النووي -رحمه الله-: (المراد بهلاك من قبلنا هنا: هلاكهم في الدين بكفرهم، وابتداعهم، فحذر رسول الله -ﷺ- من مثل فعلهم)(3).

وقال المناوي -رحمه الله-: (يعني أن الأمم السابقة اختلفوا في الكتب المنزلة فكفر بعضهم بكتاب بعض، فهلكوا، فلا تختلفوا أنتم في هذا الكتاب.

والمراد بالاختلاف: ما أوقع في شك، أو شبهة، أو فتنة، أو شحناء ونحو ذلك الاختلاف في وجوه المعاني، واستنباط الأحكام، والمناظرة لإظهار الحق، فإنه مأمور به فضلاً عن كونه منهيا عنه)(4).

---

(1) أخرجه أحمد (11/353) برقم (6741) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح وهذا إسناد حسن) والبيهقي: شعب الإيمان (2/417) برقم (2258) والطبراني: الأوسط (3/227) برقم (2995).

(2) أخرجه مسلم (1070) برقم (2666).

(3) شرح صحيح مسلم (16/218)

(4) فيض القدير (3/4).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: خطب رسول الله -ﷺ- فقال: "إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل، فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة، فقطعوا، وأمرهم بالفجور، ففجروا"[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: (قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا، بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة.

وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة.

قال جماعة: الشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل البخل في أفراد الأمور، والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده)[(٢)].

وعن أبي هريرة -ﷺ- قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن نتنازع في القدر، فغضب؛ حتى أحمر وجهه؛ حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم؛ حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"[(٣)].

قال المناوي -رحمه الله-: (أشار إلى أن من تكلم من الأمم الماضية فيه -أي: القدر- عجل الله إهلاكهم)[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٩) برقم (١٦٩٨) والبيهقي: السنن الكبرى (٤/١٨٧) برقم (٧٦٠٧) وأحمد (١١/٣٩٨) برقم (٦٧٩٢) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير المسعودي).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/١٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٥) برقم (٢١٣٣).

(٤) فيض القدير (١/٣٤٧).

وقال المباركفوري -رحمه الله-: (هذا يدل على أن غضب الله وإهلاكهم كان من غير إمهال ففيه زيادة وعيد)[١].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ- غداة جمع: "هلم القط لي الحصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن فى يده قال: "نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو فى الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[٢].

وعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "لا تشددوا على أنفسكم، فإنما أهلك من كان قبلكم، بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات"[٣].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم، شبراً شبر، وذراعاً بذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ تبعتموهم" قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"[٤].

وعن جندب -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -ﷺ- قبل أن يموت بخمسٍ، وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذ من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر

(١) تحفة الأحوذي (٦/٢٨٠).

(٢) سبق تخريجه (٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (٣/٤٠١) برقم (٣٨٨٤) والطبراني: المعجم الأوسط (٣/٢٥٨) برقم (٣٠٧٨) قال الهيثمي (رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وثقه جماعة، وضعفه آخرون) مجمع الزوائد (١/٦٢) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٣١٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٦) برقم (٧٣٢٠) و مسلم (١٠٧٠) برقم (٢٦٦٩).

خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك"[1].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهم- قالا: لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا[2].

عن أبي بصرة الغفاري -رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العصر بالمخمَّص، فقال: "إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها؛ حتى يطلع الشاهد" والشاهد النجم[3].

وعن خباب -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بُردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كان الرجل فيمن قبلكم، يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمَّنَّ هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤) برقم (٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥) برقم (٤٣٥) و مسلم (٢١٤) برقم (٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٣٢٢) برقم (٨٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٠) برقم (٣٦١٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قام فينا، فقال: "ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة"[(١)].

وعن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله -ﷺ- خطب يوم عرفة فقال: "هذا يوم الحج الأكبر إن من كان قبلكم من أهل الأوثان والجاهلية كانوا يفيضون إذا رئيت الشمس على الجبال كأنها عمائم الرجال، ويدفعون من جمع إذا أشرقت على الجبال كأنها عمائم الرجال، فخالف هدينا هدي أهل الشرك والأوثان"[(٢)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم"[(٣)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قال: "لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون"[(٤)].

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -ﷺ- فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: "هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شيء" فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا، وقد قرأنا القرآن

(١) سبق تخريجه (١١٤).

(٢) أخرجه أبو داود: المراسيل (١٥٤) برقم (١٥١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩) برقم (٥٨٩٩) ومسلم (٨٧١) برقم (٢١٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٨) برقم (٢٣٥٣)، وصححه الألباني: المشكاة (٦٢٢/١) برقم (١٩٩٥).

فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: "ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟!"[١].

(أي: فكما لم تفدهم قراءتهما مع عدم العلم بما فيهما، فكذلك أنتم)[٢].

(١) أخرجه الترمذي (٤٣٠) برقم (٢٦٥٣) وقال (هذا حديث حسن غريب) والحاكم: المستدرك (١/١٧٩) برقم (٣٣٨) وقال (هذا إسناد صحيح) ووافقه الذهبي.

(٢) المباركفوري: تحفة الأحوذي (٧/٣٤٥).

# المبحث الرابع
# التحذير من أوصاف معينة

إن أظهر هذه الأوصاف المحذر منها: التفرق، والأمر بلزوم الجماعة.

إن جمع كلمة الأمة على الحق، وتأليف قلوبهم، من مقاصد الإسلام العظمى لذلك جاء التحذير في القرآن والسنة من التفرق ومن تلك النصوص:

قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: (ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله، وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمرَ الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم يعني: ولهؤلاء الذين تفرقوا، واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم.

يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرُّق هؤلاء في

دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم)[1].

ونقل الإمام الشاطبي عن الإمام مالك -رحمهما الله- في هذه الآية قوله: (فأي كلام أبين من هذا، فرأيته يتأولها لأهل الأهواء)[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

وفي هذه الآية البراءة العامة من كل من فارق دين الله -عز وجل-.

قال الطبري -رحمه الله-: (إن الله أخبر نبيه -ﷺ- أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقًا فيه وأحزاباً شيعاً، وأنه ليس منهم، ولا هم منه، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إبراهيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

فكان من فارق دينه الذي بعث به -ﷺ- من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد -ﷺ- ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ ﴾)[3].

(١) جامع البيان (٣٩/٤).

(٢) الاعتصام (٢٩٠/٢).

(٣) جامع البيان (٢٧١/١٢).

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (الظاهر الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أي: فرقاً كأهل الملل والنحل -وهي الأهواء والضلالات- فالله قد برأ رسوله مما هم فيه)[1].

(وإذا كان الله قد برأ رسوله -ﷺ- من جميع أمورهم، فمن كان متبعا للرسول -ﷺ- حقيقة كان متبرئاً منهم، كتبرئه -ﷺ- منهم، ومن كان موافقا لهم كان مخالفاً للرسول -ﷺ- بقدر موافقته لهم)[2].

ونقل الشاطبي -رحمه الله- عن بعض العلماء قوله: (ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم، فهو داخل في هذه الآية؛ لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا، وتفرقوا وكانوا شيعاً)[3].

فدلت الآية الكريمة بهذا على أن الله سبحانه يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف[4].

كما وردت أحاديث في الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة، ومنها:

١ - عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: كان الناس يسألون رسول الله -ﷺ- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٧٧)

(٢) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٥٣).

(٣) الاعتصام (١/٨١).

(٤) انظر: ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٢٨٢).

بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم" قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم، وفيه دَخَنٌ" قلت: وَمَا دَخَنُهُ؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم، وتنكر " قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها"قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: "هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا" قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك"[(1)].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم، ولم يقل فيهم تعرف وتنكر، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق ، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة)[(2)].

٢- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: "إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد -ﷺ- على ضلالة، ويدُ الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار"[(3)].

٣- عن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: "من رأى من

(١) سبق تخريجه (٤٦٩).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (١٣/٣٧).

(٣) سبق تخريجه (١٣١).

أميره شيئاً يَكْرَهُهُ، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[1].

٤- وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه"[2].

ولقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن وقوع هذا الافتراق في الأمة في جملة أحاديث من أشهرها الحديث المعروف بحديث الافتراق.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "افترَقَت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فِرقةً، وتَفرَّقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً، وتفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة"[3].

وفي بعض الروايات: "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"[4].

ولكن هذا الوقوع لا يمهد العذر للناس في التفرق عن دين الله، ومفارقة جماعة المسلمين.

والتفرق وإن كان أمراً مقدراً إلا أننا مطالبون بالبعد عن أسبابه، فإن هناك فرقاً بين الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية القدرية، ففرق بين ما أراده الله بنا، وما أراده الله منا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وهذا المعنى محفوظ عن

(١) رواه البخاري (١٣٤٩) برقم (٧٠٥٤) ومسلم (٧٧٢) برقم (١٨٤٩).

(٢) سبق تخريجه (٤٦٧).

(٣) سبق تخريجه (١١٤).

(٤) سبق تخريجه (٤٦٤).

النبي -ﷺ- من غير وجه، يشير إلى أن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته منه؛ لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة)(١).

ولقد شهدت النصوص والوقائع التاريخية أن بين التزام هذه الأمة بدين الله، واجتماعها علاقة وثيقة، كما أن بين بعدها عن الحق والدين، وتفرقها علاقة وثيقة كذلك.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فأخبر أن نسيانهم حظا مما ذكروا به وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به كان سببا لإغراء العداوة والبغضاء بينهم وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها وكثير من فروعه من أهل الأصول والفروع)(٢).

وقال -رحمه الله- أيضاً: (ولست تجد اتفاقاً وائتلافاً إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث، وما يتبع ذلك.

ولا تجد افتراقاً واختلافاً إلا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٢٢-١٢٣).

(٢) الفتاوى (١/١٤).

في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك)[1] بل كلما كان المنحرفون عن الهدى أقرب إليه من غيرهم ممن هو أشد منهم انحرافاً كانوا أخف افتراقاً، وأقل فرقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (تجد أهل الفلسفة والكلام أعظم الناس افتراقا واختلافا مع دعوى كل منهم أن الذي يقوله حق مقطوع به قام عليه البرهان وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقا وائتلافا وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب فالمعتزلة أكثر اتفاقا وائتلافا من المتفلسفة إذ للفلاسفة في الإلهيات والمعاد والنبوات بل وفي الطبيعيات والرياضات وصفات الأفلاك من الأقوال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال)[2] ثم قال: (وأهل الإثبات من المتكلمين مثل الكلابية والكرامية والأشعرية أكثر اتفاقا وائتلافا من المعتزلة)[3].

ومن أعظم الانحراف عن الدين: الابتداع، والغلو.

وإنما صار أهل الابتداع فرقاً؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، وفارقوا الدين، فتشتت أهواءهم، فتشتتوا وافترقوا.

وأما من طلب الحق وأعرض عن الهوى، فهو وإن اختلف مع من كانوا على مثل منهجه، فالاختلاف اختلاف سائغ لا يؤدي إلى الافتراق، فغننا وجدنا صحابة النبي يختلفون في أحكام الشرع، ولكنهم لم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً؛ لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأي

(١) المصدر السابق (٤/٥٢).

(٢) المصدر نفسه (٤/٥١).

(٣) المصدر نفسه (٤/٥٢).

والاستنباط من الكتاب والسنة[1].

وقد أجج ذلك التفرق ما أحدثته كل فرقة من أصول مبتدعة يرجعون إليها مع الإعراض عن القرآن والإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف، صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات، والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه)[2].

واستقراء تاريخ الأمة دال على ذلك، فقد (استمر تزيد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي -ﷺ- ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة -رضي الله عنهم- إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، واصغوا إلى البدع المضلة: كبدعة القدر، وبدعة الخوارج، وهي التي نبه عليها الحديث بقوله: "يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم"[3] يعني لا يتفقهون فيه، بل يأخذونه على الظاهر.. هذا كله في آخر عهد الصحابة، ثم لم تزل الفرق تكثر حسبما وعد به الصادق -ﷺ-)[4].

ولقد صارت الفرقة قرينة البدعة والانحراف عن الحق والغلو في الدين.

---

(١) انظر: الشاطبي: الموافقات (٤/١٨٥).

(٢) الفتاوى (١٣/٥٨).

(٣) سبق تخريجه (٥٢٢).

(٤) الشاطبي: الاعتصام (١/٢٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والبدعة مقرونة بالفرقة كما ان السنة مقرونة بالجماعة فيقال أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة)(١).

ولذلك عد الشاطبي -رحمه الله- الفرقة علامة فاصلة دالة على أهل الابتداع، فقال في سياق علامات الفرق الضالة المنحرفة: (إحداها: الفرقة التي نبه عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وغير ذلك من الأدلة)(٢).

ثم قال -رحمه الله-: (وهذه الخاصية موجودة في كل فرقة من تلك الفرق)(٣).

وليس الغلو المنتج لهذه الفُرقة هو الغلو العملي الشخصي الذاتي، بل هو الغلو الاعتقادي المؤدي إلى الانشقاقات المظهر للفرق والجماعات: (ذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية)(٤).

ولقد رأينا ورأى الناس من قبل من آثار الغلو والابتداع (التفرق

(١) الاستقامة (١/٤٢).

(٢) الموافقات (٤/١٨٥).

(٣) نفس المصدر (٤/١٨٧).

(٤) الشاطبي: الاعتصام (٢/٧١٢).

والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف؛ حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن، والهمز واللمز، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة؛ حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله -ﷺ-)[1].

(١) الفتاوى (٢٢/٣٥٧).

# المبحث الخامس
# التحذير من الإحداث والابتداع

(البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب، أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي -ﷺ- أو لم يكن)[1].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: (والمراد بالبدعة: ما أُحْدِثَ ممَّا لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأمَّا ما كان له أصلٌ مِنَ الشَّرع يدلُّ عليه، فليس ببدعةٍ شرعاً، وإنْ كان بدعةً لغةً)[2].

وقال الشاطبي-رحمه الله-: (البدعة إذن عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[3].

ولقد جاء التحذيـر من الابتداع في الدين في كثير من النصوص ، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٤/١٠٧-١٠٨).

(٢) جامع العلوم (٢٦٥).

(٣) الاعتصام (١/٣٧).

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله)[1].

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: " أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[2] وفي رواية: "وكل ضلالة في النار"[3].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد"[4].

وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد"[5].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي الرواية الثانية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"قال

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢١٩).

(٢) سبق تخريجه (٢٦٤).

(٣) رواها النسائي (١٨٦) برقم (١٥٧٨) وقال الألباني: (سندها صحيح) إرواء الغليل (٣/٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٤) برقم (٢٦٩٧) ومسلم (٧١٤) برقم (١٧١٨).

(٥) أخرجه البخاري معلقاً: صحيفة (١٤٠٠) ومسلم (٧١٤) برقم (١٧١٨).

أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتد به.

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه -ﷺ- فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية: زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها) وأضاف: (وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به)[1].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث: "الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها، وهو ميزان للأعمال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله -تعالى- فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله -ﷺ- فليس من الدين في شيء)[2].

وقال ابن رجب -رحمه الله- أيضاً: (فهذا الحديث يدل بمنطوقه: على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه: على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود، والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".

فالمعنى إذا: أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع فهو مردود.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٢/١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦).

وقوله: "ليس عليه أمرنا" إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها، فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك، فهو مردود، فأما العبادات فما كان منها خارجاً عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله، وعامله يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله، فعمله باطل، مردود عليه)[(١)].

وعن العرباض -رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[(٢)].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (وإنما وصف الخلفاء بالراشدين؛ لأنهم عرفوا الحق وقضوا به، والراشد ضد الغاوي، والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه، وفي رواية: "المهديين" يعني أن الله يهديهم للحق ولا يضلهم عنه.

(١) المصدر نفسه (١/١٧٧-١٧٨).

(٢) سبق تخريجه (٣٣).

فالأقسام ثلاثة: راشد، وغاو، وضال.

فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي عرفه ولم يتبعه، والضال لم يعرفه بالكلية، فكل راشد فهو مهتد، وكل مهتد هداية تامة فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق، والعمل به أيضاً.

وقوله: "عضوا عليها بالنواجذ" كناية عن شدة التمسك بها، والنواجذ الأضراس.

قوله: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة، وأكد ذلك بقوله: "كل بدعة ضلالة".

والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة)[1].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (قوله -ﷺ- "كل بدعة ضلالة" من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله -ﷺ-: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" فكل من أحدث شيئاً، ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة، والباطنة.

وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية)[2].

من وصايا السلف في التحذير من أهل البدع:

(١) جامع العلوم والحكم (٢/١٢٦-١٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/١٢٨)

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)[1].

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال لمن سأله عمن يقول لا قدر، قال: (إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه براء)[2].

وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: (لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب)[3].

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى)[4].

(١) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٢٣) برقم (٢٠٢).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد: السنة (٢/٤٢٠).

(٣) رواه ابن بطة: الإبانة (٢/٤٣٨).

(٤) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٣٨) برقم (٢٦٤).

# المبحث السادس
# التحذير من الفتن

إن الفتنة جنس تحته أنواع: من الشبهات، والشهوات[1] ويرجع المفسرون كل هذه المعاني والاستعمالات إلى أصل واحد هو: الابتلاء والاختبار الذي يعرض للأمة والأفراد.

ولقد لاح لي معنى يربط بين الفتنة، والضروريات الخمس: (الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال) فكل مصيبة أو بلية تعود إلى أي من الضروريات الخمس، وخصوصاً الدين بالنقص، أو الضرر، أو العدم، فهي فتنة، وقد نص على أمر قريب من هذا الشيخ العلامة: محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله - وأنكر على من فسر الفتنة بالابتلاء فقال: (الفتنة لفظٌ يجمع معنى مَرَجٍ، واضطراب أحوال أحدٍ، وتشتت باله بالخوف، والخطر على الأنفس والأموال على غير عدل ولا نظام، وقد تخصص وتعمم بحسب ما تضاف إليه، أو بحس المقام، يقال: فتنة المال، وفتنة الدين.

ولَمَّا كانت هذه الحالة يختلف ثبات الناس فيها بحسب اختلاف رجاحة عقولهم، وصبرهم، ومقدرتهم على حسن المخارج منها، كان من لوازمها الابتلاء والاختبار، فكان ذلك من المعاني التي يكنى بالفتنة عنها كثيراً، ولذلك

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: جامع الرسائل (٢/٢٧٣).

تسامح بعض علماء اللغة، ففسر الفتنة بالابتلاء، والاختبار، وجرأه على ذلك قول الناس: فتنت الذهب أو الفضة، إذا أذابها بالنار؛ لتمييز الرديء من الجيد، وهذا الإطلاق إن لم يكن مولداً، فإن معنى الاختبار غير منظور إليه في لفظ الفتنة، وإنما المنظور إليه ما في الإذابة من الاضطراب والمرج)[1].

وهذا الاضطراب نسبي، فهو يختلف باختلاف نوع الفتنة، فهو في الفتنة العامة يكون ظهوره:

١- عاماً، فيعم الناس والأماكن.

٢- بيناً ظاهراً للناس.

٣- واضح الأثر، يشعر به كل أحد.

ويشهد لذلك حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- حيث قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله -ﷺ- في الفتنة كما قال؟ قال: فقلت: أنا، قال: إنك لجريء، وكيف قال؟ قال: قلت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "فتنة الرجل في أهله، وماله، ونفسه، وولده، وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر، قال: فقلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين! إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟ قال: قلت: لا، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً.

قال [الراوي] فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط.

(١) التحرير والتنوير (١/٦٤٣).

قال [الراوي] فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق: سله فسأله، فقال: عمر(١).

ففي الحديث تشبيه للفتن العامة بموج البحر، إشارة إلى ما فيها من اضطراب، وهرج، ومرج، وعموم هذه الأمور، وظهور أثرها كالحاصل تماماً من موج البحر.

وهذه المعاني موجودة في الفتن العامة التي وقعت بعد التحاقه - عليه الصلاة والسلام - بالرفيق الأعلى، والتي حدَّث الرسول -ﷺ- بها وأخبر عن وقوعها.

هذا في الفتن العامة.

أما الفتن الخاصة، ففيها اضطراب، ولكنه أقل، فهو:

١ - خاص غير عام.

٢- غير ظاهر للناس.

٣- محدود الأثر لا يشعر ه إلا صاحبه، ومن حوله.

وغالباً ما يكون الاضطراب نفسياً داخلياً، أو أسرياً خاصاً، أو شخصياً.

وفي حديث حذيفة -رضي الله عنه- المذكور آنفاً ما يشعر بالتفريق في نسبة الضرر بين الفتن العامة، والخاصة.

وبعد فيمكن تلخيص تعريف الفتنة بالقول: إن الفتنة هي: (كل مصيبة تعود بالضرر، أو النقص، أو العدم على الضروريات الخمس أو أي منها، إذا اقترنت بمرج واضطراب في حياة الأفراد أو الأمم).

---

(١) رواه مسلم (٨٢) برقم (١٤٤).

وهذا الاضطراب قد يكون:

- **في ذات الدين**: حيث يقع الإنسان، أو الناس في الشرك، أو الكفر، أو في أسبابها، لانتشار الشبهات، أو الشهوات، فيصير الناس إلى حيرة واضطراب، ويحيق الخطر هم من جهة الدين الذي هو رأس الضرورات وأهمها.

- **وقد يكون من أجل الدين**: بأن يبتلى المرء بلاء شديد، وعذاب يريد منه فاعلوه صرف المسلم عن الدين القويم.

- **وقد يكون في الأعراض، والأنفس، والأموال، والنسل**: بأن يقع اضطراب شديد يفسد على الناس عيشهم، كما هو الحالُ عند غياب الحاكم، وتهارج الناس، وتقاتلهم.

والفتن مزلة أقدام للناس، ومفاتيح انحراف، ولذلك حذرنا الرسول -ﷺ- من الفتن وتنبيهه -عليه الصلاة والسلام- للفتن جزءٌ من كمال هذه الشريعة، فلم يمت - عليه الصلاة والسلام- إلا وقد حذر أمته من كل شرٍ وبلاءٍ يصيبها، والفتن من جملة تلك الشرور.

فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله -ﷺ- أسر إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله -ﷺ- قال وهو يحدِّث مجلسا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله -ﷺ- وهو يَعدُ الفتن: "منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار" قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري)[1].

(١) رواه مسلم (١١٥٨) برقم (٢٨٩١).

وقال حذيفة -رضي الله عنه-: (أخبرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة؟)[1].

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: (تركنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم)[2].

بل إن النبي -صلى الله عليه وسلم- خطب في الصحابة -رضوان الله عليهم- نهاراً كاملاً، وبين لهم ما كان، وما هو كائن إلى قيام الساعة.

فعن أبي زيد عمرو بن أخطب -رضي الله عنه- قال: (صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الفجر، وصعد المنبر، فَخَطَبَنَا؛ حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا؛ حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا)[3].

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: (لقد خطبنا النبي -صلى الله عليه وسلم- خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمَهُ من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه، فرآه فعرفه)[4].

(١) رواه مسلم (١١٥٩) برقم (٢٨٩١).

(٢) رواه ابن حبان (٢٦٧/١) برقم (٦٥) والطبراني: المعجم الكبير (١٥٥/٢) برقم (١٦٤٧)، وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) وقال الألباني (إسناده صحيح) السلسلة الصحيحة: برقم (١٨٠٣).

(٣) رواه مسلم (١١٥٩) برقم (٢٨٩٢).

(٤) رواه البخاري (١٢٦٢) برقم (٦٦٠٤) ومسلم (١١٥٩) برقم (٢٨٩١).

ولم يترك -ﷺ- فتنة، ولا قائد فتنة مؤثرة في تاريخ الأمة إلا ذكره باسمه، واسم أبيه.

فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله -ﷺ- من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته)[1].

فظاهر من هذه الأخبار والتحذيرات، وغيرها من الأخبار:

اهتمام النبي -ﷺ- بتحذير أمته من الفتن والشرور، هذا التحذير الذي اتخذ صوراً وألواناً مختلفة؛ ليكون أدعى للفهم، وأبلغ في النذارة:

فتارة يحذر من الفتن مقرباً لها: فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: أشرف النبي -ﷺ- على أطم من آطام المدينة، فقال: "هل ترون ما أرى؟" قالوا: لا، قال: "فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم، كوقع القَطر"[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على هذا الحديث: (والمراد بالمواقع مواضع السقوط، والخلال النواحي)، (وإنما اختصت المدينة بذلك؛ لأن قتل عثمان -رضي الله عنه- كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه)، (وحسن التشبيه بالمطر؛ لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في

(١) رواه أبو داود (٤٦٣) برقم (٤٢٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٥٠) برقم (٧٠٥٩).

أرض معينة عمها، ولو في بعض جهاتها)، (وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت؛ ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر، والنجاة من شرها)(١).

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- خرج ذات يوم، نصف النهار، مشتملاً بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: "أيها الناس: أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم.

أيها الناس: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً"(٢).

**وتارة يقربها محذراً العرب منها خاصة**: فعن أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أنها قالت: استيقظ النبي -ﷺ- من النوم محمراً وجهه يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث"(٣).

قال ابن بطال -رحمه الله-: (هذه الأحاديث كلها مما أنذر النبي -عليه الصلاة والسلام- بها أمته، وعرَّفهم قرب الساعة؛ لكي يتوبوا قبل أن يهجم عليهم وقت غلق باب التوبة؛ حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج من آخر الأشراط، فإذا فتح من ردمهم في وقته -عليه السلام- مثل عقد التسعين أو المائة، فلا يزال الفتح يستدير

---

(١) فتح الباري (١٣/١٣).

(٢) رواه أحمد (٤١/٦٦) برقم (٢٤٥٢٠) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٣) سبق تخريجه (٤٤٩).

ويتسع على مرِّ الأوقات، وهذا الحديث في معنى قوله -عليه السلام-: "بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها"[(١)]) وَ(عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم"[(٢)].

وهذا غاية في التحذير من الفتن، والخوض فيها؛ حين جعل الموت خيراً من مباشرتها، وكذلك أخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال بيوتهم؛ ليتوقفوا ولا يخوضوا فيها، ويتأهبوا لنزولها بالصبر، ويسألوا الله العصمة منها، والنجاة من شرها)[(٣)].

وقال ابن العربي -رحمه الله-: (وفائدة قوله: "نعم" في هلاك الصالح مع الطالح: البيان بأن الخَيِّر يهلك بهلاك الشرير، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه إذا لم يغير عليه خبثه، أو إذا غير لكنه لم ينفع التغيير، بل كثر المكر بعد النكير، فيهلك حينئذٍ القليل والكثير، ويحشر كل أحد على نيته)[(٤)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إذا تمادى على ذلك اتسع الخرق حيث يخرجون، وكأن عندهم علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٧٦) برقم (٤٩٣٦) ومسلم (١١٨٥) برقم (٢٩٥٠).

(٢) أخرجه الحاكم: المستدرك (٤/٤٨٦) برقم (٨٣٥٧) وقال (حديث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي.

(٣) شرح صحيح البخاري (١٠/١١-١٢).

(٤) عارضة الأحوذي (٩/٣٦).

(٥) فتح الباري (١٣/١٠٩).

و(إنما خص العرب بالذكر؛ لأنهم أول من دخل في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كانت أسرَعَ إليهم)(١).

وفي التذكرة للقرطبي -رحمه الله-: (فأخبر -عليه الصلاة والسلام- بما يكون بعده من أمر العرب، وما يستقبلهم من الويل والحرب.

وقد وجد ذلك بما أستؤثر عليهم به من الملك والدولة، والأموال والإمارة، فصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم، وتشتتوا في البراري بعد أن كان العز والدنيا والملك لهم؛ ببركته -عليه السلام- وما جاءهم به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها، بقتل بعضهم بعضاً، وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم، ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨])(٢).

**ويأتي التحذير من أعمال معينة، أو صفات:** كما في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ستكون فتن القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرِف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ، أو معاذاً، فليعذ به"(٣).

ومثل حديث الافتراق، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"(٤).

---

(١) المصدر نفسه (١٣/١١).

(٢) صفحة (٦٢٧).

(٣) رواه البخاري (٦٨٨) برقم (٣٦٠١) ومسلم (١١٥٦) برقم (٢٨٨٦).

(٤) سبق تخريجه (١١٤).

وفي بعض الروايات: "ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة"[(١)].

(إن هذه الأحاديث وغيرها بلاغ من رسول الله -ﷺ- لأمته لما سوف يحدث لهم من انحرافات، وفيها يخاطب كل فرد كيف ينجو مما سوف يحدث، فلا يكون لأي فرد عذر؛ حتى لا يقول قائل: إن رسول الله -ﷺ- لم يبلغنا عما سوف يحدث، وهو الرسول الخاتم، والذي لن يأتي بعده نبي يرشد الناس إلى الحق، ولكن الله قد كشف لرسوله ما سوف يحدث من فتنٍ وانحرافات؛ ليحق الحق، ويبطل الباطل، وتقوم الحجة والبلاغ على الناس، فلا يقول قائل: لم تبلغني الحجة، فيتحقق أمر الله بأن لا تزر وازرة وزر أخرى)[(٢)].

**التحذير من فتنٍ بتحديد شخص رأس هذه الفتنة:** ومن ذلك كل الأحاديث الواردة في فتنة الدجال، ومنها: عن عبيد الله بن مغفل -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: "أنَّه لم يكن نبي إلا حذر أمته الدجال، وإنّي أنذركموه، وأنه كائن فيكم"[(٣)].

وعن أبي عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله-ﷺ- يقول: "إنَّه لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر الدجال قومه، وإنّي أنذركموه.."[(٤)].

**التحذير من فتن بتحديد عمل أهلها:** ومن ذلك تحذيره -ﷺ- من المتنبئين

---

(١) سبق تخريجه (٤٦٤).

(٢) محمد الشباني: مختارات من أحاديث الفتن (٣٢).

(٣) رواه ابن حبان (١٨٤/١٥) برقم (٦٧٨١) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده قابل للتحسين لو سلم من عنعنة الحسن فإن محمد بن مروان العقيلي صدوق له أوهام).

(٤) رواه أبو داود (٥١٨) برقم (٤٧٥٦) والترمذي (٣٦٩) برقم (٢٢٣٤) وقال: (وهذا حديث حسن غريب من حديث أبي عبيدة بن الجراح، لا نعرفه إلا من حديث خالد الحذاء).

بعده، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولا تقوم الساعة؛ حتى يبعث دجّالون كذابون، قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنَّه رسول الله"[(١)].

وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنَّ بين يدي الساعة كذابين، فاحذروهم"[(٢)].

وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه شيئاً، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطيباً، فقال: "أما بعد، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنَّه كذابٌ من ثلاثين كذاباً، يخرجون بين يدي الساعة"[(٣)].

**وتارة يستعيذ من مضلات الفتن:** فعن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك" فقلت: يا رسول الله، أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: "نعم، ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله- عز وجل- أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب " قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: "بلى، قولي: اللهم رب

(١) رواه البخاري (٦٨٩) برقم (٣٦٠٩) ومسلم (١١٧١) برقم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٧٦١) برقم (١٨٢٢).

(٣) رواه أحمد (٧٢/٣٤) برقم ( ٢٠٤٢٨)، قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف رجاله ثقات رجال الصحيح لكن اختلف فيه على الزهري)، والحاكم: المستدرك (٥٨٣/٤) برقم (٨٦٢٤) وابن حبان (٢٩/١٥) برقم (٦٦٥٢)، وقال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح)، مجمع الزوائد (٣٣٢/٧).

النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني"[1].

وهذه الأخبار، والتحذيرات دالة على أهمية العلم بالفتن؛ للحذر منها، وأخذ الأهبة لها، وقطه مواردها وأسبابها، وسلوك مسالك النجاة منها، وقد فقه صحابة رسول الله -ﷺ- ذلك، فاهتموا بأحاديث الفتن، وحدثوا بها، ولقنوها الأمة، وكانوا إلى ذلك يراعون أموراً منهاً:

١- سلوك المنهج السوي في فهم أحاديث الفتن؛ باستقراء أحوال وأقوال السلف والعلماء من بعدهم.

٢- مراعاة المصلحة، فيبينون بعضاً، ويكتمون بعضاً، يبينون ما رجحت مصلحة بيانه، ويكتمون ما رجحت مفسدة بيانه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (حفظت من رسول الله -ﷺ- وعاءين فأمَّا أَحَدُهُما فبثثه، وأمَّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البُلعوم)[2].

فهذا شاهد أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قد حفظ أحاديث من أحاديث الفتن كثيرة، ولكنه لم يرو منها إلا القليل، لمَّا رأى أن التحديث بها قد يؤدي إلى فتنة أو شر.

(١) سبق تخريجه (٤٣).

(٢) سبق تخريجه (٤٢٧).

# المبحث السابع
# التحذير من الدجال

تستأثر أحاديث الفتن المحذرة من الدجال، والمبينة له، مكاناً كبيراً من أحاديث الرسول -ﷺ- وهو في ذلك جارٍ على سنن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الذين حذروا كلهم من أعظم الفتن: (فتنة المسيح الدجال).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ، وأمور تنكرونها"[1] الحديث.

فاهتمت السنة كثيراً في بيان وتفصيل فتنة الدجال ولذلك -والله أعلم- للحاجة إلى ذلك التفصيل؛ لأن من مقتضيات قيام الحجة أن يبين الأمر للناس بياناً شافياً كافياً،

ومن هنا جاء وصف الدجال في ذاته وصفاً بيناً، كما جاء وصف فتنته، ومدة لبثه، ومن أين يخرج، وكيفية مسيرته في الأرض، كما ذكرت الأحاديث كثيراً من الأحداث المتعلقة به، وإن كانت الأحاديث، ليس فيها ذكر لبعض التفاصيل التي لا حاجة للناس فيها، مثل تحديد السنة التي يخرج فيها ونحو ذلك.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠) برقم (١٨٤٤).

**أحاديث الدجال متواترة:**

قال ابن عطية -رحمه الله-: (وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويُفيض العدل، وتظهر به ملة محمد -ﷺ- ويحجَّ البيت ويعتمر)[1].

وقال الشيخ محمد الكتاني -رحمه الله -: (الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-)[2].

**فتنة الدجال أعظم الفتن:**

وأعظم الفتن الكائنة إلى قيام الساعة فتنة الدجال، وقد ورد وصفها في الأحاديث بأنها عظيمة، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: "يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم.." الحديث إلى أن قال: "ومعه فتنةٌ عظيمةٌ؛ يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس.." الحديث[3].

بل وُصفت بأنها (أعظم فتنة).

فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: خطبنا رسول الله -ﷺ- فكان أكثر

(١) أبو حيان: البحر المحيط (٢/٤٧٣).

(٢) نظم المتناثر في الحديث المتواتر (١٤٧).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٣/٢١٠) برقم (١٤٩٥٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده على شرط مسلم) والحاكم (٤/٥٧٥) رقم (٨٦١٣) وقال (صحيح الإسناد و لم يخرجاه) وقال الذهبي (على شرط مسلم).

خطبته حديثاً حدَّثناه عن الدجال، وحذَّرناه، فكان من قوله أن قال: "إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ الله ذريَّة آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذَّر أمته الدجال"[1].

وعن عبد الله بن مغفل -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنةً أعظم من فتنة الدجال، وقد قلتُ فيه قولاً لم يقله أحدٌ قبلي: إنَّه آدم، جعدٌ، ممسوح عين اليسار، على عينه ظفرةٌ غليظةٌ، وأنَّه يبرئ الأكمه والأبرص، ويقول: أنا ربُّكم، فمن قال: ربي الله، فلا فتنة عليه، ومن قال: أنت ربي فقد افتتن، يلبث فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم- على ملَّته إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً فيقتل الدجال"[2].

وعن هشام بن عامر -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبرُ من الدجال"[3].

وفي روايةٍ لأحمد قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "والله ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أعظم من الدجال"[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٩) برقم (٤٠٧٧) والحاكم (٤/٥٨٠) برقم (٨٦٢٠) وقال (حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذه السياقة).

(٢) رواه الطبراني: المعجم الأوسط (٥/٢٧) برقم (٤٥٨٠) والعقيلي: الضعفاء (٤/١٣٣) برقم (١٦٩١) وقال الهيثمي: مجمع الزوائد (٧/٣٣٥) (ورجاله ثقاتٌ، وفي بعضهم ضعفٌ لا يضر).

(٣) رواه مسلم (١١٨٤) رقم (٢٩٤٦).

(٤) رواه أحمد (٢٦/١٨٧) برقم (١٦٢٥٥) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح) والحاكم (٤/٥٧٣) رقم (٨٦١٠) وقال (صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

وفي روايةٍ للحاكم: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنةٌ أكبر عند الله من الدجال"(١).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: "ما كانت فتنةٌ ولا تكون حتى قيام السَّاعة أكبر من فتنة الدجال.." الحديث(٢).

وكل الفتن إلى قيام السَّاعة إنما وجدت ممهدةً لفتنة الدجال موطئة لها، فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: ذُكِرَ الدجال عند رسول الله -ﷺ- فقال: "لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجوَ أحدٌ مما قبلها، إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرةً ولا كبيرةً إلا لفتنة الدجال"(٣).

وفي روايةٍ: كنَّا عند النبي -ﷺ- فذكر الدجال فقال: "لَفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، إنها ليستْ فتنةً صغيرةً ولا كبيرةً إلا تتضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها، وإنه لا يضر مسلماً، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، مهجاة: ك ف ر"(٤).

---

(١) المستدرك (٤/٥٧٣) برقم (٨٦١٠) وقال: "صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٢٢/٩) برقم (١٤١١٢) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات، رجال الشيخين إلا أنه منقطعٌ) وذكره الهيثمي: مجمع الزوائد (٣/٣٠٨).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٨/٣٣٤) برقم (٢٣٣٠٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين) وابن حبان (١٥/٢١٨) برقم (٦٨٠٧) وقال الهيثمي: مجمع الزوائد (٧/٣٣٥) (ورجاله رجال الصحيح).

(٤) رواها ابن حبان (١٥/٢١٨) برقم (٦٨٠٧) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح).

**فكان التحذير والتعوذ من شخص رأس هذه الفتنة:**

عن عبيد الله بن مغفل -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنَّه لم يكن نبي إلا حذر أمته الدجال، وإنّي أنذركموه، وأنه كائن فيكم"[(1)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال، ما حدث به نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه"[(2)].

وقال عقبة بن عمرو لحذيفة -رضي الله عنه- ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: إني سمعته يقول: "إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما التي يرى الناس أنها النار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق، فمن أدرك منكم، فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذب بارد"[(3)].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي: أما قد لقيت من الناس يزعمون أني الدجال ألست سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنه لا يولد له" قال: قلت: بلى. قال: فقد ولد لي، أو ليس سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يدخل المدينة ولا مكة " قلت: بلى. قال: فقد ولدت بالمدينة، وهذا أنا أريد مكة. قال: ثم قال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم مولده، ومكانه، وأين هو. قال: فلبسني[(4)].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال لي ابن صائد وأخذتني منه ذمامة

---

(١) سبق تخريجه (٥٨١).

(٢) رواه البخاري (٦٣٦) برقم (٣٣٣٨) ومسلم (١١٧٧) برقم (٢٩٣٦).

(٣) رواه البخاري (٦٦٥) برقم (٣٤٥٠) ومسلم (١١٧٦) برقم (٢٩٣٤، ٢٩٣٥).

(٤) رواه مسلم (١١٧٢) برقم (٢٩٢٧).

هذا عذرت الناس وما لي ولكم؟ يا أصحاب محمد ألم يقل نبي الله -ﷺ-: "إنه يهودي" وقد أسلمت. قال: "ولا يولد له" وقد ولد لي، وقال: "إن الله قد حرم عليه مكة" وقد حججت. قال: فما زال؛ حتى كاد أن يأخذ في قوله. قال: فقال له: أما والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه، وأمه. قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض علي ما كرهت[1].

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب"[2].

**الاستعاذة من شر هذه الفتنة العظيمة:**

ففي الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: "قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات"[3].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن

(١) رواه مسلم (١١٧٢) برقم (٢٩٢٧).

(٢) رواه مسلم (١١٧٦) برقم (٢٩٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٣٥) برقم (٥٩٠).

فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال"[1] الحديث.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- كان يدعو في الصلاة: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات"[2] الحديث.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (سمعت رسول الله -ﷺ- يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[3].

## مكان خروج الدجال:

وقد أخبر النبي -ﷺ- بمكان خروج الدجال، ففي الحديث عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: حدَّثنا رسول الله -ﷺ- قال: "الدَّجَّال يخرج من أرضٍ بالمشرق؛ يقال لها: خراسان"[4].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يخرج الدَّجَّال من يهودية أصبهان، مَعَه سبعون ألفاً من اليهود"[5].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وأمَّا من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزماً.

(١) رواه البخاري (١٢٢٣) برقم (٦٣٦٨).

(٢) رواه البخاري (١٧٠) برقم (٨٣٢) ومسلم (٢٣٤) برقم (٥٨٩).

(٣) رواه البخاري (١٧٠) برقم (٨٣٣) ومسلم (٢٣٤) برقم (٥٨٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٧٠) برقم (٢٢٣٧) وابن ماجه (٤٣٨) برقم (٤٠٧٢) وأحمد (١/١٩٠) برقم: (١٢) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير المغيرة بن سبيع) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٣٣٩٨).

(٥) رواه أحمد (٢١/٥٥) برقم (١٣٣٤٤) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن) وصححه ابن حجر في الفتح (١٣/٣٤٠).

ثم جاء في روايةٍ: أنه يخرج من خراسان، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكرٍ، وفي أخرى: أنه يخرج من أصبهان، أخرجها مسلم)(١).

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارةٍ يقال لها: اليهوديَّة، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسِّيْجَانُ، وهي الطيالسة الخضر، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار وخلقٌ من أهل خراسان)(٢).

**وصفه أنه أعور:**

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما بُعثَ نبيٌّ إلا وأنذر أمته الأعورَ الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب: كافر"(٣).

وعن عبد الله ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: "إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال"(٤).

(١) فتح الباري (١٣/٩٧).

(٢) النهاية (١/٢٠٥).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٠) برقم (٧١٣١) ومسلم (١١٧٥) برقم (٢٩٣٣).

(٤) رواه البخاري (٦٦٣) برقم (٣٤٤٠) ومسلم (٩٥) برقم (١٦٩).

**لا يدخل الدجال المدينة:**

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان"(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال"(٢).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق"(٣).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال: "يأتي الدجال، وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، ينزل بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثه، فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا، ثم أحييه هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم. فيقول الدجال: أقتله، فلا أسلط عليه"(٤).

۞ ۞ ۞

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) برقم (٧١٢٦).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٠) برقم (٧١٣٣).

(٣) رواه البخاري (٣٥٧) برقم (١٨٨١) ومسلم (١١٨٣) برقم (٢٩٤٣).

(٤) رواه البخاري (٣٥٨) برقم (١٨٨٢) ومسلم (١١٧٨) برقم (٢٩٣٨).

## الإيمان عاصم من الوقوع في فتنة الدجال:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلتْ له الأمورُ، وانكشفتْ، بخلاف القلب الخراب المظلم، قال حذيفة بن اليمان: "إن في قلب المؤمن سراجاً يزهر"[(١)].

وفي الحديث: "إنَّ الدجال مكتوبٌ بين عَيْنَيْه: كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ قارئٍ وغير قارئٍ"[(٢)].

فدل على أن المؤمن يتبيَّن له ما لا يتبيَّنُ لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله؛ فإن الدجال أكذب خلق الله، مع أنَّ الله يُجري على يديه أموراً هائلةً، ومخارق مزلزلةً، حتى إن من رآه افتُتِنَ به، فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها.

وكلما قوي الإيمانُ في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السِّراج القوي والسِّراج الضعيف في البيت المظلم.

ولهذا قال بعض السلف في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق، وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع بالأثر كان نوراً على نورٍ.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وقد رُوي نحوه عن حذيفة موقوفاً بلفظ (القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان) رواه أبو نعيم الأصبهاني: الحلية (١/٢٧٦)، وابن أبي شيبة: المصنف (٦/١٦٨) برقم (٣٠٤٠٤).

(٢) سبق تخريجه (٥٨٩).

فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن، فالإلهام القلبي تارةً يكون من جنس القول والعلم، والظن أن هذا القول كذبٌ، وأن هذا العمل باطلٌ، وهذا أرجح من هذا، أو هذا أصوب.

وفي الصحيح عن النبي -ﷺ- قال: "قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فعُمَرُ"(١).

والمحدَّثُ: هو الملهم المخاطب في سره، ولهذا ما قال عمر لشيءٍ: إني لأظنه كذا وكذا إلا كان كما ظنَّ، وكانوا يرون أنَّ السكينة تنطق على قلبه ولسانه.

وأيضاً فإذا كانت الأمور الكونيَّة قد تنكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقيناً وظناً، فالأمور الدينيَّة كشفها له أيسر بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، فالمؤمن تقع في قلبه أدلةٌ على الأشياء لا يمكنه التعبير عنها في الغالب، فإن كل أحدٍ لا يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، فإذا تكلَّم الكاذبُ بين يدَيْ الصادق عرف كذبه من فحوى كلامه، فتدخل عليه نخوة الحياء الإيماني فتمنعه البيان، ولكن هو في نفسه قد أخذ حذره منه، وربما لوَّح أو صرَّح به خوفاً من الله، وشفقةً على خلق الله ليحذروا من روايته أو العمل به)(٢).

إن أهل الإيمان ليظهر لهم من دلائل الفتنة ما يكون لهم به العصمة من الوقوع فيها. في الحديث عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته. قال: "وما سؤالك"؟ قال: قلتُ: إنهم يقولون:

(١) رواه مسلم (٩٧٦) برقم (٢٣٩٨).

(٢) الفتاوى (٢٠/٤٥-٤٦).

معه جبالٌ من خبزٍ ولحمٍ ونَهرٌ من ماءٍ، قال: "هو أهون على الله من ذلك"[(١)].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: (معناه: هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين، ومشككاً لقلوب الموقنين؛ بل ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويرتاب الذين في قلوبهم مرضٌ، فهو مثل قول الذي يقتله: (ما كنت أشد بصيرةً مني فيك) لا أن قوله: "هو أهون على الله من ذلك" أنه ليس شيءٌ في ذلك معه، بل المراد: أهون من أن يجعل شيئاً من ذلك آيةً على صدقه، ولا سيما وقد جعل فيه آيةً ظاهرةً في كذبه وكفره، يقرؤها من قرأ ومن لا يقرأ زائدةً على شواهد كذبه من حدثه ونقصه)[(٢)].

فبذلك الإيمان تدفع الفتنة.

وفي الحديث عن عمران بن حصين -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من سَمِعَ بالدجال فلينأَ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتَّبعه مما يبعث به من الشبهات"[(٣)].

فظاهر من الحديث أن صحيح الإيمان لا يتبعه ولا يكون نهباً لتلك الشبهات إذا كان ما معه من الإيمان دافعاً للشبهات، أمَّا دعيُّ الإيمان فهو نهبة الشيطان المسلمُ للفتن.

ومما يشهد لذلك حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- في فتن الدجال: "وإن من فتنته أن يسلط على نفسٍ واحدةٍ فيقتلها، وينشرها بالمنشار، حتى يلقى

(١) رواه مسلم (١١٧٩) برقم (٢٩٣٩).

(٢) نقلاً عن النووي: شرح مسلم (٧٤/١٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٧١) برقم (٤٣١٩)، وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٦٣٠١).

شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا؛ فإنّي أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدوُّ الله، أنت الدجال، والله ما كنتُ أشدَّ بصيرةً بك مني اليوم"[1].

فهذا الرجل ومع اشتداد الفتنة وبلوغها أعظم درجاتها إلا أنه لما يزل بصيراً بالحق عالماً بالفتنة دافعاً لشرِّها عن نفسه وذلك لقوة إيمانه، وقوة علمه.

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٩) برقم (٤٠٧٧)، وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٧٨٧٥).

## المبحث الثامن
## التحذير من التلقي عن الإسرائيليات

(الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره)[1].

وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب- عليه الصلاة والسلام- وهو إسرائيل.

وبهذا الاسم سمَّاهم الله -تعالى- كما في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧].

فالإسرائيلية هنا: أي الرواية الإسرائيلية سواء كانت لقصة، أو لقول، أو لحكم ونحو ذلك.

وسواءً أكانت مروية عن اليهود، أو النصارى.

ولقد كانت أخبار بني إسرائيل وأقوالهم معروفة في العرب قبل مبعث النبي -ﷺ- إذ كان اليهود يستفتحون على الذين كفروا من المشركين ويخبرونهم أن نبياً قد قرب زمانه، ويقولون: سنؤمن به، ونحاربكم معه، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

(١) محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٢).

وفي عهد رسول الله -ﷺ- كان مشركوا العرب يأخذون بآراء اليهود، ويسألونهم، كما حكا الله -عز وجل- ذلك في القرآن بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

وأما النبي -ﷺ- فقد كان يحدث بأخبار عن بني إسرائيل أوحيت إليه بنص القرآن، أو بالسنة كما في قصة أصحاب الكهف، أو قصة جريج الراهب ونحوها.

وكان يسمع بعض قول اليهود من كتبهم، فيقرُّ الحق في قولهم.

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا محمد إنَّا نجدُ أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي -ﷺ- حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله -ﷺ-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧][1].

هذا في العقائد.

أما في الأحكام: فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن اليهود جاؤوا إلى النبي -ﷺ- برجل منهم وامرأةٍ قد زنيا، فقال لهم: "كيف تفعلون بمن زنى

(١) رواه البخاري (٩٤١) برقم (٤٨١١) ومسلم (١١٢١) برقم (٢٧٨٦).

منكم؟" قالوا: نحمِّمُهما ونضربهما، فقال: "لا تجدون في التوراة الرجم؟" فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُهَا الذي يُدرِّسُهَا منهم كفَّه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده، وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: "ما هذه؟" فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما، فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة[1].

وهو -عليه الصلاة والسلام- مع ذلك يحذر أهل الإسلام من التلقي عن أهل الكتاب، ويبين لهم كمال هذا الدين ووضوحه.

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي -صلى الله عليه وسلم- فغضب، فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[2].

(١) رواه البخاري (٨٦٤) برقم (٤٥٥٦) ومسلم (٧٠٥) برقم (١٦٩٩).

(٢) رواه أحمد: المسند (٣٤٩/٢٣) برقم (١٥١٥٦) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف؛ لضعف مجالد) والبيهقي: شعب الإيمان (٢٠٠/١) وابن أبي شيبة في مصنفه: برقم (٢٦٤٢١) وابن كثير في تفسيره (٤٦٨/٢) قال ابن حجر بعد أن ساق طرقه (وهذه جميع طرق الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً) فتح الباري (٤٠٤/١٣).

ومع هذا التحذير، فقد جاءت بعض الأحاديث المشعرة بجواز التحديث عن بني إسرائيل، فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: "بلغوا عني، ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"[1].

وكان هذا الحديث ونحوه مما فتح الباب لأقوامٍ من أهل العلم في التحديث عن بني إسرائيل، ونقل مروياتهم، فكان من الصحابة أمثال عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- الذي كان يحدث بما بلغه عن بني إسرائيل من كتبهم لما فهم من هذا الحديث الذي رواه عن النبي -ﷺ- وقد ذكر مثل ذلك عن بعض الصحابة: (غير أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا في رجوعهم إلى أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذي رسمه لهم رسول الله -ﷺ-.

وكانوا في عقولهم ذلك الميزان الشرعي الدقيق الذي استخلصوه من أحاديث رسول الله -ﷺ- في شأن الرجوع إلى أهل الكتاب، فلم يكن سؤالهم لأهل الكتاب عن كل شيء، ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء - كما يقول أعداء الإسلام، ومن جرى ويجري في ركابهم من المسلمين- بل كانوا يسألونهم عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحاً لقصة من قصص القرآن، و بياناً لما أجمل منها، فإن ألقوا إليهم بشيء من ذلك تلقَّوه في حرص وحذق، وتفرسوه في دقة ورويةٍ، فما كان منه على وفق شرعنا صدقوه، وما كان على خلافه كذبوه ورفضوه، وما كان مسكوتاً عنه في شرعنا، ومتردداً بين احتمال الصدق والكذب توقفوا فيه فلا يحكمون عليه بصدق، ولا بكذب ما دام

(١) سبق تخريجه (٤٤).

يحتمل كلا الأمرين؛ امتثالاً لقول رسول الله -ﷺ-: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم" وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية[1].

كذلك لم يسأل الصحابة -رضوان الله عليهم- أهل الكتاب عن شيء مما يتعلق بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام التي شرع الله لهم، اكتفاءً بما عندهم في ذلك، اللهم إلا ما كان من سؤالهم لغرض الاستشهاد، والتأكيد لما جاء به القرآن الكريم، وإلزام المعاندين الحجة بشهادة ما في أيديهم من الكتاب.

كذلك كان الصحابة لا يعدلون عمّا ثبت عن رسول الله -ﷺ- من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب؛ لأنه إذا ثبت شيء عن رسول الله -ﷺ- فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف... ولقد بلغ الأمر بالصحابة أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردّوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه)[2].

ثم من بعد توسع بعض التابعين في الأخذ عن أهل الكتاب، ولم يكن منهجهم في دقة منهج الصحابة، ولكن هنا لابد من بيان ثلاثة ملاحظ:

**الأول**: أن كثيراً من هذه المرويات عنهم لم تثبت بأسانيد صحيحة، فهي مرويات فيها الغث والسمين، والمسند عنهم، والمنقطع، والضعيف، وغير ذلك.

**الثاني**: أن المحذور في روايات التابعين لأخبار بني إسرائيل أخف من المحذور في روايات الصحابة؛ إذ ما كان من روايات الصحابة فالأمر فيه

(١) رواه البخاري (٨٤٨) برقم (٤٤٨٥).

(٢) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير و الحديث (٧٢-٧٤).

شديد؛ لأنه ينسب إلى النبي -ﷺ- وقصاره إلى الصحابة أنفسهم، ومحلهم من الدين أعلى وأجل من التابعين.

**الثالث:** أن جمعاً من أهل الأهواء اتخذوا من هذه تكأة للطعن في السنة، فضخموا شأن الإسرائيليات، وزعموها من الكثرة بمكان، وليس الأمر كذلك.

۞ ۞ ۞

## حكم الأخذ بالإسرائيليات:

لقد وردت في السنة أحاديث تنهى عن الأخذ من بني إسرائيل.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]"(١).

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه أتى النبي -ﷺ- فقال: إنا نسمعُ أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال-ﷺ-: "أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى-ﷺ- حياً ما وسعه إلا اتباعي"(٢).

قال البغوي-رحمه الله-: ("أمتهوكون" أي: أمتحيرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم؛ حتى تأخذوا من اليهود والنصارى)(٣).

وروى الإمام أحمد -رحمه الله- عن ابن أبي نملة عن أبيه قال: قال

(١) سبق تخريجه (٦٠١).

(٢) سبق تخريجه صحيفة (٥٩٩) واللفظ للبيهقي: شعب الإيمان (١/ ٢٠٠).

(٣) شرح السنة (١/ ٢٧١).

رسول الله -ﷺ-: "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه، ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم"[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: "من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، ويفتح القول، ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها" قيل: وما المثناة؟ قال: "ما اكتتبت سوى كتاب الله -عز وجل-"[2].

قال أبو عبد الله القاسم بن سلّام -رحمه الله-: (سألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأولى قد عرفها وقرآها عن المثناة؟ فقال: إنَّ الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله -تبارك وتعالى- فسموه المثناة، كأنه يعني أنهم أحلّوا فيه ما شاؤوا، وحرموا فيه ما شاؤوا على خلاف كتاب الله -تبارك وتعالى-)[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟! وكتابكم الذي أنزل على رسول الله -ﷺ- أحدثُ تقرؤونه محضاً لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهمُ

---

(١) رواه أحمد: ٢٨/٤٦٠ برقم (١٧٢٢٥) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن) وأبو داود (٤٠٣) برقم (٣٦٤٤) وابن حبان (١٤/١٥١) برقم (٦٢٥٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢) برقم: (٢٠٧١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥٩٧/٤) برقم (٨٦٦١) وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي (رجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد (٧/٣٢٦٠).

(٣) غريب الحديث (٤/٢٨٢).

الكتاب، وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟! لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[1].

وروى ابن عبد البر -رحمه الله- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبون بحق، أو تصدقون بباطل.

إن كنتم سائليهم لا محالة، فانظروا ما واطأ -وفي لفظ: ما قضى- كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)[2].

فهذه الأحاديث والآثار دالة على حرمة الأخذ عن بني إسرائيل ابتداءً، وأنه إذا سمع الحديث منهم لم يصدق، ولم يكذب.

ولكن وردت نصوص تنفي الحرج عن التحديث عن بني إسرائيل.

فقد روى أبو داود -رحمه الله- عن أبي هريرة -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج"[3].

وفي الحديث الآخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "بلغوا عني، ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"[4].

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٢) برقم (٧٣٦٣).

(٢) جامع بيان العلم (٢/٩٠) ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/٣١٢) وقال ابن حجر (سنده حسن) فتح الباري (١٣/٣٤٥) واللالكائي: اعتقاد أهل السنة (٤/٧٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٦٦) برقم (٣٤٦١).

(٤) سبق تخريجه (٤٤).

والذي يظهر -والله أعلم- أن هذه الإباحة في التحديث عن بني إسرائيل تحمل على أحد محامل:

**الأول:** حملها على ما علمنا صحته مما بأيدنا، فشهدت له شريعتنا بالصحة، أو على ما هو مسكوت عنه؛ إذ ما كان مسكوتاً عنه غير معلوم الصحة، أو البطلان من شريعتنا، فإنه تجوز حكايته مع عدم التكذيب، أو التصديق؛ إذ المنقول عن بني إسرائيل: (لا يجوز تصديقه، ولا تكذيبه إلا بحجة)[1].

نقل ابن حجر -رحمه الله- عن الإمام الشافعي -رحمه الله- قوله: (من المعلوم أن النبي -ﷺ- لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه، فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم" ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فإذا كنا قد نهينا عن تصديق هذا الخبر، وأمثاله مما يؤخذ عن أهل الكتاب لم يجز لنا أن نصدقه إلا أن يكون مما يجب علينا تصديقه، مثل: ما أخبرنا به نبينا عن الأنبياء، وعن أممهم، فإن ذلك يجب تصديقه مع الاحتراز في نقله)[3].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في بيان قوله -ﷺ-: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم": (أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً؛ لئلا يكون في

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٣/٣٤٥).
(٢) فتح الباري (٦/٥٧٥-٥٧٦).
(٣) الرد على البكري (٢١).

نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه نبه على ذلك الشافعي -رحمه الله-)[١].

ويقول أيضاً في معنى قوله-ﷺ-: "حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج": (وقال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا)[٢].

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (إذا تقرر جواز الرواية عنهم، فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحاً؛ فأما ما يعلم بطلانه؛ لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم، فذاك مردود لا يعرج عليه ثم مع هذا لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته)[٣].

**الثاني**: التحديث عنهم أي: عن أخبارهم التي ذكرت في القرآن، كقصة: أصحاب الكهف، وقصة: صاحب الجنتين، أو مما ذكر في السنة، كقصة: الأقرع، والأبرص، والأعمى، وقصة الثلاثة أصحاب الغار، وقصة جريج الراهب، وغيرها.

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: (كان نبي الله يحدثنا عن بني إسرائيل؛ حتى يصبح ما يقومُ إلا إلى عُظمِ صلاة)[٤].

---

(١) فتح الباري (٨/١٧٠).

(٢) المصدر نفسه (٦/٥٧٥).

(٣) البداية والنهاية (٢/١٣٣).

(٤) رواه أبو داود (٤٠٥) برقم (٣٦٦٣) ، والبزار في مسنده (٩/٦٧) وابن حبان (١٤/١٤٨) برقم (٦٢٥٥) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم) وقال الهيثمي: =

وروى الهيثمي -رحمه الله- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الل ه-ﷺ-: "حدثوا عن بني إسرائيل، فإنه كان فيهم العجائب"(1).

**الثالث**: التحديث عنهم من باب الذكرى والموعظة لا على سبيل اعتقاد صحتها قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في بيان سبب تحديث بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- بالإسرائيليات: (لأن كثيراً منهم -رضوان الله عليهم- كان يروي الإسرائيليات عن أهلال الكتاب على سبيل الذكرى والموعظة؛ لا بمعنى أنهم يعتقدون صحتها، أو يستجيزون نسبتها إلى رسول الله -ﷺ- حاشا وكلا)(2).

ويفهم هذا من كلام بعض أهل العلم.

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور، وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)(3).

۞ ۞ ۞

والمنقول عن بني إسرائيل، فضلاً عن أن أصله، غير معلوم فلا يصدق، ولا يكذب وذلك قبل وصوله إلينا، فإنه بعد وصوله لم يعتن العلماء به، ولم يجد من العناية في النقل، والتثبت من أحوال النقلة عشر معشار ما لقيه حديث

= (إسناده حسن مجمع الزوائد) (٨/٢٦٤)

(١) مجمع الزوائد (١/١٩١) وقال (رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد بن أبي وكيع عن أبيه ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات).

(٢) الباعث الحثيث (٤٧).

(٣) فتح الباري (٦/٥٧٥).

النبي -ﷺ- أو الآثار المروية عن صحابته -رضوان الله عليهم- (فعلماء الدين أكثر ما يحررون النقل فيما نقل عن النبي -ﷺ- لأنه واجب القبول، أو فيما ينقل عن الصحابة، وأما ما ينقل عن الإسرائيليات، ونحوها فهم لا يكترثون بضبطها، ولا بأحوال نقلها؛ لأن أصلها غير معلوم، وغايتها أن تكون عن واحد من علماء أهل الكتاب، أو أخذه عن أهل الكتاب)[1].

ويتبين من هذا أنه لا يجوز ما يجري عليه كثير من المؤلفين اليوم -خاصة في موضوع الفتن- من الرجوع إلى كتب أهل الكتاب، والأخذ عنهم اعتماداً على ما ورد من قول النبي -ﷺ-: "حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج " ذلك أن ما روي عن بني إسرائيل لا يخرج عن ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: ما علمنا صدقه مما بأيدنا من القرآن والسنة، فهذا (القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل: ما ذكر في صاحب موسى- عليه الصلاة والسلام- وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل: ما يتعلق بالبشارة بالنبي -ﷺ- وبرسالته،وأنَّ التوحيد هو دينُ جميع الأنبياء مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، و لكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم ورد قوله -ﷺ-: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"[2])[3].

---

(١) ابن تيمية: الرد على البكري (٢١).

(٢) سبق تخريجه (٤٤).

(٣) محمد أبو شهبة: "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير " (١٠٦).

ومع ذلك أرى التحفظ من سوق نصوص أهل الكتاب من هذا القبيل في الكتب؛ لأن ذلك قد يورث أبناء الأمة الإسلامية تعظيماً لكتب بني إسرائيل واستشرافاً لقراءة ما فيها، وما دامت الأمة في غنية عن هذا بكتابها وسنة رسولها -ﷺ- فلا حاجة لها بما هو حق من كلام بني إسرائيل.

إن الدمج بين كلام الله -عز وجل- في القرآن، وكلام رسوله -ﷺ- وبين كلام بني إسرائيل في كتبهم فيه تسوية بين هذا وذاك، وأي وجه من وجوه التسوية يمكن أن يكون.

**القسم الثاني**: (ما علمنا كذبه عندنا مما يخالفه، وذلك ما ذكروه في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- كقصة يوسف، وداود، وسليمان، ومثل ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته، وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه، وأنَّه مما حرفوه، وبدلوه قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وفي هذا القسم ورد النهي عن النبي للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك -رحمه الله- في حديث: "حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج" المراد: جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا.

ولعل هذا هو المراد من قوله -ﷺ- "يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب؟ وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدثُ تقرأونه لم يُشَبْ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهمُ الكتاب، وقالوا: (هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً) لا والله ما رأينا منهم رجلاً

يسألكم عن الذي أنزل عليكم")[1].

وهذا القسم، ولا شك قد تعبدنا بردِّه؛ إذ علم في الأصل أن كل قول كاذب لا يجوز نقله لا عن نبي إسرائيل، ولا عن غيرهم، والمكذوب من أقوال بني إسرائيل اجتمعت فيه آفتان:

أ – أنه من الإسرائيليات.

ب – أنه مكذوب.

**القسم الثالث**: (ما هو مسكوتٌ، لا من هذا ، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه، وتجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]"[2].

ومع هذا فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به، وفي هذا المعنى ورد حديث أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر: أن عمر أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه عليه فغضب، وقال: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن

(١) المصدر السابق (١٠٧).

(٢) سبق تخريجه (٦٠١).

موسى -ﷺ- حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[(1)])[(2)].

وهذه الأقوال التي لم يقم دليل على صدقها، وحكيت يجب ألاّ تصدق، فلقد نهينا عن التصديق.

قال العلامة أحمد شاكر -رحمه الله-: (إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل صدقه، ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو روايةً في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل منها شيء آخر؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه، ولا كذبه مبين لمعنى قول الله -سبحانه- ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله وكتابه.

وإن رسول الله -ﷺ- إذ أذن بالتحديث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم، ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم، وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم عفواً)[(3)].

وأما استخدام هذه النقول عن بني إسرائيل في مجادلة أهل الكتاب، أو لإقامة الحجة عليهم فإنه لا يجوز؛ لأنه لا يستخدم في الحجة إلا ما كان حقاً وصدقاً، وأما ما لم يتبين صدقه أو كذبه، فلا يجوز الاستدلال به؛ لأن الباطل لا يبنى عليه إقامة حق، وفي معنى الباطل ما لم يثبت عندنا صحته.

---

(١) سبق تخريجه (٥٩٩).

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٠٧-١٠٨) وانظر هذا التقسيم عند: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٨-٩).

(٣) عمدة التفسير (١/١٥).

# المبحث التاسع
# التحذير من الأئمة المضلين

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (يقول تعالى لنبيه-ﷺ-: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير.

﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا.

﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين.

وهذا لأن اللهّ تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا ﴾ بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ ﴾ فعل ما يقتضي الخذلان، فـ: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية.

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ وترك طاعة مولاه، ﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ بعد أن ساقها اللهّ إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على اللهّ، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من اللهّ.

﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: ساء وقبح، مثل من كذب بآيات اللهّ، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء، وهذا الذي آتاه اللهّ آياته، يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره اللهّ، فقص اللهّ قصته تنبيها للعباد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم

جنس، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها.

وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان)(١).

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (يقول -تعالى- ذامّاً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً، ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال هاهنا: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾)(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو

(١) تيسير الكريم (٣٠٨- ٣٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١١٧/٨).

متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن، فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته)[1].

وعن قيس ابن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجت مصمتة. قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل؟ هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت، فقالت من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين. قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى. قال: فهم أولئك على الناس[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قولها: (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح) أي: دين الإسلام، وما اشتمل عليه من العدل، واجتماع الكلمة، ونصر المظلوم، ووضع كل شيء في محله.

قوله: (ما استقامت بكم) في رواية الكشميهني (لكم) قوله: (أئمتكم) أي: لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمة عن الحال مال، وأمال)[3].

(١) إعلام الموقعين (١/١٦٥).

(٢) سبق تخريجه (٥٠١).

(٣) الفتح (٧/١٥١).

قال ابن تيمية -رحمه الله- عند قوله: (ما استقامت لكم أئمتكم): (ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان؛ وكل من كان متبوعاً، فإنه من أولي الأمر وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله؛ ولا يطيعه في معصية الله)[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (ومعلوم أنه إذا استقام ولاة الأمور، الذين يحكمون في النفوس والأموال؛ استقام عامة الناس، كما قال أبو بكر الصديق فيما رواه البخاري في صحيحه للمرأة الأحمسية لما سألته فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم.

وفي الأثر: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء، والأمراء.

أهل الكتاب، وأهل الحديد)[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا"[3].

قال النووي -رحمه الله-: (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم، فيَضلون ويُضلون)

(١) الفتاوى (٢٨/١٧٠).

(٢) الفتاوى (١٠/٣٥٤).

(٣) سبق تخريجه (٣٥٨).

وأضاف: (وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء)[1].

وقال ابن حزم -رحمه الله-: (لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنَّهم يجهلون ويظنُّون أنَّهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون)[2].

وعن أبى أمامة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "خذوا العلم قبل أن يذهب" قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب لا يغضبه الله ثم قال: "ثكلتكم أمهاتكم أولم تكن التوراة والإنجيل في بنى إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً؟ إن ذهاب العلم أن يذهب حملته، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته"[3].

وعن أنس -رضي الله عنه- عنِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "بين يدي الساعة سنُونَ خدَّاعةٌ، يتَّهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها المتَّهم، وينطق فيها الرُّويبضةُ" قالوا: وما الرويبضَةُ؟ قال: "السَّفيه ينطق في أمر العامَّة"[4].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (إنَّه إذا صار الحفاةُ العراةُ رعاءُ الشاءِ -وهم أهلُ الجهل والجفاء- رؤوسَ الناس، وأصحابَ الثروة والأموال، حتّى يتطاولوا في البنيان، فإنَّه يفسد بذلك نظامُ الدين والدنيا، فإنَّه إذا رَأسَ الناسَ

(١) شرح مسلم (١٦/٢٢٣- ٢٢٥)

(٢) مداواة النفوس (٦٧).

(٣) سبق تخريجه (٣٦٢).

(٤) أحمد في مسنده (٢١/٢٣) برقم (١٣٢٩٧) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث حسن) والطبراني: الأوسط (٣/٣١٣) برقم (٣٢٥٨) وابن ماجه (٤٣٤) برقم (٤٠٣٦) والحاكم: المستدرك (٤/٥٥٧) برقم (٨٥٦٤) وقال (حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي.

من كان فقيراً عائلاً، فصار ملكاً على الناس، سواء كان مُلكُه عاماً أو خاصاً في بعض الأشياء، فإنَّه لا يكادُ يعطي الناسَ حقوقَهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليهم من المال، فقد قال بعض السَّلف: لأنْ تمدَّ يدكَ إلى فم التِّنين، فيقضمها، خيرٌ لك من أن تمدَّها إلى يد غنيٍّ قد عالج الفقر.

وإذا كان مع هذا جاهلاً جافياً، فسد بذلك الدين؛ لأنَّه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل هِمته في جباية المال واكتنازه، ولا يُبالي بما فسد من دينِ الناسِ، ولا بمن ضاعَ من أهل حاجاتهم.

وإذا صار ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال، انعكست سائر الأحوال، فصُدِّقَ الكاذبُ، وكُذِّبَ الصادقُ، وائتُمِنَ الخائنُ، وخوِّنَ الأمينُ، وتكلَّمَ الجاهلُ، وسكتَ العالِم، أو عُدِمَ بالكلية.. وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور)[(١)].

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"[(٢)].

قال ابن حبان -رحمه الله-: (ذكر تخوف المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أمته مجانبتهم الطريق المستقيم بانقيادهم للأئمة المضلين) ثم ساق هذا الحديث: عن شداد بن أوس قال: قال نبي الله -صلى الله عليه وسلم-: "إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة"[(٣)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٣٩-١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٨٩) برقم (١٤٣) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده قوي).

(٣) صحيح ابن حبان (١٠/٤٣١) برقم (٤٥٧٠) و قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) وأحمد (٢٨/٣٤٠) برقم (١٧١١٥).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وشبه الحكماء زلة العالم بانكسار السفينة، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير، وإذا صح وثبت أن العالم يزل، ويخطئ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه)(١).

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: كنت مخاصراً للنبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً إلى منزله، فسمعته يقول: "غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمة المضلون"(٢).

قال النووي -رحمه الله-: (معناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون)(٣).

قال المناوي -رحمه الله-: (قال ابن العربي: هذا لا ينافي خبر: (لا فتنة أعظم من فتنة الدجال)؛ لأن قوله هنا: "غير الدجال" إنما قاله لأصحابه؛ لأن الذي خافه عليهم أقرب إليهم من الدجال، فالقريب المتيقن وقوعه، لمن يخاف عليه يشتد الخوف منه على البعيد المظنون وقوعه به، ولو كان أشد)(٤).



(١) جامع بيان العلم (٢/٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤٥/٤٧٨) برقم (٢٧٤٨٥) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح لغيره).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٨/٦٤).

(٤) فيض القدير (٤/٤٠٧).



# الفصل الرابع
# التفاعل مع الثقافات والحضارات

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: التعارف.

المبحث الثاني: التعاون.

المبحث الثالث: تلقي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الغير.

المبحث الرابع: التسامح.

المبحث الخامس: البراءة من الكافرين مع موالاة المؤمنين.

المبحث السادس: الحوار.

المبحث السابع: الدعوة.

المبحث الثامن: المعرفة المشتركة.

## تمهيد:

إنه لمّا كان الإخلال بالأمن الفكري ينتج أول ما ينتج عن علاقة الأمة بالأمم الأخرى، فلا بد من وضوح بعض القواعد الضابطة لذلك:

إن العلاقة بين الأمة المسلمة، والأمم الأخرى، تقوم على أساس وقواعد رئيسة بعضها متقابل، منها:

١- التعارف.

٢- التعاون.

٣- تلقي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الغير.

٤- التسامح.

٥- البراءة من الكافرين مع موالاة المؤمنين.

٦- الحوار.

٧- الدعوة.

٨- المعرفة المشتركة[1].

وقد جعلت هذا الفصل على مباحث لتوضيح هذه القواعد، وهذا عرض لمضامين هذه القواعد.

---

(١) استفدت في ذكر هذه القواعد مما كتبه شيخي الدكتور: عبد الله بن إبراهيم الطريقي في كتابه: الثقافة والعالم الآخر) (٤٣) وما بعده.

# المبحث الأول
# التعارف

جاء الإسلام ليكون ديناً عالمياً، وهو رسالة للناس أجمعين، يقول الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فـ(يخبر تعالى أن الله جعل محمداً -ﷺ- رحمة للعالمين أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكَر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة)[١].

و قال -ﷺ- "وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة"[٢].

وقال -ﷺ-أيضاً: "كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود"[٣].

ومن مقتضى ذلك أن جاء القرآن مبيناً أن الله -عز وجل- جعل تعدد شعوب الناس وقبائلهم لغرض التعارف لا أنها أساس للتفاضل، يقول الله

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/٣٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨٦) برقم (٣٣٥) ومسلم (٥٢٣) برقم (٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) برقم (٥٢١).

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال القرطبي -رحمه الله-: (خلق الله الخلق بين ذكر وأنثى أنساباً وأصهاراً، وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو أعلم بها، فصار كل واحدٍ يحوز نسبه)(١).

ويلحظ هنا الخطاب القرآني جاء بـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فـ(يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً.

يا أيها الناس، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم، من ذكر وأنثى، وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

وليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ والكريم حقاً هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٤٢).

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان)[1].

وجاءت السنة العلمية تطبيقاً لهذا الأصل فالنبي -ﷺ- جعل تنوع قبائل الناس سبيلاً للتعرف عليهم؛ لغرض دعوتهم، فقد كان يقصد تجمعات الجاهليين المشهورة يتعرف عليهم، ويعرض نفسه على القبائل:

فعن ربيعة بن عباد -رضي الله عنه- قال: رأيت النبي -ﷺ- في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: "يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا" والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله -ﷺ- وقالوا لي: هذا عمه أبو لهب[2].

وعن عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله -ﷺ- ونحن بسوق عكاظ، فقال: ممن القوم؟ قلنا: من بني عامر بن صعصعة.

قال: من أي بني عامر بن صعصعة؟ قالوا: بنو كعب بن ربيعة.

قال كيف المنعة فيكم؟ قلنا: لا يرام ما قبلنا، ولا يصطلى بنارنا.

قال: فقال لهم: إني رسول الله، وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي،

---

(١) سيد قطب: ظلال القرآن (٣٣٤٨/٧).

(٢) رواه أحمد: المسند (٣٤٢/٣١) برقم (١٩٠٠٤) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن أبي الزناد) وذكره ابن كثير: السيرة النبوية (٤٦٢/١).

ولا أكره أحدا منكم على شيء.

قالوا: ومن أي قريش أنت؟ قال: من بنى عبد المطلب.

قالوا: فأين أنت من عبد مناف؟ قال: هم أول من كذبني وطردني.

قالوا: ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك.

قال: فنزل إليهم والقوم يتسوقون، إذ أتاهم بيحرة بن فراس القشيري، فقال: من هذا الرجل أراه عندكم أنكره؟ قالوا: محمد بن عبد الله القرشي.

قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه.

قال: ماذا رددتم عليه؟ قالوا: بالترحيب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا.

قال بيحرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به، بدأتم لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به، لو آنسوا منه خيرا لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤونه وتنصرونه؟ فبئس الرأي رأيتم[1].

وعن علي بن أبى طالب -رضي الله عنه- قال: (لما أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب.

فتقدم أبو بكر -رضي الله عنه- فسلم، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، وكان رجلا

(١) رواه أبو نعيم: دلائل النبوة (٢٨٨) برقم (٢١٥) وذكره ابن كثير: السيرة النبوية (٤٦٢/١) وقال: (وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته).

نسابة، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة.

قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم لهازمها؟ قالوا: بل من هامها العظمى.

قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى؟ فقال: ذهل الأكبر.

قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال: لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا..) إلى أن قال: (... قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم.

قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير.

فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله -ﷺ- فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم...) إلى أن قالوا: (فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا.

فقال رسول الله -ﷺ-: ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه....) ثم أضاف: (... ثم نهض رسول الله -ﷺ- قابضاً على يدي أبي بكر.

قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله -ﷺ- فقال: يا علي أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية، ما أشرفها! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا.

قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي -ﷺ-.

قال علي: وكانوا صدقاء صبراء، فسر رسول الله -ﷺ- من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم)[1].

---

(١) رواه أبو نعيم: الحلية (١/٢٨٢) والبيهقي: دلائل النبوة (٢/٤٢٢) وذكره ابن كثير: السيرة النبوية (٢/١٦٣-١٦٩) واللفظ له.

وعن أبي الزبير عن جابر قال: مكث رسول الله -ﷺ- بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ، ومجنة، في المواسم، يقول: "من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة" فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر، كذا قال فيه، فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك.

ويمضي بين رحالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع[1].

وما إرسال الرسائل والكتب إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشة، ومقوقس مصر وطائفة من الزعماء إلا نتاج التعارف، فقد كان النبي -ﷺ- يعرف الناس بأصولهم، وأعراقهم، وملوكهم، وبلدانهم، بل بأحوالهم وأحوال ملوكهم.

فعن أنس -رضي الله عنه-: (أن نبي الله -ﷺ- كتب: إلى كسرى، وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله -تعالى- وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي -ﷺ-)[2].

وعن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أن رسول الله -ﷺ- كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله -ﷺ- أن يدفعه إلى عظيم بُصرى؛ ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إيلياء شكراً؛ لما أبلاه الله، فلما

---

(١) رواه أحمد: المسند (٣٤٦/٢٢) برقم (١٤٤٥٦) وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم) والحاكم: المستدرك (٦٨١/٢) برقم (٤٢٥١) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وابن كثير: السيرة النبوية (١٩٤/٢-١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٧) برقم (١٧٧٤).

جاء قيصر كتاب رسول الله -ﷺ- قال حين قرأه: التمسوا لي ها هنا أحداً من قومه؛ لأسألهم عن رسول الله -ﷺ-؟.

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً في المدة التي كانت بين رسول الله -ﷺ- وبين كفار قريش.

قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي؛ حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان، فقلت: أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي، فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب، فكذبوه، قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب؛ لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني، فصدقته، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر -

قال أبو سفيان ولم يمكني كلمة أن أدخل فيها شيئاً أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عني غيرها - قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت: كانت دولاً وسجالاً يُدَالُ علينا المرة، ونُدَالُ عليه الأخرى، قال: فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد أباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

فقال لترجمانه حين قلت ذلك له، قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت: رجل يأتم بقول قد قيل قبله.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت يطلب ملك آبائه.

وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون.

وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولاً ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة.

وسألتك بماذا يأمركم، فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً، فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله -ﷺ- فقُرئ فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]".

قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته، علت أصوات الذين من حوله من عظماء الروم، وكثر لغطهم، فلا أدري ماذا قالوا، وأمر بنا فأخرجنا، فلما أن

خرجت مع أصحابي، وخلوت بهم قلت لهم: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه، قال أبو سفيان: والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر؛ حتى أدخل الله قلبي الإسلام، وأنا كاره[1].

وفي كتابه -ﷺ- إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدي أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم القبط: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]".

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر، وأخذ كتاب النبي -ﷺ- فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله -ﷺ-: (بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد:

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢) برقم (٧) و (٥٦٤) برقم (٢٩٤٠، ٢٩٤١) ومسلم (٧٣٦) برقم (١٧٧٣).

نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة؛ لتركبها، والسلام عليك)(١).

وما إرساله -ﷺ- المعذبين المضطهدين من المسلمين إلى الحبشة ما هو إلا نوع معرفة بواقع الطرف الآخر، فعن أم سلمة -رضى الله عنها- أنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله -ﷺ- وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله -ﷺ- لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله -ﷺ-: "إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً، ومخرجاً مما أنتم فيه" فخرجنا إليها أرسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً(٢).

وقال -ﷺ- مخاطباً المسلمين: "إذا افتتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً"(٣).

إن التعارف مقدمة للعلاقة أياً كان نوعها، وهو في مجرده ليس منه ضرر على أمن الأمة، وإنما الضرر فيما يكون وراء ذلك، وقد تطورت معرفة العلاقات النسبية والشعوب والقبائل إلى ما يعرف اليوم ببطاقات الهوية

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٦٠٣).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/١٧).

(٣) أخرجه الحاكم: المستدرك (٣/٤٤٦) برقم (٤٠٣٢) من حديث كعب بن مالك، وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي في التلخيص.

والجوازات وغيرها، وتعدى الأمر مجرد الأفراد إلى التعارف بين الدول نفسها، والمنظمات، والمؤسسات، وأنواع التكتلات.

وهذا التعارف ينتج تعاملاً أخلاقياً منضبطاً بضوابط الإسلام، فالله - عزَّ وجلَّ - أمرنا بالعدل؛ حتى مع الأعداء قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

# المبحث الثاني
# التعاون

وإذا جعل الناس علاقاتهم النسبية وأسماء الشعوب والقبائل في نصابها المحدد؛ لمجرد التعارف لا يتعصب على مقتضاها ساقهم ذلك إلى التعاون.

والتعاون بين الأمم والحضارات، بل وبين الناس -أفراداً وجماعات- أمر ليس فيه خرق لأمن الأمة الفكري، وإنما يأتي الخطر من موضوع ذلك التعاون، ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر، وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين.

والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة.

وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ وهو: التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها ويحرج.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو: التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه)[1].

فالذي يجب ضبطه هنا والحرص عليه هو مجال التعاون وموضوعه، بأن لا يكون مصادماً للإسلام بمعنى أن يحقق هذا التعاون مقاصد الإسلام العليا بحفظ ورعاية الضرورات الخمس: (الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال).

ويعد حلف الفضول دليلاً على ترسيخ مبدأ التعاون لرد الظلم أياً كان مصدره، فعن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "شهدت مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحب أن لي حمر النعم وإني أنكثه"[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما شهدت من حلف قريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وإني كنت نقضته" قال: والمطيبون: هاشم وأمية وزهرة ومخزوم[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢١٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢١٦/١٠) برقم (٤٣٧٣) وقال شعيب (إسناده صحيح) والبخاري: الأدب المفرد: برقم (٥٦٧) والحاكم: المستدرك (٢١٩/٢-٢٢٠) والبيهقي: الكبرى (٣٦٦/٦).

(٣) أخرجه ابن حبان (٢١٦/١٠) برقم (٤٣٧٤) وقال شعيب (إسناده صحيح) والبيهقي: الكبرى: (٣٦٦/٦) وقال (لا أدري هذا التفسير أي قوله: والمطيبون...إلخ من قول أبي هريرة أو من دونه).

قال البيهقي -رحمه الله-: (قال القتيبي فيما بلغني عنه: وكان سبب الحلف أن قريشاً كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان، والزبير بن عبد المطلب، فدعوهم إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابهما بنو هاشم، وبعض القبائل من قريش)[1].

قال محمد بن نصر المروزي -رحمه الله-: (قال بعض أهل المعرفة بالسير وأيام الناس أن قوله في هذا الحديث "حلف المطيبين" غلط إنما هو: حلف الفضول، وذلك أن النبي -ﷺ- لم يدرك حلف المطيبين؛ لأن ذلك كان قديما قبل أن يولد بزمان)[2].

قال الطبري -رحمه الله-: (رسول الله -ﷺ- لم يشهد حلف المطيبين، ولا أدركه، وإنما شهد حلف الفضول الذي عقد في دار عبد الله بن جدعان التيمي الذي روي عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم في الإسلام لأجبت".

قالوا: وهذا الحلف -أعني حلف الفضول- شهده رسول الله -ﷺ- قبل أن يبعث نبياً، وهو الحلف الذي تعاقده بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرة على أن لا يدعوا بمكة مظلمة إلا ردوها.

قالوا: وأما حلف المطيبين، فإنه جرى بين بني مخزوم، وجمح، وسهم،

(١) السنن الكبرى (٦/٣٦٧).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى (٦/٣٦٧).

وعدي، وبني عبد الدار على نصرة بني عبد الدار إذ نازعتهم بنو أعمامهم من بني عبد مناف اللواء، والحجامة، والندوة، وقالوا: نحن أحق بذلك منكم، فحالفت بنو عبد الدار من ذكرنا من القبائل، وحالفت بنو عبد مناف، بني أسد، وزهرة -وهما الحارث بن فهر- على نصرة عبد مناف على عبد الدار، قالوا: فهذا حلف جرى بين القوم على حرب على أمر من أمور الجاهلية، ولم يكن رسول الله -ﷺ- لو كان شهده ليقول: "لو دعيت إليه اليوم لأجبت".

قالوا: وإنما شهد حلف الفضول الذي تعاقده القوم على أن لا يدعوا بمكة مظلمة إلا ردوها، فأخبر -ﷺ- في الإسلام أنه لو دعي إلى ذلك لأجاب)[1].

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله تعالى، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ، وهذا معنى قوله -ﷺ- في هذه الأحاديث: "وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة".

وأما قوله -ﷺ-: لا حلف في الإسلام " فالمراد به حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه والله أعلم)[3].

---

(١) تهذيب الآثار (١٧-١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢٢) برقم (٢٥٣٠).

(٣) شرح صحيح مسلم (٨٢/١٦).

قال ابن بطال -رحمه الله-: (إن قيل: فما معنى قوله عليه السلام: "وما كان من حلف في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة" قيل: الذي أمر به النبي -ﷺ- بالوفاء به من ذلك هو ما لم ينسخه الإسلام ولم يبطله حكم القرآن، وهو التعاون على الحق والنصرة على الأخذ على يد الظالم الباغي)[1].

قال ابن حجر-رحمه الله-: (قوله: "لا حلف في الإسلام" أصل الحلف أنهم كانوا يتعاقدون ويتحالفون على نصر بعضهم بعضا ويضعون أيديهم جميعا في جفنة فيها طيب أو غيره)[2].

وقال ابن حجر-رحمه الله-: ("لا حلف في الإسلام" الحلف بكسر المهملة وسكون اللام بعدها فاء العهد والمعنى إنهم لا يتعاهدون في الإسلام على الأشياء التي كانوا يتعاهدون عليها في الجاهلية)[3].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (ويمكن الجمع بأن المنفي ما كانوا يعتبرونه في الجاهلية من نصر الحليف ولو كان ظالماً، ومن أخذ الثأر من القبيلة بسبب قتل واحد منها، ومن التوارث ونحو ذلك، والمثبت ما عدا ذلك من نصر المظلوم، والقيام في أمر الدين ونحو ذلك من المستحبات الشرعية كالمصادقة، والموادة،وحفظ العهد)[4].

كما أننا نجد التعاون قائماً بين النبي -ﷺ- وعمه الكافر أبو طالب الذي حمى النبي -ﷺ- من أن يصل إليه شيء من السوء.

---

(١) شرح صحيح البخاري (٢٧٧/٩).

(٢) الفتح (١٠٧/١).

(٣) الفتح (٤٧٣/٤).

(٤) الفتح (٥٠/١٠).

وسمي العام الذي مات فيه هو وزوج النبي -ﷺ- خديجة -رضي الله عنها- عام الحزن لحزن النبي -ﷺ- الشديد عليهما.

ومن صور هذا التعاون ما جاء في السيرة أنه لما (جمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله -ﷺ- علانية.

فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله -ﷺ- شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله.

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً)(١).

وبلغ من حرص أبو طالب على النبي -ﷺ- خشية أن يقتل أنه (كان إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله -ﷺ- فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد به مكراً أو اغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله -ﷺ- وأمر رسول الله -ﷺ- أن يأتي بعض فرشهم، فينام عليه)(٢).

وقد جاء في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: "نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"(٣).

وفي المعاهدة التي أنجزها نبينا -ﷺ- مع يهود المدينة ما يدل على وجود التعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدون، وهذه بعضٌ من بنود هذا الاتفاق:

(١) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/٤٤).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٦) برقم (٣٨٨٣) ومسلم (١١٤) رقم (٢٠٩).

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وإن بينهم النصح والنصحية، والبر دون الإثم.

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٦- وإن النصر للمظلوم.

٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨-وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله -ﷺ-.

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١١- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

١٣- وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى(١).

(١) انظر: ابن هشام: السيرة (١/٥٠١-٥٠٣) وابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٢٠).

# المبحث الثالث
# تلقي الحكمة والاستفادة من الحق الموجود عند الغير

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: وكلني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟" قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالاً؛ فرحمته، فخليت سبيله. قال: "أما إنه قد كذبك، وسيعود " فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنه سيعود" فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: دعني، فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟" قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا؛ فرحمته، فخليت سبيله. قال: "أما إنه كذبك، وسيعود " فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك

شيطان؛ حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله -ﷺ-: "ما فعل أسيرك البارحة؟" قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: ما هي؟" قلت: قال: لي إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقال: لي لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان؛ حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي -ﷺ-: "أمَا إنه قد صدقك، وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟" قال: لا، قال: "ذاك شيطان"(١).

قال ابن حجر -رحمه الله- عن فوائد هذا الحديث: (أن الحكمة قد يتلقاها الفاجر، فلا ينتفع بها، وتؤخذ عنه فينتفع بها، وأن الشخص قد يعلم الشيء، ولا يعمل به، وأن الكافر قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن، ولا يكون بذلك مؤمناً وبأن الكذاب قد يصدق)(٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"(٣)

قال على القاري -رحمه الله-: (أي: أن الحكيم يطلب الحكمة فإذا وجدها

(١) رواه البخاري (٤٣٣) برقم (٢٣١١).

(٢) الفتح (٤/٤٨٩).

(٣) رواه الترمذي (٤٣٤) برقم (٢٦٨٧) وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه) وابن ماجه (٤٥٠) برقم (٤١٦٩) وحسنه السيوطي: الجامع الصغير: برقم (٦٤٦٢) وقال ابن القيم: (وله شوَاهد) مفتاح دار السعادة (١/٧٥) وقال الألباني: (ضعيف جداً) ضعيف الجامع الصغير: برقم (٤٣٠٢) والحديث وإن كان في إسناده كلام إلا أن قواعد الشريعة، والسنة العملية دالة على صحة المعنى المأخوذ من الحديث، كما ستأتي أمثلة في هذا المبحث شاهدة على ذلك.

فهو أحق بها، أي: بالعمل بها واتباعها، أو المعنى: أن كلمة الحكمة ربما تفوه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها، فهو أحق بها من قائلها من غير التفاتٍ إلى خساسة من وجدها عنده)[1].

قال المناوي -رحمه الله-: (الحكمة التي أحكمت مبانيها بالعلم والعقل، والحكيم المتقن للأمور الذي له غور فيها)[2].

وقال المباركفوري -رحمه الله-: (قوله "الكلمة الحكمة" قال مالك: الحكمة هي الفقه في الدين قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] الآية.

وقيل: التي أحكمت مبانيها بالنقل والعقل دالة على معنى فيه دقة مصونة معانيها عن الاختلال والخطأ والفساد.

وقال السيد جمال الدين: جعلت الكلمة نفس الحكمة مبالغة كقولهم رجل عدل ويروى كلمة الحكمة بالإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة ويروى الكلمة الحكيمة على طريق الإسناد المجازي لأن الحكيم قائلها كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم كذا في شرح الطيبي.

"ضالة المؤمن" أي: مطلوبه.

"فهو أحق بها" أي: بقبولها. قال السيد جمال الدين: يعني أن الحكيم يطلب الحكمة، فإذا وجدها فهو أحق بها، أي: بالعمل بها، واتباعها.

أو المعنى: أن كلمة الحكمة ربما تفوه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى

(١) مرقاة المفاتيح (١/٢٨٣).

(٢) فيض القدير (٥/٨٣).

أهلها فهو أحق بها من قائلها، من غير التفات إلى خساسة من وجدها عنده.

أو المعنى: أن الناس يتفاوتون في فهم المعاني، واستنباط الحقائق المحتجبة واستكشاف الأسرار المرموزة، فينبغي أن لا ينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الأحاديث على من رزق فهما، وألهم تحقيقاً كما لا ينازع صاحب الضالة في ضالته إذا وجدها، أو كما أن الضالة إذا وجدت مضيعة فلا تترك، بل تؤخذ ويتفحص عن صاحبها؛ حتى ترد عليه كذلك السامع إذا سمع كلاماً لا يفهم معناه ولا يبلغ كنهه، فعليه أن لا يضيعه، وأن يحمله إلى من هو أفقه منه، فلعله يفهم أو يستنبط منه ما لا يفهمه ولا يستنبطه هو، أو كما أنه لا يحل منع صاحب الضالة عنها فإنه أحق بها كذلك العالم إذا سئل عن معنى لا يحل له كتمانه إذا رأى في السائل استعدادا لفهمه)[1].

قال المناوي -رحمه الله-: ("ضالة المؤمن" أي مطلوبه، فلا يزال يطلبها كما يتطلب الرجل ضالته "فحيث وجدها فهو أحق بها" أي: بالعمل بها واتباعها؛ يعني: أن كلمة الحكمة ربما نطق بها من ليس لها بأهل، ثم رجعت إلى أهلها فهو أحق بها كما أن صاحب الضالة لا ينظر إلى خساسة من وجدها عنده.

خطب الحجاج فقال: إن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤونة الدنيا فليته كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا، فقال الحسن: خذوها من فاسق الحكمة ضالة المؤمن، ووجد رجل يكتب عن مخنث شيئاً فعوتب فقال: الجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها ودناءة بائعها.

قال بعضهم: والحكمة هنا كل كلمة وعظتك، أو زجرتك، أو دعتك إلى

(١) تحفة الأحوذي (٧/٣٨١).

مكرمة، أو نهتك عن قبيحة)[1].

وعن سعيد بن أبي بردة -رحمه الله- قال: كان يقال: (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها إذا وجدها)[2].

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير-رحمه الله- قال: كان يقال: (العلم ضالة المؤمن يغدو في طلبه، فإذا أصاب منه شيئاً حواه)[3].

وقال ابن الأثير-رحمه الله-: (وقد تطلق الضالة على المعاني ومنه الحديث "الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن" وفي رواية "ضالة كل حكيم" أي: لا يزال يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته)[4].

وفي الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله -ﷺ- فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)[5].

وغني عن البيان هنا: التأكيد على أن الذي يؤخذ عن الغير هو الحق الذي عندهم، وليس كل ما يصدر عنهم.

وفي مجال التبادل المعرفي أيضاً نجد أن النبي -ﷺ- كان يسمع بعض قول اليهود من كتبهم، فيقرُّ الحق في قولهم.

---

(١) فيض القدير (٥/٨٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة: المصنف (١٤/٥١) برقم (٣٦٨٣١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة: المصنف (١٤/٦٠) برقم (٣٦٨٦٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث: مادة (ضلل).

(٥) رواه أحمد (٤/٩٢) برقم (٢٢١٦) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن) والبيهقي: الكبرى (٦/١٢٤) برقم (١١٤٦٠) والحاكم: المستدرك (٢/١٥٢) برقم (٢٦٢١) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي.

فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد إنَّا نجدُ أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧](١).

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن اليهود جاؤوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- برجل منهم وامرأةٍ قد زنيا، فقال لهم: "كيف تفعلون بمن زنى منكم؟" قالوا: نحمِّمُهما ونضربهما، فقال: "لا تجدون في التوراة الرجم؟" فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُهَا الذي يُدرِّسُهَا منهم كفَّه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده، وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: "ما هذه؟" فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما، فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة(٢).

(١) سبق تخريجه (٥٩٨).

(٢) سبق تخريجه (٥٩٨-٥٩٩).

# المبحث الرابع
# التسامح

يطلق التسامح ويراد به معنيان:

الأول: الجود والكرم.

الثاني: التساهل واليسر في معاملة الناس.

وكلا المعنيين مشروع في مجال معاملة الناس، وليسا بخارمين للأمن الفكري للأمة؛ إذا جاء في سياق منتظم مع القواعد الأخرى.

والمتأمل في تشريعات الإسلام يجد التسامح بيناً لكل من ألقى السمع وهو شهيد، ومن ذلك:

إلغاء الطبقية والتمييز العنصري، فنص القرآن الكريم على تكريم الإنسان أي إنسان، وتفضيله بكونه إنساناً على جميع خلقه فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة)[١].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٦٣).

ومن كمال هذا التكريم أن خلقه بأحسن تقويم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

فالمعيار القرآني للتفاضل إنما هو التقوى، وجاءت السنة أيضاً لتقرر هذا الأمر فقال -ﷺ- "يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟" قالوا: بلغ رسول الله -ﷺ-. الحديث(١).

وعد الإسلام التفرقة والتمييز بين الناس على أساس العرق، أو اللون من أمور الجاهلية المنافية لطبيعة الإسلام السمحة، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- خطب الناس يوم فتح مكة فقال: "يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]"(٢)

وعُبِّيَّةَ الجاهلية: أي: نخوتها، وكبرها، وفخرها، وتعاظمها وتفاخرها(٣).

---

(١) سبق تخريجه (٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥١٨) برقم (٣٢٧٠) وقال: (هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه. وعبد الله بن جعفر يضعف، ضعفه يحيى بن معين وغيره، وهو: والد علي بن المديني ) وصححه الألباني: صحيح سنن الترمذي (٣/٣٣٤) برقم (٣٢٧٠).

(٣) انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي (٩/١١٠).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله -عز وجل- قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب؛ ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"[1].

ولما سمع النبي-صلى الله عليه وسلم- قول الأنصاري: يا للأنصار، وقول المهاجري: يا للمهاجرين قال: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها منتنة"[2].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "دعوها فإنها منتنة" أي: قبيحة كريهة مؤذية[3].

وقد أشار كثير من غير المسلمين إلى هذه الحقيقة الأخلاقية التي انفرد بها الإسلام.

يقول المؤرخ البريطاني الشهير: "آرنولد توينبي" بعد أن ذكر أن أكثر من عشرين حضارة بادت وانهارت، وأن الحضارة الغربية غير محصنة من نفس هذا المصير، وأن هذا الانهيار سببه (الحرب أو الطبقية أو كليهما) قال: (إن انعدام الطبقية في المجتمع الإسلامي كان واحداً من الانجازات الأخلاقية بالغة الروعة للإسلام، وفي عالمنا المعاصر توجد حاجة ملحة للإفادة من هذه الفضيلة الإسلامية)[4].

ويقول محمد أسد -رحمه الله-: (إن النظام الخُلقي للإسلام، وتصوره

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٥٢) برقم (٥١١٦)، وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم (١٧٨٧).

(٢) سبق تخريجه (٤٥٣).

(٣) النووي: شرح مسلم (١٣٨/١٦).

(٤) نقلاً عن صالح الحصين: التسامح والعدوانية (٩٦).

للسلوك الخلقي والاجتماعي والشخصي هو -بلا حدود- أرفع وأعظم كمالاً من مثيله في الحضارة الغربية، فالإسلام ألغى الكراهية الإنسانية، وفتح الطريق للأخوة والمساواة بين بني الإنسان، ولكن الحضارة الغربية لا تزال عاجزة عن أن تنظر أبعد من الأفق الضيق للشقاق العرقي والقومي، الإسلام لم يعرف قط الطبقية، أو حرب الطبقات، ولكن التاريخ الأوربي منذ عهد الإغريق والرومان مملوء بالصدام الطبقي والكراهية الاجتماعية)[1].

ومن صور التسامح في الإسلام: قبول التعددية الثقافية -واقعياً- من خلال منح الأقليات الدينية المنطوية تحت سلطانه كامل الحرية في ممارسة دينها، وعباداتها، بل بقيت لها الحرية في الاستقلال بقوانينها وقضائها، واستثنيت من القانون الجنائي العام الإسلامي[2].

فعند قيام الدولة في المدينة المنورة والتي كان فيها تنوع ديني، فهناك اليهود، عقد النبي -ﷺ- معاهدة معهم اعتبرها بعض الكتاب المعاصرين أول وثيقة دستورية في العالم.

فقد كان من بنودها:

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين.

٢- لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

(١) الإسلام على مفترق طرق (٧٢-٧٣).

(٢) انظر: صالح الحصين: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب (١٠٩).

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٦- وإن النصر للمظلوم.

٧- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٨- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

٩- وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى[(١)].

وفي كتاب النبي -ﷺ- لنصارى نجران نجد التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم ورهبانهم، وأهل بيعهم ورقيقهم وملتهم، وسوقتهم وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه على ذلك جوار الله ورسوله أبداً؛ ما نصحوا، وأصلحوا عليهم، غير منقلبين بظالم ولا ظالمين)[(٢)].

ومن صور التسامح مع غير المسلمين ما جاء عن ابن إسحاق أنه قال:

(١) انظر: ابن هشام: السيرة (١/٥٠١-٥٠٣) وابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٢٠).

(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٤٩).

(وفد على رسول الله -ﷺ- وفد نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله -ﷺ- دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله -ﷺ-: "دعوهم "فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم"[1].

ومن صور التسامح مع الأقليات غير المسلمة أن أطلق عليهم: (أهل الذمة) تذكيراً لكل مسلم (بأن لهم ذمة الله، وتأكيداً على حماية حقوقهم، وحرياتهم التي منحها الإسلام، وضمنتها العهود التي يكتبها لهم الفاتحون)[2].

يقول "ول ديورانت": (كان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين.. وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأَثْرَوا كثيراً في ظل الإسلام وفي آسية، ومصر، وأسبانيا، كما لم يُثْرُوا من قبل تحت حكم المسيحيين.

وكان المسيحيون في بلاد آسية الغربية، خارج حدود الجزيرة العربية، يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الإسلامي.

ويحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار.

(١) المصدر نفسه (٣/٦٢٩).

(٢) صالح الحصين: التسامح والعدوانية (١١٦).

وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين، وقد وجد الصليبيون جماعات مسيحية كبيرة في الشرق الأدنى في القرن الثاني عشر الميلادي ولا تزال فيه جماعات منهم إلى يومنا هذا. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية والذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطارقة القسطنطينية، وأورشليم، والإسكندرية، وإنطاكية، أصبح هؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين الذين لك يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنى يفهمونه، ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا، إذ عين والي إنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرساً خاصاً ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضاً في الكنائس)[1].

حتى في القتال، فالتخيير بين الإسلام والجزية والقتال لون من التسامح، والمنع من قتل النساء والشيوخ والعبيد والرهبان لون آخر من التسامح.

وإذا نظرنا إلى مفهوم الجهاد نجده تحكمه مبادئ ثلاث[2]:

**المبدأ الأول:** أنه يكون لإعلاء كلمة الله وفي سبيل الله فقط ودون ذلك فما هو إلا عدوان وقتال، وتنزع عنه صفة الجهاد، فعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل؛ ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"[3].

---

(١) قصة الحضارة (١٣/٤٨٣).

(٢) انظر: صالح الحصين: التسامح والعدوانية (١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣) برقم (٢٨١٠) ومسلم (٧٩٠) برقم (١٩٠٤).

وقد أرشد الإسلام لصور تدل على ما يكون فيه القتال في سبيل الله، ومن ذلك:

**حماية حق الإنسان في أن يوحد الله تعالى:**

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

قال القرطبي -رحمه الله-: (قال الجمهور: معنى الفتنة هنا فتنتهم المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا، أي أن ذلك أشد احتراماً من قتلكم في الشهر الحرام)(١).

**رد العدوان:**

قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي.

ولما كانت النفوس -في الغالب- لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٤٦).

وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه: ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق)[1].

**رد الظلم ورفعه عن المظلومين:**

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم)[2].

**منع الفساد:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر)[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٤).

**المبدأ الثاني**: أن يكون القتال موجهاً ضد من يقاتلهم:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه)[1].

**المبدأ الثالث**: العدل عند القتال فلا يتجاوز ضرورات القتال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين.

ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز)[2].

وهذه المبادئ الثلاث قد نص القرآن عليها فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٩).

(٢) المصدر نفسه (٨٩).

وفي السنة ما يؤكد ما سبق ومن ذلك:

عن بُرَيدة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أمر أمير على جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تَغُلّوا، ولا تَغْدروا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا وليداً.

وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة، والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله، وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"(١).

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) برقم (١٧٣١)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله -ﷺ- إذا بَعَث جيوشه قال: "اخرجوا بسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا، ولا تُمَثِّلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصّوامع"(١).

وفي الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: وجُدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله -ﷺ- فنهى رسولُ الله -ﷺ- قتلَ النساء والصبيان(٢).

وعن حذيفة -رضي الله عنه- يقول: ضرب لنا رسول الله -ﷺ- أمثالاً واحدًا، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة، وأحدَ عشَرَ، فضرب لنا رسول الله -ﷺ- منها مثلاً وترك سائرَها، قال: "إن قوماً كانوا أهلَ ضَعْف ومسكنة، قاتلهم أهلُ تجبر وعداء، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فعمدوا إلى عَدُوهم فاستعملوهم وسلطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه"(٣).

قال ابن كثير -رحمه الله-: (ومعناه: أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الأقوياء، فاعتَدوا عليهم واستعملوهم فيما لا يليق بهم، أسخطوا الله عليهم بسبب هذا الاعتداء)(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤٦١/٤) برقم (٢٧٢٨) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن لغيره) والبيهقي: الكبرى (٩٠/٩) برقم (١٧٩٣٣) والطبراني: الكبير (٢٢٤/١١) برقم (١١٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧) برقم (٣٠١٥) ومسلم (٧٢٣) برقم (١٧٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٤٧/٣٨) برقم (٢٣٤٦٢) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف). وقال ابن كثير: (هذا حديث حسن الإسناد). تفسير القرآن العظيم (٥٢٤/١). وقال الهيثمي: (رواه أحمد وفيه الأحلج الكندي، وهو ثقة، وقد ضعف، وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٢٣٢/٥-٢٣٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥٢٤/١).

ومن صور التسامح أن رسول الله - ﷺ-: (بعث خمسمائة دينار إلى مكة حين قحطوا، وأمر بدفع ذلك إلى أبى سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية؛ ليفرقا على فقراء أهل مكة)[1].

ولما دخل مكة -ﷺ- فاتحاً قال: "يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟" قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2].

ومن صور التسامح مع غير المسلمين الرفق في مخاطبتهم ومعاملتهم، فالله -عز وجل- أمر موسى وهارون -عليهما أفضل الصلاة و السلام- أن يلينا القول لفرعون، فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله -ﷺ- فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة قالت: فقال رسول الله -ﷺ-: "مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله" فقلت: يا رسول أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله -ﷺ-: "قد قلت: وعليكم"[3].

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[4].

قال ابن حجر -رحمه الله- عن فقه هذا الحديث: (أن علامة المسلم التي

(١) محمد بن الحسن: السير الكبير (١/٩٦).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٣/٥٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٦) برقم (٦٠٢٤) ومسلم (٨٩٣) برقم (٢١٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦) برقم (١٠).

يستدل بها على إسلامه: هي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المنافق.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك: الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه؛ لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه، فأولى أن يحسن معاملة ربه، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

تنبيه: ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب؛ لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا، وإن كان فيهم من يجب الكف عنه، والإتيان بجمع التذكير للتغليب)[1].

وقال -ﷺ-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت"[2].

يقول ابن حجر -رحمه الله-: (هذا من جوامع الكلم؛ لأن القول كله إما خير وإما شر، وإما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال: فرضها، وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر، أو يئول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت.

وأضاف -رحمه الله-: (من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركاً لما يضر)[3].

وقال النووي -رحمه الله-: (وأما قوله- ﷺ-: "فليقل خيراً أو ليصمت" فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم، فإن كان ما يتكلم به خيراً محققا يثاب عليه واجباً،

(١) فتح الباري (١/٥٣) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٥) برقم (٦٠١٩) ومسلم (٥١) برقم (٤٨).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٤٦).

أو مندوباً فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام، أو مكروه، أو مباح مستوي الطرفين فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه؛ مخافة من انجراره إلى المحرم، أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيرا أو غالباً وقد قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨])[١].

لقد كان الأمر والتوجيه بالخطاب الحسن من بنود الميثاق الذي عقد بين الله سبحانه وتعالى وبني إسرائيل حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

لقد تضمن هذا الميثاق جملة من القواعد الثابتة في دين الله -عز وجل- التي جاء بها الإسلام أيضاً: وهي التوحيد المطلق لله سبحانه، والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين، وخطاب الناس بالحسنى، وتضمن فريضة الصلاة والزكاة، وهي في مجموعها قواعد الإسلام وتكاليفه.

يقول ابن سعدي -رحمه الله -: (وهذه الشرائع من أصول الدين التي أمر الله بها في كل شريعة لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ كأصل الدين ولهذا أمرنا الله بها)[٢].

إن ضم هذا الميثاق الإلهي لهذا البند ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ضمن

(١) شرح صحيح مسلم (٢/١٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٧).

أصول الدين (التوحيد) وفرائضه (الصلاة، والزكاة) والتي يكفر تاركها على تفصيل في بعض الجوانب، لذو دلالة هامة وخطيرة، تسترعي ولا بد أذن كل سامع وقارئ لهذا الميثاق.

ومما يؤكد على العموم السابق - في الإحسان القولي لكل أحد -ما جاء في قوله - ﷺ-: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته "[1].

والحسن: ضد القبح ونقيضه، والجمع محاسن[2].

قال القرطبي -رحمه الله- عن الآية السابقة: (وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً مع: البر والفاجر، والسني والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: (فقولا له قولاً ليناً) فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

وقال طلحة بن عمر قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة وأنا رجل فيَّ حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنيفي، وروي عن النبي -ﷺ- أنه قال لعائشة: "لا تكوني فحاشة، فإن الفحش لو كان رجلاً؛ لكان

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩) برقم (١٩٥٥).

(٢) انظر: ابن منظور: لسان العرب (١٣/١١٤).

رجل سوء"[1])[2].

وكذلك الأمر في حل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

وإذا تقرر أن التسامح مع غير المسلمين قائم، فإنه منضبط بضوابط منها:

١ - المحافظة على ذاتية المسلم، وتميز المجتمع الإسلامي، وعدم تذويبه في شخصية الأجنبي مهما كانت الأسباب.

٢ - عدم التنازل عن القيم الأخلاقية الحاكمة للتعامل.

٣ - أن يكون الكفار مسالمين، فإن كانوا حربيين، فالتعامل معهم يقوم على الشدة.

---

(١) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (١٣٨/٦) برقم (٧٧٢٢) والطبراني: الأوسط (١٠٦/١) برقم: (٣٣١).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٢).

# المبحث الخامس
# البراءة من الكافرين مع موالاة المؤمنين

معنى الولاء والبراء:

إن أصل (الولاء والبراء) ليس رأيا جديداً؛ ولا فكراً خاصاً بتيار في الأمة، وإنما هو عقيدة جاءت النصوص ببيانها وتشكل من خلال تلك النصوص مفهوم (الولاء والبراء).

وهذا المفهوم كما هو الحال في غيره من المفاهيم تعرض لإشكاليات في الفهم فتوسع فيه أقوام فحملوا مفهوم (الولاء والبراء) ما لا يحتمل، وجعلوه معياراً على ما تشتهيه نفوسهم؛ فغلوا في مقدميهم ومعظميهم حتى جعلوهم محلاً للاقتداء المطلق، بل وأضفوا عليهم أوصاف العصمة، وجعلوا هؤلاء المقدمين معياراً للحق، فغلوا في موالاتهم لمقدميهم ثم ألزموا الخلق بهذه الموالاة، وما من غلو في الولاء إلا ويصحبه غلو في البراء فمن والى معظماً في الدين موالاة مطلقة تبرأ من مقابليه بل ربما كفّرهم وعاداهم.

كما غلا أقوام في البراءة من الكافرين، فجعلوا (البراء) أصلاً لما يرونه من العداوة المطلقة، وحرموا التعامل مع غير المسلمين بإطلاق، وجعلوا البراءة مقتضية لاستحلال الدماء والأموال والممتلكات.

وفي حين غلا فيه هـؤلاء تميـع آخـرون، فـأرادوا إذابـة (الـولاء والـبراء) لتسويغ ما يرونه من الدعوة لما أسموه (تقارب الأديان) أو(السلام العـالمي) أو (الإنسانية) أو (فهم الآخر) إلى غير ذلك من الدعوات.

۞ ۞ ۞

وإن هذا الخلط في مفهوم الولاء والبراء يحتاج ابتداءً لمعالجة ببيان المفهـوم الحق للولاء والبراء:

**معنى الولاء والبراء:**

الولاء: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام(1).

والمراد به حب الله تعالى وحب رسوله، ما يبنى على ذلك من حب أوليائـه ونصر دينه.

والبراء: (البعد والخلاص والعداوة بعد الإنذار(2) وينبني على ذلك بغض المعبودات من دون الله عز وجل.

والولاء والبراء أمر قلبي في أصله، لكـن يظهـر عـلى اللسان والجـوارح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمـه الله -: (الولايـة ضـد العـداوة، وأصـل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد)(3).

فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ورسوله -ﷺ- وللمسلمين كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [المائدة: ٥٥].

(١) ينظر: ابن أبي العز: شرح الطحاوية (٤٠٣) وسليمان بن عبد الله: تيسير العزيـز الحميـد (٤٢٢) محمد القحطاني: الولاء والبراء (٩٠).

(٢) ينظر: محمد القحطاني: الولاء والبراء (٩٠).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٧).

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم والدعاء لهم، والنصح إلى غير ذلك من مقتضيات الولاء.

والبراءة من الكفار تكون ببغض الدين الباطل الذي يدينون به وجهادهم الجهاد الشرعي بضوابطه.

**أصل الولاء والبراء:**

إن العودة بالأمر إلى جذوره يظهران أن (الولاء والبراء) ليس خاصاً بالمسلمين، فما زال أهل كل دين سماوي أو مذهب أرضي يوالي بعضهم بعضاً وتلك حقيقة قررها القرآن ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾[الأنفال: ٧٣].

وكل أمر جامع من الدين أو الفكر تجد أهليه يتوالون على مقتضاه، وتخصيص هذا الأصل بالمسلمين قولٌ تأباه حقائق التاريخ فما زال اليهود يوالي بعضهم بعضاً، وما زال النصارى يوالي بعضهم بعضاً.

إن الصراع بين الحق والباطل، بل الصراع بين الأمم والحضارات حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها، وستبقى ما بقي أمد الحياة وإذا كان الصراع قائماً، فإن ذلك تنبني عليه مواقف نفسية وعلمية وعملية.

ولا يمكن لامرئ أن يوالي مخالفة بإطلاق، خاصة إذا كان محقاً ويقابله المبطلون بالعدوان أو المنع من إيصال الحق للناس، بل إن مواقف المبطلين متضمنة لمواقف من الولاء والبراء.

۞ ۞ ۞

وليس هذا خاصاً بالأديان المنزلة، بل إنه يقع بين كل فكرتين متقابلتين أو مذهبين متصارعين، وليس أدلّ على ذلك من النظر التأريخي للأزمان التي

اشتدت فيها الصراعات الفكرية والعقائدية، أو النظر المكاني إلى مناطق التماس بين الأمم والحضارات، والمذاهب والأديان.

فكل الخلق لا يمكنهم الانفكاك عن الولاء والبراء والحب والبغض، فتلك أمور فطرية، والإسلام لم يأت بجديد، وإنما عالج الأمر من جهة موضوعية فالبشر على مر تأريخهم يحبون ويبغضون، ويوالون ويعادون على مقتضيات مختلفة ومتعددة بحسب تعدد مذاهبهم واعتقاداتهم فجاء الإسلام موحداً للمعيار الذي يكون عليه الولاء والبراء والحب والبغض.

فأفعال البشر منطلقة من الحب والإرادة كما أن تروكهم منطلقة من ضدها.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك)[1]

بل إن أولئك الناقمين على أصل الولاء والبراء إنما نقموا على هذا الأصل صادرين عن حب لدينهم ومعتقداتهم وموالاة على مقتضى ذلك.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (إذا كانت المحبة والإرادة أصل عمل وحركة علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين سواء كان ديناً صالحاً أو فاسداً)[2].

إن البشرية التي تعددت في أديانها وأهوائها تفرقت وتعادت فصارت تقوم وتقعد وتعطي وتمنع وتحب وتبغض لأجل الأهواء والأغراض والعصبيات فجاء الإسلام ليجمع شتاتها على كلمة سواء ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

(١) جامع الرسائل (٢/١٩٣).

(٢) المصدر نفسه.

تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا يَمْهَدُ لأن يكون الحب والبغض على مقتضى واحد متعلق بالله عز وجل ففي الحديث: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"(١)

إن هذا الولاء إنما يحقق توحيد البشر على توحيد الله ـ عز وجل ـ لتبتعد الأمة عن العصبيات أياً كانت، وليكون رباطها على الحق، فالولاء إنما هو على الحق ولذلك جاء الربط بينه وبين الإيمان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢]

❁ ❁ ❁

إن قضية الولاء والبراء عائدة في أصلها إلى الإيمان بالله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله، فمن اعتقد التوحيد فإنَّ من حقيقة اعتقاده براءته من الشرك،

(١) رواه أبو داود (٥١٠) برقم (٤٦٨١) والحاكم: المستدرك (١٧٨/٢) برقم (٢٦٩٤) وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، والطبراني: الأوسط (٤١/٩) برقم (٩٠٨٣).

وبالتبع براءته من المشركين، يقول الله -عز وجل-: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وفي الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ- لأبي ذر: "أي عرى الإيمان أظنه قال أوثق؟" قال: الله ورسوله أعلم، قال: "الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"(١).

وفي الحديث الآخر: "أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله"(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يوالي إلا الله ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله)(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢١٥/١١) برقم (١١٥٣٧) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٢٥٣٩).

(٢) رواه أحمد من حديث البراء بن عازب: المسند (٤٨٨/٣٠) برقم (١٨٥٢٤) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (حديث حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث، وهو ابن أبي سليم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين). وابن أبي شيبة: المصنف (٨٠/٧) برقم (٣٤٣٣٨).

(٣) الاحتجاج بالقدر (٦٢).

بل لقد جاءت النصوص مبينة أن الولاء والبراء من الإيمان بل هو شرط له يقول الله عز وجل: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١- ٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الأيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه)[1].

**الأبعاد الكبرى لمبدأ الولاء والبراء:**

إن أصل الولاء والبراء وإن كان أصلاً عقدياً إلا أن له أبعاداً سياسية واجتماعية وحضارية، لأنه يحقق هوية الأمة، فالدين هو الجامع للأمة على الأمر السواء، وكل مجتمع بشري فإنه بحاجة إلى رباط يجتمع عليه الناس، سواء كان ذلك الرباط دينياً أو قومياً أو عرقياً واقتصادياً.. وهكذا.

ولا يزال البشر على مر تأريخهم يجتمعون على مقتضيات مختلفة يرونها معياراً للتعامل، ولكن مهما تعددت الروابط فإنها لا تحقق الوحدة، والعدل

(١) الإيمان (١٤).

ولا يمكن لمن كان خارجها أن يكتسبها دون مانع أما رباط الدين الحق، فهو الهوية الحقيقية التي تجمع الأمة يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعلى هذا الأصل رتبت الحقوق من وجوب المحبة والتأييد والنصرة كما قال -ﷺ-: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه"(١)

وقال أيضاً -ﷺ-: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"(٢).

وقال -ﷺ-: "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم"(٣)

كما أن للأمر صلة بسيادة الأمة، ومما يدل على ذلك: أن وجود الأمم وبقاءها رهينٌ بتميزها عن غيرها وظهور خصائصها، والتفاف أبنائها حول راية تجمع النفوس، وتأتلف عليها القلوب. فالولاء القائم بين المسلمين إنما هو بسبب وحدة دينهم وطريقتهم المتميزة في التلقي والاستدلال، ومنهجهم الخاص في العقيدة والعبادة، وأي هدم لهذا الأصل لا بد أن ينعكس على وحدة المسلمين وهويتهم المتميزة.

(١) سبق تخريجه (٦٣).

(٢) رواه البخاري (١١٣) برقم (٤٨١) ومسلم (١٠٤١) برقم (٢٥٨٥).

(٣) رواه أبو داود (٣١٠) برقم (٢٧٥١) وابن ماجه (٢٩٢) برقم (٢٦٨٣) البيهقي: الكبرى (٢٩/٨) برقم (١٥٦٨٨) وأحمد (٢٦٧/٢) برقم (٩٥٩) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح لغيره).

إن الإسلام إذ أمر بالولاء والبراء فإنما يهدف إلى حماية الحق، لا العدوان على الخلق، فترابط الأمة في داخلها من طريق (الولاء) يحقق لها القوة ويبعدها عن الروابط القومية والعصبية المفرقة للناس، (وبراءتها) من الباطل تحقق لها الحصانة التي تحميها مما يفسد دينها ومعتقدها ويخترق أمنها، ولهذا فإن للولاء والبراء علاقة بقوة الأمة وضعفها، فكلما كانت الأمة أقوى كان شعورها بهويتها أعظم.

❁ ❁ ❁

إن الولاء والبراء في الإسلام مرتبط بنظم وقيم وشرائع تحدد مناهج التعامل مع الآخرين فالأمر ليس عداء أهوجاً، ولا بغضاً مجرداً بل الولاء والبراء جزء من منظومة متكاملة من الأحكام، ولا يصلح أن يقرأ قراءة فيها اجتزاء، وكثيراً ما تكون تلك القراءة سبباً لسوء الفهم فيميل الناس إلى الأهواء الناتجة عن الغلو أو التفريط أو العداء، أما حقيقة الأمر فإن قيم الإسلام الكبرى تعود إلى أصول عظيمة حاكمة للتعامل مع الناس من أظهرها: العدل، والله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله -: (أي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بما أمروا بالإيمان به، قوموا بلازم أيمانكم، بأن تكونوا ﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة، وأن يكون

ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل لا الإفراط ولا التفريط في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: يحملنكم بغض ﴿قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له ولو كان كافراً أو مبتدعاً؛ فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق؛ لأنه حق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلمٌ للحق)[1].

ومن ذلك: أن الله عز وجل أمر بالبر والإحسان ونهى عن الاعتداء والظلم، يقول الله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

يقول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: (أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة)[2].

ولذلك أمر الله بمصاحبة الوالدين الكافرين في الدنيا بالمعروف فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٢٤).
(٢) المصدر نفسه (٨٥٧).

ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: قدمت أمي، وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا النبي ﷺ مع ابنها، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: "نعم صِلي أمك "[1].

والتعامل مع الكفار جائز مع وجوب العدل والأمانة في التعامل معهم، يقول النبي -ﷺ-: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك "[2].

وحذر النبي -ﷺ- من الظلم مبيناً خطورة دعوة المظلوم ولو كان كافراً ففي الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ- لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[3].

بل إن الشريعة جاءت بإقرار المحبة الفطرية لغير المسلمين، يقول الله تعالى في بيان حال النبي -ﷺ- مع عمه أبي طالب الذي كان مشركاً ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) رواه البخاري (١١٦٠) برقم (٥٩٧٩) ومسلم (٣٨٨) برقم (١٠٠٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٩٢) برقم (٣٥٣٥) والترمذي (٢٢٤) برقم (١٢٦٤) وقال (هذا حديث حسن غريب) وأحمد (٢٤/١٥٠) برقم (١٥٤٢٤) وقال شعيب الأرنؤوط (مرفوعه حسن لغيره) والحاكم: المستدرك (٢/٥٣) برقم (٢٢٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري: برقم (١٤٩٦)، ومسلم: برقم (١٩).

فأقر النبي -ﷺ- على ما كان منه من محبة لعمه، وهي محبة للقرابة لا للدين والشرع، وقد أجاز نكاح الكتابيات فقال الله- عز وجل-: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾ [المائدة: ٥].

ومعلوم أن النكاح مقترن بالمودة بين الزوجين يقول الله -عز وجل-: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

إن الولاء والبراء لم يكن مانعاً من التعامل مع غير المسلمين، أو صاداً عن التعاون معهم لما فيه خير البشرية، أو مانعاً من دعوتهم إلى الخير ومجادلتهم بالتي هي أحسن يقول الله -عز وجل-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهي ليست دعوة فحسب، ولكن إحسان في الدعوة، ولين في البلاغ، ومجادلة بالتي هي أحسن، وهذا شأن كل الرسالات، فالله عندما بعث موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - قال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

فالقول قولٌ لين وإن كان لأقسى وأطغى الخلق في زمانه، وأما القتال فإنه

مبني على السماحة في المبتدأ والمنتهى فالهدف منه ابتداء إنما هو إيصال الخير للعالمين، فعندما يقف الجبارون في سبيل وصول الحق فإنهم يقاتلون، وإلا فعامة الخلق لو تركوا وشأنهم لقبلوا الدين، لأنه دين الفطرة.

ثم تأتي السماحة في القتال ممثلة في تحريم التمثيل والتشويه والتقتيل وقتل الشيوخ والأطفال والنساء والرهبان وغيرهم ليتبين جانب عظيم من سماحة هذا الدين وعدله.

فأما بعد القتال، فالأسرى وإن كانوا غير مسلمين، فإن الإسلام أمر بإكرامهم، فعن الحسين أن النبي -ﷺ- كان يقول لأصحابه: "أكرموا الأسرى" بل في القرآن العظيم يقول الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧].

فعقيدة الولاء والبراء لها ارتباطها في الدين بالجوانب السلوكية والاجتماعية للمسلمين وهي جزء من تكامل هذا الدين وترابط أحكامه.

يقول الله -عز وجل-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]

فحق على من تكلم في هذه القضايا ألا يقطع النظر عن منهج الإسلام في التعامل مع الآخرين فهذا هو الذي ينتظم الأحكام المتعلقة بالكفار فليس الأمر ولاء وبراء فقط، بل ضوابط وأصول كثيرة.

**البراءة من الكفار فرع البراءة من الكفر:**

إن الإسلام هو الدين الحق، في واقع الأمر، وهو الدين الحق في نظر المسلمين وإذا كان الإسلام كذلك فإن ما سواه من الأديان باطل، ولذلك فإن الله أمر رسوله -ﷺ- أن يظهر مفارقته لأديان الكفار ومعبوداتهم.

يقول الله -عز وجل-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون].

فالمفارقة من الطرفين، ولئن كان الإسلام هو الدين الحق فلا يسوغ لمسلم أن يشارك الكفار معبوداتهم، بل يبقى مقيماً على الدين الحق، عابداً لله -عز وجل- وحده، ثابتاً على الدين، لا تزعزعه الصوارف، ولا يميله أهل الباطل، فقناعته بما هو عليه من الدين تحميه من فتن المبطلين وبعد توفيق الله، فإن واقع الحال شاهد أن الكفار الذين لا يريدون عبادة الله وحدة لا يزالون في دأب على صرف أهل الدين الحق عنه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

وإذا كان هذا الاعتقاد بالدين الحق ظاهراً، فإن مما يتبعه البراءة مما يقابله من الأديان الباطلة لأن قيام الدين على نفي وإثبات (أشهد أن لا إله إلا الله) فهو خلع كل المعبودات غير الله - عز وجل - مع إثبات العبادة له وحده،

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ولقد بعث الله محمداً - ﷺ- بالهدى ودين الحق، فجعله على طريق واضح وسبيل بين ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية: ١٧].

وإتباع هذه الشريعة مقتضٍ لمخالفة كل ما يضادها ولذلك يدعو أهل الإسلام ربهم عز وجل بما أمر به الله -عز وجل- في كل ركعة فيقولون: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وقد أبان الله أمر سبيل الحق وأمر سبل الباطل وجعل قيام الدين على لزوم الحق ومخالفة سبل الضالين والمغضوب عليهم، وهذا اللزوم وتلك المخالفة بينهما من التلازم ما لا يخفى، أنه لا لزوم للحق إلا بمخالفة الباطل، يقول الله -عز وجل-: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]

ويقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ويقول تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]

فأصل البراءة إذاً: البراءة من الدين الباطل؛ لأنه يتمحض الإيمان بالدين الحق إلا بالكفر بما عداه، ويتبع ذلك محبة الحق وبغض الباطل، والعروة

الوثقى في الدين قيامها على هـذين الأصـلين ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فالبراءة من الكفار أصلها الـبراءة مـن الكفـر كـما قـال إبـراهيم - عليـه السلام - فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

والإسلام والكفر يقومان بمن دان بالدين، فالكـافر يـدين بدينـه، كـما أن المسلم يدين بدينه وبالتالي فإن الاعتقاد بأن الإسلام هـو الـدين الحق يقتـضي الولاء لحملة هذا الدين بدءاً من الأنبياء والرسل -علـيهم الـصلاة والـسلام- وانتهاء بكل مسلم دان بالدين الحق.

كما يقتضي الأمر البراءة من حملة الأديان الباطلة، وأعداء الرسـل ومحـرفي الدين الحق، وإذا تقابل محقٌ ومبطلٌ فإن من بدائه العقول أن يحب المحق ويكره المبطل، وكل ذلك لأجـل الحـق أو لأجـل الباطـل لا لأجـل الـذوات، فكـره المبطل؛ لأنه مبطلٌ لا عنصريه أو عصبية فالخلق كلهـم سـواء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فهذه جملة تختصر قيم التفاضل بين الخلق، والإسلام إذ يقـر بوجـود الـشعوب

والقبائل لا يفاضل على أساسها وإنما يفاضل على أساس الإيمان والتقوى، فمن فارق الإيمان بالكلية فقد فارق الفضيلة، فلا تجوز موالاته ومحبته.

ومن كان فيه إيمان كانت موالاته بحسب ما فيه، فالمؤمن تجب موالاته فإن اجتمع فيه شر وخير، وطاعة ومعصية، وحسنة وبدعة، استحق من الثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة بحسب ما فيه من الشر.

وإن كان الأمر بهذه المثابة فإن التقابل بين المحق والمبطل بين المسلم والكافر يقتضي تحريم موالاة الكافرين من دون المؤمنين يقول الله -عز وجل-: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ويقول الله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فإذا كان المسلم خائناً لدينه مقدماً مصالحه الذاتية على مصالح أمته، أو معتقداً للدين الباطل فذلك جريمة في حق أمته، وذلك أمر موجود في ملل وأديان؛ بل وفي دول وأوطان، فلو أن إنسان في دولة ما والى دولة عدوه، وأعان على دولته لكان ذلك خيانة: بل هو في العرف السياسي والقانوني يعد خيانة عظمى.

كما تقتضي البراءة: عدم تقريب الكافر بحيث يصير خاصة وبطانة من دون المؤمنين يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ

أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وتقريب غير المسلم ليكون مطلعاً على أمر المسلمين وأحوالهم خاصة أمرهم يمكن أن يكون سبيلاً لإضرار المسلمين.

والمتأمل في النصوص المتعلقة بالولاء والبراء يجدها في جملتها تنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء لا أنها تأمر بمعاداتهم في كل حال؛ بل نهيها عن الموالاة مطلق ونهيها عن الظلم مطلق بينما جاءت العقوبات والقتال ونحو ذلك منضبطة في أسبابها وإجراءاتها.

# المبحث السادس
# الحوار

والمراد به: تردد الكلام بين فريقين ؛ للوصول إلى الحق[1].

وهناك مصطلحات مقاربة: (الجدل، والمناظرة، والمفاوضة، والمحاجة) وعند النظر في كلام السلف نجد أن الأغلب استعمالهم للفظ المجادلة.

وقد ورد ذم الجدل في أكثر نصوص الكتاب العزيز، والسنة المطهرة،فمن الكتاب: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر: ٣٥].

ومن السنة حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"ثم تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ﴾ [الزخرف: ٥٨][2].

لكن هذا الذم للمجادلة، والنهي عنه تقابله نصوص أخرى فيها الثناء على ضرب من المحاورة والمجادلة ثبت بها الحق، وبهت فيها المبطلون، كمناظرة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- للملك: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ

(١) ينظر: محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل (٥) و زاهر الألمعي: مناهج الجدل في القرآن (٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٥١٦) برقم (٣٢٥٣) وقال (حسن صحيح) وابن ماجه (٢٣) برقم (٤٨) والحاكم: المستدرك (٢/٤٨٦) برقم (٣٦٧٤) وصححه ووافقه الذهبي.

إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

يقول النووي -رحمه الله-: (واعلم أن الجدل قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤].

فإذا كان الجدل للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه)(١).

وقد جاء الحوار في القرآن الكريم، والسنة كثيراً.

أما في القرآن: فمنه الحوار الذي حصل بين الله -عز وجل- وملائكته حول خلق آدم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢].

---

(١) الأذكار (٣٣٠).

ومنه أيضاً حوار الله -عز وجل- مع أنبيائه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١١٦-١٢٠].

**وأما في السنة والسيرة، فكثير ومنه:**

أن عتبة بن ربيعة قام حتى جلس إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة -أي الشرف- في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك أمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله -ﷺ-: "يا أبا الوليد أسمع".

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالاً حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا

الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي -ﷺ-: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم. قال: "اسمع مني" قال: أفعل، فقال رسول الله -ﷺ-: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣] فمضى رسول الله -ﷺ- يقرؤها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه؛ حتى انتهى رسول الله -ﷺ- إلى السجدة فسجدها ثم قال: "سمعت يا أبا الوليد؟" قال: سمعت، قال: "فأنت وذاك".

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنت أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

(١) رواه البيهقي: دلائل النبوة (٢/٢٠٤)، ونقله عنه ابن كثير: السيرة النبوية (١/٥٠٣-٥٠٥) واللفظ له.

وفي قصة وفد نصارى نجران أنهم حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله -ﷺ- فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه، فسلمنا عليه، فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال لعثمان ولعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه، وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعلوا فسلموا فرد سلامهم، ثم قال-ﷺ-: "والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى، وإن إبليس لمعهم".

ثم ساءلهم وساءلوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه.

فقال رسول الله -ﷺ-: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا؛ حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى".

فأصبح الغد وقد أنزل الله – عز وجل- هذه الآية: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ

ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول الله -ﷺ- الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة.

فقال شرحبيل لصاحبيه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً، فكنا أول العرب طعن في عينه، ورد عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره، ولا من صدور أصحابه؛ حتى يصيبونا بجائحة، وإنَّا أدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك.

قال: فتلقى شرحبيل رسول الله -ﷺ- فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك، فقال: "وما هو؟ " فقال: حكمك اليوم إلى الليل.

وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت، فينا فهو جائز.

فقال رسول الله -ﷺ-: "لعل وراءك أحدا يثرب عليك؟" فقال شرحبيل: سل صاحبي، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل.

فرجع رسول الله -ﷺ- فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران، أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفى حلة، في كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة"(١).

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: بلغ عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- مقدم رسول الله -ﷺ- المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "خبرني بهن آنفا جبريل" قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله -ﷺ-: "أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة، فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها" قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله -ﷺ-: "أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟" قالوا: أَعْلَمُنا، وابن أَعْلَمِنَا، وأَخْيَرْنَا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله: "أفرأيتم إن أسلم

(١) رواه البيهقي: دلائل النبوة (٥/٣٨٥)، ونقله عنه ابن كثير: السيرة النبوية (٤/١٠١).

عبدالله" قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه[1].

وعن أبي هريرة -ﷺ-: أن أعرابياً أتى رسول الله -ﷺ- فقال إن امرأتي ولدت غلاماً أسودَ، وإني أنكرته؟! فقال له رسول الله -ﷺ-: "هل لك من إبل؟" قال: نعم، قال: "فما ألوانها؟" قال: حُمْرٌ، قال: "هل فيها من أورَقَ؟" قال: إن فيها لورقاً، قال: "فأنى ترى ذلك جاءها؟" قال: يا رسول الله، عرقٌ نزعها. قال: "ولعل هذا عرق نزعه"[2].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم -ﷺ- قال: لما أفاء الله على رسوله -ﷺ- يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال: "يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالاً، فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي" كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: "ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله -ﷺ-؟" قال: كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: "لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي -ﷺ- إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعباً، لسلكت وادي الأنصار وشِعبها، الأنصار شِعَارٌ والناس دِثَارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[3].

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥) برقم (٣٣٢٩).

(٢) سبق تخريجه (٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٨١٧) برقم (٤٣٣٠) ومسلم (٤٠٨) برقم (١٠٦١).

وفي حديث الإسراء قال-ﷺ-: "…. ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى منادٍ: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي"[(1)].

والحق أن الحوار والجدل قد يكون مخلاً بالأمن الفكري للأمة حين يكون من جاهل، أو غير مريد للحق ومبطل؛ لأن دخوله في الجدل قد يكون فتنة له وللناس.

وإنما يكون الحوار محموداً من العالم بالحق القاصد للوصول للحق، فمجادلة أهل الكتاب محمودة بهذين الشرطين، وتصبح من الجدال بالتي هي أحسن.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦) برقم (٣٨٨٧) ومسلم (٩٢) برقم (١٦٤).

# المبحث السابع
# الدعوة

إن المسلم يتشرف بانتمائه إلى دين الإسلام، الذي هو أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده، وذلك لأمور:

أ- لأنه الدين الحق دون ما سواه من الأديان ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

ب- هذا الدين عالمي للناس كافة، قال الله -عز وجل-: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "والذي نفسي محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثمَّ يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(١).

قال النووي -رحمه الله-: (وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يسمع بي أحد من هذه الأمة" أي: من هو موجود في زمني، وبعدى إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني؛ تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥) برقم (١٥٣).

لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى)[1].

وهذا يستلزم شعور المسلم بالمسؤولية تجاه الخلق بدعوتهم والعمل على إبلاغهم هذه الرسالة المنجية للخلق في العاجل والآجل.

وقد أكد -ﷺ- على حرصه على الخلق حين قال: "مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي"[2].

وفي رواية: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها"[3].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وفي الحديث ما كان فيه-ﷺ- من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨])[4].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قال: "إن مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم

(١) شرح صحيح مسلم (١٨٨/٢).

(٢) سبق تخريجه (٧٧).

(٣) سبق تخريجه (٧٧).

(٤) فتح الباري (٣١٨/١١).

واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب ما جئت به من الحق"[1].

قال النووي -رحمه الله- على هذا الحديث: (باب شفقته -ﷺ- على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم.

قوله -ﷺ-: "أنا النذير العريان" قال العلماء أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه وأشار به إليهم، إذا كان بعيداً منهم؛ ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم.

قالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو)[2].

وصور حرصه على دعوة الخلق كثيرة -قد تقدم بعضها-[3] فمن ذلك:

**١- صعوده -ﷺ- على الصفا للدعوة إلى الله تعالى:**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي -ﷺ- على الصفا، فجعل ينادي: "يا بني فهر، يا بني عدي" لبطون قريش؛ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج، أرسل رسولاً؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش. فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي، تريد أن تغير عليكم أكنتم

(١) سبق تخريجه (٧٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٤٨).

(٣) انظر (٧٦).

مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢][(١)].

## ٢- حرصه -ﷺ- تبليغ الخير حتى للصغار:

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت ردف النبي -ﷺ- فقال لي: "يا غلام! إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك،لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"[(٢)].

## ٣- حرصه -ﷺ- على دعوة الناس من غير قريش:

فعن ربيعة بن عباد الديلي -رضي الله عنه- قال رأيت رسول الله -ﷺ- بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: "أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: أنه صابئ كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٩٢٩) برقم (٤٧٧٠) ومسلم (١١٤) برقم (٢٠٨).

(٢) سبق تخريجه (٣٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥/٤٠٤) برقم (١٦٠٢٣) قال شعيب الأرنؤوط (صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن عبد الرحمن بن أبي الزناد يترل عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح).

وعنه -رضي الله عنه- يقول: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطوف على الناس بمنى في منازلهم، قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: "يا أيها الناس: إن الله -عز وجل- يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً" قال ووراءه رجل يقول: هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم، فسألت من هذا الرجل؟ فقيل: هذا أبو لهب[1].

**٤- ذهابه إلى منازل الناس خاصة في أيام الموسم:**

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم من مني "من يؤويني، من ينصرني؛ حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة" فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه؛ حتى أن الرجل ليرحل من مصر أو من اليمن إلى ذي رحمه فيأتيه قومه، فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتننك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع؛ حتى بعثنا الله من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه؛ حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطرد في جبال مكة، ويخاف، فرحلنا؛ حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة[2].

**٥- حرصه -صلى الله عليه وسلم- على دعوة غير المسلمين في المدينة:**

فعن أنس -رضي الله عنه- قال قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم- لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه

(١) من زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل على مسند أبيه (٤٠٦/٢٥) برقم (١٦٠٢٤)، قال شعيب الأرنؤوط: (صحيح، وهذا إسناد ضعيف).

(٢) سبق تخريجه (٦٢٩).

النبي -ﷺ- وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي -ﷺ- قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله -ﷺ- أطيب ريحا منك[1].

قال النووي -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه النبي -ﷺ- من الحلم والصفح، والصبر على الأذى في الله تعالى، ودوام الدعاء إلى الله تعالى، وتألف قلوبهم)[2].

وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: أن رسول الله -ﷺ- ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله -ﷺ- عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون، والمشركون، واليهود؛ حتى كادوا يتشاورون،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣) برقم (٢٦٩١) ومسلم (٧٤٨) برقم (١٧٩٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/١٥٩).

فلم يزل النبي -ﷺ- يخفضهم؛ حتى سكنوا، ثم ركب النبي -ﷺ- دابته فسار؛ حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي -ﷺ-: "يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي- قال: كذا وكذا" قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله -ﷺ- وكان النبي -ﷺ- وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى[1].

### ٦- دعوته -ﷺ- كبراء اليهود:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: بينما نحن في المسجد؛ إذ خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال: "انطلقوا إلى يهود" فخرجنا معه؛ حتى جئنا بيت المدراس - كبير اليهود- فقام النبي -ﷺ- فناداهم: "يا معشر يهود! أسلموا تسلموا" فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. فقال: "ذلك أريد" ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة فقال: "اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً، فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله"[2].

(١) أخرجه البخاري (٨٦٥) برقم (٤٥٦٦) ومسلم (٧٤٧) برقم (١٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٦) برقم (٦٩٤٤) ومسلم (٧٣٣) برقم (١٧٦٥).

**٧- دعوته-ﷺ - لغلام يهودي:**

فعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان غلام يهودي، يخدم النبي-ﷺ- فمرض، فأتاه النبي -ﷺ- يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: "أسلم" فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم -ﷺ- فأسلم، فخرج النبي-ﷺ- وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"(١).

**٨- حرصه -ﷺ- على هداية من أراد قتله:**

فعن جابر -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي-ﷺ- بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي -ﷺ- فجاء رجل من المشركين، وسيف النبي -ﷺ- معلق بالشجرة، فاخترطه، فقال: تخافني؟ قال: "لا " قال: فمن يمنعك مني؟ قال: "الله"(٢).

وفي رواية: فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله -ﷺ- بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: "الله" قال: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله -ﷺ- وقال: "من يمنعك؟" قال: كن خير آخذ. قال: "تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله" قال: لا، ولكني أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. قال: فخلى رسول الله -ﷺ- سبيله، فأتى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣) برقم (١٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٨٤) برقم (٤١٣٦) ومسلم (٣٢٧) برقم (٨٤٣).

(٣) أخرجه الحاكم: المستدرك (٣/٣١) برقم (٤٣٢٢) وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي.

**٩- حرصه -ﷺ- على حصول الهداية لأولاد من آذاه من الكفار:**

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي -ﷺ- أنها قالت للنبي-ﷺ-: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت - أي: تأمرني بما شئت - إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي -ﷺ-: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً"(١).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي-ﷺ- على قومه ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])(٢).

ويقول بعد ذلك لأمته-ﷺ-: "بَلِّغوا عني ولو آية "(٣).

و(قيل لها آية؛ لدلالتها، وفصلها، وإبانتها، وقال في الحديث: "ولو آية"

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠) برقم (٣٢٣١) ومسلم (٧٤٦) برقم (١٧٩٥).

(٣) فتح الباري (٦/٣١٦).

(٣) سبق تخريجه (٤٤).

أي واحدة؛ ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي، ولو قل؛ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به -ﷺ-)[1].

قال المناوي -رحمه الله-: (" بلغوا عني" أي انقلوا عني ما أمكنكم ليتصل بالأمة نقل ما جئت به" ولو " أي ولو كان الإنسان إنما يبلغه مني أو عني " آية" واحدة من القرآن، وخصها لأنها أقل ما يفيد في باب التبليغ، ولم يقل ولو حديثاً، إما لشدة اهتمامه بنقل الآيات لأنها المعجزة الباقية من بين سائر المعجزات ولأن حاجة القرآن إلى الضبط والتبليغ أشد؛ إذ لا مندوحة عن تواتر ألفاظه، وإما للدلالة على تأكد الأمر بتبليغ الحديث، فإن الآيات مع كثرة حملتها واشتهارها، وتكفل حفظ الله لها عن التحريف واجبة التبليغ، فكيف بالأحاديث، فإنها قليلة الرواة، قابلة للإخفاء والتغير)[2].

ولذلك نجد أن حياة النبي-ﷺ- ما هي إلى دعوة للخلق لهذا الدين، فعن أبى الزبير عن جابر قال: مكث رسول الله -ﷺ- بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ، ومجنة، في المواسم، يقول: "من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة"[3].

وعن أنس: (أن نبي الله -ﷺ- كتب: إلى كسرى، وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله -تعالى- وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي -ﷺ-)[4].

(١) ابن حجر: الفتح (٦/٤٩٨).

(٢) فيض القدير (٣/٢٦٩).

(٣) سبق تخريجه (٦٢٩).

(٤) سبق تخريجه (٦٢٩).

وما إرسال فقهاء الصحابة، وتوجيههم لدعوة الناس إلا في هذا السياق، فعن ابن عباس قال لما بعث النبي -ﷺ- معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس"(١).

عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي -ﷺ- بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا"(٢).

وعن معاذ -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- حين بعثه إلى اليمن فقال: "كيف تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟" قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله -ﷺ-. قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله -ﷺ-؟" قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضربَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسولَ، رسولِ الله -ﷺ- لما يُرضي رسول الله -ﷺ-"(٣)

وكل أولئك يعني أن علاقة المسلم بغيره من أهل الأديان قائم على هذا الأساس -أن الإسلام الدين الحق الخاتم لكل الخلق- وإذا فعل ذلك تحصن

(١) سبق تخريجه (٣١).

(٢) سبق تخريجه (٥٤٣).

(٣) سبق تخريجه (٤٩).

في نفسه؛ لأنه غير محتاج لأفكار الغير وأديانهم، وصارت معاملته للغير معاملة إيجابية فاعلة، قائمة على الأخذ والعطاء والحوار، فهي ليست معاملة آخذة فقط، أو معالجة مجردة عن الدين، وإنما يختل الأمر حين يصبح المرء ضعيف الثقة بما هو عليه من الحق، غير إيجابي في نقله للغير، حينها لا يصبح آمناً فكرياً على نفسه ومجتمعه.

# المبحث الثامن
# المعرفة المشتركة

إن المعرفة معرفتان:

أ- معرفة لها نسب خاص بالمسلمين فقط، وهي المعرفة الشرعية قائمة على الكتاب والسنة.

ب- معرفة لها نسب عام بالإنسانية، وهي المعرفة غير الشرعية، القائمة على ما يتعلق بأمور الدنيا، ويدخل في ذلك العلوم التجريبية، والعلوم الإنسانية، وهذه المعرفة مشتركة بين الناس، ولهذا فإن التزود منها مأمور به شرعاً، والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها.

وهذا التقسيم يلمح في قوله -ﷺ-: "إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، فإذا كان من أمر دينكم فإليّ "[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز. كما يجوز السكنى في ديارهم ولبس ثيابهم وسلاحهم .... فإن المشركين وأهل الكتاب فيهم المؤتمن كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾

(١) أخرجه أحمد (١٩/٢٠) برقم (١٢٥٤٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم) وابن حبان (٢٠١/١) برقم (٢٢) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٧٦٧).

[آل عمران: ٧٥] ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال، وجاز أن يستطب المسلم الكافر إذا كان ثقة نص على ذلك الأئمة كأحمد وغيره؛ إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على ذلك وهو جائز إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك.

فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك)(١).

والانتفاع بالعلوم الدنيوية المباحة يدخل في باب السياسة الشرعية وهي عند فقهائنا: (تدبير شؤون الدولة الإسلامية التي لم يرد بحكمها نص صريح، أو التي من شأنها أن تتغير وتتبدل، بما فيه مصلحة الأمة، وتتفق مع أحكام الشريعة ومقاصدها وأصولها العامة)(٢).

والسياسة تنقسم إلى قسمين: سياسة ظالمة، تحرمها الشريعة، وسياسة عادلة تظهر الحق وتدفع الظلم، وتردع أهل الفساد والانحراف، وتوصِّل إلى مقصود الشرع، وهي التي توجب الشريعة اعتمادها والسير عليها.

والسياسة العادلة من الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها، لأن من مقاصد التشريع تحقيق العدل، وأينما وجد العدل فثم شرع الله يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك: (إذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق

(١) الفتاوى (٤/١١٤-١١٥).

(٢) انظر: عبد العال عطوة: مدخل إلى السياسة الشرعية (٤٧).

كان، فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم، وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة، وأبين أمارة، فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق، أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له.

فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه، ونحن نسميها سياسة تبعا لمصطلحهم، وإنما هي عدل الله ورسوله، ظهر بهذه الأمارات والعلامات)[1].

عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بقوم يلقحون، فقال: "لو لم تفعلوا لصلح" قال فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[2].

فالمعارف الدنيوية مباحة للمسلمين وغيرهم وللمسلمين الانتفاع بها إلا إذا تعارضت مع التشريع، فيمتنع الانتفاع.

ونجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد استفاد من بعض هذه المعارف فحفر الخندق حول المدينة عندما غزها القرشيون أمر ما عرفه العرب من قبل، وإنما استفيد من سلمان الفارسي -رضي الله عنه- عندما استشار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصحابة فأشار عليه سلمان بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة فأمر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبادر إليه المسلمون، وعمل بنفسه فيه[3].

---

(١) الطرق الحكمية (١٣- ١٤).

(٢) سبق تخريجه (٣٠٤).

(٣) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٢٤٠).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: لما أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يكتب إلى الروم، قال: قالوا: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، قال: فاتخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاتماً من فضة، كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نقشه: (محمد رسول الله)[1].

وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة -رضي الله عنها-: يا أمتاه، لا أعجب من فقهك؛ أقول: زوجة نبي الله، وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس؛ أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو، أو ما هو؟ قال: فضربت على منكبه، وقالت: (أي عرية، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثَمَّ)[2].

وعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: "إني والله ما آمن يهود على كتابي" قال: فما مر بي نصف شهر؛ حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم[3].

وعنه -رضي الله عنه- أيضاً قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها أحد، فتحسن السريانية؟" قلت: لا، قال: "فتعلمها" فتعلمتها في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨) برقم (٦٥) ومسلم (٨٦٨) برقم (٢٠٩٢).

(٢) الذهبي: السير (٢/١٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٣٨) برقم (٢٧١٥) وقال (حسن صحيح).

سبعة عشر[1].

وعلى هذا المنهج سار من بعده من الخلفاء في الاستفادة من المعارف والنظم لدى الأمم الأخرى، ومن ذلك:

- ومن ذلك استحداث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والذي يعد المؤسس الحقيقي لفن الإدارة ونظام الحكم في الإسلام - للتاريخ الهجري؛ لتنظيم العمل الإداري للدولة ومعرفة التاريخ كما هو معلوم أمر لابد منه في كل عمل.

- وكذلك استحداث عمر -رضي الله عنه- الدواوين؛ لتنظيم وترتيب أعمال الدولة وبيت مال المسلمين يقول ابن سعد -رحمه الله - عن عمل عمر -رضي الله عنه- وفي كونه أول من (دون الديوان ، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم الأعطية من الفيء)[2].

- كما قام عمر- رضي الله عنه- بتحديد يوماً في السنة يتفقد فيه بيت المال ليأخذه كله ويقسمه بين الناس، وكتب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- (أما بعد: فأعلم يوماً في السنة لا يبقى في بيت المال درهم؛ حتى يكتسح اكتساحاً؛ حتى يعلم الله أني قد أديت إلى كل ذي حق حقه)[3]؟

- واستحدث عمر -رضي الله عنه- نظم إدارية ومنشآت ووظائف لم تكن معروفة من قبل، فمن ذلك: أنه قسم البلاد المفتوحة إلى إمارات وولايات، وأبقى

(١) أخرجه البيهقي: الكبرى (٢١١/٦) برقم (١١٩٧٤) الترمذي (٤٣٨) برقم (٢٧١٥) والحاكم: المستدرك (٤٧٧/٣) برقم (٥٧٨١) وقال (صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيد بن ثابت) ووافقه الذهبي وأحمد (٤٦٣/٣٥) برقم (٢١٥٨٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمع من مولاه زيد بن ثابت).

(٢) الطبقات الكبرى (٢٠٢/٣-٢٠٣).

(٣) نفس المصدر (٢١٨/٣).

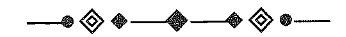
النظم الإدارية والدواوين بلغات أهل البلاد المفتوحة، وقد استفاد من النظم الفارسية و الرومية في ذلك.

- كما استحدث عمر -رضي الله عنه- وظائف في الدولة لم تكن معروفة من قبل لكونها تحقق مصلحة يستفيد منها المسلمين فمنها: وظيفة العاشر الذي يأخذ عشور التجارة، وظيفة عامل الخراج في كل بلد، ووظيفة خازن بيت المال، كما أنشأ دار السجن ، ودار الضيفان(1).

إن الخلل والضرر يقع على الأمن الفكري للأمة، حين تأخذ المعرفة المتعلقة بالدين والشرع من غير المسلمين، أو تختل نظرتها في العلوم التجريبية؛ بإحالة الأمر إلى غير الله عز وجل بنسبة الخلق إلى الطبيعة -مثلاً- أو اختلال التطبيقات للعلوم التجريبية مثل: التداوي بالحرام ونحو ذلك.

كما يختل الأمر في العلوم الإنسانية -وهي من المعارف الإنسانية العامة- حين تقوم على أسس غير شرعية.

وبناءً على ذلك فإن تلقي المعرفة غير الشرعية من الغير أمر لا ينكر، ولكن لا بد من أن يكون تحرير العلوم التجريبية، وصياغة مؤلفاتها منسجماً مع القواعد الشرعية، كما يجب حين صياغة العلوم الإنسانية أن تعرض على القواعد الشرعية، وصياغة هذه العلوم صياغة سليمة في ضوء الإسلام.



(1) لمزيد توسع في هذه النظم انظر: أبو عبيد: الأموال (٤٢٢) وأبو يوسف: الخراج (٣٩-٤٠) البلاذري: فتوح البلدان (٣٩١) وابن فرحون: تبصرة الحكام (٢/٢٢٥) وتاريخ الطبري (ج٣، ج٤) والماوردي: الأحكام السلطانية، والجهشياري: الوزراء والكتاب.




وفيه خمسة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الجهل.

المبحث الثاني: سوء القصد.

المبحث الثالث: سوء الفهم.

المبحث الرابع: اتباع الهوى.

المبحث الخامس: الجدل.

المبحث السادس: الحسد.

المبحث السابع: الكبر.

المبحث الثامن: الاغترار بالكثرة.

المبحث التاسع: البغي على الخلق.

المبحث العاشر: التعصب.

المبحث الحادي عشر: كيد المبطلين، وعداوتهم للحق.

المبحث الثاني عشر: إدعاء علم الغيب.

المبحث الثالث عشر: سوء الظن.

المبحث الرابع عشر: زلل اللسان.

المبحث الخامس عشر: التقليد.

# المبحث الأول
# الجهل

الجهل أمر مذموم من كل الخلق ؛ ولهذا يقول علي -رضي الله عنه-: "كفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه"(١).

إن الجهل موت، وصاحب الجهل ميت، وإن كان حياً يمشي بين الأحياء، فالجهل موت لأهله كما قيل:

(وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم فليس لهم حتى النشور نشور

فإن الجاهل ميت القلب والروح وإن كان حي البدن، فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

(١) المناوي: فيض القدير (١/٥٢).

وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور فإنهم قد ماتت أرواحهم وصارت أجسامهم قبوراً لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومهما فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان ولم تتحرك له كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيها لموتها بموت البدن بل ذلك موت القلب والروح.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد[1] من كلام لقمان أنه قال لابنه: (يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل القطر)[2].

إن الجهل سبب في وقوع كل المعاصي فـ (المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته فإنه إذا كان عالما بمضرتها وهو غني عنها امتنع أن يفعلها والجهل أصله عدم والحاجة أصلها العدم.

فأصل وقوع السيئات منه عدم العلم والغنى ولهذا يقول في القرآن: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠] إلى نحو هذه المعاني)[3].

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: (الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول عمل قبيح ومن وصفه الجهل والظلم لا مطمع في استقامته واعتداله البتة فيوجب

---

(١) الزهد (١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٦١ - ٣٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/٢٢ - ٢٣).

له ذلك بذل الجهد في العلم النافع الذي يخرجها به عن وصف الجهل والعمل الصالح الذي يخرجها به عن وصف الظلم ومع هذا فجهلها أكثر من علمها وظلمها أعظم من عدلها)[1].

ويقول -رحمه الله- أيضاً: (وأما السيئات فمنشأها من الجهل والظلم؛ فإن العبد لا يفعل القبيح إلا لعدم علمه بكونه قبيحاً، أو لهواه وشهوته مع علمه بقبحه، فالأول جهل والثاني ظلم، ولا يترك حسنة إلا لجهله بكونها حسنة، أو لرغبته في ضدها لموافقته هواه وغرضه، وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل، وإلا فلو كان علمه تاماً برجحان ضررها لم يفعلها فإن هذا خاصة الفعل؛ فإنه إذا علم أن إلقاءه من مكان عال يضره لم يقدم عليه، وكذلك لبثه تحت حائط مائل، وإلقاءه نفسه في ماء يغرق فيه وأكله طعاماً مسموماً، ولا يفعله لعلمه التام بمضرته الراجحة بل هذه فطرة الله عليها الحيوان بهيمة وناطقة، ومن لم يعلم أن ذلك يضره كالطفل والمجنون والسكران الذي انتهى سكره فقد يفعله، وأما من أقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر، فلا بد أن يقوم بقلبه أن منفعته له راجحة، ولا بد من رجحان المنفعة عنده إما في الظن وإما في المظنون.

ولو جزم راكب البحر بأنه يغرق ويذهب ماله لم يركب أبداً، بل لا بد من رجحان الانتفاع في ظنه وإن أخطأ في ذلك، وكذلك الذنوب والمعاصي، فلو جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن أنه يسلم ويظفر بالمال، وكذلك القاتل والشارب والزاني، فلو جزم طالب الذنب بأنه يحصل له

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٠).

الضرر الراجح لم يفعله، بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه أو لا يجزم بعقوبته، بل يرجو العفو والمغفرة، وأن يتوب ويأتي بحسنات تمحو أثره)[1].

فالجهل هو أصل فساد الدين؛ ولهذا قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: (من عبد الله بجهل أفسد أكثر مما يصلح)[2].

فالعبادة لا تصح إلا عن علم؛ فالجهل لا ينفع معه قليل العمل ولا كثيرة؛ لأن العلم هو المصحح للعمل والناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون فلا تصح إذا عبادة جهل فاعلها صفات أدائها ولم يعلم شروط إجزائها[3].

لذلك كان الجهل سبباً للوقوع في الابتداع، فبسببه خرج الخوارج على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وعنهم قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ليسوا ممن يتعمد الكذب، بل هم معروفون بالصدق؛ حتى يقال إن حديثهم من أصح الحديث، لكنهم جهلوا وضلوا في بدعتهم، ولم تكن بدعتهم عن زندقة وإلحاد، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب)[4].

و(الجهل نوعان:

- عدم العلم بالحق النافع.
- وعدم العمل بموجبه ومقتضاه.

فكلاهما جهل لغة وعرفاً، وشرعاً وحقيقة.

---

(١) شفاء العليل (١٧٠ - ١٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٨١).

(٣) ينظر: فيض القدير (٢/٢٧).

(٤) منهاج السنة النبوية (١/٦٨).

قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لما قال له قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] أي: من المستهزئين.

وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: من مرتكبي ما حرمت عليهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[النساء: ١٧].

قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله -ﷺ- أن كل ما عصى الله به فهو جهالة.

وقال غيره: أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- أن كل من عصى الله فهو جاهل.

وقال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمى عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجاهل، وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله)[1].

وهكذا وقع المبتدعة في البدع والضلالات بسبب جهلهم، وهل ظهرت القدرية والخوارج والشيعة إلا بسبب الجهل؛ فبالجهل أثرت عليهم الشبهات والشكوك، ففارقوا جماعة المسلمين وكفروا صحابة خير المرسلين؛ وذلك لأنهم نظروا في بعض آيات التنزيل وتركوا بعضها، أو لأنهم نزلوا آيات الكتاب في غير موضعها ؛ لجهلهم بأسباب التنزيل.

و(الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص

(١) مدارج السالكين (١/٤٦٩ - ٤٧٠).

الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع.

ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي؛ قال: خلا عمر ذات يوم؛ فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس؛ فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال: ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره؛ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال؛ فعرفه فأرسل إليه؛ فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه)[1].

وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبين بما هو أقرب.

فقد روى ابن وهب عن بكير؛ أنه سأل نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر -رضي الله عنهما- في الحرورية؟ قال: (يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[2].

فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس -رضي الله عنهما- عليه، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن.

(١) أخرجه الخطيب: الجامع لأخلاق: برقم (١٥٨٧) والبيهقي: شعب الإيمان (٢/٤٢٥) برقم (٢٢٨٣).

(٢) رواه البخاري معلقاً عن ابن عمر صحيفة (١٣٢٢) ولكن بدون ذكر السؤال، وقال ابن حجر (وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار... وسنده صحيح) الفتح (١٢/٢٨٦).

لقد كان جهل الخوارج أظهر أسباب انحرافهم، فقد جهلوا القرآن، ولم يفهموه.

يقول الرسول -ﷺ- في وصفهم: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"[(١)].

أي: أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن، وإقرائه وهم لا يتفقهون فيه، ولا يعرفون مقاصده.

قال النووي -رحمه الله-: (المراد أنهم ليس لهم منه حظ إلا مروره على لسانهم لا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم؛ لأن المطلوب تعقله، وتدبره بوقوعه في القلب)[(٢)].

وعدم فهمهم للقرآن يجعلهم يأخذون آيات نزلت في الكفار، فيحملونها على المسلمين، فقد قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في الخوارج: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين)[(٣)].

ومن مظاهر عدم فهمهم للقرآن اتباع متشابهه، كاستشهاد الخوارج على إبطال التحكيم بقول الله سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

فالمعنى المأخوذ من الآية صحيح في الجملة، وأما على التفصيل، فيحتاج إلى بيان، ولذلك رد عليهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: (كلمة حق أريد بها باطل)[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه (٩٠).

(٢) نقلاً عن ابن حجر: الفتح (١٢/٢٩٣) ولم أجده في شرح النووي على مسلم، وينظر في معنى هذه الجملة شرح النووي، ورأي القاضي عياض في ذلك (٧/١٥٩).

(٣) سبق تخريجه: آنفاً.

(٤) سبق تخريجه (٥٢١).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا لله، انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها)[1].

ويؤدي بهم هذا القصور في فهم القرآن إلى الخروج عن السنة، وجعل ما ليس بسيئة سيئة، وما ليس بحسنة حسنة، فهم إنما يصدقون الرسول فيما بلغه من القرآن، دون ما شرعه من السنة التي تخالف -بزعمهم ظاهر القرآن[2].

وما كان اعتراض الرجل على قسمة النبي -ﷺ- إلا من هذا القبيل، فقد خرج عن السنة، وجعل ما ليس بسيئة سيئة (وهذا القدر -أي: تحسين القبيح، وتقبيح الحسن- قد يقع فيه بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل، لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة)[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة إجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، كالخوارج المارقين الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفروا من خالفهم؛ حتى كفروا عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومن والاهما من المهاجرين والأنصار، وسائر المؤمنين)[4].

وفي قصة الرجل الذي أصابه حجر فشده في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة،

---

(١) الفتح (٦/٦١٩).

(٢) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (١٩/٧٣).

(٣) المصدر نفسه (١٩/٧٢).

(٤) الرد على البكري (٢/٢٥٥).

وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما أخبر النبي -ﷺ- بذلك قال: "قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال"(١) الحديث.

قال الخطابي -رحمه الله-: (في هذا الحديث من العلم أنه عابهم بالفتوى بغير علم وألحق بهم الوعيد بأن دعا عليهم، وجعلهم في الإثم قتلة له)(٢).

(وروي أن مروان أرسل بوابه إلى ابن عباس، وقال: قل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا؛ لنعذبن أجمعون.

فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما دعا النبي -ﷺ- يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾ إلى قوله: ﴿ظُهُورِهِمْ . وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٧-١٨٨](٣).

فهذا السبب بين أن المقصود من الآية غير ما ظهر لمروان)(٤).

وعن مسروق قال: جاء إلى عبد الله بن مسعود رجل، فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه، يفسر هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان، فيأخذ بأنفاسهم؛ حتى يأخذهم منه

(١) سبق تخريجه (٣٦٥).

(٢) العظيم آبادي: عون المعبود (١/٣٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨٦٦) برقم (٤٥٦٨) ومسلم (١١١٨) برقم (٢٧٧٨).

(٤) الشاطبي: الموافقات (٤/١٤٨- ١٤٩).

كهيئة الزكام.

فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم.

إنما كان هذا أن قريشاً لما استعصت على النبي -ﷺ- دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط، وجهد حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان؛ من الجهد، وحتى أكلوا العظام فأتى النبي -ﷺ- رجل فقال: يا رسول الله استغفر الله لمضر، فإنهم قد هلكوا، فقال: "لمضر؟ إنك لجريء" قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥][1].

من هذه القصة يتبين كيف يضل الجهل صاحبه؛ حتى ينزل الآيات في غير تنزيلها، ويقول على الله ما لا يعلم.

ويتبين أيضاً كيف كان السلف ينكرون على أصحاب الجهل جهلهم، ويحذرونهم أن يقولوا ما لا يعلمون ؛ فالقول على الله بلا علم من أشد المحرمات تحريماً، وأعظمها إثماً.

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦) برقم (٤٨٢٢) ومسلم (١١٢٥) برقم (٢٧٩٨).

# المبحث الثاني
# سوء القصد

إن سوء القصد إذا ابتلي به الإنسان إنحدر به إلى منحدرات صعبة، فتراه لا يقف شيء أمامه إلا وأبعده؛ ليوافق مقصدة وهواه، فهو يؤول كل شيء ليوافق ذلك المقصد والهوى، وصاحب هذه البلية من أشد الناس تأويلاً.

يقول ابن القيم -رحمه الله- وهو يذكر أصناف المتأولين: (وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشد انحرافاً.

فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق.

ومنهم من يكون تأويله لنوع هدى من غير شبهة بل يكون على بصيرة من الحق ومنهم من يجتمع له الأمران الهوى في القصد والشبهة في العلم)(١).

ومن سوء القصد نشأت كثير من المذاهب الفاسدة؛ ولهذا لما كانت مقاصد الصحابة سليمة لم ينشأ فيهم شيء من تلك المذاهب الفاسد الرَّدية، ولم (يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر، ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف لا مشهور ولا شاذ، فلما حدث بعد انقضاء

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٢٥١).

عصرهم من ساء فهمه وساء قصده وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد، وقد يجتمعان وقد ينفردان وإذا اجتمعا تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرم الله منهم.

وإذا تأملت أصول المذاهب الفاسدة رأيت أربابها قد اشتقوها من بين هذين الأصلين وحملهم عليها منافسة في رياسة أو مال، أو توصل إلى عرض من أعراض الدنيا.

تخطبه الآمال وتتبعه الهمم، وتشرئب إليه النفوس فيتفق للعبد شبهة وشهوة، وهما أصل كل فساد، ومنشأ كل تأويل باطل.

وقد ذم الله سبحانه من اتبع الظن وما تهوى الأنفس فالظن الشبهات وما تهوى الأنفس الشهوات، وهما اللذان ذكرهما في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩].

فذكر الاستمتاع بالخلاق، وهو التمتع بالشهوات وهو نصيبهم الذي آثروه في الدنيا على حظهم من الآخرة.

فالخوض الذي اتبعوا فيه الشبهات فاستمتعوا بالشهوات، وخاضوا بالشبهات فنشأ عنهما التفرق المذموم الذي ذم الله أهله في كتابه ونهى عباده المؤمنين عن التشبه بهم، فقال ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٦].

وقد بين النبي -ﷺ- أن سيء القصد محروم من نعيم وجزاء الآخرة، فقال: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك؛ حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم؛ ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثمَّ أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار"[1].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (هذا الحديث فيه دليل على أن فعل الطاعات العظيمة مع سوء النية من أعظم الوبال على فاعله، فإن الذي أوجب سحبه في النار على وجهه هو فعل تلك الطاعة المصحوبة بتلك النية الفاسدة، وكفى بهذا رادعا لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد اللهم إنا نسألك صلاح

(١) سبق تخريجه (١٦١).

النية، وخلوص الطوية)[1].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من تعلَّم علماً مما يُبتَغى به وجه الله -عز وجل- لا يتعلَّمُه إلاَّ ليصيب به عرضاً من الدُّنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّة - يعني: ريحها- يوم القيامة"[2].

وعن كعب بن مالك -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-قال: "من طلب العلم ليُمارِي به السُّفهَاء، أو يُجاري به العُلماء، أو يَصرِفَ به وجوه النَّاس إليه أدخله الله النَّار"[3].

قال المباركفوري -رحمه الله-: (" من طلب العلم" أي: لا لله بل "ليجاري به العلماء" أي: يجري معهم في المناظرة والجدال؛ ليظهر علمه في الناس رياءً وسمعه كذا في المجمع.

"أو ليماري به السفهاء" جمع السفيه: وهو قليل العقل، والمراد به: الجاهل أي: ليجادل به الجهال، والمماراة من المرية، وهي الشك، فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه، ويشككه مما يورد على حجته، أو من المرى وهو مسح الحالب ليستنزل ما به من اللبن، فإن كلا من المتناظرين يستخرج ما عند صاحبه كذا حققه الطيبي

"ويصرف به وجوه الناس إليه" أي: يطلبه بنية تحصيل المال والجاه: وإقبال العامة عليه)[4].

(١) نيل الأوطار (٨/٢٢).

(٢) سبق تخريجه (١٦١).

(٣) سبق تخريجه (١٦١).

(٤) تحفة الأحوذي (٧/٣٤٦).

وسبب هذا الجزاء مع توفر العلم والأعمال لديهم أنهم بنوا أعمالهم على القصد السيئ (والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين)(١).

إن صاحب القصد السيئ مذموم؛ لأنه كائد ماكر مخادع، و(المكر والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم، ولا من جهة القدرة؛ فإن العلم والقدرة من صفات الكمال، وإنما يذم من جهة سوء القصد، وفساد الإرادة، وهو أن الماكر المخادع يجور، ويظلم بفعل ما ليس له فعله، أو ترك ما يجب عليه فعله)(٢).

ويقع المكر والخداع في القضايا العلمية والفكرية، كما يقع في القضايا العملية، لذلك جاء في الحديث: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"(٣).

وعن شداد بن أوس قال: قال نبي الله -ﷺ-: "إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين"(٤).

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: ("الأئمة المضلين" أئمة الشر، وصدق النبي -ﷺ- إن أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضلون؛ كرؤساء الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم.

والمراد بقوله: "الأئمة المضلين": الذين يقودون الناس باسم الشرع،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٥١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٣).

(٣) سبق تخريجه (٦١٨).

(٤) سبق تخريجه (٦١٨).

والذين يأخذون الناس بالقهر والسلطان؛ فيشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوة له)[1].

وأعداء المسلمين عموماً عندهم هذا الداء العضال تجاه الإسلام؛ فلسوء قصدهم يريدون هدم الإسلام، وإثارة الشبهات حوله، والتنفير عنه بشتى الوسائل، وما قصة أصحاب مسجد الضر عنا أذهاننا ببعيد، فقد بين القرآن الكريم فساد قصدهم، وسوء طويتهم لرسوله -ﷺ- فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين)[2].

وقد فضح الله سبحانه وتعالى الزائغين الذين ساءت مقاصدهم، وبين أنهم يتتبعون المتشابه لغرض الفتنة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: في تفسير الآية: (أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد)[3].

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/٤٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٥١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٢٢).

(فمن اتبع المتشابه ابتغى الفتنة وابتغى تأويله، والأول قصدهم فيه فاسد، والثاني ليسوا من أهله، بل يتكلمون في تأويله بما يفسد معناه؛ إذ كانوا ليسوا من الراسخين في العلم، وإنما الراسخ في العلم الذي رسخ في العلم بمعنى المحكم، وصار ثابتاً فيه لا يشك ولا يرتاب فيه بما يعارضه من المتشابه، بل هو مؤمن به)[1]

أما الزائغون لسوء قصد (فإنهم يقصدون المتشابه يبتغون تأويله، ولا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم، وليسوا منهم، وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق وهذا وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

فإن المعنى بقوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ فهم القرآن يقول: لو علم الله فيهم حسن قصد وقبولاً للحق؛ لأفهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الإيمان، وقبول الحق لسوء قصدهم، فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قلوبهم زيغ، هم مذمومون بسوء القصد، مع طلب علم ما ليسوا من أهله)[2].

(١) ابن تيمية: مجموع فتاوى (٤١٧/١٦).

(٢) المصدر نفسه (٤٠٥/١٧).

# المبحث الثالث
# سوء الفهم

في رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: (الفهم، الفهم فيما أُدلي إليك، وفيما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، ثم اعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق)[1].

إن (صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى)[2].

۞ ۞ ۞

(١) سبق تخريجه (٢٣٥).

(٢) إعلام الموقعين (١/٨٧).

وفي المقابل فإن سوء الفهم داء مميت، وهو أثر من آثار قسوة القلب، والله تعالى قد (جعل بعض القلوب مخبتاً إليه وبعضها قاسياً، وجعل للقسوة آثاراً وللإخبات آثاراً، فمن آثاره القسوة تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم وسوء القصد، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب، ومنها نسيان ما ذكر به وهو ترك ما أمر به علماً وعملاً)[1].

و(سوء الفهم عن الله ورسوله -ﷺ- أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده، وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله والله المستعان.

وهل أوقع القدرية والمرجئة، والخوارج والمعتزلة، والجهمية والرافضة، وسائر الطوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله -ﷺ- حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الإفهام، والذي فهمه الصحابة، ومن تبعهم عن الله ورسوله -ﷺ- فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأساً... وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول، وأما من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول -ﷺ- على ما اعتقده وانتحله، وقلد فيه من أحسن به الظن، فليس يجدي الكلام معه شيئاً فدعه وما اختاره لنفسه، ووله ما تولى، واحمد الذي عافاك مما ابتلاه به)[2].

وقد وقع سوء الفهم في عهد النبي -ﷺ- وقد كان ذلك مجتمعاً مع سوء

(١) شفاء العليل (١/١٠٦).

(٢) الروح لابن القيم (٦٣).

قصد في أحيان، وفي أحيان أخرى مع سلامة القصد ومن ذلك:

عن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال بينا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقسم ذات يوم قسماً، فقال ذو الخويصرة -رجل من بني تميم-: يا رسول الله اعدل، قال: "ويلك، من يعدل إذا لم أعدل"، فقال عمر: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: "لا، إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافِه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجدُ فيه شيء، سبق الفَرثَ والدَّمَ، يخرجون على حين فرقة من الناس، آيتهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر"[1].

وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكرت له ذلك، فقال: "إنما ذلك سواد الليل، وبياض النهار"[2].

وعن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فكان رجال إذا أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض، والخيط الأسود، ولم يزل يأكل؛ حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾

(١) سبق تخريجه (٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤) برقم (١٩١٦) ومسلم (٤٢٢) برقم (١٠٩٠).

فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار[1].

إن سوء الفهم كان سبباً لظهور الفرقة في الأمة، فالخوارج ما هم إلا نتاج لسوء الفهم، وقد أشار النبي -ﷺ- إلى ذلك.

فعن سويد بن غفلة قال: قال علي: إذا حدثتكم عن رسول الله -ﷺ- حديثا فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهم من الرَّمِيَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجِرَهُمْ، فأينما لقيتموهم فاقتُلُوهم، فإنَّ في قتلهم أجرٌ لمن قتلَهم يوم القيامة"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام" معناه صغار الأسنان صغار العقول)[3].

وقال ابن حجر-رحمه الله-: (وقوله: "حدثاء الأسنان" أي: صغارها، و"سفهاء الأحلام" أي: ضعفاء العقول)[4].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (والأسنان جمع سن، والمراد به العمر، والمراد أنهم شباب. قوله: "سفهاء الأحلام" جمع حِلم بكسر أوله، والمراد به العقل، والمعنى أن عقولهم رديئة)[5]

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤) برقم (١٩١٧) ومسلم (٤٢٣) برقم (١٠٩١).

(٢) سبق تخريجه (٥١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦٩/٧).

(٤) فتح الباري (٦١٩/٦).

(٥) المصدر نفسه (٢٨٧/١٢).

وقال -رحمه الله- أيضاً: (وقوله: "يقولون من قول خير البرية" أي: من القرآن وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: (لا حكم إلا الله) وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محملها)(1).

ومما جاء في وصف الخوارج قول النبي -ﷺ-: "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"(2).

و المراد كما قال العلماء: أنهم ليس لهم حظ في كتاب الله، إلا مرروه على لسانهم لا يصل إلى حلوقهم، فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم وعقولهم؛ لأن المطلوب تعقله، وتدبره بوقوعه في القلب(3).

قال الشاطبي -رحمه الله-: (ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمى؛ لأن رسول الله -ﷺ- وصفهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعنى -والله أعلم- أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم، ومن لا يفهم)(4).

و الانحراف في الغلو من أسبابه الرئيسة سوء فهم لنصوص الشرع، وحملها على غير مراد الشارع الحكيم، ففي الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي -ﷺ- يسألون عن عبادته ، فلما

---

(1) المصدر نفسه (٦/٦١٩).

(2) سبق تخريجه (٩٠).

(3) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم (٧/١٥٩) وابن حجر: الفتح (١٢/٢٩٣).

(4) الاعتصام (٢/٦٩١).

أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي -ﷺ- وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رَسُول اللهِ -ﷺ- فقال: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني!"(١).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: دخل النبي -ﷺ- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي -ﷺ-: "لا. حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"(٢).

وفي هذا الحديث: (الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالاقبال عليها بنشاط)(٣).

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: بينا النبي -ﷺ- يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم فقال النبي -ﷺ-: "مره فليتكلم وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"(٤).

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "هلك

---

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) سبق تخريجه (٥٣٣).

(٣) فتح الباري (٣/٣٧).

(٤) سبق تخريجه (٥٣٣).

المتنطعون" قالها ثلاثاً[1].

قال النووي -رحمه الله-: (أي: المتعمقون الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم، وأفعالهم)[2].

وعن أبي جحيفة عن أبيه -رضي الله عنه- قال: آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صدق سلمان"[3].

إن صحة الأحكام المأخوذة من أحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم- مرتهنة بحسن الفهم لتلك الأحاديث، وحسن الفهم عائد إلى أمرين:

الأول: اللغة التي تكلم بها الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

الثاني: مقصود الرسول-صلى الله عليه وسلم- من تلك الألفاظ (فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعينُ على أن نفقه مراد الله، ورسوله لكلامه، وكذلك معرفة دلالة

---

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/٢٢٠) وانظر: ابن تيمية الفتاوى (٢٢/٢٢٤).

(٣) سبق تخريجه (٥٤١).

الألفاظ على المعاني)[1].

وفهم مراد الشارع بالألفاظ يكون بمعرفة عادته في الخطاب؛ ذلك أن اللفظ يكون له معنى في أصل اللغة، ولكنه في استعمال الشارع يكون منقولاً إلى معنى أخص أو أعم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله -ﷺ-؟ فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث)[2].

ذلك أن (دلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم، وأراده وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداءً، ولكن يعرف المعنى بغير اللفظ؛ حتى يُعلم أولاً أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد بذلك اللفظ، ويعنى به)[3].

**ولقد أتي بعض المبتدعة من سوء فهمهم للنصوص:**

- إما لعدم فهم معاني ألفاظها من جهة اللغة.
- وإما من جهة عدم فهم معانيها في استعمال الشارع.

وقد كان هذا سبباً رئيساً من أسباب ضلال أهل البدع: (إن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله -ﷺ- على ما يدعون انه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك)[4].

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٧/١١٦).
(٢) الفتاوى (٧/١١٥).
(٣) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية (١/٦٥).
(٤) ابن تيمية: الفتاوى (٧/١١٦).

ومن هؤلاء بعض ضلال المعاصرين ممن ذهب إلى أحاديث فحملوها على معاني في أذهانهم لم تكن مقصودة من كلام الرسول-ﷺ- ومن ذلك استدلالهم بالأحاديث الواردة في لزوم الجماعة على وجوب لزوم جماعتهم الخاصة، وحرمة مفارقتها، وتكفير المفارق لها، من مثل قوله: "من فارق الجماعة شبراً، فمات، مات ميتة جاهلية"[(١)].

وهذا خطأ فإن الذي (ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده.

وهي العادة المعروفة من كلامه، ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره، وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو، بل هي لغة قومه، ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه، وخطاب أصحابه، كما يفعله كثير من الناس)[(٢)].

إن من الناس من (يعرضون عن طلب الهدى من الكتاب والسنة، ثم يتكلم كل منهم برأيه ما يخالف الكتاب والسنة، ثم يتأول آيات الكتاب على مقتضى رأيه، فيجعل أحدهم ما وضعه برأيه هو أصول الدين الذي يجب اتباعه، ويتأول القرآن والسنة على وفق ذلك فيتفرقون ويختلفون، كما قال فيهم الإمام أحمد: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على

---

(١) سبق تخريجه (٢٧٥).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (٧/١١٥).

مخالفة الكتاب، ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم)[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (إن الصواب أن يعرف مراد رسول الله -ﷺ- من أقواله وحكمه وعلله التي علق بها الإحكام، فإن الغلط إنما ينشأ من عدم المعرفة بمراده -ﷺ-)[2].

والفقه لا يكون إلا بفهم الأدلة الشرعية بأدلتها السمعية الثبوتية من الكتاب والسنة والإجماع نصاً واستنباطاً[3].

(١) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٦٣).

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى (٤/٦٨).

(٣) ابن تيمية: الاستقامة (١/٦١).

# المبحث الرابع
# اتباع الهوى

الهوى: (ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذى، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهوى والشهوات؛ لعموم غلبة الضرر)[(1)].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (وقد يُطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً، فيدخل فيه الميل إلى الحقِّ وغيره، وربما استُعمِل بمعنى محبة الحقِّ خاصة والانقياد إليه)[(2)].

وجمع الهوى أهواء[(3)].

والمقصود بالهوى شرعاً كل ما خالف الهدى، سواء سمي عقلاً أو غير ذلك.

---

(١) ابن الجوزي: ذم الهوى (١٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٢٢٧).

(٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب (١٥/٣٧٢).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد؛ يجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف سمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم، فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-)[1].

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (إنما سمي هوى؛ لأنه يهوى بصاحبه في النار)[2].

ومعلوم أن الذي بأهله إلى النار هو الإعراض عن الحق والهدى الذي جاء به رسول الله-ﷺ- فكل حكم خالف حكم الله -عز وجل ورسوله محمد -ﷺ- فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل،ومن أحكام الجاهلية لا من حكم العلم والهدى.

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

فأخبر سبحانه أنه: ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى الذي يضل عن سبيله، وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية[3].

وهذه القاعدة متقررة في كثير من آيات التنزيل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ

(١) الاستقامة (٢/٢٢٤-٢٢٥).

(٢) ابن بطة: الإبانة (١٢٤-١٢٥).

(٣) انظر: ابن القيم: الصواعق المرسلة (٣/١٠٤٦).

أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

وأصل الهوى نابع من الحب والبغض، والإرادة والكره (والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض،ووجد وإرادة، وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله، فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه)[1].

وهذه المحبة التي تكون في القلب لا يلام عليها المرء، وإنما يلام على اتباعها.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (ونفس الهوى -وهو الحب والبغض الذي في النفس- لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه)[2].

وإنما (الواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه، ومقدار حبه وبغضه، هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله -ﷺ- بحيث يكون مأموراً بذلك الحب والبغض، ولا يكون متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله)[3] أو هو مخالف لأمر الله ورسوله -ﷺ-.

وإذا بلغ الإنسان في حب شيء أعماه حبه عما عداه، وأصمه عن سماع ما سواه، فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- مرفوعاً: "حبك الشيء؛ يعمي، ويُصمّ "[4].

(١) الاستقامة (٢/٢٢٥).

(٢) الفتاوى (٢٨/١٣٢).

(٣) ابن تيمية: الاستقامة (٢/٢٢٢-٢٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥٣) برقم (٥١٣٠) وأحمد (٣٦/٢٤) برقم (٢١٦٩٤) وقال شعيب الأرنؤوط: (صحيح موقوفاً، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم) والطبراني: الأوسط (٤/٣٣٤) برقم: (٤٣٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله -ﷺ- في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله -ﷺ- ولا يغضب لغضب الله ورسوله -ﷺ- بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه)(١).

والأهواء تكون في الشهوات، والشبهات (واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات، فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين... ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم، فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-.

ولهذا قال الله تعالى في موضع: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩] وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠])(٢).

۞ ۞ ۞

لقد بين الله -عز وجل- أن أصل ضلال الضالين إنما هو اتباع الهوى والظن، والإعراض عن الوحي والعلم فقال:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

(١) منهاج السنة (٥/٢٥٦).

(٢) ابن تيمية: الاستقامة (٢/٢٢٣-٢٢٥).

بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩].

وأصل الضلال: اتباع الظن والهوى، كما قال -تعالى- في حق من ذمهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وهذا وصف للكفار، فكل من له نصيب من هذا الوصف، فله نصيب من متابعة الكفار بقدر ذلك النصيب.

وقال تعالى في حق نبيه -ﷺ-: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤].

فنزهه عن الضلال والغواية، اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه، وأخبر أنه لا ينطق عن هوى النفس، بل هو وحي أوحاه الله إليه، فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى(١).

والبدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء والمعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه(٢)، وإنما كان انحراف أهل الكتاب بسبب معارضة الوحي بالهوى، فاتبعوا أهواءهم وكذبوا الرسل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولما كان اتباع الأهواء بهذه المثابة، وأنه مفتاح شر وباب بدعة وضلالة؛

(١) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٣/٣٨٤).

(٢) انظر: ابن رجب: جامع العلوم (٢/٣٩٧-٣٩٨).

حذرنا الله من سلوك طريق أهل الأهواء، وبين لنا أن من اتبع هواه فقد نزعت عنه ولاية الله ونصرته، وكل إلى هواه الذي اتبعه، وصار من الظالمين:

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وكان تحذير السلف بليغاً من مجالسة أهل الأهواء ومجادلتهم، وعللوا ذلك بأن تكل المجالسة سبيل لمشاركتهم بدعتهم، وتلبيس الحق.

قال أبو قلابة -رحمه الله-: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)(١).

وعن الحسن وابن سيرين -رحمهما الله-: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)(٢).

۞ ۞ ۞

(١) رواه الدارمي (١/٩٠) وابن بطة: الإبانة (٢/٤٣٥).

(٢) رواه الدارمي (١/٩١).

إنه عند التأمل نجد أصحاب الأهواء يستدلون بأدلة شرعية على أهوائهم،وهذا لا يعني أنهم أهل اتباع، ذلك أنهم جعلوا الهوى أصلاً، والدليل تابعاً لذلك الهوى.

إذ إن النصوص الشرعية فيها متشابه، ويمكن تأويلها على أوجه غير المراده في كلام الله ورسوله، فإذا انضم إلى ذلك الجهل بأصول الشريعة، وعدم الاضطلاع بمقاصدها أمكن انقياد ألفاظ تلك الأدلة لما أراده أهل الأهواء فيها.

(والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته.. و لكن إنما ينساق لهم من الأدلة المتشابه منها لا الواضح والقليل منها كالكثير وهو أدل الدليل على اتباع الهوى فإن المعظم والجمهور من الأدلة إذا دل على أمر بظاهره فهو الحق فإن جاء على ما ظاهره الخلاف فهو النادر والقليل فكان من حق الظاهر رد القليل إلى الكثير والمتشابه إلى الواضح غير أن الهوى زاغ بمن أراد الله زيغه فهو في تيه من حيث يظن أنه على الطريق)[(١)].

وإنما سمي أهل البدع أهل الأهواء: (لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها؛ حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك)[(٢)].

**وهؤلاء صنفان:**

- صنف قدموا عقولهم على الشرع، وهم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال

(١) الاعتصام (١/١٧٧-١٧٨).

(٢) المصدر نفسه (١/٦٨٣).

إلى الفلاسفة.

- وصنف قدموا حظوظهم الدنيوية؛ لنيل رئاسة أو حظوة عند ذي سلطان.

فالأولون ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم، والآخرون خرجوا عن الجادة حرصاً على إفادة ولي لهم، أو الغلبة على عدو، أو جر النفع للنفس[1].

وصاحب الهوى يعطف كلام الله -تعالى- ورسوله -ﷺ- على ما يقتضيه هواه، ولذلك قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (إن هذا القرآن كلام الله، فلا يغرنكم ما عطفتموه على أهوائكم)[2].

ولقد قال الله -عز وجل- في أهل البدعة والانحراف: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

(فجعل من شأن المتبع للمتشابه أنه يجادل فيه، ويقيم النزاع على الإيمان، وسبب ذلك أن الزائغ المتبع لما تشابه من الدليل لا يزال في ريب وشك؛ إذ المتشابه لا يعطى بياناً شافياً، ولا يقف منه متبعه على حقيقة، فاتباع الهوى يلجئه إلى التمسك به، والنظر لا يتخلص له، فهو على شك أبداً، وبذلك يفارق الراسخ في العلم؛ لأن جداله إن افتقر إليه فهو في مواقع الإشكال العارض طلباً لإزالته، فسرعان ما يزول إذا بين له موضع النظر.

وأما ذو الزيغ فإن هواه لا يخليه إلى طرح المتشابه، فلا يزال في جدال عليه،

(١) انظر: الشاطبي: الاعتصام (٢/٦٨٤).

(٢) رواه الدارمي (١/٣٧١).

وطلب لتأويله)[1].

ومن علامات أهل البدع: ردّهم ما جاء على خلاف مذهبهم.

قال الشاطبي -رحمه الله-: (وعلامة من هذا شأنه: أن يردّ خلاف مذهبه بما قدر عليه من شبهة دليل تفصيلي أو إجمالي، ويتعصب لما هو عليه غير ملتفت إلى غيره، وهو عين اتباع الهوى، وإذا ظهر اتباع الهوى، فهو المذموم حقاً، وعليه يحصل الإثم، فإن من كان مسترشداً مال إلى الحق حيث وجده ولم يرده، وهو المعتاد في طالب الحق، ولذلك بادر المحققون إلى اتباع رسول الله -ﷺ- حين تبيّن لهم الحق)[2].

ومن علامات أهل الأهواء والانحراف: التعصب لمقدميهم، وعظمائهم، أو فرقهم وجماعاتهم دون دليل من كتاب أو سنة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً، ويبغضون قوماً؛ لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي -ﷺ- وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها)[3].

(وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالى على متابعته ويعادى على ذلك، بل عليه أن يوالى كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى، من جميع

---

(١) الشاطبي: الاعتصام (١/٧٣٩).

(٢) الاعتصام (١/٢١٥).

(٣) الفتاوى (٢٠/١٦٣).

الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحدا بمزيد موالاة ؛ إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه)[1].

ومن علامات أهل الأهواء: القيام لأهوائهم والانتصار لها، بل قد يكون المرء منكراً لمنكر من المنكرات الظاهرة، ولكن إنكاره ذاك مشوب بشائبة من الهوى، فينكر وهو يظن أن ذلك الإنكار للدين، وهو إنما أقامه وأقعده هواه، أو يكون مبدأ أمره الدين، فإذا أوذي أراد الانتصار لنفسه.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (إن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره به، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً، ثم إذا رُدَّ عليه ذلك، وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ، وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي)[2].

والناس في ذلك أقسام ثلاثة:

**الأول**: قوم لا يقومون إلا لهوى فى نفوسهم فلا يرضون إلا بما يعطونه، ولا يغضبون إلا لما يحرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهيه زال غضبه، وصار الأمر الذي كان عنده منكراً مرضياً عنده، بل صار فاعلاً له وشريكاً فيه.

**الثاني**: قوم يقومون ديانة، ولله -عز وجل- مخلصين، لله مصلحين فيما

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١١/٥١٢).

(٢) منهاج السنة (٥/٢٥٤-٢٥٥).

عملوه، ويستقيم لهم ذلك حتى يصبروا على ما أوذوا.

**الثالث:** قوم يجتمع فيهم هذا وهذا، وهم غالب المؤمنين فمن فيه دين، وله شهوة تجتمع فى قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية، وربما غلب هذا تارة، وهذا تارة.

وإبان الفتن يكثر هذا النوع، فإنه لما كان آخر خلافة عثمان وخلافة علي -رضي الله عنهما- كثر هذا القسم، فنشأت الفتنة التي سببها عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من الهوى مع أن كلا منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومع هذا التأويل نوع هوى، ففيه نوعٌ من الظن وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى[(١)].

ومن خصائص هذه الأهواء: أنها تتمكن من نفوس أصحابها، وتكاد تدخل في كل عرق ومفصل كما قال النبي -ﷺ-: "وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق، ولا مفصل إلا دخله"[(٢)].

قال الشاطبي -رحمه الله-: (إن معنى هذه الرواية: أنه -عليه الصلاة والسلام- أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم؛ حتى لا يمكن في العادة انفصالها عنها وتوبتهم منها، على حد ما يداخل داءُ الكلب جسم

(١) انظر: ابن تيمية: الفتاوى (٢٨/١٤٧-١٤٩).

(٢) سبق تخريجه (١٦٥).

صاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج، ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه، وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه)[1].

ومثَّل لذلك ببعض المتقدمين من أهل الأهواء، كمعبد الجهني، وعمرو ابن عبيد.

وقال -رحمه الله- أيضاً: (فإنهم كانوا حيث لُقُوا مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تمادياً على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة: ٤١])[2].

(فأهل الأهواء إذا استحكمت فيهم أهواؤهم، لم يبالوا بشيء، ولم يعدوا خلاف أنظارهم شيئاً، ولا راجعوا عقولهم مراجعة من يتهم نفسه، ويتوقف في موارد الإشكال -وهو شأن المعتبرين من أهل العقول- وهؤلاء صنف من أصناف من اتبع هواه، ولم يعبأ بعذل العاذل فيه، ثم أصناف أخر تجمعهم مع هؤلاء إشراب الهوى في قلوبهم؛ حتى لا يبالوا بغير ما هو عليه)[3].

ويصبح أهل البدعة وإن بعدوا عن الحق يعتقد كل منهم أن الحق معه، وأنه على السنة لما أشربوا من أهوائهم، فصار كثير من أهل الأهواء ينتصر

(١) الاعتصام (٢/٧٧٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/٧٧٩).

(٣) الشاطبي: الاعتصام (٢/٧٨١).

لجاهه، أو رئاسته، أو فرقته وما نسب إليهم، ومن نسب إليهم، لا يقصد أن تكون كلمة الله هي العليا، بل يغضب على من خالفه، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضى عمن وافقه وإن كان جاهلاً سيء القصد، فيحمد ما لم يحمده الله، ويذم من لم يذمه الله، ويوالي ويعادي على أهواء نفسه[1].

ولقد بين الله -عز وجل- لنا: (أن من الناس من يتخذ إلهه هواه، أي: يجعل ما يألهه ويعبده هو ما يهواه، فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده، ولهذا ينتقل من إله إلى إله كالذي ينتقل من محبوب إلى محبوب إذا كان لم يحب بعلم وهدى ما يستحق أن يحب، ولا عبد من يستحق أن يعبد، بل عبد وأحب ما أحبه من غير علم، ولا هدى، ولا كتاب منزل، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]. وقال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رماه وعبد الآخر.

وقال الحسن البصري: ذاك المنافق نصب هواه فما هوي من شيء ركبه.

وقال قتادة: أي والله كلما هوي شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى)[2].

وإذا زاغ صاحب هوى زين له سوء عمله، وظن أنه على حق فتمادى في الضلالة ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤].

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة (٥/٢٥٥).

(٢) ابن تيمية: الرد على الإخنائي (٩٣).

(فصاحب البدعة لما غلب الهوى مع الجهل بطريق السنة؛ توهم أن ما ظهر له بعقله، هو الطريق القويم دون غيره، فمضى عليه، فحاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة، كالمار بالليل على الجادة، وليس له دليل يهديه يوشك أن يضل عنها، فيقع في متابعة [كذا في الأصل ولعل الصواب: متاهة] وإن كان بزعمه يتحرى قصدها، فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها، حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله)[1].

(١) الشاطبي: الاعتصام (١/١٧٦-١٧٧).

# المبحث الخامس
# الجدل

(الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل فإن كان للوقوف على الحق كان محمودًا.

قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النحل: ١٢٥] وإن كان في مرافعة أو كان جدالاً بغير علم كان مذمومًا.

قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[غافر: ٤].

وأصله الخصومة الشديدة وسمي جدلاً لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحكامًا بليغًا على قدر طاقته تشبها بجدل الحبل، وهو إحكام قتله، يقال جادله يجادله مجادلة وجدالا، وعلى هذا التفصيل الذي ذكرته ينزل ما جاء في الجدل من الذم والإباحة والمدح)[1].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (واعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

(١) تهذيب الأسماء (٣/٣٣١).

فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزيل النصوص الواردة في إباحته، وذمه)[1].

**المراد بالجدال والمراء هنا:**

الخصومات ومراجعة الكلام في الدين على أحد الأوجه المذمومة التالية السائقة لأنواع من الانحراف والضلال:

**١- المجادلة في القطعيات:**

لما كان الجدل في أمر يدل على اختلاف المتجادلين في إثبات ذلك الأمر أو نفيه كان الجدل في الأمور القطعية مذموماً، لذلك نعى الله على قوم جادلوا في الله تعالى وآياته، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤].

أي: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها بعد البيان، وظهور البرهان إلا الذين كفروا، وجحدوا آيات الله - عز وجل- فقابلوا الحق بالباطل، وأما الذين آمنوا فيخضعون للحق؛ ليدحضوا به الباطل[2].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [غافر: ٣٥].

(أي: الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة

(١) الأذكار (٣٧٠-٣٧١)

(٢) انظر: الطبري: جامع البيان (٢٤/٤٢) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٦/١٢٣) وابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٧/٤٩).

معهم من الله، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت)[1]؛ لأنهم (يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلاً)[2].

وعلى هذا النوع من الجدل المذموم يحمل ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن المراء في القرآن كفر"[3].

وفي رواية عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول اللهَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "نزل القرآن على سبعة أحرفٍ، المِراءُ في القرآن كُفْرٌ -ثلاث مرَّاتٍ- فما عرفتُمْ منه، فاعملُوا وما جهِلتم منه، فردُّوهُ إلى عالِمِهِ"[4].

قال ابن حبان- رحمه الله-: (إذا مارى المرء في القرآن أداه ذلك - إن لم يعصمه الله - إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق -صلى الله عليه وسلم- اسم الكفر الذي هو الجحد على بداية سببه الذي هو المراء)[5].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (والمعنى: أن يتمارى اثنان في آية يجحدها

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١٣٩/٦)

(٢) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٧٣٧).

(٣) سبق تخريجه (٤٠١).

(٤) أحمد (٣٦٩/١٣) برقم (٧٩٨٩) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٥) صحيح ابن حبان (٤٣٢/٦).

أحدهما، أو يصير فيها إلى الشك، فذلك هو المراء الذي هو الكفر)[1].

٢- المجادلة بغير علم:

يقول الله -عز وجل-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحج: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨].

وفي هذا الذم لقوم يخاصمون بغير علم، ويجادلون بغير هدى فيما ليس معهم فيه دليل، ولا برهان، وكتاب منير، فلا عقل صحيح، ولا نقل صريح، بل مجرد الرأي والهوى.

وهذا حال أهل الانحراف والضلال المعرضون عن الحق، المتبعون للباطل يتركون ما أنزل الله على رسوله -ﷺ- من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة والزيغ الدعاة إلى البدع والآراء وأشباههم[2].

إنه لا بد في الجدال المحمود من: علم، وسلطان، وهدى، وكتاب منير، وإلا فلن يصل الجدال بالمتجادلين إلى لمزيد انحراف وضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم، فلكل واحد منهم عقل)[3].

إن المجادلة بغير علم تفتح أبواباً عظيمة من الفساد على المجادِل

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٩٢).

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان (١٧/ ١٢٠)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦١٨).

(٣) درء التعارض (١/ ٢٢٩) وينظر: الفتاوى (٢٠/ ١٦٣).

والمجادَل؛ إذ تفح لهم إشكالات وشبه لا يستطيعون دفعها، فربما وقعت في أنفسهم موقعاً لا يستطيعون إزالته.

لذلك نجد أن أهل العلم ينهون المجادلون بغير علم الضعفاء في العلم بالحجة وجواب الشبهة من الرد على أهل الضلال والانحراف فيخافون (عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره، ويضر المسلمين بلا منفعة)[1].

**٣- الجدال فيما لا يطلب من الإنسان معرفته:**

إن القدر الذي يحتاجه المرء من العلوم والمعارف الشرعية جاء في القرآن والسنة بما يكفي ويشفي، فما من امرئ يتطلب أمراً زائداً على ما أوتي إلا فتن وانحرف، ذلك أن الله تعالى سكت عن أشياء من غير نسيان رحمة بالعباد.

عن أبي ثعلبة الخشني -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم، ولكن رحمة منه لكم فاقبلوا، ولا تبحثوا فيها"[2].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتنازع فى القدر فغضب؛ حتى احمر وجهه؛ حتى كأنما فقىء فى وجنتيه الرمان فقال:

(١) ابن تيمية: درء التعارض (١٧٣/٧).

(٢) الحاكم: المستدرك (١٢٩/٤) برقم (٧١١٤)، والدارقطني (١٨٣/٤) برقم ( ٤٢)، والبيهقي: الكبرى (١٢/١٠) برقم (١٩٥١٠)، والطبراني: الكبير (٢٢١/٢٢) برقم (٥٨٩)، وحسنه النووي: بستان العارفين (٢٤)، وصححه ابن القيم: إعلام الموقعين (١٩٠/١)، وصححه ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢٠٧/٣)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص: برقم (٧١١٤).

"أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"[1].

قال المباركفوري-رحمه الله-: (وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى وطلب سره منهي، ولأن من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قدرياً، أو جبرياً، والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سر ما لا يجوز طلب سره)[2].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم"[3].

## ٤- الجدال فيما لا يمكن العلم به:

وهو الجدال في المتشابه بنوعيه، وهما:

١- نوع استأثر الله بعلمه وهو المتشابه الحقيقي.

٢- نوع يعلمه العلماء، وهو المتشابه النسبي.

ومن يجادل في المتشابه الحقيقي، أو يجادل في المتشابه النسبي وهو غير عالم به فقد وقع في المحذور.

عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(١) سبق تخريجه (٥٥١).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/٣٣٥).

(٣) سبق تخريجه (٢٦١).

﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ إلى قوله ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله -ﷺ-: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم"(١).

وإذا وجب وقع الخلاف في المتشابه وجب رده إلى عالمه، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله -ﷺ- جلوساً عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها؛ حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله -ﷺ- مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب، ويقول: "مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه"(٢).

### ٥- المجادلة فيما يسع فيه الخلاف:

إذا كان الخلاف في أمر يسع فيه الخلاف، وكان المختلفان كلاهما محسن لم يسغ لهما أن يتجادلا فيختلفا، فيهلكا.

عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: بينما نحن نتذاكر عند باب رسول الله -ﷺ- القرآن، ينزع هذا بآية وهذا بآية، فخرج علينا رسول الله -ﷺ- فكأنما صب على وجهه الخل، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "يا هؤلاء، لا تضربوا كتاب

---

(١) سبق تخريجه (٤٠).

(٢) سبق تخريجه (٤٣).

الله تعالى بعضه ببعض، فإنه لم تضل أمة إلا أوتوا الجدل"[1].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت من النبي -صلى الله عليه وسلم- خلافها، فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "كلاكما محسن" قال شعبة أظنه قال: "لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا"[2].

قال ابن بطال -رحمه الله-: ("كلاكما محسن" فدل أنه لم ينهه عما جعله فيه محسنا، وإنما نهاه عن الاختلاف المؤدى إلى الهلاك بالفرقة فى الدين)[3].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف والنهي عن المراء في القرآن بغير حق، ومن شر ذلك أن تظهر دلالة الآية على شيء يخالف الرأي، فيتوسل بالنظر وتدقيقه إلى تأويلها، وحملها على ذلك الرأي، ويقع اللجاج في ذلك والمناضلة عليه)[4].

وعن جندب -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم، فقوموا عنه"[5].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (قوله: "اقرؤوا ما ائتلفت قلوبكم" فيه الحض على الألفة والتحذير من الفرقة فى الدين، فكأنه قال: اقرءوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه.

(١) الآجري: الشريعة (٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢) برقم (٢٤١٠).

(٣) شرح صحيح البخاري (١٠/٢٨٥).

(٤) فتح الباري (٩/١٠٢-١٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٠٠٣) برقم (٥٠٦١) ومسلم (١٠٧٠) برقم (٢٦٦٧).

" فإذا اختلفتم فقوموا عنه" أي: فإذا عرض عارض شبهة توجب المنازعة الداعية إلى الفرقة فقوموا عنه: أي فاتركوا تلك الشبهة الداعية إلى الفرقة، وارجعوا إلى المحكم الموجب للألفة، وقوموا للاختلاف وعما أدى إليه)(1).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "فإذا اختلفتم" أي في فهم معانيه "فقوموا عنه" أي تفرقوا؛ لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

قال عياض: يحتمل أن يكون النهي خاصاً بزمنه -ﷺ- لئلا يكون ذلك سبباً لنزول ما يسوؤهم كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

ويحتمل أن يكون المعنى أقرءوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق، فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله -ﷺ-: "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فاحذروهم"(2).

ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته)(3).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (واعلم أن أكثر الاختلاف بين

---

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/٢٨٥).

(٢) سبق تخريجه (٤٠).

(٣) فتح الباري (٩/١٠١).

الأمة الذي يورث الأهواء، تجده من هذا الضرب، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته، أو في بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات)[1].

ولقد حمل بعض العلماء حديث الرسول-ﷺ-: "إن المراء في القرآن كفرٌ"[2] على المجادلة في الأحرف.

قال الآجري -رحمه الله-: (فإن قال قائل: عرفنا هذا المراء الذي هو كفر، ما هو؟ قيل له: نزل هذا القرآن على رسول الله -ﷺ- على سبعة أحرف، ومعناها: على سبع لغات، وكان رسول الله -ﷺ- يلقن كل قبيلة من العرب على حسب ما يحتمل من لغتهم، تخفيفاً من الله -عز وجل- ورحمة بأمة محمد -ﷺ- فكانوا ربما إذا التقوا، يقول بعضهم لبعض: ليس هكذا القرآن، وليس هكذا علمنا رسول الله -ﷺ- ويعيب بعضهم قراءة بعض، فنهوا عن هذا، وقيل لهم: اقرؤوا كما علمتم، ولا يجحد بعضكم قراءة بعض، واحذروا الجدال والمراء فيما قد تعلمتم)[3].

### ٦- المجادلة لأجل المجادلة لا للبحث عن الحق:

إن المجادلة المحمودة هي التي يقصد بها التوصل للحق، وأما عندما

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٢٤-١٢٥).

(٢) سبق تخريجه (٤٠١).

(٣) الشريعة (٦٨-٦٩).

تكون المجادلة مقصودة لذاتها فهنا تذم؛ لأن المجادلة وسيلة، وليست غاية، وهي وسيلة لهدف مشروع.

قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨].

وهذا إخبار من الله -تعالى- عن تعنت قريش في كفرهم، وتعمدهم العناد والجدل المحض فما ضربوا هذا المثل وهذا القول إلا جدلاً وخصومة يخاصموك به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] فهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل في قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

ثم هي خطاب لقريش، وقريش كانت تعبد الأصنام، ولم يكونوا يعبدون عيسى -عليه الصلاة والسلام- فتعين أن مقالتهم تلك إنما كانت على سبيل الجدل، واللدد في الخصومة، وليسوا يعتقدون صحتها[1].

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (وقد تحاج المهاجرون والأنصار، وحاج عبد الله بن عباس الخوارج بأمر علي بن أبي طالب، وما أنكر أحد من الصحابة قط الجدال في طلب الحق، وأما التابعون ومن بعدهم فتوسعوا في ذلك فثبت أن الجدال المحمود هو طلب الحق ونصره، وإظهار الباطل وبيان فساده، وأن الخصام بالباطل هو اللدد، الذي قال النبي -ﷺ-: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[2])[3].

(١) انظر: الطبري: جامع البيان (٢٥/٨٨) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٦/٢٣٢).

(٢) سبق تخريجه (٤٠٠).

(٣) الفقيه والمتفقه (١/٣٣٣).

فهذه أنواع من الجدال مذموم، وإنما أردت بها الدلالة على ما وراءها، ولم يكن النهي عن الجدل والمراء عبثاً، بل لحكم عظيمة من أظهرها:

١ - أن الخصومات في الدين والجدل فيه يؤديان بالمرء إلى تكذيب القرآن والسنة؛ إذ يكون همَّ المرء التغلب على خصمه فيجره ذلك إلى رد الدليل الصحيح، ويخوض في آيات الله بالباطل، ويضرب نصوص الوحي بعضها ببعض، ويدل على ذلك جملة نصوص وآثار منها:

- عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتنازع فى القدر، فغضب؛ حتى احمر وجهه؛ حتى كأنما فقئ فى وجنتيه الرمان فقال: "أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"[١].

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جلوساً عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: "مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه"[٢].

(١) سبق تخريجه (٥٥١).

(٢) سبق تخريجه (٤٣).

٢- أن الخصومات مواضع الزلل: فبها يستزل الشيطان العالم، فضلاً عن الجاهل، فتكون ساعة الخصومة ساعة تظهر فيها أخطاء العالم.

قال مسلم بن يسار -رحمه الله-: (إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وفيها يلتمس الشيطان زلته)(١).

٣- أن الخصومات تؤدي إلى التلون في الدين، والفكر؛ إذ المخاصم لا يثبت على وجه واحد؛ لأن مرجعه صار الأقدر على الخصومة، والأقوى في الجدال:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل)(٢).

٤- أن المجادلة قد تكون سبباً لإضلال الآخرين: فقد يكون الكلام في القدر مثلاً طريقاً للتكذيب به؛ إذ تفتح على المرء أبواب شبه وشكوك، فتورثه الخصومات دخولاً في الأهواء والآراء الضالة المنحرفة.

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتنازع فى القدر، فغضب؛ حتى احمر وجهه؛ حتى كأنما فقئ فى وجنتيه الرمان فقال: "أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"(٣).

٥- ومجالسة أهل الانحراف والضلال ومجادلتهم مؤدية إلى دخول شيء من الشبه في ذهن المرء.

---

(١) ابن بطة: الإبانة (٤٩٧/٢) برقم (٥٤٧).

(٢) المصدر نفسه: برقم (٥٥٤).

(٣) سبق تخريجه (٥٥١).

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)[1].

٦- إن الجدال مشغل عن العمل: وإذا انفتح للمرء باب جدال كان ذلك سبباً في سد أبواب كثيرة من الخير.

قال بعض السلف: (إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً، فتح له باب عمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شرا فتح عليه باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل)[2].

٧- إن الجدال بل الاسترسال مع النفس في الشبه مؤدٍ إلى أمورٍ لا تحمد عقباها.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا وكذا؛ حتى يقول له: من خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بلغَ ذلك، فليستعذ بالله ولينْتَهِ"[3].

قال النووي -رحمه الله-: (" فليستعذ بالله ولينته" فمعناه: الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه.

قال الإمام المازري رحمه الله: ظاهر الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها، والرد لها من غير استدلال، ولا نظر في إبطالها)[4].

(١) ابن بطة: الإبانة: برقم (٣٧٦).

(٢) المصدر نفسه (٢/٥١٠) برقم (٥٩١).

(٣) سبق تخريجه (١٤٤).

(٤) النووي: شرح مسلم (٢/١٥٥)

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال "لا يزال الناس يسألونكم عن العلم؛ حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟" قال: وهو آخذ بيد رجل، فقال صدق الله ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث. أو قال: سألني واحد، وهذا الثاني[1].

۞ ۞ ۞

ولقد كان الاختلاف في الكتاب بغياً، والمماراة فيه سبب هلاك من قبلنا ممن حرفوا التنزيل.

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: هجرت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية، فخرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرف فى وجهه الغضب فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (المراد بهلاك من قبلنا هنا هلاكهم في الدين بكفرهم وابتداعهم فحذر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مثل فعلهم)[3].

كما أنه موصل بالمرء إلى الخسارة، قال بلال بن سعد -رحمه الله-: (إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً يعجب برأيه، فقد تمت خسارته)[4].

و عن يزيد بن أبي حبيب -رحمه الله- قال: (إذا كثر مراء القارئ، فقد أحكم الخسارة)[5].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨) برقم (١٣٥).

(٢) سبق تخريجه (٥٥٠).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦/٢١٨)

(٤) رواه ابن بطة: الإبانة (٢/٥١١) برقم (٥٩١).

(٥) المصدر نفسه (٢/٥١١) برقم (٥٩٢).

والمتأمل لأحوال المنحرفين عن الحق من أهل الانحراف والأهواء والبدع يجد من سماتهم الظاهرة، وعلاماتهم الفارقة البينة: المجادلة، ولذلك سمي بعضهم (أهل الكلام) في مقابل أهل الاتباع والأثر، ولقد نهى السلف عن الكلام ومجالسة أهله، وحذروا منه ونفروا عنه.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (والله لئن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه، ماعدا الشرك به خير له من النظر في الكلام)[1].

وقال الربيع بن سليمان المرادي: جاء رجل يناظر الشافعي في شيء، فقال: (دع هذا فإن هذا طريق الكلام) قال: وسمع الشافعي رجلين يتكلمان في الكلام، فقال: (إما أن تجاورانا بخير، وإما أن تقوما عنا)[2].

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال، وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تئول إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة)[3].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (تجنبوا أصحاب الجدال والكلام، عليكم

(١) المصدر نفسه (٥٣٤/٢) برقم (٦٦١).

(٢) المصدر نفسه (٥٣٤/٢) برقم (٦٦٠).

(٣) رواه ابن بطة: الإبانة (٥٣٦/٢) برقم (٦٨١).

بالسنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض في أهل البدع، والجلوس معهم، وإنما السلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال، والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه)[1].

وكذلك كل أهل الأهواء والانحراف، فإن شأنهم كثرة الكلام، وطول الجدال وشدة الخصومة، وليس شأن أحفادهم المعاصرين منهم ببعيد.

۞ ۞ ۞

**ترك الجدال والمراء:**

إن من منهج أهل السنة والجماعة: ترك الجدال والمراء امتثالاً لأمر النبي ﷺ.

فعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"[2].

قال العظيم آبادي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (" أنا زعيم" أي ضامن وكفيل " ببيت" قال الخطابي: البيت ها هنا القصر، يقال: هذا بيت فلان أي قصره "في ربض الجنة" بفتحتين أي ما حولها خارجاً عنها، تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع كذا في النهاية "المراء" أي الجدال كسراً لنفسه كيلا يرفع نفسه على خصمه بظهور فضله)[3].

(١) المصدر نفسه (٢/٥٣٦) برقم (٦٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣) برقم (٤٨٠٠) والبيهقي: الكبرى (١٠/٢٤٩) برقم (٢٠٩٦٥) والطبراني: الكبير (٨/٩٨) برقم (٧٤٨٨) قال النووي: (رواه أبو داود بإسناد صحيح) رياض الصالحين: (٢١٦) برقم (٦٣٠) وحسنه الألباني: صحيح أبو داود: برقم (٤٨٠٠).

(٣) عون المعبود (١٣/١٠٨).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها"[(1)].

قال المباركفوري -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (قوله: "ومن ترك المراء"بكسر الميم أي الجدال "وهو محق"أي صادق ومتكلم بالحق "في وسطها"بفتح السين ويسكن أي في أوسطها؛ لتركه كسر قلب من يجادله ودفعه رفعة نفسه وإظهار نفاسة فضله، وهذا يشعر بأن معنى صدر الحديث أن من ترك لم يترك المراء بني له في ربض الجنة؛ لأنه حفظ نفسه عن الكذب لكن ما صانها عن مطلق المراء فلهذا يكون أحط مرتبة منه)[(2)].

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"ثم تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[الزخرف: ٥٨][(3)].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[(4)].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً"[(5)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢) برقم (١٩٩٣) وقال (حديث حسن) وابن ماجه (٢٣) برقم (٥١).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/١٠٩-١١٠).

(٣) سبق تخريجه (٦٨٤).

(٤) سبق تخريجه (٤٠٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٣) برقم (١٩٩٤) وقال (حديث حسن غريب) والبيهقي: الكبرى (١١/٥٧) برقم (١١٠٣٢) و شعب الإيمان (٦/٣٤٠) برقم (٨٤٣٢).

قال علي -رضي الله عنه-: (إن للخصومات قُحَماً)[1].

والقحم: هي المهالك[2].

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (كفى بك ظلماً ألا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً)[3].

وقال الإمام مالك -رحمه الله-: (الكلام في الدين أكرهه، وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل)[4].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق، وأما الجماعة على ما قال مالك؛ إلا أن يضطر أحد إلى الكلام، فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل، وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا)[5].

وما هذا النهي الوارد فيما تقدم إلا لما يجره الجدال والخصومة من زيغ وانحراف وضلال عن دين الله، ولذلك وصف الله تعالى المجادلين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٨-٩].

(١) رواه النووي: الأذكار (٣٧٢).

(٢) انظر: النووي: الأذكار (٣٧٢).

(٣) ابن عبد البر: بهجة المجالس (٢/٤٢٩).

(٤) جامع بيان العلم (٢/٩٥).

(٥) المصدر نفسه (٢/٩٥).

فأبان الله -عز وجل- أن المجادل المذموم ليس معه علم ولا هدى، وليس معه كتاب منير يتبعه، بل همه إضلال الناس عن سبيل الله.

**والعصمة من ذلك بأمرين:**

**الأول:** ترك المراء والجدال، استجابة لأمر الله تعالى في نحو قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

وأمر رسوله -ﷺ- حيث قال: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً"(١).

كما يترك الجدال والمراء؛ خشية الوقوع في نتائجه الشنيعة الخطيرة والتي منها ضرب نصوص الوحي بعضها ببعض لينتج الخطل والضلال والانحراف.

قال محمد بن علي بن الحسين -رحمه الله-: (لا تخاصم، فإن الخصومة تكذب القرآن)(٢).

**الثاني:** ترك مجالس أهل الجدل والمراء، وعدم الاستماع إليهم.

قال أبو قلابة -رحمه الله-: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون)(٣).

وعن الحسن -رحمه الله- قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)(٤).

---

(١) سبق تخريجه (٧٧٠).

(٢) رواه ابن بطة: الإبانة (٢/٤٩٥) برقم (٥٤٢).

(٣) رواه ابن بطة: الإبانة: برقم (٣٦٨).

(٤) المصدر نفسه (٣٧٨).

وقال إبراهيم -رحمه الله-: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغضة في قلوب المؤمنين)[1].

إن من استمع إلى أهل الجدل، يخشى عليه أن يصبح فكره وعقله ألعوبة بيدهم، فيتلون في دينه وفكره، ويتقلب في معتقده.

إنه بترك المرء الجدل والخصومة، قد سلم من إضلال وتحريف الناس وإغوائهم، وإنه بترك المرء الجلوس والسماع للمجادلين، يسلم هو من أن يتأثر بأقوالهم وأفكارهم، وينخدع بحججهم، فينحرف عن دين الله تعالى.

(١) المصدر نفسه (٣٨٠).

# المبحث السادس
# الحسد

الحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس ولهذا قيل: (ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه.

وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك ولكن عمه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً)[(1)].

ومنشأ الحسد الظن والشح وكراهية حصول النعمة والخير للآخرين بل وتمني زوالها إذا حصلت فـ(الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير؛ ثم ينتقل إلى بغضه؛ فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم، فإن نعمة الله إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله، أبغضه وأحب عدمه)[(2)].

ولهذا جاء في الحديث عن النبي -ﷺ- أنه قال: "دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين"[(3)].

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١٠/١٢٤-١٢٥).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (١٠/١٢٧).

(٣) رواه أحمد (١/١٦٧) برقم (١٤٣٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لجهالة مولى آل =

فالحسد يطبع على القلب ويعميه، ويصمه مما يدفع الحاسد إلى إرتكاب أبشع الجرائم والمحرمات في حق محسوده، كحسد ابن آدم لأخيه مما دفعه إلى إزهاق نفسه وسفك دمه، أو إلى النكران والجحود لما عند محسوده من حق، كحسد إبليس لآدم، وكحسد اليهود للمسلمين بعد بعثة نبينا محمد -ﷺ- أو تمني زوال نعمة الإسلام عن الغير؛ ليشتركوا بصفة الكفر كحسد المنافقين للمسلمين أيضاً قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ [النساء: ٨٩].

وقد دلت النصوص على خطر هذا الخلق في الانحراف، والجحود والنكران للحق على وضوحه وتجليه، واستخدم القرآن الكريم أسلوبين في التحذير من هذا الخلق الذميم، ومعظم الآيات في ذلك ذات علاقة بسلامة المنهج والأمان على الفكر والاعتقاد، وهذا بيان لهذين الأسلوبين:

**الأسلوب الأول: التصريح بلفظ الحسد ومشتقاته.**

وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم منها:

**الموضع الأول:** في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (يحذر تعالى: عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم

= الزبير) والترمذي (٤٠٨) برقم (٢٥١٠) وجود المنذري سنده: الترغيب والترهيب (٣/٣٤٧) وقال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب برقم (٢٨٨٨).

مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم.. وكذلك قال الله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم، ولامهم أشد الملامة وشرع لنبيه -ﷺ- وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان، والإقرار بما أنزل الله عليهم، وما أنزل من قبلهم بكرامته، وثوابه الجزيل ومعونته لهم)[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (والحسد خلق نفس ذميمة وضيعه ساقطة، ليس فيها حرص على الخير، فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير، والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها؛ حتى يساويها في العدم، كما قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود، كما زالت عنه)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وأنا أشير إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم التي ابتليت بها هذه الأمة؛ ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم أو الضالين.

قال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٢-٣٨٣).

(٢) الروح (٢٥٢).

إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم، وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع، أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم)(١).

(وقد ذكر طائفة من المفسرين أنها نزلت بسبب حسد اليهود للنبي -ﷺ- حتى سحروه سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله، فإذا أحب أن يعطى مثل ما أعطى مما يقربه إلى الله، فهذا لا بأس به وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل.

ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالماً معتدياً مستحقا للعقوبة إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى، فيصبر على أذى الحاسد، ويعفو ويصفح عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٠٩])(٢).

**الموضع الثاني**: في سورة النساء قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٦).

(٢) ابن تيمية: أمراض القلوب وشفاؤها (١٩).

(وصف الله اليهود بشر خصلة: وهي الحسد، والمراد بالناس محمد -ﷺ- وحده وإنما أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد؛ لأنه -ﷺ- اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة، ومن هذا القبيل يقال: فلان أمة وحده، يعني أن يقوم مقام أمة، وقيل المراد بالناس: النبي -ﷺ- وأصحابه؛ لأن لفظ الناس جمع، وحمله على الجمع أولى، والمراد بالفضل النبوة؛ لأنها أعظم المناصب وأشرف المراتب، وقيل حسدوه على ما أحلّ الله له النساء، وكان له يومئذٍ تسع نسوة.

فقالت اليهود: لو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء، فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤].

يعني: أنه قد حصل في أولاد إبراهيم -ﷺ- جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان -عليهما السلام- فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمداً -ﷺ-)[1].

**الأسلوب الثاني: التلميح والتعريض توبيخاً لمن يتصف بهذا الخلق السيئ.**

وهذا ذكر في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ولما خاطبه الله تعالى بقوله ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] قال في إصراره وحسده وتكبره: ﴿قَالَ

(١) تفسير الخازن (١/٥٤٦).

أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

(ولقد قالوا إن الذي جر على إبليس هذا كله: هو الحسد، حسد آدم على ما أكرمه الله به، فاحتقره وتكبر عليه، فوقع في العصيان، وكانت نتيجته الطرد، وهكذا اليهود إن داءهم الدفين: هو الحسد، والعجب بالنفس، فجرهم إلى الكفر، ووقعوا في الخيانة، وكانت النتيجة القتل والطرد)[١].

ومنها: قوله -عز وجل-: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

أي: (ما يحب الكافرون من أهل الكتاب، ولا المشركين بالله من عبده الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله، فنزله عليكم، فتمنى المشركون، وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان، وما أوحاه إلى محمد -ﷺ- من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسداً وبغياً منهم على المؤمنين)[٢].

قال شيخ الاسلام -رحمه الله-: (فنهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في سوء أدبهم على الرسول -ﷺ- وعلى ما جاء به، وأخبر أنهم؛ لحسدهم ما يودون أن اللهّ ينزل عليه شيئاً من الكتاب والحكمة)[٣].

ومنها: قوله سبحانه ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ

(١) الشنقيطي: أضواء البيان (٨/٢٦).

(٢) الطبري: جامع البيان (٢/٤٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/١٩٩).

إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

(يخبر تعالى عن حَسَدَ اليهود للمؤمنين، وبَغْيهم إياهم الإضلال، وأخبر أنَّ وَبَالَ ذلك إنما يعود على أنفسهم، وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم)[١].

وقد (أجمع المفسرون على أنها نزلت في: معاذ، وحذيفة، وعمار، دعاهم يهود: بني النضير، وقريظة، وقينقاع، إلى دينهم.

وقيل: دعاهم جماعة من أهل نجران، ومن يهود.

وقال ابن عباس: هم اليهود، قالوا لمعاذ وعمار: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت)[٢].

وفي السنة نصوص كثيرة تحذر من آفة الحسد، وتأمر بضده من سلامة القلب وإرادة الخير:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً"[٣].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (قوله: "فلا تحاسدوا" فليس على ظاهره، وإنما معناه: لا يحسد أحدكم أخاه على نعمة أتاه الله، وليسأل الله من فضله.

وقد أجاز رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحسد في الخير، فقال: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به ليله، ورجل آتاه الله علما -أو قال حكمة- فهو

(١) فسير القرآن العظيم (٢/٥٩).

(٢) تفسير البحر المحيط (٢/٥١٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٧٣) برقم (٦٠٦٦) ومسلم (١٠٣٤) برقم (٢٥٦٣).

يقضي بها ويعلمها"[1] هكذا حديث بن مسعود عن النبي -ﷺ- وروى ابن عمر عن النبي -ﷺ- أنه قال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل والنهار"[2])[3].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (الحسد: تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك، أو لا فإن سعى كان باغياً، وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره، ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهى المسلم عنها في حق المسلم؛ نظر: فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل، فهذا مأزور، وإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر؛ لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية، فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها، ولا يعزم على العمل بها)[4].

وقرن في الحديث: (الحسد بالبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير، ثم ينتقل إلى بغضه، فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم، فإن نعمة الله إذا كانت لازمة، وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه.

والحسد يوجب البغي كما أخبر الله تعالى عمن قبلنا أنهم اختلفوا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩] فلم يكن اختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق، ولكن بغى بعضهم على بعض، كما يبغي الحاسد على المحسود)[5].

(١) أخرجه البخاري (٣٩) برقم (٧٣) ومسلم (٣١٧) برقم (٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٨) برقم (٥٠٢٥) ومسلم (٣١٧) برقم (٨١٥).

(٣) الاستذكار (٢٨٩/٨).

(٤) الفتح (٤٨٢/١٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١٢٨/١٠).

وعن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يؤمن أحدكم؛ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١).

(لما نفى النبي -صلى الله عليه وسلم- الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، دل على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفي إلا بانتفاء بعض واجباته، كما قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"(٢) الحديث.

وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه؛ إذا سلم من الحسد والغل، والغش والحقد، وذلك واجب)(٣).

وعن ضمرة بن ثعلبة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا"(٤).

والمعنى -والله أعلم-: أنهم إذا تحاسدوا ارتفع الخير منهم، وكيف لا يرتفع منهم الخير، وكلٌ منهم يتمنى أن يزول الخير الذي عند صاحبه.

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الناس أفضل؟ قال: "مخموم القلب، صدوق اللسان " قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦) برقم (١٣) ومسلم (٥٠) برقم (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧) برقم (٢٤٧٥) ومسلم (٥٤) برقم (٥٧).

(٣) ابن رجب: فتح الباري (٤١/١).

(٤) رواه الطبراني: الكبير (٣٠٩/٨) برقم (٨١٥٧) وقال المنذري (رواه الطبراني ورواته ثقات) الترغيب والترهيب (٣٤٧/٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٥٥) برقم (٤٢١٦) وصحح إسناده المنذري: الترغيب والترهيب (٣٤٩/٣).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "في الإنسان ثلاثة: الطيرة والظن والحسد، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع، ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الحسد أن لا يبغي"(١).

وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين"(٢).

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: "إن اليهود قوم سئموا دينهم، وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف امامهم في المكتوبة آمين"(٣).

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب"(٤).

وذلك (لأن الحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود ونحوه، فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود، فيزيد المحسود نعمة على نعمة، والحاسد حسرة على حسرة)(٥).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يجتمع في جوف

---

(١) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (٢/٦٣) برقم (١١٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠١) برقم (٨٥٦) وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٥٦١٣).

(٣) أخرجه الطبراني: الأوسط (٥/١٤٦) برقم (٤٩١٠) وقال المنذري (رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن) الترغيب والترهيب (١/١٩٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٣٢) برقم (٤٩٠٥) وسكت عنه، والبيهقي: شعب الإيمان (٥/٢٦٦) برقم (٦٦٠٨).

(٥) العظيم آبادي: عون المعبود (١٣/١٦٨).

عبد مؤمن غبار في سبيل الله، وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد"[1].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "سيصيب أمتي داء الأمم" فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: "الأشر والبطر والتكاثر، والتناجش في الدنيا، والتباغض، والتحاسد حتى يكون البغي"[2].

وكم أوقع الحسد أقواماً في الضلال، كما حسد اليهود محمداً -صلى الله عليه وسلم- فضلوا وانحرفوا، بل سعوا في إضلال الناس وانحرافهم عن الحق؛ حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

(١) أخرجه النسائي (٣٢٩) برقم (٣١٠٩) وابن حبان (٤٦٦/١٠) برقم (٤٦٠٦) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

(٢) أخرجه الحاكم: المستدرك (١٨٥/٤) برقم (٧٣١١) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، والطبراني: الأوسط (٢٣/٩) برقم (٩٠١٦).

# المبحث السابع
# الكبر

أصل الكبر رفض الحق والتعالي عليه، وعدم قبوله، والذي يتضمن الإنكار والجحود والكراهية للحق، ولمن جاء به وتعاظم النفس والتحقير للغير، وهو سنة إبليس المتكبر منازع لله جل جلاله في عظمته، وكبريائه.

(ثم إن التكبر له أسباب: فمنها: العلم والعبادة، والحسب والشجاعة، والقوة والجمال، والمال والجاه.

وهو درجات: فأشده التكبر على الله ورسوله -ﷺ- وهو الذي حمل أكثر الكفار على الكفر، ثم التكبر على أهل الدين من العلماء والصلحاء وغيرهم بالازدراء بهم وعدم القبول لمناصحتهم، ثم التكبر على سائر الناس)[1].

وتجدر خطورة هذا الخلق الشائن بانحراف صاحبه عن الصراط القويم الذي ارتضاه لله لرسله، وللمؤمنين (وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري -رحمه الله -: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الايمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم

(١) ابن جزي: القوانين الفقهية (١/٤٧٥).

يحسنون صنعاً)[1].

وقد كان الكبر، والحسد: هما أول معصية عصي الله بهما، والكبر أحد أركان الكفر[2] ومن أصول الخطايا التي يقع فيها البشر[3].

وقد دلت كثير من النصوص القرآنية على عظيم خطر الكبر، وقصّ الله -تعالى- علينا في القرآن مخاطر هذا الخلق، وهذا الفعل الذي إذا نبت في القلب؛ منعه من استجلاب حقائق الإيمان (فالقلب لا تدخله حقائق الإيمان، إذا كان فيه ما ينجِّسه من الكبر والحسد فقد أصاب، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦])[4].

وقد كان الكبر أول صارف عن الحق، وأول مورد لمهاوي الكفر.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: (﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ يعني بذلك أنه تعظَّم،

---

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩٢).

(٢) الفوائد (١/١٥٧).

(٣) المصدر نفسه (١/٥٨).

(٤) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٤/٢٢٢).

وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم، وهذا وإن كان من الله -جل ثناؤه- خبرًا عن إبليس، فإنه تقريعٌ لضُرِبائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق.

وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم - اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانيْ مُهَاجَرِ رسول الله -ﷺ- وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله -ﷺ- وصِفته عارفين، وبأنه لله رسولٌ عالمين، ثم استكبروا -مع علمهم بذلك- عن الإقرار بنبوّته، والإذعان لطاعته، بَغْيًا منهم له وحسدًا.

فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغيًا، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله -ﷺ- ونبوّته، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدًا وبغيًا، ثم وَصَف إبليس بمثل الذي وصف به الذين ضرَبه لهم مثلاً في الاستكبار والحسد، والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له، فقال جل ثناؤه: ﴿وَكَانَ﴾ يعني إبليس ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التي آتاها وآباءها قبلُ من إطعام الله أسلافَهم المنّ والسلوى، وإظلال الغمام عليهم، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم، خصوصًا ما خصَّ الذين أدركوا محمدًا -ﷺ- بإدراكهم إياه، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم، فجحدت نبوّته بعد علمهم به، ومعرفتهم بنبوّته حسدًا وبغيًا.

فنسبه الله جل ثناؤه إلى الكافرين، فجعله من عِدَادهم في الدين والملة، وإن خالفهم في الجنس والنسبة.

كما جعل أهل النفاق بعضَهم من بعض؛ لاجتماعهم على النفاق، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم، فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧].

يعني بذلك أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال، فكذلك قوله في إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كان منهم في الكُفر بالله ومخالفتِه أمرَه، وإن كان مخالفًا جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم.

ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أنه كان -حين أبى عن السجود- من الكافرين حينئذ)[١].

فكان (أول ذنب عُصي الله به كان من أبي الجن وأبي الإنس، أبوي الثقلين، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق، وهو ترك المأمور به -وهو السجود- إباءً واستكبارًا، وذنب أبي الإنس كان ذنبًا أصغر، وهو فعل المنهي عنه -وهو الأكل من الشجرة- ثم إنه تاب منه)[٢].

فتاب الله على آدم وذلك؛ لأن (ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد، وإن زنى وسرق)[٣].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١/٥٠١-٥٠٢).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠/٨٨).

(٣) ابن القيم: الفوائد (١/٢٦).

وكما كان الكبر سبب الكفر الأول كان سبباً في كفر أمم من اللاحقين، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[البقرة: ٨٧].

فـ(ينعت -تبارك وتعالى- بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب -وهو التوراة- فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها.

وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته.. فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء -عليهم السلام- أسوأ المعاملة، ففريقًا يكذبونه، وفريقًا يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم، وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[البقرة: ٨٧])(١).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والشرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود.

قال تعالى في النصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١].

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢١).

وقال في اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[البقرة: ٨٧] وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦])[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (النصارى فيهم شرك بيِّن، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]

وهكذا من أشبههم من الغالية من الشيعة والنّسّاك فيه شرك وغلو، كما في النصارى شرك وغلو، واليهود فيهم كبر، والمستكبر معاقب بالذل)[2].

ولذلك توعد الله المستكبرين فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٦].

(﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ ﴾ أي: لا آمنت بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ كما استهانوا بآياته، ولازموا التكذيب بها، أهينوا بالعذاب الدائم الملازم)[3].

قال ابن عاشور-رحمه الله-: (والاستكبار مبالغة في التكبر، فالسين والتاء

(١) الفتاوى الكبرى (٥/١٩٢).

(٢) منهاج السنة (٧/١٥١).

(٣) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (١/٢٨٧).

للمبالغة، وهو أن يعد المرء نفسه كبيراً أي عظيما وما هو به، فالسين والتاء للعد والحسبان، وكلا الأمرين يؤذن بإفراطهم في ذلك وأنهم عدوا قدرهم.

وضمن الاستكبار معنى الإعراض، فعلق به ضمير الآيات، والمعنى: واستكبروا فأعرضوا عنها، وأفاد تحقيق أنهم صائرون إلى النار بطريق قصر ملازمة النار عليهم في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ لأن لفظ أصحاب مؤذن بالملازمة، وبما تدل عليه الجملة الاسمية من الدوام والثبات في قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾)[1].

إن المتكبر يعاقبه الله فيصرفه عن الحق ويمنعه، قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي، وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

كما جاء الوعيد في السنة للمتكبرين:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يدخل الجنة من

(١) التحرير والتنوير (٨/٨٥).

كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنةً؟ قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس"[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (الكبر: بطر الحق، وغمط الناس، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨] تنبيهاً على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق، أذله الله، ووضعه وصغره وحقره.

ومن تكبر عن الانقياد للحق، ولو جاءه على يد صغير، أو من يبغضه، أو يعاديه، فإنما تكبره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه، وله فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله، فإنما رد على الله، وتكبر عليه)[2].

قال الشاطبي -رحمه الله-: (كما قال عليه السلام: "الكِبْرُ بَطر الحق وغمطُ الناس " ففسَّره بلازمه الظاهر لكل أحد، وكما تُفسر ألفاظ القرآن والحديث بمرادفاتها لغة، من حيث كانت أظهر في الفهم منها)[3].

وعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال: "من تواضع لله درجة رفعه الله درجة؛ حتى يجعله في عليين، ومن تكبر على الله درجة، وضعه الله درجة؛ حتى يجعله في أسفل السافلين"[4].

---

(١) رواه مسلم (٦٣) برقم (٩١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٣٢).

(٣) الموافقات للشاطبي (١/٥٧).

(٤) رواه أحمد (٣/٧٦) برقم (١١٧٤٢)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف)، وابن حبان (١٢/٤٩١) برقم (٥٦٧٨)، وقال ابن حجر: (هذا حديث حسن). الأمالي المطلقة (٩٠).

(وحكى ابن بطال عن الطبري أن المراد بالكبر في هذه الأحاديث الكفر، بدليل قوله في الأحاديث "على الله" ثم قال: ولا ينكر أن يكون من الكبر ما هو استكبار على غير الله -تعالى- ولكنه غير خارج عن معنى ما قلناه، لأن معتقد الكبر على ربه يكون لخلق الله أشد استحقاراً)[1].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله -ﷺ-: "العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته"[2].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "قال الله -عز وجل-: الكبرياء ردائى، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته فى النار"[3].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- فيما يحكى عن ربه -عز وجل- قال: "الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي، قصمته "[4].

(أي: أذللته وأهنته، أو قربت هلاكه.

قال الزمخشري: هذا وارد عن غضب شديد، ومناد على سخط عظيم؛ لأن القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي بين تلازم الأجزاء بخلاف الكسر.

وقال القاضي: والكبرياء الكبر: وهو الترفع على الغير، بأن يرى لنفسه

---

(١) ابن حجر: فتح الباري (١٠/٤٩٢).

(٢) رواه مسلم (١٠٥٣) برقم (٢٦٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٤٧) برقم (٤٠٩٠) وابن ماجه (٤٥١) برقم (٤١٧٤) وأحمد (٢/٣٧٦) برقم: (٨٨٨١) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح وهذا إسناد حسن رجاله رجال الصحيح غير عطاء بن السائب).

(٤) رواه الحاكم: المستدرك (١/١٢٩) برقم (٢٠٣) وقال (هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذا اللفظ إنما أخرجه مسلم من طريق الأغر عن أبي هريرة بغير هذا اللفظ) وقال الذهبي (أخرجه مسلم).

عليه شرفاً والعظمة كون الشيء في نفسه كاملاً شريفاً مستغنياً، فالأول أرفع من الثاني؛ إذ هو غاية العظمة، فلذا مثله في الرداء.

وقيل: الكبرياء الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه إلا الحق، فكبرياء ألوهيته التي هي عبارة عن استغنائه عما سواه) وعظمته التي هي: (عبارة عن استقلاله واستغنائه.

ومثلهما بالرداء والإزار؛ إدناء للمتوهم من المشاهد، وإبرازاً للمعقول في صورة المحسوس، فلما لا يشارك الرجل في ردائه وإزاره لا يشارك الباري في هذين، فإنه الكامل المنعم، المنفرد بالبقاء، وما سواه ناقص محتاج على صدد الفناء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وكل مخلوق استعظم نفسه، واستعلى على الناس، فهو مزور ينازع رب العزة في حقه، مستوجب لأقبح نقمه، وأفظع عذابه أعاذنا الله منه، ومن موجبه)[1].

فـ (المستكبر على الله تعالى لاشك أنه منازعه رداءه، ومفارق دينه، وحرام عليه جنته كما قال -عليه السلام- أنه: "لا يدخلها إلا نفس مسلمة"[2] ومن لم يخشع لله قلبه عليه مستكبر؛ إذ معنى الخشوع: التواضع، وخلاف الخشوع والتواضع، التكبر والتعظم، فالحق لله على كل مكلف إشعار قلبه الخشوع بالذلة، والاستكانة له بالعبودية خوف أليم عقابه، وقد روى عن محمد بن علي أنه قال: ما دخل قلب أمرىء شيىء من الكبر إلا نقص من عقله، قل ذلك أو كثر)[3].

(١) المناوي: فيض القدير (٤/٤٨٤).

(٢) رواه البخاري (٥٨٦) برقم (٣٠٦٢) ومسلم (٧٠) برقم (١١١).

(٣) ابن بطال: شرح صحيح البخاري (٩/٢٦٧).

# المبحث الثامن
# الاغترار بالكثرة

يضل كثير من الناس لظنهم أن الحق مع الكثرة، فتغرهم كثرة أهل الباطل، مع أن سنة الله ظاهرة تدل على أن أكثر الناس هم الضالون يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (أخبره الله سبحانه بأنه إذا رام طاعة أكثر من في الأرض أضلوه؛ لأن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين، ومنهم الطائفة التي تزال على الحق ولا يضرها خلاف من يخالفها كما ثبت ذلك عن رسول الله -ﷺ-.

وقيل: المراد بالأكثر الكفار، وقيل: المراد بالأرض مكة، أي: أكثر أهل مكة)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ومثل هذا كثير في القرآن، فأهل المعاصي كثيرون في العالم، بل هم أكثر، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

وفي النفوس من الشبهات المذمومة والشهوات قولاً وعملاً ما لا يعلمه إلا الله، وأهلها يدعون الناس إليها، ويقهرون من يعصيهم، ويزينونها لمن

(١) فتح القدير (٢/٢٢٥).

يطيعهم، فهم أعداء الرسل وأندادهم، فرسل الله يدعون الناس إلى طاعة الله، ويأمرونهم بها بالرغبة والرهبة، ويجاهدون عليها، وينهونهم عن معاصي الله، ويحذرونهم منها بالرغبة والرهبة، ويجاهدون من يفعلها، وهؤلاء يدعون الناس إلى معصية الله، ويأمرونهم بها بالرغبة والرهبة قولاً وفعلاً، ويجاهدون على ذلك)[(١)].

(إنَّ السبل المخالفة للحق، والتي اتبعها الكثير من المنتسبين إلى الإسلام كثيرة جداً، وهذه حقيقة ملازمة للمسألة الأولى، فمن جعل العبرة بالكثرة؛ للدلالة على الحق، فقد ضلَّ سواء السبيل، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فالعبرة ليس بالكثرة والتجميع على غير هدى وبصيرة، وإنما العبرة بإصابة الحق، وعندها لا يهم الحال الذي يكون عليه أمر الجماعة كثرت أم قلَّت)[(٢)].

ولقد عرف إبليس ذلك إذ يقول فيما حكاه الله عنه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧].

ويقول ربنا عز وجل: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٦].

(﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ ﴾ [يونس: ٣٦] فأشعر لفظ ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ بأن منهم من يعلم بطلان عبادة الأصنام، ولكنهم يتبعونها مشايعة لقومهم ومكابرة للحق، وكذلك حالهم في التكذيب بنسبة القرآن إلى الله، فمنهم من

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/٤٩٠).

(٢) خليل العبيدي: الفوائد العشر من حديث حذيفة (٨٠).

يؤمن به ويكتم إيمانه مكابرة وعَداء، ومنهم من لا يؤمنون به ويكذبون عن تقليد لكبرائهم)[1].

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

(أي: مع هذا البيان والجلاء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق)[2].

(يقول تعالى لنبيه محمد -ﷺ-: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ ﴾ على إيمانهم ﴿ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدمت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر عنهم، من غير أجر ولا عوض، ولو أقاموا لهم من الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا)[3]

قال الطبري -رحمه الله-: (يقول جل ثناؤه: وما أكثر مشركي قومك يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك، بمصدِّقيك ولا مُتَّبِعيك)[4].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: (وكل صاحب مخالفة، فمن شأنه أن يدعو غيره إليها ويحض سؤاله، بل سواه عليها إذ التأسي في الأفعال والمذاهب موضوع طلبه في الجلبة وبسببه تقع من المخالف المخالفة، وتحصل من الموافق

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٦٤/٧).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤٢٨/٤).

(٣) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (٤٠٦/١).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٨٤/١٦).

المؤالفة، ومنه تنشأ العداوة والبغضاء للمختلفين.

كان الإسلام في أوله وجدته مقاوماً، بل ظاهراً وأهله غالبون، وسوادهم أعظم الأسودة، فخلا من وصف الغربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين، فلم يكن لغيرهم ممن لم يسلك سبيلهم، أو سلكه، ولكنه ابتدع فيه صولة يعظم موقعها، ولا قوة يضعف دونها حزب الله المفلحون، فصار على استقامة وجرى على اجتماع واتساق، فالشاذ مقهور مضطهد إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود، وقوته إلى الضعف المنتظر، والشاذ عنه تقوى صولته ويكثر سواده، واقتضى سر التأسي المطالبة بالموافقة، ولا شك أن الغالب أغلب.

فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء، فتفرق أكثرهم شيعاً، وهذه سنة الله في الخلق إن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] وقوله تعالى ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣]

ولينجز الله ما وعد به نبيه -ﷺ- من عود وصف الغربة إليه، فإن الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل، أو قلتهم، وذلك حين يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وتصير السنة بدعة، والبدعة سنة، فيقام على أهل السنة بالتثريب والتعنيف، كما كان أولاً يقام على أهل البدعة طمعاً من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال، ويأبى الله أن تجتمع؛ حتى تقوم الساعة

فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادة، وسمعاً، بل لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة؛ حتى يأتي أمر الله غير أنهم؛ لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة، وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم، لا يزالون

في جهاد ونزاع، ومدافعة وقراع آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل، ويثيبهم الثواب العظيم)[1].

(وليحذر كل مسلم أن يغتر بالأكثرين، يقول: إن الناس قد ساروا إلى كذا، واعتادوا كذا، فأنا معهم؛ فإن هذه مصيبة عظمى، قد هلك بها أكثر الماضين، ولكن أيها العاقل، عليك بالنظر لنفسك ومحاسبتها، والتمسك بالحق وإن تركه الناس، والحذر مما نهى الله عنه وإن فعله الناس؛ فالحق أحق بالإتباع، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال بعض السلف -رحمه الله-: لا تزهد في الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين)[2].

ويقول سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ لما جبلوا عليه من التعصب والانحراف عن الصواب، والبعد عن الحق، فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر.

وظاهر النظم أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق، ولكنهم لم يظهروا الإيمان خوفاً من الكارهين له)[3].

---

(١) الاعتصام (١/٢٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/٤٤٣).

(٣) فتح القدير (٣/٧٠٦).

**وفي نصوص السنة ما يدل على أن العبرة ليست بالكثرة:**

عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت"[(١)].

(يعني: هذه الكثرة لا قيمة لها والسبب في ذلك هو عدم القيام بما أوجب الله عز وجل على المسلمين من إظهار الدين، فتغلب عليهم الأعداء، وأصاب المسلمين من أعدائهم الذل بعد أن كان الكفار يهابون المسلمين، وهذا الحديث منطبق تماماً على هذا الزمان، والمسلمون اليوم عددهم كثير جداً، ولكنهم مشتغلون بالدنيا، وحريصون على الدنيا، وخائفون من الموت، فصاروا يخافون من أعدائهم، وأعداؤهم لا يخافون منهم.

لكن لا يعني هذا أنه ما حصل إلا في هذا الزمان، فقد يكون حصل في الماضي وكذلك يحصل في المستقبل، لكن المشاهد المعاين اليوم أنه حاصل)[(٢)].

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "عرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرُّهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد"[(٣)] الحديث.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) برقم (٤٢٩٩) وأحمد (٨٢/٣٧) برقم (٢٢٣٩٧) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن) والبيهقي: شعب الإيمان (٢٩٧/٧) برقم (١٠٣٧٢).

(٢) عبد المحسن العباد: شرح سنن أبي داود نقلاً عن المكتبة الشاملة.

(٣) أخرجه البخاري (١١١٩) برقم (٥٧٠٥) ومسلم (١١٦) برقم (٢٢٠).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء"(١).

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قيل ومن الغرباء؟ قال: "النزاع من القبائل"(٢).

وفي رواية عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: "أناس صالحون في أناس سوء، كثير من يعصيهم، أكثر ممن يطيعهم"(٣).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (قال القاضي: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ.

وجاء في الحديث تفسير الغرباء: وهم النزاع من القبائل.

قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣) برقم (١٤٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩) برقم ( ٣٩٨٨)، وأحمد وابنه عبد الله: المسند (٦/٣٢٥) برقم (٣٧٨٤)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (صحيح على شرط مسلم)، وقال الإمام أحمد: (هذا حديث منكر). المنتخب من علل الخلال (٥٧)، وقال البغوي: (هذا حديث صحيح غريب من حديث ابن مسعود). شرح السنة (١/١١٨)، وقال الألباني: (وقال البغوي: (هذا حديث صحيح) وأقول: هو كما قال لولا أن أبا إسحاق، وهو السبيعي عمرو بن عبد الله مدلس، وقد عنعنه في جميع الطرق عنه مع كونه كان اختلط، فأنا متوقف في صحته بعد أن كنت تابعاً في تصحيحه برهة من الزمن غيري). السلسلة الصحيحة (٣/٢٦٩-٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (١١/٢٣٠) برقم (٦٦٥٠) وقال شعيب الأرنؤوط (حسن لغيره).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/١٧٧)

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (ومعنى قول النبي -ﷺ-: "هم النزاع من القبائل": أن الله سبحانه بعث رسوله -ﷺ- وأهل الأرض على أديان مختلفة، فهم بين عباد أوثان ونيران، وعباد صور وصلبان، ويهود وصابئة، وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريباً وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله -ﷺ- غريباً في حيه وقبيلته، وأهله وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعاً من القبائل، بل آحاداً منهم تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقاً حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجاً، فزالت تلك الغربة عنهم.

ثم أخذ في الاغتراب والترحل؛ حتى عاد غريباً كما بدأ، بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله -ﷺ- وأصحابه، هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جداً، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس)(١).

قال الغزالي -رحمه الله-: (وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريباً، بل اندرس وما أكب الناس عليه، فأكثره مبتدع.

وقد صار علوم أولئك غريبة بحيث يُمقت ذاكرها)(٢).

وعن معاوية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق

(١) مدارج السالكين (٣/١٩٨).

(٢) إحياء علوم الدين (١/٣٨) وانظر: المناوي: فيض القدير (٤/٢٧٤).

هذه الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة وهي الجماعة"[1].

فـ(كيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع، ورئاسات ومناصب، وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول -ﷺ- فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كل منهم برأيه)[2].

وظاهر هذا الحديث أن معظم الناس، وأكثر فرقهم على الضلال، وإنه إنما هُدي من الناس القلة.

ولذلك فإن أمان الإنسان من الانحراف ليس باتباع الأكثرين، وإنما هو بلزوم الحق.

(١) سبق تخريجه (٤٦٤).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين (٣/١٩٨).

# المبحث التاسع
# البغي على الخلق

يعد البغي أصلاً لانحراف الفكر، وضلال الناس في الاعتقاد، يقول الله عز وجل: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

(قال مجاهد: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يهودُ شَرَوُا الحقَّ بالباطل، وكتمانَ مَا جاءَ به مُحَمَّد ﷺ بأن يبينوه.

وقال السدي: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: باعوا به أنفسهم، يعني: بئسما اعتاضوا لأنفسهم ورضوا به، وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد -ﷺ- إلى تصديقه ومؤازرته ونصرته.

وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ولا حسد أعظم من هذا)[1]

(قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لم يكن كفرهم شكاً، ولا اشتباهاً، ولكن بغياً منهم؛ حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٧).

﴿ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] فلما شبههم في فعلهم هذا بمن لا يعلم، دل على أنهم نبذوه عن علم كفعل من لا يعلم)[١].

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فانحرافهم كان ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ (أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾)[٢].

(فأخبر سبحانه أن المختلفين بالتأويل لم يختلفوا لخفاء العلم الذي جاءت به الرسل عليهم، وإنما اختلفوا بعد مجيء العلم.

وهذا كثير في القرآن كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤].

فهؤلاء المختلفون بالتأويل بعد مجيء الكتاب كلهم مذمومون، والحامل لهم على التفرق والاختلاف؛ البغي وسوء القصد)[٣].

---

(١) ابن القيم: مفتاح دار السعادة (٩١/١).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥٦٩/١).

(٣) ابن القيم: الصواعق المرسلة (٥١٢/٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وذلك بأن تؤمن طائفة ببعض حق وتكفر بما عند الأخرى من الحق، وتزيد في الحق باطلًا، كما اختلف اليهود والنصارى في المسيح وغير ذلك، وحينئذ، نقول: من قال: إن أهل الكتاب ما تفرقوا في محمد إلا من بعد ما بعث، إرادة إيمان بعضهم وكفر بعضهم كما قاله طائفة فالمذموم هنا من كَفَر، لا من آمن، فلا يذم كل المختلفين، ولكن يذم من كان يعرف أنه رسول، فلما جاء كفر به حسدًا أو بغيًا كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

وإن أريد بالتفرق فيه أنهم كلهم كفروا به، وتفرقت أقوالهم فيه، فليس الأمر كذلك وقد بين القرآن في غير موضع أنهم تفرقوا، واختلفوا قبل إرسال محمد -ﷺ-.

فاختلاف هؤلاء وتفرقهم في محمد -ﷺ- هو من جملة ما تفرقوا واختلفوا فيه)(١).

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال الزجاج -رحمه الله-: (اختلفوا للبغي، لا لقصد البرهان)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فالبغي مذموم مطلقاً سواء

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥١٥).

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٥/٢٦٣).

كان في أن يلزم الإنسان الناس بما لا يلزمهم، ويذمهم على تركه، أو بأن يذمهم على ما هم معذورون فيه، والله يغفر لهم خطأهم فيه، فمن ذم الناس وعاقبهم على ما لم يذمهم الله تعالى ويعاقبهم عليه، فقد بغى عليهم لا سيما إذا كان ذلك أجل هواه)[1].

(فبين تعالى أن سبب الاختلاف هو البغي الذي هو خلاف العدل، فالشبهة الفاسدة من هذا النمط، وهي من أسباب الاختلاف بعد بيان الكتاب والسنة للحق المعلوم)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إنه من مسائل الخلاف ما يتضمن أن اعتقاد أحدهما يوجب عليه بغض الآخر ولعنه، أو تفسيقه أو تكفيره، أو قتاله، فإذا فعل ذلك مجتهداً مخطئاً كان خطؤه مغفوراً له، وكان ذلك في حق الآخر محنة في حقه وفتنة وبلاء ابتلاه به، وهذه حال البغاة المتأولين مع أهل العدل سواء كان ذلك بين أهل اليد والقتال من الأمراء ونحوهم، أو بين أهل اللسان والعمل من العلماء والعباد ونحوهم، وبين من يجمع الأمرين، ولكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٠٨).

(٢) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية (٢/١٤٦).

فلا يكون فتنة وفرقة، مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغي)[1].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (قوله ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ فيه الإخبار بأن اختلاف اليهود والنصارى كان لمجرد البغي بعد أن علموا بأنه يجب عليهم الدخول في دين الإسلام بما تضمنته كتبهم المنزلة إليهم.

قال الأخفش: وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم، والمراد بهذا الخلاف الواقع بينهم: هو خلافهم في كون نبينا -ﷺ- نبياً أم لا؟ وقيل: اختلافهم في نبوة عيسى، وقيل: اختلافهم في ذات بينهم حتى قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء.

قوله ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالآيات الدالة على أن الدين عند الله الإسلام ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيجازيه ويعاقبه على كفره بآياته والإظهار في قوله، فإن الله مع كونه مقام الإضمار للتهويل عليهم والتهديد لهم)[2].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بُغْض البَعْض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً)[3].

(١) الاستقامة (١/٣١).
(٢) فتح القدير (١/٤٩١).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥).

**ولقد جاءت السنة محذرة من البغي، بغي الناس بعضهم على بعض:**

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن مجتمعون، فقال: "يا معشر المسلمين: اتقوا الله، وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة رحم، وإياكم والبغي، فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي"[(١)] الحديث.

فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الناس أفضل؟ قال: "مخموم القلب، صدوق اللسان" قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد"[(٢)].

وعن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن جده: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يبغي على الناس إلا ولد بغي، أو فيه عرق منه"[(٣)].

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من ذنب أحرى أن يعجل بصاحبه العقوبة مع ما يؤخر له في الآخرة، من بغي، أو قطيعة رحم، قال وكيع: أن يعجل الله، وقال يزيد: يعجل الله، وقال مع ما يدخر له"[(٤)].

عن علي -رضي الله عنه- قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "ليس شيء أسرع عقوبة من بغي"[(٥)].

---

(١) رواه الطبراني: الأوسط (٦/١٨) برقم (٥٦٦٤).

(٢) سبق تخريجه (٧٨٣).

(٣) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان (٥/٢٨٦) برقم (٦٦٧٥)، قال الهيثمي (رواه الطبراني، وأبو الوليد القرشي مجهول وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٥/٤١٩).

(٤) رواه أحمد (٣٤/٨) برقم (٢٠٣٧٤) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح).

(٥) مسند الشهاب (٢/٢١٥) برقم (١٢١٥).

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا بغى الناس تبايعوا بالعين، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم"[1].

وعن عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغِ أحد على أحد"[2].

(فبين أن التواضع المأمور به ضد البغي والفخر...، فكان في ذلك ما دل على أن الاستطالة على الناس، إن كانت بغير حق فهي بغى؛ إذ البغي مجاوزة الحد، وإن كانت بحق فهي الفخر، لكن يقال على هذا: البغي يتعلق بالإرادة، فلا يجوز أن يجعل هو من باب الاعتقاد وقسيمه من باب الإرادة، بل البغي كأنه في الأعمال والفخر في الأقوال، أو يقال: البغي بطر الحق، والفخر غمط الناس)[3].

(١) رواه ابن القطان مصححاً له: الوهم والإيهام (٥/٢٩٦) نقلاً عن كتاب الزهد للإمام أحمد وقال: (كذا في النسخة "بلاء" وأراه مصحفاً من "ذلاً"، وهذا الإسناد كل رجاله ثقات، فاعلم ذلك) ولم أعثر عليه في المطبوع من كتاب الزهد للإمام أحمد، وقال الألباني: (وهو حديث صحيح بمجموع طرقه). السلسلة الصحيحة (١/٤٢) برقم (١١).

(٢) رواه مسلم (١١٤٩) برقم (٢٨٦٥).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٤/٢٢١).

# المبحث العاشر
# التعصب

التعصب: (شيمة من شيم الضعف، وخلة من خلل الجهل، يبتلى بها الإنسان، فتعمى بصره، وتُغشي... عقله، فلا يرى حسناً إلا ما حَسُن في رأيه، ولا صواباً إلا ما ذهب إليه، أو من يتعصب له)[1].

وسواء كان تعصب المتعصب لرأي نفسه، أو لرأي عالم مجتهد، أو لرأي إنسان ليس أهلاً للإمامة، وإن كان إماماً في نظر المتعصب، أو كان لجماعة أو حزب أو طائفة، فكل ذلك من ألوان التعصب.

وقد وقع التعصب في تاريخ الأمة كثيراً، وأمثلته تكاد لا تنتهي، ففي كل زمن تحدث ألوانٌ من التعصب[2].

**منشأ التعصب:**

ينشأ التعصب عن الهوى وغلو بمحبة النفس، أو محبة الإمام المقتدى به، أو محبة فكر ومعتقد ما ونحو ذلك من أوجه الهوى بحيث يظن المرءُ نفسه معصومةً، أو إمامه، أو طائفته، أو فكره، ولذلك نهانا الله عن التشبه باليهود في أوصافهم التي منها: كتمان العلم بخلاً به، أو اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، أو

(١) محمد العبده، وطارق عبد الحكيم: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم (٨٣).

(٢) ينظر: الشاطبي: الاعتصام (٢/٨٦٣-٨٦٤).

تعصباً وخوفاً أن يُحتج عليهم بما أظهروا منه[1].

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(وهذا قد ابتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً عنه برياسة، أو مال، ويخاف من إظهاره انتقاص رياسته، أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل)[2].

وكل أولئك من التعصب للقول، أو للطائفة.

عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"[3].

قال المباركفوري -رحمه الله-: ("ليس منا" أي ليس من أهل ملتنا.

"من دعا" أي: الناس. "إلى عصبية" قال المناوي: أي من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظالم. وقال القاري: أي إلى اجتماع عصبية في معاونة ظالم.

"من قاتل على عصبية" أي: على باطل. "من مات على عصبية" أي: على

(١) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٢).

(٢) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٥٢) برقم (٥١٢١)، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: (ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض) رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه (٢٧).

طريقتهم من حمية الجاهلية)[1].

لقد وقع التعصب في تاريخ الأمة، فتجد شدة تعصب أقوامٍ لأشخاص، أو مذاهب فكرية عقدية، فتجد الرجل يتفقه ويتأدب بطريقة قوم صالحين من مثل أتباع الأئمة الأربعة، أو منحرفين من أرباب المذاهب الهدامة والأفكار الضالة المنحرفة، ثم يجعل أصحابه المعيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في وصيته لأتباع عدي بن مسافر -رحمه الله-: (الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله -ﷺ- ويؤخر من أخره الله ورسوله -ﷺ- ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله؛ وينهى عما نهى الله عنه ورسوله -ﷺ- وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله ؛ وأن يكون المسلمون يدا واحدة)[3].

فالمحبة والكره، والرضى والغضب، والتقديم والتأخير إنما هو بحسب محبة الله، وكرهه، ورضاه، وغضبه، وتقديمه، وتأخيره، وأما أهل الأهواء والانحراف فإنما ينتصرون لأهوائهم بغير علم، ويقدمون آراءهم، وآراء مقدميهم، ومعظميهم بلا هدى من الله[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- "إن الله -عز وجل-

(١) عون المعبود (١٤/١٩).

(٢) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/٨-٩).

(٣) الوصية الكبرى (٨٥).

(٤) وقد ذكر الشاطبي جملة من أسباب التعصب غالبها عائد إلى الهوى: انظر: أدب الطلب ومنتهى الأرب (٤٠-١٢٣).

قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقيٌ وفاجرٌ شقيٌ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكُونُنَّ أهون على الله من الجِعلاَنِ التي تدفع بأنفها النتن"[1].

قال العظيم آبادي-رحمه الله-: ("عُبِّيَّة الجاهلية": بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح المثناة التحتية المشددة أي: فخرها وتكبرها ونخوتها.

قال الخطابي: العبية الكبر والنخوة، وأصله من العب، وهو الثقل يقال عبية وعبية بضم العين وكسرها.

" مؤمن تقي، وفاجر شقي " قال الخطابي: معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل، وإن لم يكن حسيبا في قومه، وفاجر شقي فهو الدني، وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً انتهى.

وقيل: معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والدليل لا يستحق التكبر فالتكبر منفي بكل حال.

"أنتم بنو آدم وآدم من تراب" أي: فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والكبر.

" ليدعن ": بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليتركن كذا قيل "إنما هم" أي: أقوام.

(١) أخرجه أبو داود (٥٥١) برقم (٥١١٦) والترمذي (٦٠٧) برقم (٣٩٥٥) وقال (حديث حسن غريب) وأحمد (٣٤٩/١٤) برقم (٨٧٣٦) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

"أو ليكونن": بضم النون الأولى والضمير الفاعل العائد إلى رجال وهو واو الجمع محذوف من ليكونن والمعنى ليصيرن. "أهون" أي: أذل. "على الله" أي: عنده.

"من الجعلان": بكسر الجيم وسكون العين جمع جعل بضم ففتح دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها. "التي تدفع بأنفها النتن": أي العذرة)[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (فأضاف العبية، والفخر إلى الجاهلية يذمهما بذلك، وذلك يقتضي ذمهما بكونهما مضافين إلى الجاهلية، وذلك يقتضي ذم كل الأمور المضافة إلى الجاهلية)[2].

وعن جندب بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قتل تحت راية عِمِّيَّة، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية"[3].

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: (العمية: الأمر الملبس لا يدرى ما وجهه، قال أحمد ابن حنبل: هو الأمر الأعمى كالعصبية التي لا يستبان ما وجهها. والمقصود أنه يقاتل لهواه لا على مقتضى الشرع)[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "... ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، فليس من أمتي..."[5] الحديث.

قال القاضي عياض-رحمه الله-: (أي أنه إنما يقاتل لشهوة منه، وغضبها

(١) عون المعبود (١٤/ ١٦) وانظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي (٩/ ١١٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٣) برقم (١٨٥٠).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٤٦).

(٥) أخرجه مسلم (٧٧٢) برقم (١٨٤٨).

له، أو لقومه وعصبيته)[1].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمياء يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية فقتل قتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدها، فليس مني، ولست منه"[2].

قال القرطبي -رحمه الله-: (وقوله: "فليس مني، ولستُ منه" هذا التَّبَرِّي ظاهره: أنه ليس بِمُسلم. وهذا صحيحٌ إن كان معتقدًا لِحِلِّيَّه ذلك، وإن كان معتقدًا لتحريمه: فهو عاصٍ من العصاة، مرتكب كبيرة، فأمره إلى الله -تعالى-.

ويكون معنى التَّبَرِّي على هذا ؛ أي: ليست له ذمّة ولا حرمة، بل إن ظُفِر به قُتِل، أو عُوقب، بحسب حاله وجريمته.

ويحتمل أن يكون معناه: ليس على طريقتي، ولست أرضى طريقته. كما تقدم أمثال هذا. وهذا الذي ذكره في هذا الحديث هي أحوال المقاتلين على المُلك، والأغراض الفاسدة، والأهواء الركيكة، وحمية الجاهلية)[3].

**مظاهر التعصب:**

من أهم مظاهر التعصب هنا:

**الأول: التعصب للجماعة أو الحزب والطائفة:**

إذا كان يجوز لقوم من المسلمين أن يجتمعوا على عملٍ من أعمال الخير، فإنه

(١) إكمال المعلم (٦/١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٢) برقم (١٨٤٨).

(٣) المفهم (١٢/١٠٦).

لا يجوز لهم أن التعصب على مقتضى ذلك الاجتماع، فإن فعلوا فقد وقعوا في المحذور، ويحكم على الطائفة عبر النظر في حال أهلها (فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله -ﷺ- أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان)(١).

والتعصب نهينا عنه حتى وإن كان للأسماء الفاضلة المستحبة، فقد أنكر النبي -ﷺ- التعصب لاسمين فاضلين هما (المهاجرين، والأنصار).

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كنا مع النبي -ﷺ- فى غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله -ﷺ- "ما بال دعوى الجاهلية" قالوا يا رسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال "دعوها فإنها منتنة"(٢).

وفي رواية: فخرج رسول الله -ﷺ- فقال: "ما هذا دعوى أهل الجاهلية" قالوا: لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا، فكسع أحدهما الآخر قال: "فلا

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١١/٩٢).

(٢) سبق تخريجه (٤٥٣).

بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً، أو مظلوماً إن كان ظالماً، فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره"[1].

قوله: (فكسع أحدهما الآخر): (أي ضرب دبره وعجيزته بيد، أو رجل، أو سيف وغيره)[2].

قال النووي -رحمه الله-: (يا للمهاجرين: معناه أدعو المهاجرين وأستغيث بهم، وأما تسميته -ﷺ- ذلك "دعوى الجاهلية" فهو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالإحكام الشرعية، فإذا اعتدى إنسان على آخر حكم القاضي بينهما، وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الإسلام)[3].

وقال النووي -رحمه الله-: (قوله -ﷺ-: "دعوها فانها منتنة"أي: قبيحة كريهة مؤذية)[4].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (قوله -ﷺ- في آخر هذه القصة: "لا بأس" فمعناه لم يحصل من هذه القصة بأس مما كنت خفته، فإنه خاف أن يكون حدث أمر عظيم يوجب فتنة وفساداً، وليس هو عائداً إلى رفع كراهة الدعاء بدعوى الجاهلية)[5].

(١) أخرجه مسلم (١٠٤١) برقم (٢٥٨٤).

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم (١٦/١٣٨).

(٣) المصدر نفسه (١٦/١٣٧).

(٤) المصدر نفسه (١٦/١٣٨).

(٥) شرح صحيح مسلم (١٦/١٣٧- ١٣٨) وانظر: ابن حجر: فتح الباري (٨/٦٤٩).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (هذان الاسمان: (المهاجرون، والأنصار) اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل، وفي هذا وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله -ﷺ- ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه، أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى.

ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفة منتصراً بها أنكر النبي -ﷺ- ذلك وسماها دعوى الجاهلية؛ حتى قيل له إن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم؛ ليبين النبي -ﷺ- أن المحذور من ذلك إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقاً فعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب، أو مستحب)(١).

وقال -رحمه الله- أيضاً: (فإذا كان هذا التداعي في الأسماء، وفي هذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله -ﷺ- فكيف بالتعصب مطلقاً، والتداعي للنسب والإضافات التي ما هي إما مباحة، أو مكروهة)(٢).

وخطورة الأمر بالتعصب للجماعة يظهر حين لا يقبل المرء من الدين والعلم إلا ما جاءه من طريق جماعته فقط وحصراً.

وهذا الأمر كان سبباً في كفر اليهود، وضلالهم من قبل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢١١).

(٢) المصدر نفسه (١/٢١٤) وينظر: الفتاوى (٣/٤١٥).

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] بعد أن قال سبحانه: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي الناطق به، وكانوا يظنون أن النبي سيكون منهم، فلما جاءهم هذا النبي -ﷺ- الناطق بالحق من غير ملتهم وطائفتهم التي يهوونها لم ينقادوا له؛ إذ كانوا متعصبين لطائفتهم لا يقبلون الحق إلا إذا جاء منها[1]، فكان تعصبهم لطائفتهم سبباً في الضلال الأعظم وهو: الكفر بالله ورسوله -ﷺ- فاستحقوا بذلك اللعنة التي جعلها الله على الكافرين.

وهذا الذي وقعت فيه اليهود ابتليت به طوائف (من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الدين من المتفقهة، أو المتصوفة، أو غيرهم، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين غير النبي -ﷺ- فإنهم لا يقبلون من الدين لا فقهاً، ولا رواية إلا ما جاءت به طائفتهم)[2].

إنك (تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً، ويبغضون قوماً؛ لأجل أهواء لا يعرفون معناها، ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي -ﷺ- وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها، ومقتضاها)[3].

(١) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٣).

(٢) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٣-٧٤).

(٣) ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/١٦٣) وينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧١-٢٧٢).

لذلك جعل بعض السلف علامة المبتدع تعصبه للأهواء، فقد قيل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر من السني؟ قال: (الذي إذا ذكرت عنده الأهواء، لم يغضب لشيء منها)[1].

وكما ابتليت بعض طوائف أهل الانحراف والضلال المتقدمين بهذا ابتلي به المعاصرون المنحرفون فقد جعل بعضهم جماعته مصدر الحق، يقول أحد قياديي جماعة شكري مصطفى المنحرفة: (نحن جماعة الحق، ومن عدانا، فليس بمسلم)[2].

**الثاني: التعصب للأئمة والقادة:**

لقد اتفقت الأمة على أن الرسول -ﷺ- معصوم فيما بلغه عن الله - تعالى- وكذلك الأمة معصومة على أن تجتمع على ضلالة[3].

كما اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله -ﷺ- فالناس كلهم مفتقرون إلى الكتاب والسنة، فلا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول فما وافقها فهو الحق، وما خالف ذلك فهو الباطل، وإن كانوا مجتهدين فيه، والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم، ويغفر لهم خطأهم[4].

وإذا ما خالف أحدٌ هذا الأصل العظيم، فجعل بعض المعظمين عنده بمثابة الرسول -ﷺ- يطيعهم في كل ما أمروا به، فقد وقع في الغلو والتطرف،

(١) ذكره ابن تيمية: الاستقامة (١/٢٥٥).

(٢) هو المكنى بأبي مصعب، ينظر: عبد الرحمن أبو الخير: ذكرياتي مع جماعة الإخوان المسلمين (٩٤).

(٣) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى (٣٣/٢٨).

(٤) ينظر: المصدر نفسه (٢/٢٢٧).

وأوقعه ذلك في ألوان أخرى من الانحراف والابتداع.

(ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله -ﷺ- ويبقى كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي -ﷺ- في أمته، وهذا تبديل للدين)[1].

عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -ﷺ- وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن" وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١] قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً، استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً، حرموه"[2].

قال المباركفوري -رحمه الله-: (قال في فتح البيان: في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة، مع مخالفته لما جاءت به النصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم، بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء.

فيا عباد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً، وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه، فعملتم بما

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/٢١٦).

(٢) سبق تخريجه (٣٥٩).

جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق، ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة، تنادي بأبلغ نداء، وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه، فأعرتموها آذانا صماً، وقلوباً غلفاً، وأذهاناً كليلة، وخواطر عليلة، وأنشدتم بلسان الحال: وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد انتهى.

وقال الرازي في تفسيره: قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين -رضي الله عنه-: قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرئت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله -تعالى- في بعض المسائل فكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت إلى خلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا)[1].

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر)[2].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مما قد ذكرناه في كتابنا هذا أنه قال: "تذهب العلماء، ثم تتخذ الناس رءوساً جهالاً يسألون، فيفتون بغير علم فيضلون، ويضلون".

وهذا كله نفي للتقليد وإبطال له لمن فهمه وهدي لرشده)[3].

(١) تحفة الأحوذي (٧/٤١٨).

(٢) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/٢٢٩) و ابن القيم: إعلام الموقعين (٢/١٩٥).

(٣) جامع بيان العلم (٢/٢٢٩).

عن سفيان بن عيينة، قال: اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: (رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا)(١).

وقال أيوب -رحمه الله-: (ليس تعرف خطأ معلمك؛ حتى تجالس غيره)(٢).

وقال عبد الله بن المعتز -رحمه الله-: (لا فرق بين بهيمة تقاد، وإنسان يقلد)(٣).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم؛ ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة، وبين طلب الحجة والله أعلم.

ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله، عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا، وذلك -والله أعلم- لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم)(٤).



(١) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/ ٢٣٠).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق.

وقد تنبه علماء المسلمين وأئمتهم لهذا، فكانوا يحذرون من التعصب لهم وتقليدهم تقليداً مطلقاً، قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله -: (إذا جاء الحديث الصحيح الإسناد عن النبي -عليه السلام- أخذنا به)[1]

ونقل مثل ذلك المعنى عن بقية الأئمة حتى غدا شعارهم: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[2].

(وهذا لسان حال الجميع ومعناه: أن كل ما تتكلمون به على تحري أنه طابق الشريعة الحاكمة، فإن كان كذلك فبها ونعمت، وما لا فليس بمنسوب إلى الشريعة، ولا هم أيضاً ممن يرضى أن تنسب إليهم مخالفتها)[3].

وأما أهل الانحراف والضلال، فقد غلوا في زعمائهم وقادتهم، فأطاعوهم طاعة مطلقة، فأضلوهم، واعتبر ذلك بالروافض وغلاة الصوفية ونحوهم.

والمنحرفون الغلاة المعاصرون وقعوا في ذلك الشَرَكِ أيضاً، فكان التعصب والطاعة العمياء سمتهم.

يقول عبد الرحمن أبو الخير عن طبيعة جماعة شكري مصطفى: (لقد قام بناء هذه الجماعة على الطاعة المطلقة، بل والعمياء، فأي شخص كان يُشم منه رائحة لقياس الأوامر الصادرة إليه بمقياس شرعي، أو حتى استفسار عن مغزاه كان يواجه بتهمة الردة، ويعامل معاملة المرتدين)[4].

ويقول: (لقد كان الشباب يستدعى بأوامر عسكرية، فلا يعلم طبيعة

---

(١) ابن عبد البر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (١٤٥).

(٢) انظر: ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٣٢/٢، ١٤٩) والنووي: المجموع (٦٣/١).

(٣) الشاطبي: الاعتصام (٨٦٢/٢).

(٤) ذكرياتي مع جماعة المسلمين (١٣٤-١٣٥).

المهمة المقبل عليها، ولا مدى اقتناعه بها، وكان أغلب الشباب لايعرفون شيئاً عن طبيعة تركيب عقل قيادة الجماعة، وكان الكل يخضع تماماً لأمر أبي سعد -كنية شكري مصطفى- دون مناقشة، بل إن عملية ضرب المرتدين -يعني الخارجين عن الجماعة- والإعلان الواسع عنها قد بعث الرعب في قلوب الجميع: الغرباء، وأبناء الجماعة)[1].

إن هذا التعصب المذموم جر على الأمة بلايا عظمية في المعتقد، والشريعة، والسياسة، فلقد غلبت الأهواء على النفوس حتى امتنعت عن قبول الحق والسماع من المحق، بل جر هذا التعصب إلى سفك الدماء المعصومة.

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: (واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحرم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، وقد لا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك.... وهذا يعرفه كل من له خبرةٌ بأحوال الناس)[2].

۞ ۞ ۞

**نبذ التعصب:**

إن من مقتضيات الانتماء لهذا الدين طاعة الله ورسوله -ﷺ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

---

(١) المصدر نفسه (٧١).

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب (٩٢).

وعدم التقدم على الله ورسوله -ﷺ- برأي أو قول أو حكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وحين يقدم المرء رأي نفسه أو رأي مقدمه وزعيمه على حكم الله ورسوله -ﷺ- يضل وينحرف، فلقد تقدم بيان أن التعصب مذموم شرعاً وهو سبب للضلال والانحراف، لذلك كان من الضروري نبذ التعصب بأن يقبل المرء الحق والدين الذي جاء به سيد المرسلين، ولو كان ذلك على خلاف رأي نفسه، أو رأي زعيمه وحزبه، فإن الله تعالى يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وأما أفعال الناس وآراؤهم فالمعيار لقبولها وردِّها هو الوحي - الكتاب والسنة - فما وافق الوحي أخذ به من أي مصدر كان، وما خالفه ردَّ مهما كانت منزلة قائله، فلا طاعة مطلقة لأحد إلا الله سبحانه، ورسوله -ﷺ- إذ العصمة لا تكون لأحد بعد النبي -ﷺ- فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا محمد -ﷺ-.

قال الإمام مالك -رحمه الله-: (كل يؤخذ من قوله، ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي -ﷺ-)(١).

وما سلم أهل السنة والجماعة من آفات الانحراف العقدي والفكري إلا حين سلموا لله ورسوله -ﷺ-.

(١) الذهبي: السير (٨/٩٣).

# المبحث الحادي عشر
# كيد المبطلين وعداوتهم للحق

إن الناظر في تاريخ الدعاة يجد هذا الأمر متكرراً -وهو تصدي شياطين الإنس والجن لأهل الحق- وكأنه سنة ربانية ليميز بها الله الصادقين من الكاذبين ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقد سجل القرآن لنا نفسية أهل الباطل وحرصهم على منع الحق وأهله فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

(وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم)[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

(١) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (١٤١).

وقال ابن كثير -رحمه الله- في سبب نزول هذه الآيات: أن رسول الله -ﷺ- جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله -ﷺ- فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله -ﷺ- حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآيات، ثم قام رسول الله -ﷺ- وأقبل عبد الله بن الزِّبعَرى التميمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لَخَصَمْتُه، سلوا محمداً: أكلّ ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم؟

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذُكِر ذلك لرسول الله-ﷺ- فقال: "كل من أحب أن يعبد من دون الله، فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته" فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

أي: عيسى، وعزير، ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله -عز وجل- فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله)[1].

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

قال ابن كثير -رحمه الله- في سبب نزول هذه الآيات: (لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بِعِيرِه، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم، وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدا قد وَتَرَكم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم -كما ذكر عن ابن عباس- أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾).

وأضاف -رحمه الله-: (وعلى كل تقدير، فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصاً.

فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تُجْدِ شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومُعْلِن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن

عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ومن قُتِل منهم أو مات، فإلى الخِزْي الأبدي والعذاب السَّرْمَدِيّ؛ ولهذا قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾)(1).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق، وهي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره على سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.

وصاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها)(2).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طَرَائق الكفار من أهل الكتاب،

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٦٠).

ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح. ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه)[١].

وفي سبب نزول هذه الآية جاء: (عن ابن عباس قال: كان حُيَيُّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهودَ للعرب حسدًا، إذْ خَصهم الله برسوله -ﷺ- وكانا جَاهدَين في ردِّ الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ الآية[٢].

وعن كعب بن مالك -رضي الله عنه- أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرًا وكان يهجو النبي -ﷺ- وفيه أنزل الله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾[٣].

واليهود هم قتلة الأنبياء والرسل يقول تعالى فيهم: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فكل من سار على هذا الطريق واتبع هذه السنة في منع الحق والتصدي لدعاته بالقتل أو المنع فهو على سنة المغضوب عليهم من اليهود.

وفي السنة والسيرة بيان لما يتعرض له الدعاة من أصناف الأذى والكيد:

فعن خَبَّاب بن الأرَتّ -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -ﷺ- وهو

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٢).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٢).

(٣) المصدر نفسه (١/٣٨٢).

متوسد بُردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كان الرجل فيمن قبلكم، يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمَّنَّ هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"(1).

ولما سأل هرقلُ أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: فكيف كان الحرب بينكم؟ قال: سِجَالا يدال علينا ونُدَال عليه. قال: كذلك الرسل تُبْتَلى، ثم تكون لها العاقبة(2).

وكذلك فعل المشركون برسول الله -ﷺ- يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل، ادخل فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره. قال: فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من

(١) سبق تخريجه (٥٥٣).
(٢) سبق تخريجه (٦٣١).

كان قبله من الشعراء: زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله ما هذا لكم برأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم، فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، قال: فانظروا في غير هذا.

قال: فقال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاوة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله، فانظروا بابا غير هذا.

قال: فقال أبو جهل، لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمونه بعد، ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلاما شابا وسيطا نهدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها. فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه.

قال: فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي. القول ما قال الفتى لا رأي غيره، قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبريل النبي -ﷺ- فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأخبره بمكر القوم.

فلم يبت رسول الله -ﷺ- في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة: (الأنفال) يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1].

وعن ابن عباس قال: دخلت فاطمةُ على رسول الله -ﷺ- وهي تبكي، فقال: "ما يبكيك يا بُنَيَّة؟" قالت: يا أبت، و ما لي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش في الحجْر يتعاقدون باللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك. فقال: "يا بنية، ائتني بوَضُوء" فتوضأ رسول الله -ﷺ- ثم خرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا فطأطؤوا رؤوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم، فتناول رسول الله -ﷺ- قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: "شاهت الوجوه" فما أصاب رجلا منهم حَصَاة من حصياته إلا قُتل يوم بدر كافراً[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق -يريدون النبي -ﷺ- وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله -ﷺ-

(١) رواه ابن إسحاق كما قاله ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤-٤٥).

(٢) أخرجه: الحاكم: المستدرك (١٥٧/٣) وقال (صحيح على شرط مسلم، و لم يخرجاه، ولا أعرف له علة) وابن حبان برقم (١٦٩١) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥).

وخرج رسول الله -ﷺ- حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبي -ﷺ- فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليًّا رَدَّ الله تعالى مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتصا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمرّوا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال(١).

وعن سعيد بن جُبَيْر قال: قَتَل النبي -ﷺ- يوم بدر صبرا عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط وطُعَيْمة بن عَدِي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله، أسيري، فقال رسول الله -ﷺ-: "إنه كان يقول في كتاب الله -عز وجل- ما يقول" فأمر رسول الله -ﷺ- بقتله، فقال المقداد: يا رسول الله، أسيري، فقال رسول الله -ﷺ-: "اللهم اغن المقداد من فضلك". فقال المقداد: هذا الذي أردت(٢).

وما استهداف الدعاة في الحادثة التي سميت بـ بعث الرجيع إلا ضمن هذا السياق في استهداف دعاة الحق، حيث قدم عليه -ﷺ- قوم من عضل والقارة في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة، فذكروا أن فيهم إسلاماً وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث معهم ستة

(١) المسند (٥/٣٠٠) برقم (٣٢٥١) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده ضعيف) قال ابن كثير (هذا إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار) البداية والنهاية (٣/٢٢١) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٧) (فيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) أخرجه الطبري: جامع البيان (١٣/٥٠٤) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧).

نفر وقيل عشرة، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد، وفيهم خبيب بن عدي فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هذيلاً فجاؤوا؛ حتى أحاطوا بهم فقتلوا عامتهم، واستأسروا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما وباعوهما بمكة، فقتلوهما - رضي الله عنهما-[1].

وحادثة أخرى في نفس السياق، فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بسبعين من الأنصار قال أنس: كنا نسميهم، القراء يحطبون بالنهار، ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم؛ حتى بلغوا بئر معونة، غدروا بهم، وقتلوهم، فقنت شهراً يدعو على رعل، وذكوان، وبني لحيان[2].

وفي أهل الإضلال والإفساد من المنافقين نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان

(١) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦) برقم (٣٠٦٤) ومسلم (٢٦٦) برقم (٦٧٧).

بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله -ﷺ- إليها رجل من الخزرج يقال له: أبو عامر الراهب، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدم رسولُ الله -ﷺ- مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألَّبهم على حرب رسول الله -ﷺ- فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله -ﷺ- وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه وكُسِرت ربَاعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه - صلوات الله وسلامه عليه-.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر.

وكان رسول الله -ﷺ- قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله -ﷺ- أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي -ﷺ- فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار

من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله -ﷺ- ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي -ﷺ- إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله -ﷺ- أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: "إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله".

فلما قفل-عليه السلام- راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله -ﷺ- إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر، ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي -ﷺ- فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله، عز وجل: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ إلى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾)[1].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي: إعداداً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم)[2].

ومن صور الصد عن دين الله استخدام العنف ضد من آمن للحق واتبعه، وعلى رأس أولئك نبينا -ﷺ-.

فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذا قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي -ﷺ- ووضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً؛ لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله -ﷺ- ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢١٠-٢١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٥١).

والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط " وعد السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله -ﷺ- صرعى في القليب قليب بدر[1].

وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: "كيف يفلح قوم: شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله"[2].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كأني أنظر إلى النبي -ﷺ- يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[3].

ولما خرج رسول الله -ﷺ- إلى بني النضير يستعينهم في دية رجلين قتلا خطأ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال، قال: وكان جالساً إلى جانب جدار لهم، فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله، ويريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فأتاه الخبر من السماء، فقام مظهراً أنه يقضي حاجة، وقال لأصحابه: "لا تبرحوا" ورجع مسرعا إلى المدينة، واستبطأه أصحابه، فأخبروا أنه توجه إلى المدينة، فلحقوا به فأمر بحربهم والمسير إليهم، فتحصنوا، فأمر بقطع النخل

(١) أخرجه البخاري (٦٨) برقم (٢٤٠) و مسلم (٧٤٦) برقم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: معلقاً: صحيفة (٧٧٢) ومسلم (٧٤٥) برقم (١٧١٩).

(٣) سبق تخريجه (١٨٣).

والتحريق، حاصرهم ست ليال، وكان ناس من المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، فإن قوتلتم قاتلنا معكم فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الأبل، فصولحوا على ذلك[1].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد[2].

وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بعمار وأهله، وهم يعذبون فقال: "أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة"[3].

ومن صور الكيد لأهل الحق إغواء المنحرفين عن الجادة من المسلمين بتقديم المأوى لهم.

ففي حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال: (فبينا أنا أمشي بسوق المدينة؛ إذا نبطي من أنباط أهل الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (٣٣١/٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٢/٦) برقم (٣٨٣٢) والحاكم (٣٢٠/٣) برقم (٥٢٣٨) وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم (٤٣٨/٣) برقم (٥٦٦٦) وقال (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي.

كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له؛ حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد:

فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها)(١).

ومن صور التصدي للحق وأهله: تحذير الناس من الدعاة، ومنع أهل الحق من أن يخاطبوا الخلق.

فعن ربيعة بن عباد الديلي فقال: رأيت رسول الله -ﷺ- بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: "أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: أنه صابئ، كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب(٢).

ومن صور التصدي للحق التلاعب بأحكام الله(٣).

فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: مر على النبي -ﷺ- بيهودى محمّماً مجلوداً، فدعاهم -ﷺ- فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قالوا:

(١) أخرجه البخاري (٨٣٣) برقم (٤٤١٥).

(٢) سبق تخريجه (٦٩٦).

(٣) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (١٨٤).

نعم. فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قال: لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف، والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله -ﷺ-: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" فأمر به فرجم(١).

ومن صور التصدي للحق والكيد بأهله، التفريق وإثارة القلاقل بين المسلمين واستغلال كل حادثة في ذلك.

ففي قصة بني المصطلق: فبينا رسول الله -ﷺ- مقيم هناك، اقتتل على الماء جَهجاه بن سعيد الغفاري -وكان أجيراً- لعمر بن الخطاب، وسنان بن وَبْر ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين -وزيد بن أرقم، ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي- فلما سمعها قال: قد ثاورُونا في بلادنا، والله ما مثلُنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم في بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد ابن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله -ﷺ- وهو غُلَيِّمٌ -وعنده عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فأخبره الخبر، فقال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله مر عَبّاد بن بشْر، فليضرب عنقه. فقال -ﷺ-: "فكيف

(١) أخرجه مسلم (٧٠٦) برقم (١٧٠٠).

إذا تحدث الناس -يا عمر- أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عمر في الرحيل"(١).

وعن زيد بن أسلم قال: مرّ شأسُ بن قيس، وكان شيخًا قد عَسَا في الجاهلية، عظيمَ الكفر، شديد الضِّغن على المسلمين، شديدَ الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله -ﷺ- من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم، إذا اجتمع ملأهم بها، من قرار! فأمر فَتى شابًّا من يهودَ وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذَكّرهم يَوْم بعاث وما كان قبله، وأنشدْهم بعض ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار وكان يوم بُعَاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج ففعل.

فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب: أوسُ بن قَيْظي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس - وجبّار بن صخر، أحد بني سَلمة من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً! وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاحَ السلاحَ!! موعدُكم الظاهرة -والظاهرةُ: الحَرَّة- فخرجوا إليها. وتحاوز الناس. فانضمت الأوس بعضها إلى بعض،والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغَ ذلك رسولَ الله -ﷺ- فخرج إليهم

(١) سبق تخريجه (٤٥٤) وهذه الرواية ذكرها ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٨).

فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: "يا معشرَ المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟" فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكَوْا، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رَسول الله -ﷺ- سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شَأس بن قيس وما صنع. فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨-٩٩] الآية.

وأنزل الله -عز وجل- في أوس بن قَيْظيّ وجبّار بن صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا

تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٥][١].

ومن صور التصدي والكيد لأهل الحق، المساومة بترك الحق مقابل شيء من حظوظ الدنيا[٢]. قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (يخبر تعالى عن تأييد رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار، وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناواه، في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين)[٣].

وفي السيرة: أن عتبة بن ربيعة قام حتى جلس إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة -أي الشرف- في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك أمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

(١) أخرجه الطبري: جامع البيان (٦/٥٥-٥٦).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢٠٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/١٠٠).

قال: فقال له رسول الله -ﷺ-: "يا أبا الوليد أسمع".

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالاً حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي -ﷺ-: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم. قال: " اسمع منى" قال: أفعل. فقال رسول الله -ﷺ-: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣] فمضى رسول الله -ﷺ- يقرؤها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه؛ حتى انتهى رسول الله -ﷺ- إلى السجدة فسجدها ثم قال: "سمعت يا أبا الوليد؟" قال: سمعت، قال: "فأنت وذاك".

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم،

وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنت أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم(١).

ومن صور الكيد لأهل الحق السخرية والاستهزاء والضحك من أهل الحق(٢).

ففي السيرة: أنه بعد موت أبي طالب ازداد البلاء على رسول الله -ﷺ- شدة، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء، وما انتهك قومه منه، فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط، وقال الآخر: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً؛ لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك، وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك.

وأفشوا ذلك في ثقيف الذي قال لهم، واجتمعوا يستهزئون برسول الله -ﷺ- وقعدوا له صفين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة، فجعل لا يرفع رجله، ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة، وهم في ذلك يستهزءون، ويسخرون(٣).

ومن صور التصدي لأهل الحق التيئيس من انتشار الحق وقبوله من العامة(٤).

قال تعالى حاكياً عن كفار قريش قولهم لنبينا محمد -ﷺ-: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ

(١) سبق تخريجه (٦٨٧).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢١٣).

(٣) رواه أبو نعيم: دلائل النبوة (١٠٣).

(٤) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢١٤).

أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥].

قال ابن سعدي -رحمه الله- (﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ ﴾ أي: أغطية مغشاة ﴿ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ أي: صمم فلا نسمع لك ﴿ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ فلا نراك.

القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: ﴿ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا)(١).

ومن صور الكيد والتصدي لأهل الحق استخدام التخويف للردع عن الدعوة للحق(٢).

ففي السيرة أن رسول الله -ﷺ- لما خرج إلى حمراء الأسد بعد غزوة أحد طلباً لجيش قريش، وأن معبد الخزاعيّ ثنى أبا سفيان ومن معه عن الرجوع إلى المدينة لاستئصال المسلمين فيها، مرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلّغون عني محمدًا رسالة أرسلكم بها، وأحمّل لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٤٤).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢١٧).

بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم! فمر الركب برسول الله -ﷺ- وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله -ﷺ- وأصحابه: "حسبنا الله ونعم الوكيل"[(1)].

فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

ومن صور الكيد والتصدي لأهل الحق إظهار الشماتة[(2)].

لذلك كان نبينا -ﷺ- يتعوذ من شماتة الأعداء، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء"[(3)].

قال النووي -رحمه الله-: (وشماتة الأعداء: هي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه، يقال منه شمت بكسر الميم، وشمت بفتحها فهو شامت، واشمته غيره)[(4)].

وقال ابن حجر-رحمه الله-: (وفي الحديث دلالة لاستحباب الاستعاذة من الأشياء المذكورة، وأجمع على ذلك العلماء في جميع الإعصار والامصار)[(5)].

(١) انظر: الطبري: جامع البيان (٧/٤٠٦- ٤٠٩).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢١٩)

(٣) أخرجه: البخاري (١٢٦٤) برقم (٦٦١٦) ومسلم (١٠٨٥) برقم (٢٧٠٧).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٧/٣١).

(٥) الفتح (١١/١٤٩).

ومن صور التصدي استخدام الوشاية الكاذبة لدى السلطان ضد أهل الحق[1].

فلما بعثت قريش: عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى نجاشي الحبشة لاسترداد المسلمين هناك، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده، ثم أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم -عليهما السلام- عبد.

ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى وما جاء به نبينا -ﷺ- كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال له جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-: نقول فيه الذي جاء به نبينا -ﷺ- هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله[2]. الحديث

---

(١) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/١٧٠- ١٧٤) برقم (٢٢٤٩٨) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (كونهم إذا غُلِبوا بالحجة فزعوا إلى السيف، والشكوى إلى الملوك، ودعوى احتقار السلطان، وتحويل الرعية عن دينه)[1].

ومن صور التصدي للحق رفض الحجج والأدلة الواضحة البينة[2].

فعن أنس بن مالك -ﷺ-: أن أهل مكة سألوا رسول الله -ﷺ- أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين؛ حتى رأوا حراء بينهما[3].

فلما رأوا ذلك قالوا: (هذا سحر، سحركم به ابن أبي كبشة)[4].

وكان رجل من المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله -ﷺ- حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحِجْر ما كان - حيث قل الماء- ودعا رسول الله -ﷺ- حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت؛ حتى ارتوى الناس قالوا: أقبلنا عليه نقول ويحك، هل بعد هذا شيء؟! قال: سحابة مارَّة[5].

ومن صور التصدي والكيد لأهل الحق وصفهم بأوصاف مذمومة لتنفير الخلق عنهم[6].

ففي السيرة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب

(١) مسائل الجاهلية (١٠١).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٣) برقم (٣٨٦٨) ومسلم (١١٢٧) برقم (٢٨٠٢).

(٤) البيهقي: دلائل النبوة (٩٦).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/٥٢٢).

(٦) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٢٩٠).

ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً.

فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به.

فقالوا: نقول مجنون.

فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

فقالوا: نقول شاعر.

فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول هو ساحر.

قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجني، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لان تقولوا: هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره[1].

ومن صور التصدي لأهل الحق منعهم من إظهار دينهم وممارسة شعائرهم[2].

---

(١) رواه البيهقي: دلائل النبوة (٢/٢٠٠)، ونقله عنه رواه ابن كثير: السيرة النبوية (١/٤٩٩).

(٢) انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٣١٦).

تقص علينا عائشة -رضي الله عنها- فقالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله -ﷺ- طرفي النهار، بكرة وعشياً، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة؛ حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِماد، لقيه ابن الدغنة -وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يَخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلادك، فرجع مع أبي بكر، فطاف في أشراف كفار قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق.

فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا. قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة، ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين، وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته فإن أحب أن

يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر، فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب، أني أخفرت في رجل عقدت له. قال أبو بكر: إني أرد لك جوارك، وأرضى جوار الله[1].

وفي عصرنا الحاضر شهدنا منع بنات المسلمات عن حجابهن في بلاد قامت على الحرية بزعمهم، وفي بلاد يقال عنها أنها على الحياد منع المسلمون من بناء مآذنهم.

ومن صور التصدي والكيد المنع من تبليغ الدعوة للناس[2]، فعن عقيل بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا، وفي نادينا، فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل.

فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمك فأخرجته من كبس -بيت صغير- من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي، يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه؛ حتى انتهى إلى أبي طالب فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، والله ما علمت، إن كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم، وفي ناديهم، تسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلق ببصره إلى

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩) برقم (٢٢٩٧).

(٢)انظر: محمد المسند: أساليب المجرمين (٣١٩).

السماء فقال-ﷺ-: "والله ما أنا بأقدر أن أدَعَ ما بعثت به من أن يُشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار" فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط ارجعوا راشدين[1].

وكان رسول الله -ﷺ- يعرض نفسه على القبائل في المواسم، وهو يقول: "ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[2].

۞ ۞ ۞

إن تصدي وكيد أهل الباطل لأهل الحق سنة في الخلق، فهي صراع بين الحق وداعته، والباطل وداعته؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وتتنوع أسليب الصد والكيد بتنوع الأعصار والأزمان، والجامع فهيا إرباك المسلم وبث الذعر والخوف لديه، أو لغيره من هذا الدين إلا أن العصمة للحق باقية، وظهوره أمر مؤكد.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (ومن عصمة الله -عز وجل- لرسوله حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعَانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبَغْضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارًا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة.

فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في

---

(١) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير (١٧/١٩١) والأوسط (٨/٢٥٢) وأبو يعلى: المسند (١٢/١٧٦) برقم (٦٨٠٤) وقال الهيثمي (رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وأبو يعلى باختصار يسير من أوله ورجال أبي يعلى رجال الصحيح) مجمع الزوائد (٦/١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٦) برقم (٤٧٣٤) والترمذي (٤٦٦) برقم (٢٩٢٥) وقال (حديث غريب صحيح).

قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله -ﷺ- لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا، ثم قيض الله -عز وجل- له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها حَمَوه من الأحمر والأسود.

فكلما هم أحد من المشركين، وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه: لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه الله منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها)[1].

۞ ۞ ۞

لقد كان التبشير بأن النصر والتمكين والعلو لهذا الدين وأهله ظاهراً في معالجة النبي -ﷺ- لصنوف الكيد والظلم والبغي التي تعرض لها وأصحابه.

وهذا التبشير كان له دوره في تحقيق الأمن الداخلي والطمأنينة لدى المسلم؛ خاصة أنه صادر عن الصادق الأمين محمد بن عبد الله -ﷺ-.

**والمبشرات في النصوص كثيرة جداً، ولكني أذكر هنا جملاً منها:**

**أولاً**: بشارة هذه الأمة بأن المستقبل لهذا الدين، وأن الظهور لهذه الملة على سائر الأديان، ومن ذلك قول الله - عز وجل-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١٥٤).

أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣٢-٣٣].

وقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف: ٨-٩].

**ومن الأحاديث:** عن تميم الداري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ليبلغنَّ هذا الأمر، ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به دين الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر"(١).

وعن المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ، ولا وبرٍ، إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو ذل ذليل، أما يعزهم الله -عز وجل- فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم، فيدينون لها"(٢).

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده لا

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٤/٢٨) برقم (١٦٩٥٧) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم) و الحاكم: المستدرك (٤٧٦/٤) برقم (٨٣٢٤) وقال (صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٣٦/٣٩) برقم (٢٣٨١٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) وابن حبان في صحيحه (٩١/١٥) برقم (٦٦٩٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨١/٩) برقم (١٨٣٩٩) والحاكم: المستدرك (٤٧٦/٤) برقم (٨٣٢٤) وقال (صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

تذهب الأيام والليالي؛ حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم"[1].

**ثانياً**: البشارة لهذه الأمة بالعز والتمكين، فعن أُبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بشّر هذه الأمة: بالسناء والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب"[2].

وعن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها إلى ما زوى لي منها"[3].

**ثالثاً**: البشارة بالفتوحات والانتصارات التي تكون في آخر الزمان، وقد وردت في ذلك عدة أحاديث منها:

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تقوم الساعة؛ حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون؛ حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"[4].

وعن أبي قبيل المعافري قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- فسئل أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية، أو رومية؟ الحديث وفيه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مدينة هرقل تفتح أولاً" يعني القسطنطينية[5].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٥/٨) برقم (٧٦٤٢) ، وأبو نعيم الحلية (١٠٧/٦).

(٢) سبق تخريجه (١٦٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب: ، باب: (١١٥٨) برقم (٢٨٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (١١٧١) برقم (٢٩٢٢).

(٥) أخرجه أحمد (٢٢٤/١١) برقم (٦٦٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف). =

رابعاً: ما ورد من نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- وما يكون بعد نزوله من انتصار للحق، ورفع للفتن، بل ورغد العيش:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال؛ حتى لا يقبله أحد؛ حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩][(١)].

يقول النووي -رحمه الله- على هذا الحديث: (قوله-صلى الله عليه وسلم-: "حكماً" أي: ينزل حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة والمقسط العادل... وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "فيكسر الصليب" معناه يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل، وقتل الخنزير من هذا القبيل... وأما قوله-صلى الله عليه وسلم-: "ويضع الجزية" فالصواب فى معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل... وأما قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ويفيض المال" فهو بفتح الياء ومعناه: يكثر وتنزل البركات، وتكثر الخيرات بسبب العدل)[(٢)].

= والحاكم: المستدرك (٥٩٨/٤) برقم (٨٦٦٢)، وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وعلق الذهبي وقال: (صحيح)، والدارمي (١٣٧/١) برقم (٤٨٦)، وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤) برقم (٣٤٤٨) ومسلم (٨٥) برقم (١٥٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٠/٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "طوبى لعيش بعد المسيح! يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاحّ، ولا تحاسد، ولا تباغض"(1).

**خامساً**: ما ورد من دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم- ربَّه أن يسلم أمته من الهلاك العام والغرق العام، من ذلك:

عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبل ذات يوم من العالية؛ حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل، فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال-صلى الله عليه وسلم-: "سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"(2).

وعن شداد بن أوس يرفعه إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن الله -عز وجل- زوى لي الأرض؛ حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإني سألت ربي -عز وجل- لا يهلك أمتي بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً، فيهلكهم بعامة، وأن لا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، وقال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، وأني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة،

(1) رواه أبو سعيد النقاش: فوائد العراقيين (٤٣) برقم (٢٨) و صححه الألباني: السلسلة الصحيحة: (٤/٥٥٩) برقم (١٩٢٦).

(2) رواه مسلم (١١٥٨) برقم (٢٨٩٠).

ولا أسلط عليهم عدواً ممن سواهم فيهلكوهم بعامة؛ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يقتل بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً"(١).

وعن أبي مالك يعني الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة"(٢).

سادساً: ما ورد من أن الله – عز وجل- لا يجمع أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على ضلالة، ومن ذلك:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً "(٣).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"(٤).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا

---

(١) رواه الطبري: جامع البيان (٧/٢٢٣)، وابن كثير في تفسيره (٢/١٤١) وقال (إسناده جيد قوي) وصححه ابن حجر في الفتح (٨/٢٩٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤) برقم (٤٢٥٣)، وسكت عنه، وقال الألباني: (ضعيف، لكن الجملة الثالثة صحيحة). صحيح وضعيف سنن أبي داود: برقم (٤٢٥٣).

(٣) رواه الحاكم: المستدرك (١/٢٠٢) برقم (٣٩٩)، وقال (إبراهيم بن ميمون العدني هذا قد عدله عبد الرزاق و أثنى عليه و عبد الرزاق إمام أهل اليمن و تعديله حجة)، وعلق الذهبي (إبراهيم عدله عبدالرزاق ووثقه ابن معين).

(٤) رواه ابن ماجة (٤٢٤) برقم (٣٩٥٠). قال الألباني: (ضعيف جداً دون الجملة الأولى فهي صحيحة -يقصد: إن أمتي لا تجتمع على ضلالة-). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: برقم (٣٩٥٠).

يجمع أمتي -أو قال: أمة محمد- على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار"(١).

سابعاً: ما ورد في الأحاديث من بقاء الطائفة المنصورة في هذه الأمة؛ حتى يأتيهم أمر الله، فمن ذلك:

عن المغيرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يزال ناس من أمتي ظاهرين؛ حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"(٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يزال من أمتي، أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم؛ حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك" قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشام، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشام(٣).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم؛ حتى تقوم الساعة"(٤).

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال

(١) سبق تخريجه (١٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٩٥) برقم (٣٦٤٠) مسلم (٧٩٥) برقم (١٩٢١).

(٣) رواه البخاري (٦٩٥) برقم (٣٦٤١) مسلم (٧٩٦) برقم (١٠٣٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٤) برقم (٢١٩٢) وقال (حديث حسن صحيح) وأحمد (٣٦٢/٢٤) برقم (١٥٥٩٦) ، وابن حبان (٢٩٢/١٦) برقم (٧٣٠٢) و قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين غير صحابيه)

أهل الغرب ظاهرين على الحق؛ حتى تقوم الساعة"[1].

قال النووي -رحمه الله-: (قال علي بن المديني: المراد بأهل الغرب: العرب والمراد بالغرب: الدلو الكبير؛ لاختصاصهم بها غالباً.

وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض.

وقال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث آخرهم "ببيت المقدس".

وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك.

قال القاضي: وقيل المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده)[2].

قال الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-: (ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام، وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة، لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن، فإنهم في زمانهم على الحق، يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه، وقد يجيء من أمثالهم بَعْدُ بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق، والتمسك بالسنة والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار، في الشام منهم أئمة، وفي الحجاز، وفي مصر، وفي العراق، واليمن، وكلهم على الحق، يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً

(١) رواه مسلم (٧٩٦) برقم (١٩٢٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (٧/٩٧).

لأهل السنة، وحجة على كل مبتدع، فعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي أمامة، وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمنة لا في كلها)[1].

**ثامناً**: ما ورد من النصوص في البشارة لهذه الأمة بأن الله يبعث لها على رأس مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، فمن ذلك:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها"[2].

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (إن الله يقيض للناس في كل رأس مائة من يعلم الناس السنن، وينفي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي)[3].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد هذا الحديث، والظاهر -والله أعلم- أنه يعمُّ حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء، ومن المفسرين، والمحدثين، وفقهاء، ونحاة، ولغويين.. إلى غير ذلك من الأصناف)[4].

قال الشيخ التويجري -رحمه الله-: (وأما قصر الحديث على أشخاص معدودين في كل مائة سنة واحد منهم، فهو بعيد جداً، والحديث يدل على

(١) حمود التويجري: إتحاف الجماعة (١/٣٣٢).

(٢) سبق تخريجه (١٣٠).

(٣) العظيم آبادي: عون المعبود (١١/٢٦١).

(٤) النهاية (١/١٢٠).

ذلك؛ لأن لفظة: (مَنْ) يراد بها الواحد، ويراد بها الجماعة، وعلى هذا فحمل الحديث على الجماعة القائمين بنشر العلم وتجديد الدين أولى من حمله على واحد بعد واحد منهم.

ويؤيد هذا ما رواه الترمذي وحسنه عن عمرو بن عوف -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي"[(١)].

ويؤيده أيضاً ما رواه ابن وضاح عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله أهل العمى.

فهذا يدل على أن التجديد يكون في جماعة من أهل العلم، ولا ينحصر في واحد بعد واحد منهم)[(٢)].

**تاسعاً**: ما ورد من البشارة بأن الله يمن الأمة بخلافة على منهاج النبوة بعد مراحل الملك العاضِ، والملك الجبري، فمن ذلك:

١- عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائنا خلافة ورحمة، وكائنا ملكاً عضوضاً، وكائنا عتوة وجبرية، وفساداً في الأمة؛ يستحلون الفروج

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٢٦) برقم (٢٦٣٠) وقال (حديث حسن صحيح) والطبراني: الكبير (١٧/١٦) برقم (١١).

(٢) إتحاف الجماعة (١/٣٣٦).

والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبداً؛ حتى يلقوا الله عزوجل"[1].

٢- وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت"[2].

**عاشراً**: ما ورد من البشارة باتساع الأرزاق، وعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، فمن ذلك:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض؛ حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"[3].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض؛ حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول: الذي يعرضه عليه لا أرب لي"[4].

---

(١) رواه البيهقي: الكبرى (٨/١٥٩) برقم (١٦٤٠٧) والطيالسي في مسنده (٣٠) برقم (٢٢٨) وابن حجر: الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٢٨)، وقال: (هذا حديث حسن).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٠/٣٥٥) برقم (١٨٤٣٠) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن) والبزار في مسنده (٧/٢٢٣) برقم (٢٧٩٦).

(٣) رواه مسلم (٣٩٠) برقم (١٥٧).

(٤) رواه البخاري (٢٧٥) برقم (١٤١٢) ومسلم (٣٩٠) برقم (١٥٧).

إنه هذه المبشرات ونحوها يظهر للمرء أن هذه الأمة أمة خير، مهما ابتلاها الله بالشدائد وامتحنها بالأرزاء، فإنه يكرمها أوجه من الخير كثيرة، ولذلك جاء في الحديث عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مثل أمتي، مثل المطر: لا يدرى أوله خير، أم آخره"[(١)].

قال المباركفوري -رحمه الله-: (فالحاصل أن الأمة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أبهم أمرها فيها، وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره)[(٢)].

وفي حديث أبي عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله! أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك؟ قال: "نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي، ولم يروني"[(٣)].

وفي حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير قال: لما اشتد خوف أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- على من أصيب مع زيد يوم مؤتة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلكم، أو خير ثلاث مرات، ولن يخزي الله

---

(١) رواه الترمذي: كتاب، باب: (٤٥٩) برقم (٢٨٦٩) وقال (حديث حسن غريب من هذا الوجه) ، وأحمد في المسند (١٩/٣٣٤) برقم (١٢٣٢٧) وقال ابن حجر عنه (هو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة) فتح الباري (٧/٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٨/١٣٩).

(٣) رواه الدارمي (٢/٣٩٨) برقم (٢٧٤٤) والبزار في مسنده (١/٤١٣) وأحمد (٢٨/١٨١) برقم (١٦٩٧٦) والطبراني في الكبير (٤/٢٢) برقم (٣٥٣٧) وأبو يعلى في مسنده (٣/١٢٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٦) وقال (وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات) وقال ابن حجر (إسناده حسن) فتح الباري (٧/٦).

أمة أنا أولها، والمسيح آخرها"[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وأجاب عنه النووي بما حاصله أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى بن مريم -عليه السلام- ويرون في زمانه من الخير والبركة، وانتظام كلمة الإسلام، ودحض كلمة الكفر، فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله -ﷺ-: "خير القرون قرني"[2] والله أعلم)[3].

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠٦/٧) برقم (١٩٣٤٤)، ونعيم بن حماد في الفتن (٥٧٨/٢)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢) برقم (٢٦٥٢) ومسلم (١٠٢٤) برقم (٢٥٣٣).

(٣) فتح الباري (٦/٧).

# المبحث الثاني عشر
# ادعاء علم الغيب

الغيب علمه عند الله - عزَّ وجلَّ- يقول تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٣٣].

قال القرطبي -رحمه الله-: (دليل على أن أحداً لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله كالأنبياء، أو من أعلمه من أعلمه الله -تعالى- فالمنجمون والكهان وغيرهم كذبة)(١).

وقال الشنقيطي-رحمه الله-: (لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين، وبعض منها يكون كفراً)(٢).

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(فالله تعالى عنده علم الغيب، وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩٠).

(٢) أضواء البيان (١/٤٨٣).

ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧])[1].

ومفاتيح الغيب بينها سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (قد تقرر أن اللهّ - تعالى - أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع اللهّ عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلاً عن غيرهما، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] الآية.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي اللهّ ما يشاء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢).

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من كسب دينها ودنياها.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك)[1].

وقال ابن عاشور -رحمه الله-: (ومعنى حصر مفاتح الغيب في هذه الخمسة: أنها هي الأمور المغيبة المتعلقة بأحوال الناس في هذا العالم، وأن التعبير عنها بالمفاتح أنها تكون مجهولة للناس، فإذا وقعت، فكأن وقوعها فتح لما كان مغلقاً.

وأما بقية أحوال الناس فخفاؤها عنهم متفاوت، ويمكن لبعضهم تعيينها مثل تعيين يوم كذا للزفاف، ويوم كذا للغزو، وهكذا مواقيت العبادات والأعياد، وكذلك مقارنات الأزمنة مثل: يوم كذا مدخل الربيع؛ فلا تجد مغيبات لا قبل لأحد بمعرفة وقوعها من أحوال الناس في هذا العالم غير هذه الخمسة.

فأما في العوالم الأخرى وفي الحياة الآخرة فالمغيبات عن علم الناس كثيرة وليست لها مفاتح علم في هذا العالم)[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٥٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢١/١٣٧).

وقد ضل أقوامٌ، وانحرفوا باتخاذهم طرقاً للعلم بالغيب من طريق السحرة، والكهان، والعرافين، منها:

## أولاً: التنجيم والكهانة:

والتنجيم هو: (الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكي، والقوابل الأرضية)(١).

قال ابن خلدون -رحمه الله- عن صناعة النجوم: (هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قِبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية)(٢).

وأما الكهانة فقال ابن حجر -رحمه الله- في بيانها: (الكهانة: بفتح الكاف ويجوز كسرها: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن.

والكاهن: لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، وقال في المحكم: الكاهن القاضي بالغيب، وقال في الجامع: العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً.

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٣٥/١٩٢).
(٢) المقدمة (٥١٩-٥٢٠).

وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه)[1].

۞ ۞ ۞

لقد بينت السنة أن الكواكب آيات من آيات الله ليس لها قدرة على التأثير، فعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه- قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله -ﷺ- يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله -ﷺ-: "إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (قال العلماء: والحكمة في هذا الكلام أن بعض الجاهلية الضلال كانوا يعظمون الشمس والقمر، فبين أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى لا صنع لهما، بل هما كسائر المخلوقات يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما، وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول: لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم لا سيما وقد صادف موت إبراهيم -رضي الله عنه-)[3].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض)[4].

(١) الفتح (١٠/٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧) برقم (١٠٤٣) ومسلم (٣٥٥) برقم (٩١٥).

(٣) شرح مسلم (٦/٢٠١).

(٤) الفتح (٢/٥٢٨).

وقال الخطابي -رحمه الله-: (كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلم النبي صلى الله عليه و سلم أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خَلْقَانِ مسخران لله، ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما)[1].

وعن قبيصة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت"[2].

قال أبو داود: الطرق: الزجر، والعيافة: الخط[3].

قال المناوي -رحمه الله-: ("العيافة" بالكسر زجر الطير"والطيرة" أي التشاؤم بأسماء الطيور وأصواتها وألوانها وجهة سيرها عند تنفيرها كما يتفاءل بالعقاب على العقوبة وبالغراب على الغربة وبالهدهد على الهدى وكما ينظر إن طار إلى جهة اليمين تيمن، أو اليسار تشاءم.

"والطرق" الضرب بالحصى، والخط بالرمل "من الجبت" أي من أعمال السحر، فكما أن السحر حرام فكذا هذه الأشياء، أو مماثل عبادة الجبت في الحرمة.

قال القاضي: والجبت في الأصل الفشل الذي لا خير فيه، وقيل: أصله جبس فأبدلت السين تاءاً؛ تنبيها على مبالغته في الفشولة، ثم استعير لما يعبد من

(١) ابن حجر: الفتح (٢/٥٢٨)

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨) برقم (٣٩٠٧) وسكت عنه، وأحمد (٢٥/٢٥٦) برقم (١٥٩١٥)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف). الطبراني (١٨/٣٦٩) برقم (٩٤٥). وقال النووي: (رواه أبو داود بإسناد حسن). رياض الصالحين (٣٦٩).

(٣) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٧).

دون الله، وللساحر والسحر ولخساستها وعدم اعتبارها)[1].

الجبت يطلق: على الصنم، والشيطان، والسحر، والكاهن[2].

وقال ابن الأثير -رحمه الله-: (الطرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء، وقيل هو: الخط في الرمل)[3].

وقال ابن سيرين -رحمه الله-: (الجبت: الساحر، والطارق: الكاهن)[4].

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: "فلا تأتهم" قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم" - قال ابن الصباح: "فلا يصدنكم" - قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: "كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه، فذاك"[5]. الحديث.

قال النووي: (قال الخطابي -رحمه الله تعالى-: حلوان الكاهن ما يأخذه المتكهن على كهانته، وهو محرم وفعله باطل. قال: وحلوان العراف حرام أيضا. قال: والفرق بين العراف والكاهن: أن الكاهن إنما يتعاطى الإخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعى معرفة الأسرار. والعراف: يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما، وقال الخطابي أيضا في حديث: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد -صلى الله عليه وسلم-" قال: كان في

(١) فيض القدير (٥١٩/٤).

(٢) انظر: ابن حجر: الفتح (٢٥٢/٨).

(٣) النهاية: مادة (طرق).

(٤) البغوي: شرح السنة (١٧٧/١٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢١٦) برقم (٥٣٧).

العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور فمنهم: من يزعم أن له رئياً من الجن يلقي إليه الأخبار.

ومنهم: من يدعي استدراك ذلك بفهم أعطيه.

ومنهم: من يسمى عرافاً وهو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسباب استدل بها كمعرفة من سرق الشيء الفلاني ومعرفة من يتهم به المرأة ونحو ذلك.

ومنهم: من يسمى المنجم كاهناً.

قال: والحديث يشتمل على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلى قولهم وتصديقهم فيما يدعونه هذا كلام الخطابي وهو نفيس)[1].

قال النووي -رحمه الله-: (قال: "كان نبي من الأنبياء -عليهم السلام- يخط فمن وافق خطه فذاك " اختلف العلماء في معناه، فالصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي -ﷺ-: "فيمن وافق خطه فذاك " ولم يقل: هو حرام، بغير تعليق على الموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي -ﷺ- على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى: أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها.

وقال الخطابي: هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذا كان علماً لنبوة

(١) شرح مسلم (٥/٢٢).

ذاك النبي، وقد انقطعت، فنهينا عن تعاطي ذلك.

وقال القاضي عياض: المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لا أنه أباح ذلك لفاعله، قال: ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا.

فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن)(1).

وعن عائشة -رضي الله عنها- سأل أناس النبي -ﷺ- عن الكهان، فقال: "إنهم ليسوا بشيء" فقالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً؟ قال فقال النبي -ﷺ-" تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرقرها في أذن وليه، كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة"(2).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف:

منها: ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء، فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ١٠].

وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً، كما جاء في أخبار شق

(١) شرح مسلم (٥/٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٤) برقم (٧٥٦١) ومسلم (٩١٦) برقم (٢٢٢٨).

وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً؛ حتى كاد يضمحل ولله الحمد.

**ثانيها:** ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

**ثالثها:** ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

**رابعها:** ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر، والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً)[(١)].

وعن صفية عن بعض أزواج النبي -ﷺ- عن النبي -ﷺ- قال: "من أتى عرافاً، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"[(٢)].

وعن أبي هريرة والحسن عن النبي -ﷺ- قال: "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -ﷺ-"[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (من مشى إلى ساحر، أو كاهن، أو عراف، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد -ﷺ-)[(٤)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (والعراف: بفتح المهملة وتشديد الراء من

---

(١) الفتح (١٠/٢١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧) برقم (٢٢٣٠).

(٣) رواه أحمد (١٥/٣٣١) برقم (٩٥٣٦)، وقال شعيب الأرنؤوط (حسن رجاله ثقات رجال الصحيح)، والطبراني: الأوسط (٦/٣٧٨) برقم (٦٦٧٠).

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف (٧/٣٩٢) برقم (٢٣٩٩٤).

يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب من فعل أو قول)[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (الوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة، وتارة بالتكفير، فيحمل على حالين من الآتي)[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد "[3].

قال المناوي -رحمه الله-: ("من اقتبس" أي تعلم من قبست من العلم، واقتبست من الشيء إذا تعلمته، والقبس شعبة من النار واقتباسها الأخذ منها.

"علماً من النجوم" أي من علم تأثيرها لا تسييرها فلا يناقض ما سبق من خبر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وقد مر التنبيه على طريق الجمع.

"اقتبس شعبة"أي قطعة "من السحر" المعلوم تحريمه، ثم استأنف جملة أخرى بقوله "زاد ما زاد" يعنى كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم، ومن زعم أن المراد زاد النبي على ما رواه ابن عباس عنه في حق علم النجوم فقد تكلف، ونكر علما للتقليل ومن ثم خص الاقتباس لأن فيه معنى العلة ومن

---

(١) الفتح (١٠/٢١٧).

(٢) الفتح (١٠/٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٨) برقم (٣٩٠٥)، وأحمد (٣/٤٥٤) برقم (٢٠٠٠)، وابن ماجه (٤٠٠) برقم: (٣٧٢٦) وأحمد (٣/٤٥٤) برقم (٢٠٠٠) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح) والبيهقي: الكبرى (٨/١٣٨) برقم (١٦٢٩٠) وصححه النووي: رياض الصالحين (٦٣٦)، وابن تيمية: الفتاوى (٣٥/١٩٣)، والألباني: السلسلة الصحيحة: برقم (٧٩٣).

النجوم صفة علما وفيه مبالغة، ذكره الطيبي، وذلك لأنه يحكم على الغيب الذي استأثره الله بعلمه فعلم تأثير النجوم باطل محرم وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر، كذا قاله ابن رجب)(١).

قال البغوي -رحمه الله-: (والمنهي من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح، ومجيء المطر، ووقوع الثلج، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار ونحوها، يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب، واجتماعها وافتراقها، وهذا علم استأثر الله -عز وجل- به لا يعلمه أحد غيره، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤].

فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نهي عنه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال جل ذكره: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦].

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها.

روي عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا.

وروي عن طاووس، عن ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في

(١) فيض القدير (٦/١٠٤).

النجوم قال: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)[1].

وقال ابن باز -رحمه الله-: (وقد ظهر من أقواله -ﷺ- ومن تقريرات الأئمة من العلماء وفقهاء هذه الأمة أن علم النجوم، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الحظ كلها من علوم الجاهلية، ومن الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وأنها من أعمال الجاهلية وعلومهم الباطلة التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥])[2].

۞ ۞ ۞

## ثانياً: الإلهام والكشف:

قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: (الإلهام: إلقاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملإ الأعلى.

قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] وذلك نحو ما عبر عنه بلمة الملك، وبالنفث في الروع كقوله -عليه الصلاة والسلام-: "إن للملك لمة، وللشيطان لمة"[3] وكقوله -عليه الصلاة والسلام-: "إن روح القدس

(١) شرح السنة (١٢/١٨٣-١٨٤) وانظر: الخطابي: معالم السنن (٥/٣٧١-٣٧٢).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (٧-١١) عدد (٢٠).

(٣) أخرجه: الطبراني: الكبير (٩/١٠١) برقم (٨٥٣٢) والبيهقي: شعب الإيمان (٤/١٢٠) برقم: (٤٥٠٦).

نفث في روعي"[1][2].

قال الجرجاني -رحمه الله-: (الكشف في اللفظ: رفع الحجاب.

وفي الاصطلاح: هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجوداً وشهوداً)[3].

وقد جاء ما يدل على وقوع ذلك في هذه الأمة، والأمم السابقة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنه كان قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم، فإنه عمر بن الخطاب"[4].

وعنه -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر"[5].

وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم" قال ابن وهب تفسير محدَّثون: ملهمون[6].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قد كان

---

(١) أخرجه: البيهقي: شعب الإيمان (٢/٦٧) برقم (١١٨٥) وعبد الرزاق: المصنف (١١/١٢٥) برقم: (٢٠١٠٠).

(٢) المفردات (٤٥٥) مادة (لهم).

(٣) التعريفات (١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٨) برقم (٣٤٦٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) برقم (٣٦٨٩).

(٦) أخرجه مسلم (٩٧٦) برقم (٢٣٩٨).

يكون في الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فعمر بن الخطاب"[1].

ولقد وجد بعض الناس في هذا مدخلاً لادعاء علم الباطن، وأنهم أهل إلهام وكشف، فضلوا وأضلوا.

قال ابن رجب -رحمه الله-: (وكثير ممن يدعي العلم الباطن، ويتكلم فيه ويقتصر عليه، يذمُّ العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ويطعن في أهله ويقول: هم محجبون، وأصحاب قشور.

وهذا يوجب القدح في الشريعة المطهرة، والأعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها، والاعتناء بها، وربما انحل بعضهم عن التكليف، وادعى أنها للعامة، وأما من وصل فلا حاجة به إليها، وأنها حجاب له.

وهؤلاء كما قال الجنيد وغيره من العارفين: (وصلوا ولكن إلى سقر).

وهذا من أعظم خِداع الشيطان وغروره لهؤلاء، لم يزل يتلاعب بهم؛ حتى أخرجهم عن الإسلام.

ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة، ولا من الكتاب والسنة !! إنما يتلقى من الخواطر، والإلهامات، والكشوفات!! فأساؤا الظن بالشريعة الكاملة، حيث ظنوا أنها لم تأت بهذا العلم النافع، الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب، وأوجب ذلك لهم الإعراض عما جاء الرسول -ﷺ- في هذا الباب بالكلية، والتكلم فيه بمجرد الآراء،

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٨) برقم (٣٦٩٣) وقال (حديث صحيح) وقال (قال حدثني بعض أصحاب سفيان قال: قال سفيان بن عيينة: محدثون يعني: مُفَهَّمون) وابن حبان (٣١٧/١٥) برقم (٦٨٩٤) وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده حسن).

والخواطر، فضلوا، وأضلوا)[1].

والحق أنه قد تمت الشريعة، فهي المرجع لكل مسلم.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (لا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقا للشرع وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق؛ بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد -ﷺ- فإن وافقه قبله وإن خالفه لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه)[2].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يتبع إلا أن يكون موافقا لأمر الله ورسوله -ﷺ- ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيراً، فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال، فإن الدجال يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي فتنبت ويقول للخربة أخرجي كنوزك، فيخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلاً، ثم يأمره أن يقوم، فيقوم وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله)[3].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (ولهذا كان عمر -رضي الله عنه- يشاور الصحابة -رضي الله عنهم- ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء، فيحتج عليهم، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقررهم على منازعته، ولا يقول لهم: أنا محدث ملهم مخاطب، فينبغي لكم أن تقبلوا مني، ولا تعارضوني، فأي

(١) شرح حديث العلم (١٦).

(٢) الفتاوى (١١/٢٠٣).

(٣) الفتاوى (٢٥/٣١٤-٣١٥).

أحد ادعى، أو ادعى له أصحابه أنه ولي لله، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أفضل منه، وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله، وهو وهم على الكتاب والسنة.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله -ﷺ-)[1].

و(لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي، وقياس، ولا بذوق، ووجد، ومكاشفة، ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل.

والنقل -يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين- إما أن يفوض وإما أن يؤول.

ولا فيهم من يقول: إن له ذوقاً، أو وجداً، أو مخاطبةً، أو مكاشفةً تخالف القرآن والحديث؛ فضلاً عن أن يدعي أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد، والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته)[2].

۞ ۞ ۞

(١) الفتاوى (١١/٢٠٧-٢٠٨).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (١٣/٢٧-٢٨).

**ثالثاً: حِسابُ الْجُمَّل:**

وحساب الجُمَّل: طريقة في معرفة المستقبل من خلال الحروف، بجعل قدر من العدد في مقابل كل حرف، وإجراء الأسماء والأزمنة والأمكنة على ذلك، مع الجمع والطرح ونحو ذلك.

يقول الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- في سياق تعداده لأنواع التنجيم: (ومنها: ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرف قدراً من العدد معلوماً، ويجري على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده، ويطرح منه طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسبه إلى الأبراج الإثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس، وغيرها مما يوحيه إليه الشطان ذلك، وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك، ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم، وقد يتحكم بذلك في الغيب، فيدَّعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى.. وهذا الكاذب المفتري يدَّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدَّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به واعتقده فيه، كفر والعياذ بالله)[١].

وتسمى هذه الطريقة (حروف أبي جاد) وقيامها على الترتيب المعروف بالأبجدية: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ).

ولكل قوم من أهل الأديان والحضارات حروفهم، وطرائقهم في حسابها.

(١) معارج القبول (١/٥٢٣-٥٢٤).

ويدخل في ذلك ما يسميه الرافضة بعلم أسرار الحروف، وأكبر مصادرهم في ذلك كتاب: (الجفر) المنسوب زوراً وبهتاناً إلى جعفر الصادق -رحمه الله-[1]

وقد زعم أرباب هذا الفن نسبته لآدم -عليه الصلاة والسلام- والحق أن (نسبة هذا العلم لآدم -عليه الصلاة والسلام- ليست صحيحة؛ إذ كل ما روي في ذلك عن آدم -عليه الصلاة والسلام- من أنه كان عالماً بحروف: (أبي جاد) وأن الله أنزلها عليه، فقد نقلت عن أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، وقد أجمع المسلمون على أن ما روي عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يجعل عمدةً في ديننا، ولا يجوز التصديق بصحتها إلا بحجة صحيحة واضحة)[2].

وكذا زعمهم بتسلسل الأمر في الأنبياء زعمٌ لا يسنده الدليل، بل هو متلقى عن بني إسرائيل.

وكذلك زعمهم أن النبي -ﷺ- علم ذلك العلم ودعا إلى تعلمه وتفسيره، وقد رووا في ذلك أحاديث منها:

١- عن الفرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله-ﷺ-: "تعلموا أبا جاد، ويل لعالم يجهل تفسير أبي جاد"[3].

---

(١) انظر: الحائري: إلزام الناصب (٢/٢٣٢-٢٣٧).

(٢) عبد المجيد المشعبي: التنجيم والمنجمون (٢٩٠) وينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٢/٥٧-٥٨).

(٣) رواه أسلم الواسطي: تاريخ واسط (٢٠٦) والحديث فيه: فرات بن أبي الفرات، وحكيم بن نافع، والعلاء بن عبد الرحمن قال ابن حجر -رحمه الله- (فرات بن أبي الفرات بصري... قال يحي بن معين: ليس بشيء، وقال ابن عدي: الضعف بين على رواياته... وقد قال أبو حاتم: الفرات بن أبي الفرات صدوق. انتهى، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: هو حسن الاستقامة والروايات، وقال الساجي: ضعيف يحدث بأحاديث فيها بعض المناكير، وذكره ابن شاهين في =

= الضعفاء) لسان الميزان (٤/٤٣٢) وانظر: الذهبي: ميزان الاعتدال (٥/٤١٤) ، وابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٢٢).

وأما: حكيم بن نافع الرقي القرشي، فقد قال عنه ابن أبي حاتم (سمعت أبي يقول: هو ضعيف الحديث، منكر الحديث عن الثقات، قال أبو محمد: سمعت أبا زرعة يقول: حكيم بن نافع ليس بشيء) الجرح والتعديل (٣/٢٠٧) (قال أبو زرعة: ليس بشيء... وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال مرة: ثقة... قلت -أي الذهبي-: ساق له ابن عدي أحاديث ما هي بالمنكرة جداً، وجاء عن ابن معيين تليينه) الذهبي: ميزان الاعتدال (٢/٣٥٤).

(وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، وقال الساجي: عنده مناكير) ابن حجر: لسان الميزان (٢/٣٤٤).

وقال ابن حبان -رحمه الله- (كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، لا يحتج به فيما يرويه منفرداً، ضعفه يحيى ابن معين) المجروحين (١/٢٤٨).

وأما العلاء بن عبد الرحمن (قال أحمد: لم يسمع أحد ذكره بسوء، وقال يحيى: ليس حديثه بحجة، مضطرب الحديث لم يزل الناس يتقون حديثه، وقال مرة: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: ما أرى بحديثه بأساً) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين (٢/١٨٧).

قال الذهبي -رحمه الله- (صدوق مشهور... قال أحمد: لم أسمع من يذكره بسوء، وقال النسائي وغيره: ليس به أس، وقال يحيى بن معين: ليس حديثه بحجة، وقال ابن عدي: ليس بالقوي... قال أبو حاتم الرازي: هو صالح الحديث أنكر من حديثه أشياء) ميزان الاعتدال (٥/١٢٥-١٢٦) وانظر: العقيلي: الضعفاء (٣/٣٤١) ، وقال (أبو زرعة: ليس هو بالقوي ما يكون، وقال أبو حاتم: صالح روى عنه الثقات، ولكنه أنكر من حديثه أشياء) ابن حجر: تهذيب التهذيب (٨/١٦٦) ، وقال ابن حجر- رحمه الله -: (صدوق ربما وهم من الخامسة) تقريب التهذيب (١/٤٣٥) فالحديث هذا واهي الإسناد غير جائز الاحتجاج به، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن جرير الطبري-رحمه الله – قال بعد إيراد هذا الحديث: (لو كانت الأخبار التي رويت عن النبي-ﷺ- في ذلك صحاح الأسانيد لم يعدل عن القول بها إلى غيرها، ولكنها واهية الأسانيد غير جائز الاحتجاج بمثلها، وذلك أن محمد بن زياد الجزري غير موثوق بنقله) مجموع الفتاوى (١٢/٦١) وقال ابن تيمية -رحمه الله- (الحديث فيه: فرات بن السائب، وهو ضعيف لا يحتج به، وهو فرات بن أبي الفرات، ومحمد بن زياد الجزري ضعيفٌ أيضاً) المصدر نفسه (١/٣٨٦).

٢- وروى ابن بابويه القمي (الرافضي) عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين -عليه السلام- سأل عثمان بن عفان رسول الله -ﷺ- عن تفسير (أبجد) فقال رسول الله -ﷺ-: "تعلموا تفسير أبجد ، فإنَّ فيه الأعاجيب كلها، ويل لعالم جهل تفسيره..."[1].

۞ ۞ ۞

فهذا المنقول كله ليس عليه أثارة من علم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فهذا المنقول عن آدم من نزول حروف الهجاء عليه لم يثبت به نقل، ولم يدل عليه عقل؛ بل الأظهر في كليهما نفيه، وهو من جنس ما يروونه عن النبي -ﷺ- من تفسير: (ا، ب، ت، ث) وتفسير: (أبجد، هوز، حطي) ويروونه عن المسيح أنه قاله لمعلمه في الكتاب، وهذا كله من الأحاديث الواهية، بل المكذوبة.

ولا يجوز باتفاق أهل العلم بالنقل أن يحتج بشيء من هذه، وإن كان قد ذكرها طائفة من المصنفين في هذا الباب كالشريف المزيدي، والشيخ أبي الفرج، وابنه عبد الوهاب وغيرهم.

وقد يذكر ذلك طائفة من المفسرين والمؤرخين فهذا كله عند أهل العلم

---

(١) ابن بابويه القمي: كتاب التوحيد: باب: تفسير حروف الجمل (٢٣٧) والحديث فيه: الأصبغ بن نباتة الحنظلي المجاشعي الكوفي، قال النسائي فيه: متروك الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو بكر عياش: كذّاب، وقال ابن عدي: بيِّنُ الضعف، وقال ابن سعد: كان شيعياً، وكان يضعف في روايته.

انظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين (١٥٦) وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٢/٣١٩) والذهبي: ميزان الاعتدال (١/٢٧١) وابن حجر: تهذيب التهذيب (١/٣٦٢).

بهذا الباب باطل لا يعتمد عليه في شيء من الدين)[1].

ثم قال -رحمه الله-: (والمقصود هنا: أن العلم لا بد فيه من نقل مصدق ونظر محقق.

وأما النقول الضعيفة لا سيما المكذوبة فلا يعتمد عليها، وكذلك النظريات الفاسدة، والعقليات الجهلية الباطلة لا يحتج بها)[2].

۞ ۞ ۞

بل ما ورد في الآثار إنما هو النهي عن هذا العلم، وأشهر ما جاء في النهي عن ذلك:

وعنه -رضي الله عنه- أنه قال في قوم ينظرون في النجوم، وفي حروف: أبي جاد قال: (أرى أولئك قوماً لا خلاق لهم)[3].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في قوم ينظرون في النجوم، وفي حروف: أبي جاد قال:( أرى أولئك قوماً لا خلاق لهم)[4].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وقد ثبت عن ابن عباس الزجرُ عن أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة)[5].

ولقد عمد بعض الناس إلى استشراف المستقبل من حروف الجُمَّل، ومن

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٨-٥٩).

(٢) المصدر نفسه (١٢/٦٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة: المصنف (٥/٢٤٠) برقم (٢٥٦٤٨).

(٤) رواه ابن أبي شيبة: المصنف (٥/٢٤٠) برقم (٢٥٦٤٨).

(٥) فتح الباري (١١/٣٥١-٣٥٢).

ذلك ما (روي أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي -ﷺ- كحيي بن أخطب وغيره من طلب من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الأمة، كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين، وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاماً؛ لأن ذلك هو عدد ما للحروف في حساب الجمل بعد إسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر)(١).

وذكر السيوطي -رحمه الله-: (عن ابن جريج قال: إن اليهود كانوا يجدون محمداً وأمته: أن محمداً مبعوث، ولا يدرون ما مدة أمة محمد، فلما بعث الله محمداً -ﷺ- وأنزل: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] قالوا: قد كنا نعلم أن هذه الأمة مبعوثة، وكنا لا ندري كم مدتها، فإن كان محمداً صادقاً، فهو نبي هذه الأمة، قد بين لنا كم مدة محمد؛ لأن: ﴿الٓمٓ﴾ في حساب جملنا: إحدى وسبعين سنة، فما بدين إنما هو واحد وسبعون سنة؟!

فلما نزلت: ﴿الٓرۚ﴾ [يونس: ١] وكانت في حساب جملهم: مئتي سنة وواحداً وثلاثين سنة، قالوا: هذا الآن مئتان وواحد وثلاثون سنة وواحدة وسبعون، قيل: ثم أنزل: ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد: ١] فكان في حساب جملهم: مئتي سنة وواحدة وسبعين سنة، في نحو هذا من صدور السور، فقالوا: التبس علينا أمره)(٢).

وكذلك فعل بعض الفلاسفة، قال ابن تيمية -رحمه الله-: (إن كبير

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٥-٢٧٦).
(٢) الدر المنثور (١/٥٨-٥٩).

الفلاسفة الذي يسمونه "فيلسوف الإسلام" يعقوب بن إسحاق الكندي عمل تسييراً لهذه الملة، زعم أنها تنقضي عام: (ثلاث وتسعين وستمائة) وأخذ ذلك منه من أخرج "مخرج الاستخراج" من حروف كلام ظهر في الكشف لبعض من أعاده، ووافقهم على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل الذي للحروف التي في أوائل السور وهي مع حذف التكرير: أربعة عشر حرفاً، وحسابها في الجملة الكثير ستمائة وثلاثة وتسعون.

ومن هذا أيضا ما ذكر في التفسير أن الله لما أنزل ﴿الٓمٓ﴾ قال بعض اليهود: بقاء هذه الملة إحدى وثلاثون فلما أنزل بعد ذلك ﴿الٓرۚ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ قالوا: خلط علينا. فهذه الأمور التي توجد في ضلال اليهود والنصارى، وضلال المشركين والصابئين من المتفلسفة والمنجمين: مشتملة من هذا الباطل على ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وهذه الأمور وأشباهها خارجة عن دين الإسلام محرمة فيه، فيجب إنكارها والنهي عنها على المسلمين على كل قادر: بالعلم والبيان، واليد واللسان، فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهؤلاء وأشباههم أعداء الرسل وسوس الملل.

ولا ينفق الباطل في الوجود إلا بشوب من الحق؛ كما أن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم، يضلون خلقاً كثيراً عن الحق الذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلى الباطل الكثير الذي هم عليه.

وكثيراً ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحق

والباطل، ولا يقيم الحجة التي تدحض باطلهم، ولا يبين حجة الله التي أقامها برسله فيحصل بسبب ذلك فتنة)[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٩-١٩٠) وينظر: الفتاوى الكبرى (١/٤٠١).

# المبحث الثالث عشر
# سوء الظن

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات ١٢].

قال القرطبي -رحمه الله-: (قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك.

ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة. فنهى النبي -ﷺ- عن ذلك.

وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والعلاج، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من أشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث)[1].

وقال ابن عاشور -رحمه الله-: (ففي قوله تعالى ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾

(١) الجامع (١٦/٣٣١-٣٣٢).

تأديب عظيم يبطل ما كان فاشيا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد، والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذرا من اعتداء مظنون ظناً باطلاً، كما قالوا: خذ اللص قبل أن يأخذك.

وما نجمت العقائد الضالة والمذاهب الباطلة إلا من الظنون الكاذبة قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وقال ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ثم قال ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال النبي -ﷺ-: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"(١).

ولما جاء الأمر في هذه الآية باجتناب كثير من الظن علمنا أن الظنون الآثمة غير قليلة، فوجب التمحيص والفحص لتمييز الظن الباطل من الظن الصادق.

والمراد بـ ﴿ٱلظَّنِّ﴾ هنا: الظن المتعلق بأحوال الناس وحذف المتعلق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن هو إثم، وجملة ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ﴾ استئناف بياني لأن قوله ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يستوقف السامع ليتطلب البيان فأعلموا أن بعض الظن جرم، وهذا كناية عن وجوب التأمل في آثار الظنون ليعرضوا ما تفضي

(١) سبق تخريجه (١٥٠).

إليه الظنون على ما يعلمونه من أحكام الشريعة، أو ليسألوا أهل العلم على أن هذا البيان الاستئنافي يقتصر على التخويف من الوقوع في الإثم.

وليس هذا البيان توضيحا لأنواع الكثير من الظن المأمور باجتنابه، لأنها أنواع كثيرة فنبه على عاقبتها وترك التفصيل لأن في إبهامه بعثا على مزيد الاحتياط.

ومعنى كونه إثماً أنه: إما أن ينشأ على ذلك الظن عمل أو مجرد اعتقاد، فإن كان قد ينشأ عليه عمل من قول أو فعل كالاغتياب والتجسس وغير ذلك فليقدر الظان أن ظنه كاذب، ثم لينظر بعد في عمله الذي بناه عليه، فيجده قد عامل به من لا يستحق تلك المعاملة من اتهامه بالباطل فيأثم مما طوى عليه قلبه لأخيه المسلم.

وقد قال العلماء: إن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز.

وإن لم ينشأ عليه إلا مجرد اعتقاد دون عمل، فليقدر أن ظنه كان مخطئا يجد نفسه قد اعتقد في أحد ما ليس به، فإن كان اعتقاداً في صفات الله فقد افترى على الله، وإن كان اعتقاداً في أحوال الناس فقد خسر الانتفاع بمن ظنه ضاراً، أو الاهتداء بمن ظنه ضالاً، أو تحصيل العلم ممن ظنه جاهلاً ونحو ذلك.

ووراء ذلك فالظن الباطل إذا تكررت ملاحظته، ومعاودة جولانه في النفس قد يصير علماً راسخاً في النفس، فتترتب عليه الآثار بسهولة، فتصادف من هو حقيق بضدها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦])[1].

(١) التحرير (٢٦/٢٥١ - ٢٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال الشنقيطي -رحمه الله-: (نهى -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم.

ويشمل ذلك قوله: رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم.
ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم)(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً"(٢).

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" المراد: النهي عن ظن السوء قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك.

ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به كما سبق في حديث: "تجاوز الله تعالى عما تحدثت به الأمة ما لم تتكلم أو تعمد"(٣) وسبق تأويله على الخواطر التي لا تستقر.

ونقل القاضي عن سفيان أنه قال: الظن الذي يأثم به هو ما ظنه، وتكلم

(١) أضواء البيان (١٤٥/٣).

(٢) سبق تخريجه (١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٤٣) برقم (٥٢٦٩) ومسلم (٧٦) برقم (١٢٧).

به فإن لم يتكلم لم يأثم. قال: وقال بعضهم: يحتمل أن المراد الحكم في الشرع بظن مجرد من غير بناء على أصل، ولا نظر واستدلال.

وهذا ضعيف، أو باطل والصواب الأول)[1].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "إياكم والظن" قال الخطابي وغيره: ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه، لا يكلف به.

ويؤيده حديث: "تجاوز الله للأمة عما حدثت به أنفسها"[2].. وقال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله: "ولا تجسسوا " وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد أن يتحقق فيتجسس، ويبحث ويستمع فنهى عن ذلك.

وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة؛ لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان: أبحث لأتحقق، قيل له: ولا تجسسوا، فإن قال: تحققت من غير تجسس، قيل له: ولا يغتب بعضكم بعضاً)[3].

(١) شرح مسلم (١٦/١١٨-١١٩)

(٢) سبق تخريجه (٩٠٠).

(٣) الفتح (١٠/٤٨١).

وقال ابن حجر -رحمه الله- أيضاً: (قال عياض: استدل بالحديث قوم على منع العمل في الأحكام بالاجتهاد والرأي، وحمله المحققون على ظن مجرد عن الدليل ليس مبنيا على أصل، ولا تحقيق نظر.

وقال النووي: ليس المراد في الحديث بالظن ما يتعلق بالاجتهاد الذي يتعلق بالأحكام أصلاً، بل الاستدلال به لذلك ضعيف، أو باطل.

وتعقب: بأن ضعفه ظاهر، وأما بطلانه فلا؛ فإن اللفظ صالح لذلك، ولا سيما إن حمل على ما ذكره القاضي عياض، وقد قربه القرطبي في المفهم وقال: الظن الشرعي الذي هو تغليب أحد الجانبين، أو هو بمعنى اليقين ليس مراداً من الحديث، ولا من الآية، فلا يلتفت لمن استدل بذلك على إنكار الظن الشرعي)[1].

(وأما وصف الظن بكونه أكذب الحديث مع أن تعمد الكذب الذي لا يستند إلى ظن أصلاً أشد من الأمر الذي يستند إلى الظن، فللإشارة إلى أن الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه، فيعتمد عليه، ويجعل أصلاً، ويجزم به، فيكون الجازم به كاذباً، وإنما صار أشد من الكاذب؛ لأن الكذب في أصله مستقبح مستغنى عن ذمه، بخلاف هذا فإن صاحبه بزعمه مستند إلى شيء فوصف بكونه أشد الكذب؛ مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض؛ لخفائه غالباً، ووضوح الكذب المحض)[2].

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابن حجر: الفتح (١٠/٤٨٢).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "فإن الظن أكذب الحديث" قد استشكلت تسمية الظن حديثاً، وأجيب: بأن المراد عدم مطابقة الواقع سواء كان قولاً أو فعلاً، ويحتمل أن يكون المراد ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازاً)[1].

وقال إسماعيل بن أمية -رحمه الله-: (ثلاث لا يعجزن ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن والحسد. قال: فينجيك من سوء الظن أن لا تتكلم به، وينجيك من الحسد أن لا تبغي أخاك سوءاً، وينجيك من الطيرة أن لا تعمل بها)[2].

قال القاضي أبي يعلى -رحمه الله-: (إن الظن منه محظور: وهو سوء الظن بالله، والواجب حسن الظن بالله عز وجل، وكذلك سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة محظور.

وظن مأمور به: كشهادة العدل، وتحري القبلة، وتقويم المتلفات، وأرش الجنايات.

والظن المباح: كمن شك في صلاته إن شاء عمل بظنه، وإن شاء باليقين)[3].

وقال ابن هبيرة الوزير الحنبلي -رحمه الله-: (لا يحل والله أن يحسن الظن بمن ترفَّضَ، ولا بمن يخالف الشرع في حال)[4].

۞ ۞ ۞

---

(١) الفتح (١٠/٤٨٢).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن مفلح: الآداب الشرعية (١/٤٥).

(٤) المصدر نفسه.

وإذا كان سوء الظن بهذه المثابة، فإن الواجب التحرز منه، فعن علي بن الحسين -رضي الله عنهما- أن صفية زوج النبي -ﷺ- أخبرته: أنها جاءت رسول الله -ﷺ- تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي -ﷺ- معها يقلِبها؛ حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله -ﷺ- فقال لهما النبي -ﷺ-: "على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي" فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي -ﷺ-: "إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً"(1).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (والمحصل من هذه الروايات: أن النبي -ﷺ- لم ينسبهما إلى إنهما يظنان به سوءا؛ لما تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك؛ لأنهما غير معصومين، فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة، وتعليماً لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك، كما قاله الشافعي -رحمه الله تعالى- فقد روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس بن عيينة، فسأله عن هذا الحديث، فقال الشافعي: إنما قال لهما ذلك؛ لأنه خاف عليهما الكفر أن ظنا به التهمة، فبادر إلى إعلامهما؛ نصيحة لهما قبل أن يقذف الشيطان في نفوسهما شيئاً يهلكان به)(2).

وقال النووي -رحمه الله-: (وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه

(1) أخرجه البخاري (٣٨٤) برقم (٢٠٣٥) ومسلم (٨٩٦) برقم (٢١٧٥).

(2) الفتح (٤/ ٢٨٠).

متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى أن يبين حاله؛ ليدفع ظن السوء.

وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان؛ فإنه يجرى من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان؛ للاحتراز من وساوسه وشره)[1].

(١) شرح مسلم (١٤/١٥٦-١٥٧).

# المبحث الرابع عشر
# زلل اللسان

إن اللسان هو أداة نقل الفكر إلى الناس، ولذلك جاءت السنة ببيان عظيم خطر اللسان، وتأكيد حفظه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إِنَّ العبدَ ليتكَلَّمُ بالكلمةِ، ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بها في النَّارِ أبعَدَ ممَّا بينَ المشرِقِ"(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"(٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم"(٣).

قال النووي -رحمه الله-: (وهذا كله حث على حفظ اللسان، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"(٤) وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فان ظهرت

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٢) برقم (٦٤٧٧)، ومسلم (١١٩٧) برقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٩٧) برقم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٣) برقم (٦٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (١١٦٥) برقم (٦٠١٨) ومسلم (٥١) برقم (٤٧).

مصلحته تكلم وإلا أمسك)[1].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوى صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدت إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها، والكلمة التي ترفع بها الدرجات، ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلوماً.

وقال غيره في الأولى هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيما يسخط الله.

قال ابن التين: هذا هو الغالب وربما كانت ذي السلطان ممن يتأتى منه ذلك.

ونقل عن ابن وهب أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وإن لم يعتقد ذلك.

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: هي الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها قال فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه.

قلت: وهذا الذي يجرى على قاعدة مقدمة الواجب.

وقال النووي: في هذا الحديث حث على حفظ اللسان فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق فان ظهرت فيه مصلحة تكلم وإلا امسك.

(١) شرح مسلم (١٨/١١٧).

قلت -أي ابن حجر-: وهو صريح)[1].

قال ابن حجر-رحمه الله-: (فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها)[2].

قال المناوي -رحمه الله-: (فعلى العاقل سيما الفاضل أن يميز بين إشكال الكلام قبل النطق؛ ليكون على بصيرة من نفسه وبينة من ربه، وستر للجاهل؛ لأن المرء مخبوء تحت لسانه وهو المنبئ عن شأنه، فحاله مستور ما لم يتكلم)[3].

قال بلال بن الحارث-رحمه الله-: (لقد منعني هذا الحديث من كلام كثير)[4].

وقال الغزالي -رحمه الله-: (عليك بالتأمل والتدبر في كل قول وفعل، فقد يكون في جزع وتسخط، فتظنه تضرعاً وابتهالاً، ويكون في رياء محض، وتحسبه حمداً وشكراً، أو دعوة للناس إلى الخير، فتعد المعاصي طاعات، وتحسب الثواب العظيم في موضع العقوبات فتكون في غرور شنيع وغفلة قبيحة، مغضبة للجبار، موقعة في النار وبئس القرار)[5].

وقال الشافعي -رحمه الله-: (ينبغي للمرء أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به ويتدبر عاقبته، فإن ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة، ولا يجر إلى

(١) فتح الباري (١١/٣١١).
(٢) الفتح (١١/٣٢١).
(٣) فيض القدير (٤/٢٤١).
(٤) شرح الزرقاني (٤/٥١٦).
(٥) شرح الزرقاني (٤/٥١٧).

منهي عنه أتى به وإلا سكت)[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- يقول: إن رجلاً سأل رسول الله -ﷺ- أي المسلمين خير؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[2].

وعن جابر -رضي الله عنه- يقول سمعت النبي -ﷺ- يقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[3].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون، من لسانه ويده"[4].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (تنبيه: ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب؛ لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا، وإن كان فيهم من يجب الكف عنه.

والإتيان بجمع التذكير للتغليب، فإن المسلمات يدخلن في ذلك.

وخص اللسان بالذكر؛ لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد؛ لأن أكثر الأفعال بها والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد؛ لأن اللسان يمكنه القول في الماضين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد.

نعم يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وأن أثرها في ذلك لعظيم)[5].

عن سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قلت: يا رسول الله ما أخوف ما

(١) المناوي: فيض القدير (٢/٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) برقم (٤٠).

(٣)أخرجه مسلم (٤٩) برقم (٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦) برقم (١١) ومسلم (٤٩) برقم (٤٢).

(٥) الفتح (١/٥٣-٥٤).

تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: "هذا"[1].

وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك"[2].

وفي حديث معاذ -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروته وسنامه؟" قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: "كف عليك هذا" فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[3].

وعن معاذ -رضي الله عنه- أنه قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: فأخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسانه، ثم وضع عليه إصبعه، فاسترجع معاذ وقال: يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول كله، ويكتب علينا؟ قال فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منكب معاذ وقال: "ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم"[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٤) برقم (٢٤١٠) وقال (هذا حديث حسن صحيح) وأحمد (١٤٥/٢٤) برقم: (١٥٤١٩) وقال شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح) وابن حبان (٦/١٣) برقم (٥٦٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٤) برقم (٢٤٠٦) وقال (هذا حديث حسن) والبيهقي: شعب الإيمان (٤٩٢/١) برقم (٨٠٥) والطبراني: الكبير (٢٧٠/١٧) برقم (٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٥) برقم (٢٦١٦) وقال (هذا حديث حسن صحيح) والنسائي: الكبرى (٤٢٨/٦) برقم (١١٣٩٤) وأحمد (٣٤٤/٣٦) برقم (٢٢٠١٦) وقال شعيب الأرنؤوط (صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد منقطع).

(٤) رواه ابن عبد البر: التمهيد (٦٦/٥).

وقال-ﷺ-: "إنك لن تزل سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك، أو عليك"[(١)].

وعن ابن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من صمت نجا "[(٢)].

قال الزمخشري -رحمه الله-: (لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا كان يمكن فيه المباشرة باليد وقدم اللسان لأن إيذاءه أكثر وأسهل ولأنه أشد نكاية وقال -ﷺ-: "لحسان: "اهج المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل"[(٣)].

قال الشاعر:

**جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان)**[(٤)]

قال المباركفوري -رحمه الله-: ("إلا حصائد ألسنتهم" أي محصوداتها شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل وهو من بلاغة أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والردي فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقبيحاً، والمعنى لا يكب الناس في النار "إلا حصائد ألسنتهم" من الكفر والقذف، والشتم والغيبة والنميمة،

---

(١) أخرجه الطبراني: الكبير (٢٠/٧٣) برقم (١٣٧) و قال الهيثمي (رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات) المجمع (١٠/٣٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٠٧) برقم (٢٥٠١) وأحمد (١١/١٩) برقم (٦٤٨١) وقال شعيب الأرنؤوط: (حسن).

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٣) برقم (٤١٢٤) ومسلم (١٠٠٨) برقم (٢٤٨٦).

(٤) فيض القدير (٢/٤٨).

والبهتان ونحوها والاستثناء مفرغ، وهذا الحكم وارد على الأغلب أي على الأكثر؛ لأنك إذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء، ولا يصدر عنه شيء يوجب دخول النار إلا نادراً)[١].

قال المناوي -رحمه الله-: (وخص اللسان؛ لأن الأعضاء كلها تابعة له، فإن استقام استقامت، وإن اعوج اعوجت، ولكثرة الكلام مفاسد يتعذر إحصاؤها، أو المراد لا تتكلم بما يهجس في نفسك من الوساوس مؤاخذ به ما لم تتلفظ أو تصمم، أو لا تتفوه بما ستره الله عليك، فإن التوبة منه أرجى قبولاً، والعفو عنه أقرب وقوعاً، ذكره القاضي.

وهذا ما لم يتعلق بالكلام مصلحة كإبلاغ عن الله ورسوله وتعليم علم شرعي وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإصلاح بين الناس ونحو ذلك من كل أمر ديني أو دنيوي يترتب على السكوت عنه فوت مصلحة.

وقد تطابقت الملل وصريحا النحل على مدح حفظ اللسان ذلك لإيراثه جميل المعاشرة ومليح المعاملة، وقد قال عيسى -عليه الصلاة والسلام- للخنزير: اذهب بسلام، فقيل له فيه فقال: كرهت أن أعود لساني منطق السوء)[٢].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (ولا ينجي من شر اللسان إلا أن يلجم بلجام الشرع)[٣].

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/٣٠٦).

(٢) فيض القدير (١/١٩٤).

(٣) فيض القدير (٢/٨٠).

ارتقى ابن مسعود -رضي الله عنه- الصفا فأخذ بلسانه فقال: (يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم)[1].

وقال ابن مسعود وسلمان -رضي الله عنهما-: (ما شيء أحق بطول السجن من اللسان)[2].

وقال المناوي -رحمه الله-: (فعلى العاقل أن يميز بين أشكال الكلام قبل نطقه فما كان من حظوظ النفس وإظهار صفات المدح ونحو ذلك تجنبه، ومن آمن بهذا الخبر حق إيمانه اتقى الله في لسانه، وقلل كلامه حسب إمكانه؛ سيما فيما ينهى عن الكلام فيه كبعد العشاء إلا في خير.

قال الغزالي: اللسان إنما خلق لك؛ لتكثر به ذكر الله، وتلاوة كتابه، وترشد به الخلق إلى طريقه، أو تظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك، فإذا استعملته لغير ما خلق له، فقد كفرت نعمة الله فيه، وهو أغلب أعضائك عليك، ولا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم، فاستظهر الغاية تؤتك؛ حتى لا يكبك في قعر جهنم)[3].

وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة"[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ "من كان يؤمن بالله

---

(١) المناوي: فيض القدير (٢/٨٠).

(٢) شرح الزرقاني: ٣٨٣/٤

(٣) فيض القدير (٢/٣٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٤٢) برقم (٦٤٧٤).

واليوم الآخر: فليقل خيراً، أو ليصمت"[1] وفي رواية: "أو ليسكت"[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قوله: "من يضمن" بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة والجزم من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان، وأراد لازمه، وهو أداء الحق الذي عليه.

فالمعنى: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام)[3].

وقال -رحمه الله- أيضاً: (قوله: "لحييه"بفتح اللام وسكون المهملة والتثنية هما العظمان في جانبي الفم، والمراد: بما بينهما اللسان، وما يتأتى به النطق، وبما بين الرجلين الفرج.

وقال الداودي: المراد بما بين اللحيين الفم، قال: فيتناول الأقوال، والأكل والشرب وسائر ما يتأتى بالفم من الفعل، قال: ومن تحفظ من ذلك أمن من الشر كله؛ لأنه لم يبق والبصر، كذا قال.

وخفي عليه أنه بقي البطش باليدين، وإنما محمل الحديث على أن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب، فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم.

وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا: لسانه، وفرجه فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر)[4].

---

(١) سبق تخريجه (٦٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٢) برقم (٦٤٧٦) ومسلم (٥١) برقم (٤٧).

(٣) الفتح (١١/٣٠٩).

(٤) الفتح (١١/٣٠٩-٣١٠).

وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة"[1].

قال ابن بطال -رحمه الله-: (وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب، فاشتبها من هذه الحيثية)[2].

ففي الحديث: عن علي -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها"، فقام أعرابي، فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام وصلى لله بالليل، والناس نيام"[3].

ولأثر الكلام الطيب كان النبي-صلى الله عليه وسلم- تعجبه الكلمة الحسنة ويعدها من الفأل الحسن، فعن أنس -رضي الله عنه- أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة"[4].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيب والكلمة الخبيثة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٦) برقم (٦٠٢٣) ومسلم (٣٩٢) برقم (١٠١٦).

(٢) فتح الباري (١٠/٤٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣١) برقم (١٩٨٤) وأحمد (٢/٤٤٩) برقم (١٣٣٨) وقال شعيب الأرنؤوط: (حسن لغيره) والحاكم: من طريق عبد الله بن عمرو: المستدرك (١/١٥٣) برقم (٢٧٠) وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٧) برقم (٥٧٥٦) ومسلم (٩١٤) برقم (٢٢٢٤).

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

والكلمة الطيبة هي التي: (تطيب قلب السائل مما يتلطف به في القول والفعل.. وقيل: الكلمة الطيبة ما يدل على هدى، أو يرد عن ردى، أو يصلح بين اثنين، أو يفصل بين متنازعين، أو يحل مشكلاً أو يكشف غامضاً، أو يدفع تأثيراً، أو يسكن غضباً)[1].

(١) فيض القدير (١/١٣٨).

# المبحث الخامس عشر
# التقليد

التقليد هو: (العمل بقول الغير من غير حجة)[1].

وهذا التقليد ابتلي به كثيرٌ من الخلق، وكان من أسباب ضلالهم تقليدهم للآباء والأجداد، والتعصب لهم بالباطل.

يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال الطبري -رحمه الله-: (فمعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحلّ الله لكم، ودَعوا خُطوات الشيطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه -ﷺ- في كتابه -استكبروا عن الإذعان للحقّ وقالوا: بل نأتم بآبائنا فنتَّبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يُحلُّون، وتحريم ما كانوا يحرّمون.

قال الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يعني: آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه، فيُتَّبعون على ما سَلكوا من الطريق، ويؤتمُّ بهم في أفعالهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ لرشد، فيهتدي بهم غيرهم، ويَقتدي بهم من طَلب الدين، وأراد الحق والصواب؟

(١) الشوكاني: إرشاد الفحول (٢٦٥).

يقول -تعالى ذكره- لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تَتَّبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمرُكم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا، ولا هم مصيبون حقًّا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يَتّبع المتبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعملَ له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه -فيما هو به جاهل- إلا من لا عقل له ولا تمييز)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (التقليد المذموم هو قبول قول الغير بغير حجة؛ كالذين ذكر الله عنهم أنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠].

ونظائر هذا في القرآن كثير، فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه، فهذا هو المقلد المذموم، وهذه حال اليهود والنصارى؛ بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة، الذي اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٣/٣٠٧).

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧])[1].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

(أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وتَرْك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباءَ والأجداد من الطرائق والمسالك، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يفهمون حقًا، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟ لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم، وأضل سبيلاً)[2].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: (﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين، ولو كان غير سديد، ولا دينًا ينجي من عذاب الله، ولو كان في آبائهم كفاية ومعرفة ودراية لهان الأمر، ولكن آباءهم لا يعقلون شيئاً، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى شيء.

فتباً لمن قلد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك إتباع ما أنزل الله، وإتباع رسله الذي يملأ القلوب علما وإيمانا، وهدى، وإيقاناً)[3].

بل كان المشركون الضالون يحتجون بالآباء وفعلهم، قال الله -عز وجل- عنهم:

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٩٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢١١).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٢٤٦).

﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٤].

(لما أورد عليهم الخليل هذه الحجة الباهرة لم يجدوا لها جواباً إلا رجوعهم إلى التقليد البحت، وهو أنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون، أي: يفعلون لهذه العبادة لهذه الأصنام مع كونها بهذه الصفة التي هي سلب السمع والنفع والضر عنها.

وهذا الجواب هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز ويمشي بها كل أعرج ويغتر بها كل مغرور وينخدع لها كل مخدوع)(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١].

(فهذا هو سندهم الوحيد، وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير.

التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه؛ وأن يطلق عقولهم لتتدبر؛ ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود)(٢).

**وفي السنة نصوص تحذر من التقليد:**

فعن أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط قال: فمررنا بالسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا

(١) فتح القدير (٤/١٥١).

(٢) في ظلال القرآن (٦/١٢).

ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله -ﷺ-: "الله أكبر، إنها السنن قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] قال: إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم)[1].

(فأنكر النبي -ﷺ- مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم.

فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟)[2].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: (لتركبن سنن من كان قبلكم، وصار حديث الفرق بهذا التفسير صادقاً على أمثال البدع التي تقدمت لليهود والنصارى، وأن هذه الأمة تبتدع في دين الله مثل تلك البدع، وتزيد عليها ببدعة لم تتقدمها واحدة من الطائفتين، ولكن هذه البدعة الزائدة إنما تعرف بعد معرفة البدع الأخر، وقد مر أن ذلك لا يعرف، أو لا يسوغ التعريف به، وإن عرف، فكذلك لا تتعين البدعة الزائدة)[3].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "لا تقوم الساعة، حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع" فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال "ومن الناس إلا أولئك"[4].

---

(١) سبق تخريجه (٢١٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣١٤).

(٣) الاعتصام (٢/٢٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٦) برقم (٧٣١٩).

قوله -ﷺ-: "بأخذ القرون" أي: أي يسلكون مسلكهم وسيرتهم[1].

قوله -ﷺ-: "شبراً بشبر" قال عياض -رحمه الله-: (الشبر والذراع والطريق، ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء، مما نهى الشرع عنه، وذمه)[2].

قوله -ﷺ-: "ومن الناس الا أولئك" (أي: فارس والروم لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض، وأكثرهم رعية، وأوسعهم بلاداً)[3].

(ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المجوس والصابئين والمشركين، فكان أول ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى، والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع، وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهوراً، فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره، كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية، ثم لما عربت كتب الفرس والروم، ظهر التشبه بفارس والروم، وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع، وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلاً وكفراً، كفرهم من جنس كفر فرعون، بل شر منه)[4].

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (١/٧٦).

(٢) انظر: ابن حجر: الفتح (١٣/٣٠١).

(٣) انظر: ابن حجر: الفتح (١٣/٣٠٠-٣٠١).

(٤) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية (١/٣٧٥).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "شبراً بشبر، وذراعا بذراع " كناية عن شدة الموافقة لهم في الكفر والمعاصي، وهو خبر معناه النهي عن اتباعهم، ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من تشَبَّه بقوم فهو منهم"[1] والتشبه يشمل كل شبه يكون في الأعياد والأخلاق والملابس والكلام وغير ذلك..

إذا علمت هذا زاد حرصك على تعلم ذلك وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، خصوصاً أن علماء هذه الأمة الخاتمة حذروا من سلوك مسالك الجاهلية النكراء، بعدما رأوا ما وقع فيه فئام الناس من البدع والمحدثات، والتشبه بأهل الجاهلية الجهلاء من الأميين والكتابيين، ووقعوا فيما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من نتائج ذلك تأليف الكتب المحذرة من الوقوع في ذلك، فألفت في ذلك مؤلفات عديدة، منها ما يتحدث عن البدع عموما، وفي ضمنه التحذير من مشابهة الكفار ، ومنها ما هو خاص بالتحذير من مشابهة الكفار)[2].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع؛ حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟"[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤١) برقم (٤٠٣١) وسكت عنه، والبيهقي: شعب الإيمان (٧٥/٢) برقم (١١٩٩) وابن أبي شيبة: المصنف: برقم (٣٣٦٨٧)، وصححه الألباني: صحيح الجامع: برقم (٢٨٣١).

(٢) مسائل الجاهلية (٢٩/١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٥) برقم (٣٤٥٦) ومسلم (١٠٧٠) برقم (٢٦٦٩).

(وهو بمعنى الأول إلا أنه ليس فيه ضرب مثل، فقوله: "حتى تأخذ أمتي بما أخذ القرون من قبلها " يدل على أنها تأخذ بمثل ما آخذوا إلا أنه لا يتعين في الإتباع لهم أعيان بدعهم، بل قد تتبعها في أعيانها، وتتبعها في أشباهها، فالذي يدل على الأول قوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم " الحديث، فإنه قال فيه: "حتى لو دخلوا في جحر ضب خرب لا تبعتموهم")(١).

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا"(٢).

قال ابن الأثير -رحمه الله-: (الإِمَّعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رَأي له فهو يُتابع كل أحد على رَأيه والهاء فيه للمبالغة.. وقيل: هو الذي يقول لكل أحد أنا معك)(٣).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: (اغد عالماً أو متعلماً، ولا تغد إمعة فيما بين ذلك)(٤).

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أيضاً قال: (كنا ندعوا الإمعة في الجاهلية: الذي يدعى إلى الطعام فيذهب معه بغيره، وهو فيكم اليوم المحقب دينه الرجال)(٥).

عن علي -رضي الله عنه- قال: (إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل يعمل بعمل

---

(١) الاعتصام (٢/٢٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤) برقم (٢٠٠٧) وقال (حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)

(٣) النهاية: مادة (إمّع).

(٤) أخرجه ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (١/٧١) برقم (١٠٨).

(٥) المصدر نفسه (٢/٢٢٥) برقم (٩٥٨).

أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لابد فاعلين، فبالأموات لا بالأحياء)[1].

وقال ابن مسعود: (لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر)[2].



(١) أخرجه ابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/٢٢٨) برقم (٩٦٥) وابن القيم: إعلام الموقعين (٢/١٩٥).

(٢) سبق تخريجه (٨٢٤).




وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني: التوازن والرجوع إلى الوسطية.

المبحث الثالث: أهلية القائم بالتقويم والمعالجة.

المبحث الرابع: النصيحة والموعظة الحسنة.

المبحث الخامس: الحوار.

المبحث السادس: الرد.

المبحث السابع: الهجر.

المبحث الثامن: العقوبة.

# المبحث الأول
# الاعتصام بالكتاب والسنة

لقد جعل الله - عز وجل - القرآن الكريم كتاب هداية للبشر، وجاءت النصوص دالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وطاعة الله تعالى ورسوله -ﷺ- فمن تلك النصوص: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (قال مجاهد وغير واحد من السلف أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة)(١).

وعن الإمام مالك -رحمه الله- أنه بلغه أن رسول الله -ﷺ- قال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه"(٢).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (الهدى كل الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ- فهي المبنية لمراد كتاب الله إذا أشكل ظاهره؛ أبانت السنة عن

(١) تفسير القرآن العظيم (٥١٨/١).

(٢) سبق تخريجه (٢٢٣).

باطنه، وعن مراد الله منه والجدال في ما تعتقده الأفئدة من الضلال)[1].

وعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[2].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[3].

(وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين)[4].

وعلى هذا جرى سلف الأمة.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (لم أسمع أحداً نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم، يخالف في أنَّ فرض الله -عز وجل- اتباع أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) الاستذكار (٨/٢٦٥).

(٢) سبق تخريجه (٣٣).

(٣) سبق تخريجه (٢٦٤).

(٤) ابن تيمية: مجموع فتاوى (١١/٦٢٣).

والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله -ﷺ- وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله -ﷺ- واحد لا يختلف في أن الفرض الواجب، قبول الخبر عن رسول الله -ﷺ-)[1].

والاعتصام بالكتاب والسنة اعتصام بهما جميعاً فعن المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"[2].

فالرسول -ﷺ- (يحذر بذلك من مخالفة السنة التي سنها رسول الله -ﷺ- مما ليس لها في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضُمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا)[3].

قال أيوب السختياني -رحمه الله-: (إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل)[4].

وقال ابن بطة -رحمه الله-: (وليعلم المؤمنون من أهل العقل والعلم، أن قوماً يريدون إبطال الشريعة، ودروس آثار العلم والسنة، فهم يموِّهون على من قل علمه وضعف قلبه، فإنهم يدعون إلى كتاب الله، ويعملون به، وهم من كتاب الله يهربون! وعنه يدبرون! وله يخالفون! وذلك أنهم إذا سمعوا سنة

---

(١) جماع العلم (٧ - ٩).

(٢) سبق تخريجه (٢٢١).

(٣) الخطابي: معالم السنن (٧/٧).

(٤) رواه الخطيب: الكفاية (١٦).

رويت عن رسول الله -ﷺ- رواها الأكابر عن الأكابر، ونقلها أهل العدل والأمانة، ومن كان موضع القدوة والأمانة، وأجمع أئمة المسلمين على صحتها، أو حكم فقهاؤهم بها، عارضوا تلك السنة بالخلاف عليها، وتلقوها بالرد لها، وقالوا لمن رواها عندهم: تجد هذا في كتاب الله؟ وهل نزل هذا في القرآن؟ وائتوني بآية من كتاب الله، حتى أصدق بها)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فمحمد -ﷺ- أرسل إلى كل أحد، من الإنس والجن، كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح)[2].

ولذلك كان السلف يرشدون إلى أخذ المبتدعة بالسنن ؛ لأن أهل البدع يجادلون بمتشابه القرآن.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (إياكم وأصحاب الرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي: فضلوا وأضلوا)[3].

---

(١) الإبانة (١/٢٢٣).

(٢) الفتاوى (١٠/٤٣٠ - ٤٣١).

(٣) رواه الدارقطني (٤/١٤٦) وابن عبد البر: جامع بيان العلم (٢/١٢٣) واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٢٣).

وقال أيضاً -رضي الله عنه-: (سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن ؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)[1].

وإذا كانت الانحرافات فرعاً عن مخالفة الكتاب والسنة، فإن علاج تلك الانحرافات، هو بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وسبيل الوقاية من تلك الانحرافات، هو أيضاً في الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وإذا تأمل الناظر حال السلف علم أنهم ما سلموا من الخطل والزلل، إلا باعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات، أن الرسول -ﷺ- جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدى للتي هى أقوم)[2].

إن أهل السنة والجماعة، يعرفون للنصوص الشرعية قدرها، فلا يقدمون عليها شيئاً من آرائهم وأهوائهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريقة السعادة النجاة، وطريق الشقاوة والهلاك، أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزله به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق

(١) رواه الدارمي: المقدمة (١/٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨).

وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه، أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول -ﷺ-)(1).

فأهل السنة يأخذون الأدلة مأخذ الافتقار إليها، ويتعلمون وعولون عليها، ولا يأبهون بجدل أهل الكلام، ومعارضتهم للنصوص.

قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان -رحمه الله-: (وأيم الله، إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة، ونتعلمها شبيها بتعلمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل، من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي، وينهون عن لقائهم ومجالستهم، ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرون إنهم أهل ضلالا وتحريف لتأويل كتاب الله، وسنن رسول الله -ﷺ- وما توفي رسول الله -ﷺ-)(2).

وأهل السنة يتثبتون في النقل عن رسول الله -ﷺ- فقد عُني السلف -رحمهم الله- بأحاديث رسول الله -ﷺ- كما عنوا بصيانة السنة النبوية عن المكذوب والضعيف والمردود، فنقدوا الرجال وتكلموا عن أحوالهم، وكان منطلقهم في ذلك: النصح لله ورسوله -ﷺ-.

قال الإمام الترمذي -رحمه الله-: (وقد عاب بعض من لا يفهم على أهل الحديث، الكلام في الرجال... وإنما حملهم على ذلك عندنا -والله أعلم-

(1) المصدر نفسه (١٣/١٣٥ - ١٣٦).

(2) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (٢/١٢٠).

النصيحة للمسلمين، لا ظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا؛ لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة، وبعضهم كان متهماً في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم، شفقة على الدين وتثبيتاً؛ لأن الشهادة في الدين أحق أن يثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال)(١).

وقال الحاكم -رحمه الله-: (فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له، وكثرة مواظبتهم على حفظه، لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه، بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد؛ فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها، كانت بتراً)(٢).

إن الاعتصام بالكتاب والسنة، يحقق للأمة النجاة من كل شر وانحراف؛ إذا الشرور منبعها الإعراض عن دين الله وشرعه، والسلامة تتحقق بلزوم دين الله -عز وجل- وشرعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)(٣).

---

(١) كتاب العلل من السنن (٥/٧٣١ - ٧٣٢).

(٢) معرفة علوم الحديث (٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٣٤).

## المبحث الثاني
## التوازن والرجوع إلى الوسطية

إنه حين معالجة الانحراف الفكري، ينزع الناس في أحيان كثيرة إلى الانحراف المقابل، فالماديون المنحرفون حين يوغلون في المادية، يصل بهم الأمر إلى أمراض الإيغال في المادية، من مثل: القلق والاكتئاب، والفراغ الروحي، ينتقلون إلى انحراف فكري مقابل وهو الإيغال في الجانب الروحي، فيفرون إلى الرياضات الروحية، وتعذيب النفس، والتقشف الشديد.

ولقد شهدت البشرية في تاريخها ألواناً من ذلك، فحين قامت الثورة الفرنسية الكبرى، على الحكم النصراني الديني، صار الناس إلى العلمانية، فنبذوا الدين، وتحللوا من القيم.

وحقيقة الأمر أن هؤلاء الفارين من الانحراف، صاروا إلى انحراف مقابل، وهذا الأمر الذي وقع من الناس بعامة، وقعت فيه فئام من هذه الأمة.

ذلك أن (جماع الشر: تفريط في حق، أو تعد إلى باطل، وهو تقصير في السنة، أو دخول في البدعة، كترك بعض المأمور، وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق، وتصديق بباطل.

ولهذا عامة ما يؤتى الناس من هذين الوجهين: فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنة والجماعة يحصل من بعضهم تفريط في معرفة النصوص، أو

فهم معناها، أو القيام بما تستحقه من الحجة، ودفع معارضها، فهذا عجز وتفريط في الحق، وقد يحصل منهم دخول في باطل، إما في بدعة ابتدعها أهل البدع، وافقوهم عليها، واحتاجوا إلى إثبات لوزامها، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنة)[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيهمضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد)[2].

ولقد تميز الإسلام بأنه دين الوسطية والاعتدال، والمسلمون بذلك هم الأمة الوسط يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الطبري -رحمه الله-: (وأرى أن الله -تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى

---

(١) ابن تيمية: الصفدية (١/٢٩٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٩٦) وينظر له: الفوائد (١٣٩-١٤٠) والشنقيطي: أضواء البيان (١/٤٩٤).

الله أوْسطُها)[1].

والصراط المستقيم هو الوسطية التي هي سمة هذه الأمة، فإن الله -عز وجل- علمنا أن ندعوه أن يرزقنا الهداية إلى الصراط المستقيم، ويسلمنا من الانحراف بعامة.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

إنه دعاءٌ بالتزام الوسطية والحذر من طرفيه المنحرفين: طرف الغضب، وطرف الضلال.

(ولما أمرنا الله سبحانه: أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، المغايرين للمغضوب عليهم، وللضالين، كان ذلك ما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين)[2].

ولما كانت الوسطية أمر نسبي كل يدعيه وينسبه لنفسه، ويزعم أحقيته بهذا الوسم واللقب، وغيره إما: غالي منحرف، وإما مفرط منحرف، أشار القرآن إلى المعيار الذي يحدد الوسطية، إنه النبي -ﷺ- حيث قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهو -ﷺ- الحكم.

وقد بين المعيار الدقيق في ذلك حين قال -ﷺ-: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى

(١) جامع البيان (١٤٢/٣).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (٦٥/١).

اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"[1].

فسنة النبي -ﷺ- وسنة خلفائه الراشدين -رضي الله عنهم- هما الوسط، فكل من قرب منهما كان أقرب إلى الاعتدال والوسطية، وما زاد عليهما يعد منحرفاً، وكذلك من قصر عنهما يكون منحرفاً أيضاً.

لذا كان سلف الأمة الصالح أعرف الناس، وأحرصهم على التزام الوسطية لحرصهم على التزام سنة النبي -ﷺ- وصحابته الأطهار يشهد على ذلك سيرتهم وحياتهم وآثارهم العلمية والدعوية.

إن الوسطية التي تميز بها الإسلام عما سواه من الأديان هي (العدل) وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدولاً خياراً.

وهو محل اتفاق بين أهل العلم.

قال الطبري -رحمه الله-: (وأما الوسط، فإنه في كلام العرب: الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب؛ إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه) وأضاف: (الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن خيار الناس عدولهم)[2].

وقد كثرت وصايا السلف بأهمية الوسطية والاعتدال، والبعد عن الانحراف إلى بنايات الطريق.

---

(١) سبق تخريجه (٣٣).

(٢) جامع البيان (٢/٧) وانظر: الشنقيطي: أضواء البيان (١/١٧) وعبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين (٢٧).

فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: (اتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)[١].

وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى عامل من عماله، فقال بعد أن أوصاه بلزوم طريق من سلف: (ما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم، فجفوا، وطمح عنهم أقوام، فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)[٢].

إنه ابتغاء تحقيق التوازن في معالجة الانحراف الفكري، لا مناص من الرجوع فيه إلى الوسطية التي هي سمة الدين، ولا بد من التوازن في تلك المعالجة.

(١) رواه ابن وضاح: البدع والنهي عنها (١٠) وأبو نعيم: الحلية (١/ ٢٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٤) برقم (٤٦١٢) وابن بطة: الإبانة (١/ ٣٢١).

## المبحث الثالث
## أهلية القائم بالتقويم والمعالجة

إن علاج الانحراف الفكري مهمة من المهمات التي يجب أن يتولى علاجها المؤهلون لذلك، ولكن إذا أريد للمعالجة أن تحقق أهدافها، فلا بد من جملة أمور يتحلى بها المعالج، وسأذكر هنا أهمها:

**١- الإخلاص:**

إن صلاح القصد، أساس لقبول الأعمال عند الله سبحانه، والمخلص يهيئ الله له القبول في قلوب عباده، فتثمر أعماله ثمرات جليلة، ولذلك جاء الأمر بالإخلاص في قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما جاهر إليه"[(١)].

والقصد الصالح هنا: هو أن يبتغي المعالج للانحراف الفكري بعمله الله والدار الآخرة، ويقصد الوصول إلى الحق، وإيصال الخلق إليه، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

---

(١) سبق تخريجه (١٦٠).

وأما المقاصد السيئة، فغير متناهية، منها: العلو في الأرض، أو المعاندة والمغالبة، أو طلب الدنيا، أو تسويغ ظلم واقع على طائفة من الناس، ورحم الله أئمة الإسلام الذين جعلوا الإخلاص هدفهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في سياق كلامه عن مناظرته لطائفة من المبتدعة: (وما أحببت البغي عليهم والعدوان، ولا أن أسلك معهم إلا أبلغ ما يمكن من الإحسان)(١).

وقال -رحمه الله- في مقدمة رده على الأخنائي: (فأما ما فيه من الافتراء والكذب على المجيب، فليس المقصود الجواب عنه، وله أسوة أمثاله من أهل الإفك والزور، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ [النور: ١١].

بل المقصود الانتصار لله ولكتابه ولرسوله -ﷺ- ولدينه، وبيان جهل الجاهل الذي يتكلم في الدين بالباطل وبغير علم.

فأذكر ما يتعلق بالمسألة وبالجواب، وليس المقصود أيضاً العدوان على أحد لا المعترض ولا غيره، ولا بخس حقه، ولا تخصيصه بما لا يختص به مما يشركه فيه غيره، بل المقصود: الكلام بموجب العلم والعدل والدين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وليس -أيضاً- المقصود ذم شخص معين، بل المقصود بيان ما يذم وينهى

(١) لفتاوى (١١/٤٥٤).

عنه، ويحذر عنه من الخطأ والضلال في هذا الباب، كما كان النبي -ﷺ- يقول: "ما بال رجال يقولون، أو يفعلون كذا "فيذم ذلك الفعل، ويحذر عن ذلك النوع، وليس مقصوده إيذاء شخص معين، ولكن لما كان هذا صنف مصنفاً وأظهره وشهره، لم يكن بد من حكاية ألفاظه والرد عليه وعلى من هو مثله ممن ينتسب إلى علم ودين، ويتكلم في هذه المسألة بما يناقض دين المسلمين، حيث يجعل ما بعث الله به رسوله كفراً)[1].

وأمر الإخلاص دقيق؛ إذ يكون مأخذ المرء مأخذاً دقيقاً، صرفه عن الإخلاص إلى ضده، فقد يريد الانتصار لنفسه من قوم كفروه، فيعالج القضية بأن يكفرهم ويظلمهم. وإذا حسن قصد المرء رحم الخلق وصبر على ظلمهم ابتغاء وجه الله -عز وجل- (وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين سواء، كان قولاً أو فعلاً، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبر على جهل الجهول وظلمة إن كان غير متأول، وأما إن كان ذاك أيضاً متأولاً، فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله، أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم)[2].

**٢- العلم:**

إن المعالج للانحراف الفكري يتصدى لمشكلة متعددة الجوانب، ولا يمكن أن يعالج هذه القضية ما لم يكن مؤهلاً بالعلم بالمشكلة وجوانبها، قادراً على رد شبه المنحرفين.

---

(١) لرد على الأخنائي (١٥ - ١٦).

(٢) بن تيمية: الاستقامة (١/٣٧).

وقد ذم الله عز وجل الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج: ٨].

قال القرطبي -رحمه الله-: (في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده)[١].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ويجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لا بد أن يكون الجواب عما يعارضها جوابا قاطعا لا شبهة فيه ؛ بخلاف ما يسلكه من يسلكه من أهل الكلام.. فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين)[٣].

وفي الغالب أن صاحب الانحرف الفكري قد يكون قديراً على المجادلة والمحاورة، والحجة فيما انحرف فيه، فحين يتصدى له امرؤ على الحق، وليس عنده قدرة علمية، فذلك مؤذن بفتنة الاثنين، فيظن المنحرف أن الحق معه حجة مناظره، ويشكك المحاور في الحق الذي معه؛ لما سمع من الشبه،

(١) لجامع لأحكام القرآن (٤/٧٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٣٧٢).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٥٧) وينظر الفتاوى (٢٠/١٦٤ - ١٦٥).

فالواجب أن تكون هناك عناية خاصة في معالجة من يُظن أنه صاحب شبه وحجة فيما هو عليه.

قال ابن حجر -رحمه الله- في الكلام عن حديث معاذ بن جبل حين بعثه النبي -ﷺ- فقال له: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب"[1] فقال: (هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم، كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيناً عاقبة تصدي بعض جهلة المعتزلة، للرد على الزنادقة: (والعجب من قوم أرادوا بزعمهم نصر الشرع بعقولهم الناقصة، وأقيستهم الفاسدة، فكان ما فعلوه مما جرأ الملحدين أعداء الدين عليه، فلا الإسلام نصروا، ولا الأعداء كسروا)[3].

والقضية في العلم نسبية، تختلف باختلاف الناس واختلاف القضايا، المطروحة، فإن كان الانحراف في أمر ظاهر المأخذ، يمكن لطالب العلم المبتدئ الدخول في معالجته، ساغ ذلك. ومتى ما كانت القضية تحتاج إلى علم وجب التوقف إلا لمن عنده علم.

قال النووي -رحمه الله-: (إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به، وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام، والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق

(١) سبق تخريجه (٣١).

(٢) فتح الباري (٣/٣٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٩/٢٥٣).

بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء)[1].

والعلم يشمل مع العلم بنصوص الشريعة وأحكامها، العلم بالواقع وظروفه وملابساته، والعلم برتب المصالح والمفاسد.

ذلك أن المرء قد يعالج انحراف المنحرف، فلعدم فقهه بالمصالح والمفاسد، يوقع صاحب الانحرف الفكري في أمر أعظم مما كان فيه.

ومن تطبيقات هذا: مسألة الهجر بحسبانه أسلوباً من أساليب العلاج، فالهجر حين يوضع في غير موضعه، قد يوقع صاحب الانحراف في أمر أشد مما كان فيه.

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-: (الأصل هجر المبتدع لكن ليس عاماً في كل حال، ومن كل إنسان ولكل مبتدع، وترك الهجر والإعراض عنه بالكلية، تفريط على أي حال، وهجر لهذا الواجب الشرعي المعلوم وجوبه بالنص، والإجماع، وأن مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، وهكذا من وجوه الاختلاف والاعتبار التي يرعاها الشرع)[2].

(١) شرح صحيح مسلم (٢/٢٣).

(٢) هجر المبتدع (٤١).

# المبحث الرابع
# النصيحة والموعظة الحسنة

إن من حق المسلم على المسلم: بذل النصح له.

ففي حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"(١).

وعن تميم الداري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"(٢).

فمن حق المسلم على أخيه أن ينصحه إن رأى منه انحرافاً، أو معصية، أو غلواً، أو ابتداعاً، ولقد نصح النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض أصحابه حين وقع في لون من ألوان الغلو وأمره بترك ذلك العمل.

فمن ذلك حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥) برقم (٥٧) ومسلم (٥٤) برقم (٥٦).

(٢) سبق تخريجه (٤٤).

وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!"[(١)].

وفي سير السلف من الصحابة فمن بعدهم شواهد كثيرة من أقوالهم وأحوالهم، وأورد لذلك مثالين:

**الأول:**

عن عبد الواحد بن صبرة قال: بلغ ابن مسعود -رضي الله عنه- أن عمرو بن عتبة في أصحاب له بنوا مسجداً بظهر الكوفة، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم، ثم بلغه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة، يسبحون تسبيحاً معلوماً، ويهللون ويكبرون، قال: فلبس برنساً، ثم انطلق فجلس إليهم، فلما عرف ما يفعلون رفع البرنس عن رأسه ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن، ثم قال: لقد فضلتم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علماً، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً.

قال: فقال عمرو بن عتبة: والله، ما فضلنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علماً، ولا جئنا ببدعة ظلماً، ولكننا قوم نذكر ربنا، فقال: بلى والذي نفس ابن مسعود بيده، لئن أخذتم آثار القوم لتسبقن سبقاً بعيداً، ولئن حرتم يميناً أو شمالاً؛ لتضلن ضلالاً بعيداً[(٢)].

**الثاني:**

عن أبي اليقظان أن رجلاً من المسلمين أتي عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لقد حيّرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبد الله: امدد بصرك يا ابن أخي ما السواد الذي ترى؟ قال: فلان، قال: صدقت، قال: فما الخيال المسرف من خلفه؟ قال: لا أدري، قال

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) رواه ابن وضاح: البدع والنهي عنها (٨ - ١٠).

عبد الله: يا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حداً محدوداً من دونها حجاباً مستوراً، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدوداً لا يتعدّاها، قال: فردّ الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكر فيما يحيّره[1].

وأول من يخاطب بالمناصحة لمن وقع في الانحرف الفكري المتصلون بالواقع في ذلك الانحراف العارفون بحاله، من أهل وجيران وإمام مسجد، وزميل دراسة وأستاذ ونحوهم، فهؤلاء أعرف بأحوال المرء، وأقدر على موعظته وتخويفه بالله، وبذل النصح له.

فالمناصحة سبيل من سبل المعالجة؛ حتى وإن لم ينتفع المنحرف بالنصح، فإن الناصح قد بذل الواجب، وأعذر إلى ربه ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

(١) رواه ابن بطة: الإبانة (١/٤٢٢).

# المبحث الخامس
# الحوار

**الحوار**: (تردد الكلام بين فريقين؛ للوصول إلى الحق والصواب).

والفريقان في السنة هما: النبي -ﷺ- من جهة، ومن وقع في خلل وانحراف من جهة أخرى، أو من كان يريد العلم أو المعرفة، فيعلم بطريق الحوار.

**المقصود من الحوار:**

إن الحوار ما هو إلا وسيلة يتوصل بها إلى مقصد عظيم متمثل بتحقيق فوائد ثلاث:

**الأولى**: كشف شبهات المنحرفين التي أوقعتهم في الانحراف.

**الثاني**: إظهار عوار المنحرفين للناس؛ حتى لا يصغوا إليهم أسماعهم، فيشاركوهم الانحراف.

**الثالث**: إرجاع من انحرف إلى جادة الحق والصواب.

وهذه أمثلة من السيرة والسنة لا يراد منها الاستقصاء، بل التدليل على استخدام الحوار كوسيلة عالج بها -ﷺ- خللاً، أو انحراف قد وقع لدى بعضٍ من أفراد الأمة، فأبان الحق، وأزال الشبهة:

١ - ففي السيرة: أن عتبة بن ربيعة قام حتى جلس إلى رسول الله -ﷺ- فقال:

يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة - أي الشرف- في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك أمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله -ﷺ-: "يا أبا الوليد أسمع".

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالاً حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي -ﷺ-: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم. قال: "اسمع منى" قال: أفعل، فقال رسول الله -ﷺ-: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣] فمضى رسول الله -ﷺ- يقرؤها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه؛ حتى انتهى رسول الله -ﷺ- إلى السجدة فسجدها ثم قال: "سمعت يا أبا الوليد؟" قال: سمعت، قال: "فأنت وذاك".

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو

الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنت أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

يعلمنا النبي -ﷺ- هنا احترام الخصم، وإن كان كافراً، واحترام حواره، فنبينا -ﷺ- أنصت لهذا الكافر، واستمع لحجته وتركه يُفرغ ما لديه، فقال له: "يا أبا الوليد أسمع".

ثم ظهر من أدبه في حواره أن أكد على الخصم بأسلوب واضح مؤدب: "أفرغت يا أبا الوليد؟" ثم طلب من الخصم العدل، فهو كما أنصت حتى انتهى من إيراد شبهه؛ طلب المعاملة بالمثل، فقال: "اسمع منى".

ثم قابل النبي-ﷺ- أسلوب الخصم بأسلوب مدهش، فقابل دليله بدليل خارج السياق الذي أتى به الخصم، فلم ينجر للجواب عن أسئلته، بل أخذ الخصم لساحة أخرى وهي إثبات نبوته من خلال كلام الله المعجز، والذي يتذوقه من عرف طعم ومتعة وحقيقة الكلام العربي، فما كان من الخصم إلا أن أصاخ سمعه، وأنصتت جوارحه، فكان أن انقلب بحال غير الحال التي جاء بها.

٢- وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال بينما نحن عند رسول الله -ﷺ- ذات

(١) سبق تخريجه (٦٨٧).

يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي -ﷺ- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله -ﷺ-: "الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان" قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: "يا عمر أتدرى من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"(١).

الحوار هنا استخدم لتعليم أركان الإسلام، وبعضاً من مفرداته التي يحتاج إليها كل مسلم بطريقة غير مباشرة.

وكان طريقة الحوار عبارة عن سؤال واضح، وجواب أشد وضوحاً.

٣- وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلِّي مع رسول الله -ﷺ- إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم،

(١) سبق تخريجه (٣٤).

فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله -ﷺ- فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن" أو كما قال رسول الله -ﷺ-.

قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: "فلا تأتهم" قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم -قال ابن المصباح فلا يصدنكم- قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: "كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك" قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ فاطَّلعت ذات يوم، فإذا الذِّيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله -ﷺ- فعظَّم ذلك عليَّ قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها" فأتيته بها فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"[(١)].

٤- وعن أبي إمامة -رضي الله عنه- قال: إن فتى شاباً أتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مَهْ مَهْ فقال: "ادنه" فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله

(١) أخرجه مسلم (٢١٦) برقم (٥٣٧).

فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

يلحظ هنا استخدام اللين في الحوار، فمع غرابة الطلب واستهجانه، إلا أننا نجد أن النبي قد استوعب هذا الشاب، فلم يعنفه أو يهمل سؤاله.

فكانت المبادرة لاكتشاف طبيعة الشاب وأنه صاحب غيرة، فاستمر النبي في نفس السياق فالمزني بها لا تخلوا من الأنواع السابقة، ويلحظ في الحوار أنه مباشر (أمك، خالتك، أختك، ابنتك) ليكون وقع بغض الزنا أشد على الطالب.

فلما فند هذه الشبهة، وضع يده عليه وذلك له أثر، يُشعر بمزيد عناية واهتمام بالسائل.

٥- وعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه-: أنَّ ناساً منْ أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالوا للنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأجور، يصلُّونَ كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقُونَ بفُضُول أموالهم، قال: "أوليسَ قد

(١) سبق تخريجه (٣٥-٣٦).

جعل الله لكم ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقةً، وكلِّ تكبيرةٍ صدقةً، وكلِّ تحميدةٍ صدقةً، وكلِّ تهليلةٍ صدقةً، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةٌ " قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شَهْوَتَهُ ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: "أرأيتمْ لو وضعها في حرَامٍ، أكان عليه وزرٌ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ"[(١)].

استخدم الحوار هنا المحاكمة العقلية.

٦- عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جاءه أعرابي، فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود؟! فقال: "هل لك من إبل؟" قال: نعم، قال: "ما ألوانها؟" قال: حمر، قال: "هل فيها من أورق؟" قال: نعم، قال: "فأنى كان ذلك؟" قال: أراه عرق نزعه. قال: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق"[(٢)].

الحوار هنا أزال شبهة وخاطر طرأ على هذا الرجل، كادت أن تعصف بحياته الزوجية، واستخدم الحوار لغة يفهما ويعقلها هذا الرجل، فكان أن أزيلة الشبهة بسؤال من النبي وجواب من الرجل.

٧- وعن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشكو إليه، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجادلني فيه، ويقول: "اتقي الله فإنه ابن عمك " فما برحت حتى نزل القرآن ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إلى الفرض، فقال: "يعتق

(١) أخرجه مسلم (٣٨٩) برقم (١٠٠٦).

(٢) سبق تخريجه (٣٦).

رقبة" قالت: لا يجد، قال: "فيصوم شهرين متتابعين" قالت: يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: "فليطعم ستين مسكيناً " قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتي ساعتئذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله فإني أعينه بعرق آخر، قال: "قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً وارجعي إلى ابن عمك"[(١)].

الحوار هنا عالج قضية هذه المرأة، ونلحظ صبر النبي -ﷺ- على مراجعتها.

٨- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة النبي -ﷺ- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -ﷺ- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله -ﷺ- فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!"[(٢)].

عالج الحوار هنا انحرافاً له حظ كبير بما يسمى: الغلو، فبين لهم -ﷺ- سماحة واعتدال الإسلام، مستنكراً فعلهم، مبيناً أنه على خلاف سنته، ومنهجه وأنه -ﷺ- قد تبرأ من مخالفها.

٩- وفي السيرة في قصة وفد نصارى نجران أنهم؛ حتى إذا كانوا بالمدينة،

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢) برقم (٢٢١٤) وسكت عنه، والبيهقي: الكبرى (٣٩١/٧) برقم (١٥٠٦١)، وذكر الألباني أنه صحيح بشواهده: إرواء الغليل (١٧٣/٧).

(٢) سبق تخريجه (٣٩).

وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله -ﷺ- فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه، فسلمنا عليه، فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال

لعثمان ولعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعلوا فسلموا فرد سلامهم، ثم قال -ﷺ-: "والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى، وإن إبليس لمعهم".

ثم ساءلهم وساءلوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه.

فقال رسول الله -ﷺ-: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا؛ حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى".

فأصبح الغد وقد أنزل الله - عز وجل- هذه الآية: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ

ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول الله -ﷺ- الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة.

فقال شرحبيل لصاحبيه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً، فكنا أول العرب طعن في عينه، ورد عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره، ولا من صدور أصحابه؛ حتى يصيبونا بجائحة، وإنَّا أدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك.

قال: فتلقى شرحبيل رسول الله -ﷺ- فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك، فقال: "وما هو؟" فقال: حكمك اليوم إلى الليل.

وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت، فينا فهو جائز.

فقال رسول الله -ﷺ-: "لعل وراءك أحداً يثرب عليك؟" فقال شرحبيل: سل صاحبي، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل.

فرجع رسول الله -ﷺ- فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران، أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفى حلة، في كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة"(١).

يلاحظ هنا أن النبي -ﷺ- أرغم الخصم على الخضوع لمتطلباته لانجاز هذا الحوار، فأبدلوا ثياب الفخر والأنفة بثياب السفر، ولعل في هذا انكساراً أو قل هزيمة نفسية للخصم، ثم لما وصل الحوار إلى طريق مسدود طلب منهم وبشكل حازم اللعان، مما أصاب القوم بالإرباك والاضطراب، ومن ثم الخضوع لحكم الرسول -ﷺ-.

(١) سبق تخريجه (٦٩٠).

# المبحث السادس
# الرد

والمراد به: (المخاطبة في نقض أقوال المنحرفين، دون مراجعة مباشرة للكلام بين الطرفين)

وهو بهذا أخص من الحوار، فالحوار تبادل في الكلام بين المعالج للانحراف والمنحرف، أما الرد فهو توجيه من الأعلى علماً ومنزلةً بإنكار ما عليه المنحرف.

ولما كان جند الباطل يزيفون القول ويزخرفونه بما يظنه الجاهل علماً وحقاً، فتوقعه شبهات أهل الباطل في انحراف وضلال؛ كان لابد لجند الحق أن يدفعوا هذا الباطل ويردوه على أصحابه إحياءً لمن قتلته الشبه، ورداً لتائه ضال، كل ذلك مصداقاً لقوله -ﷺ-: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[1].

قال النووي -رحمه الله-: (وهذا إخبار منه -ﷺ- بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله -تعالى- يوفق له فى كل عصر خلفاء من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف وما بعده، فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه فى كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار

(١) سبق تخريجه (١٣١).

بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه)[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فأخبر أن الغالين يحرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة فلولا أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفى عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء)[٢].

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين)[٣].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (يتغير الدين بالتبديل تارة، وبالنسخ أخرى، وهذا الدين لا ينسخ أبداً؛ لكن يكون فيه من يدخل من التحريف، والتبديل والكذب، والكتمان ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٧)

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٥٩).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (٦).

به الحجة خلفاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون.

فالكتب المنزلة من السماء والأثارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[1].

وقد من الله على هذه الأمة فلم يزل -ولله الحمد-: (فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل، ويرده، وهم لما هداهم الله به، يتوافقون في قبول الحق، ورد الباطل، رأياً ورواية، من غير تشاعر، ولا تواطؤ)[2] وقدوتهم وإمامهم في ذلك نبينا -ﷺ- فقد رد على كل منحرف باغ عن الحق.

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: أتى رجل رسول الله -ﷺ- بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضةٌ، ورسول الله -ﷺ- يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: "ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل"، فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- دعني يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق، فقال: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه، كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة"[3].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة النبي -ﷺ- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -ﷺ- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما

(١) الفتاوى (١١/٤٣٤- ٤٣٤).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (٩/٢٣٣).

(٣) سبق تخريجه (٩٠).

أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله -ﷺ- فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!"[(١)].

فاستنكر -ﷺ- هذا الأمر، ورد عليهم قولهم، وبين أن فعلهم هذا يعد خروجاً عن سنته وهديه، وأخبرهم أنه وإن غفرت له ذنوبه إلا أنه أخشى الناس لله، وأتقاهم له سبحانه.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: دخل النبي -ﷺ- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلّقت، فقال النبي -ﷺ-: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"[(٢)].

وفي هذا الحديث كما قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالاقبال عليها بنشاط)[(٣)].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بينا النبي -ﷺ- يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي -ﷺ-: "مره فليتكلم وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"[(٤)].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- دخل عليها، وعندها

---

(١) سبق تخريجه (٣٩).

(٢) سبق تخريجه (٥٣٣).

(٣) فتح الباري (٣/٣٧).

(٤) سبق تخريجه (٥٣٣).

امرأة، قال: "من هذه؟" قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: "مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه[1].

عن أبي جحيفة عن أبيه -رضي الله عنه- قال: آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صدق سلمان"[2].

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وفيه جواز النهي عن المستحبات، إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة، أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور)[3].

وفي قصة الإفك تقول عائشة -رضي الله عنها-: فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا معشر المسلمين: من يعذرني من رجل بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت

(١) سبق تخريجه (٥٣٣).

(٢) سبق تخريجه (٥٤١).

(٣) فتح الباري (٤/٢١٢).

على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي"[1] الحديث.

وفي قوله "من يعذرني": (قال الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه، ورجح النووي هذا الثاني، وقيل معنى من يعذرني: من ينصرني، والعزيز الناصر، وقيل المراد: من ينتقم لي منه، وهو كالذي قبله، ويؤيده قول سعد، أنا أعذرك منه)[2].

ويظهر بهذه الردود: أن النبي -ﷺ- حقق أمرين:

الأول: الرد على صاحب الخطأ والانحراف، وإقامة الحجة عليه، ومن هؤلاء من يتحقق أثر الرد برجوعه عما هو عليه، كحال الرهط لثلاثة -رضي الله عنهم- ومن هؤلاء من لم ينقل رجوعهم كحال ذي الخويصرة الذي أنكر على النبي -ﷺ- قسمته.

الثاني: بيان الحق للناس الأحياء، الذين كانوا يسمعون ويرون الخطأ والانحراف، فأبان لهم الحق؛ حتى لا يقعوا فيما وقع فيه المخطئ أو المنحرف، وللأجيال اللاحقة من الناس إلى قيام الساعة، والذين سيسمعون خبر ذلك ويقرؤونه، فيكون سبباً لحمايتهم من الانحراف، وعلاجهم مما وقعوا فيه.

وبهذا حقق العلاج بالرد مقصوده: المعالجة، والتحصين.

(١) أخرجه البخاري (٧٨٦) برقم (٤١٤١) ومسلم (١١١٢) برقم (٢٧٧٠).

(٢) فتح الباري (٨/٤٧٠) بتصرف يسير.

# المبحث السابع
# الهجر

إن الهجر له ارتباط وثيق بأصلٍ من أصول الإيمان، وهو البراء والولاء.

عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"(1).

و عن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"(2).

ومما يدخل تحت هذا الأصل العظيم هجر السيئات والمنكرات وأهلها.

يقول -صلى الله عليه وسلم-: ".. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"(3).

فمن هجر ما نهى الله عنه من المنكرات، والبدع، والأهواء والضلالات، فقد تحقق له الأمن والسلامة.

وقد قرر العلماء أن الهجر مشروع - في الجملة - تحقيقاً لمبدأ الولاء والبراء، وحماية للدين وأهله، وردعاً للمنحرفين المبتدعين الضلال.

قال ابن عبد البر -رحمه الله- : (وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن

(1) أخرجه البخاري (٢٦) برقم (١٦) ومسلم (٤٩) برقم (٤٣).

(2) سبق تخريجه (٦٧٠).

(3) سبق تخريجه (٦٦١).

يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده، ورب صَرْمٍ جميل، خير من مخالطة مؤذية)[١].

وعلق الإمام النووي -رحمه الله- على قول ابن عمر -رضي الله عنهما-: (أحدِّثُكَ أن رسول الله -ﷺ- نهى عنه، ثم تخذِفُ، لا أكَلِّمُكَ أبداً)[٢] قال: (فيه هجران أهل البدع، والفسوق، ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائماً، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه، ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائماً، وهذا الحديث مما يؤيده، مع نظائر له)[٣].

وقال البغوي -رحمه الله- بعد حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- حين تخلف عن غزوة تبوك[٤]: (وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله -ﷺ- خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا من الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله -ﷺ- براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون، وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم)[٥].

والهجر نوعان:

**الأول:** هجر وقائي احترازي.

---

(١) التمهيد (٦/١٢٧) وانظر: البغوي: شرح السنة (١/٢٢٧).

(٢) رواه مسلم: برقم (١٩٥٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/١٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (٨٣٤) برقم (٤٤١٨)، ومسلم (١١٠٨) برقم (٢٧٦٩).

(٥) شرح السنة (١/٢٢٦-٢٢٧).

**الثاني: هجر عقابي.**

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: (ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه بها، أو تخاف من شره في بدعة، أو غيرها)[1].

وقال ابن القيم-رحمه الله -: (أنَّا مأمورون بهجر أهلِ البدع تعزيراً لهم، وتحذيراً منهم)[2].

**ومما يستدل به على مشروعية الهجر الوقائي:**

قول الله -عز وجل-: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله -ﷺ- ويرد ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم، ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا.

ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع

(١) التمهيد (٦/١١٩).

(٢) زاد المعاد (٢/٤٢٦).

المضلة فيها من المفسدة أضعاف، أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما يتفق عليه من كذباتهم، وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره، ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل، وأنكر المنكر)[(١)].

ومنها: قوله -ﷺ- قال: "سيكون في آخر الزمان أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم"[(٢)].

ومنها: قوله -ﷺ-: "يكون آخر الزمان دجَّالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم"[(٣)].

قال القرطبي -رحمه الله-: (الدَّجَّال: الكذَّاب، المموِّه بكذبه، الملبِّس، يقال: دَجَلَ الحقَّ بباطله، أي: غطَّاه، ودجلَ، أي: مَوَّهَ وكَذَبَ؛ وبه سمي الكذَّابُ الأعور، وقيل: سمِّي بذلك؛ لضربه في الأرض وقطعه نواحيها، يقال: دَجَلَ الرجل، بالفتح والضم: إذا فعل ذلك؛ حكاه ثعلب.

وهذا الحديث إخبارٌ من النبي -ﷺ- بأنّه سيوجد بعده كذّابون عليه، يضلُّون الناس بما يضعونه ويختلقونه، وقد وجد ذلك على نحو ما قاله؛ فكان

(١) فتح القدير (٢/١٢٨).

(٢) سبق تخريجه (٣٣٩).

(٣) سبق تخريجه (٣٣٩).

هذا الحديث، من دلائل صدقه -ﷺ-)[1].

وقوله -ﷺ-: "لا يضلوكم" أي: نهياً عن التعرض؛ لإضلالهم أو لفتنتهم[2].

ومنها: عن أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن نبي الله -ﷺ- قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.

فانطلق؛ حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.

فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"[3].

وفي قول العالِم: "ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء" قال النووي -رحمه الله-: (قال العلماء: فى هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا

(١) المفهم (١/٣٦).

(٢) انظر: القرطبي: المفهم (١/٣٧).

(٣) سبق تخريجه (٢٠٩).

على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء، والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته)(١).

ومنها: عن عمران بن حصين -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "من سَمِعَ بالدجال فلينأَ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتَّبعه مما يبعث به من الشبهات"(٢).

قال ابن عثيمين -رحمه الله- مستشهداً بهذا الحديث: (فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب)(٣).

ومنها: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -ﷺ- قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"(٤).

ومنها: عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن مجوس هذه الأمة المكذوبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم"(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧/٨٣) وانظر: ابن حجر: فتح الباري (٦/٥١٧).

(٢) سبق تخريجه (٥٩٥).

(٣) مجموع الفتاوى والرسائل (٥/٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١١) برقم (٤٦٩١) وسكت عنه، والبيهقي: الكبرى (١٠/٢٠٣) برقم (٢٠٦٥٨) والحاكم: المستدرك (١/١٥٩) برقم (٢٨٦) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر) ووافقه الذهبي. وقال ابن القطان: (هو عندي صحيح). بيان الوهم والإيهام (٥/٤٤٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٧) برقم (٩٢)، وحسنه الألباني دون جملة التسليم: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٩٢).

**وأما الهجر العقابي:**

فقد دل على مشروعيته: حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

فعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك، وفيه أنه قال: ونهى رسول الله -ﷺ- المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه - قال - فاجتنبنا الناس - وقال - تغيروا لنا حتى تنكرت لي فى نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف فى الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله -ﷺ- فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي، نظر إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني؛ حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه، فوالله ما رد على السلام..)[1] الحديث.

قال الخطابي -رحمه الله-: (فيه من العلم: أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث[2]، إنما هو فيما يكون بينهما من مثل عتب وموجدة، أو التقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها، دون ما كان من ذلك في حق الدين؛ فإن هجرة

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤) برقم (٤٤١٨) ومسلم (١١٠٨) برقم (٢٧٦٩).

(٢) يشير الخطابي بذلك لقوله -ﷺ-: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام" أخرجه البخاري (١١٧٤) برقم (٦٠٧٧) ومسلم (١٠٣٤) برقم (٢٥٦٠).

أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق.

وكان رسول الله -ﷺ- خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، فأمر بهجرانهم، وأمرهم بالقعود في بيوتهم نحو خمسين يوماً، على ما جاء في الحديث، إلى أن أنزل الله توبته وتوبة أصحابه، فعرف رسول الله -ﷺ- براءتهم من النفاق)[١].

قال المهلب -رحمه الله-: (ترك السلام على أهل المعاصي بمعنى التأديب لهم، سنة ماضية بحديث كعب بن مالك وأصحابه: الثلاثة الذين خلفوا، وبذلك قال كثير من أهل العلم فى أهل البدع: لا يسلم عليهم، أدبا لهم)[٢].

وقال ابن حجر -رحمه الله- في فوائد الحديث: (وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث.

وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً)[٣].

وقال النووي -رحمه الله-: (وأما المبتدع ومن اقترف ذنبا عظيماً، ولم يتب منه، فينبغي أن لا يسلم عليهم، ولا يرد عليهم السلام، كذا قاله البخاري وغيره من العلماء)[٤].

---

(١) معالم السنن (٤/٢٩٦).

(٢) ابن بطال: شرح البخاري (٩/٣٦).

(٣) الفتح (٨/١٢٤) وانظر البغوي شرح السنة (١/٢٢٤)

(٤) الأذكار (٢١٨).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وكان من هديه ترك السَّلام ابتداءً ورداً على من أحدث حدثاً حتى يتوب منه، كما هجر كعب بن مالك وصاحبيه، وكان كعب يُسلِّم عليه، ولا يدري هل حرَّك شفتيه بردِّ السَّلام عليه أم لا؟)[1].

وقد كان لهذا الأسلوب أثره الذي يحدثنا به كعب بن مالك -رضي الله عنه- نفسه، فعن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن تبوك: والله ما أنعم الله علي من نعمة بعد إذ هداني، أعظم من صدقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٥ - ٩٦][2].

۞ ۞ ۞

إن الهجر وإن كان مشروعاً، إلا أن مشروعيته مرتبطة بتحقق المصلحة التي من أجلها شرع الهجر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور، وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كان المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته، كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف، بحيث يكون

(١) زاد المعاد (٢/٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٢) برقم (٤٦٧٣) ومسلم (١١٠٨) برقم (٢٧٦٩).

مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي -ﷺ- يتألف قوماً، ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم؛ لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون فى عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير، فكان فى هجرهم عز الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع فى العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال، والمصالح)(١).

ومن هذا النظر في حال الهاجر هجراً وقائياً، فإن كان عالماً صاحب يقين لا تضره الشبهات، وفي مجالسته للمبتدع خير من جهة نصحه، فإن المجالسة مشروعة حينذاك، والهجر غير مشروع.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوباً لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة، والمكاتبة)(٢).

وقال -رحمه الله-: (إن كان الغرض من النظر في كتبهم؛ معرفة بدعتهم؛ للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به،

(١) الفتاوى (٢٨/٢٠٦).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد (١١٠).

وكان قادراً على الرد عليهم، بل ربما كان واجباً؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[1].

كما يختلف حكم الهجر من جهة درجة الانحراف والابتداع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن ذكر قصة هجر النبي -ﷺ- لكعب وصاحبيه، وأمر عمر -رضي الله عنه- بهجر صبيغ بن عسل: (فلهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ، من المظهرين للبدع الداعين إليها، والمظهرين للكبائر.

فأما من كان مستتراً بمعصية، أو مسراً لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة، إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً، أو عملاً.

وأما من أظهر لنا خيراً فإنا نقبل علانيته، ونكل سريرته إلى الله تعالى فإن غايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي -ﷺ- يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله؛ لما جاءوا إليه عام تبوك يحلفون، ويعتذرون)[2].

---

(١) المصدر نفسه (١١١).

(٢) الفتاوى (٢٤/١٧٤-١٧٥).

# المبحث الثامن
# العقوبة

إن الإسلام لما كان بطبيعته متناقضاً مع الفساد، ويسعى من خلال نظمه وأحكامه إلى حماية الخلق سواء كانوا مسلمين أو ذميين أو مستأمنين بعهد، وإحاطتهم بكل ضمانات الأمن والاستقرار، هؤلاء الذين لا يريدون شراً ولا عدواناً، ومن أجل أن الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبلات المطبوعة على الشر؛ وأن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور في النفس، كان لابد له من آلية تقوم على استئصال شأفة الفساد فكان أن أوقع العقوبة والنكال على كل مستحق قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٢ - ٣٤].

قال الطبري -رحمه الله-: (وهذا بيان من الله -عز ذكره- عن حكم

الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أعلم عباده: ما الذي يستحق المفسدُ في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتلُ، والصلب، وقطعُ اليد والرِّجل من خلافٍ، أو النفي من الأرضِ، خزيًا لهم. وأما في الآخرة إن لم يتبْ في الدنيا، فعذاب عظيم)[1].

قال الشوكاني -رحمه الله-: (وقد اختلف في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك، وقيل: قطع الطريق.

وظاهر النظم القرآني: أنه ما يصدق عليه أنه فساد في الأرض، فالشرك فساد في الأرض، وقطع الطريق فساد في الأرض، وسفك الدماء وهتك الحرم ونهب الأموال فساد في الأرض، والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الأرض، وهدم البنيان وقطع الأشجار، وتغوير الأنهار فساد في الأرض، فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد في الأرض)[2].

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: (ودلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:

- إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفا مكافئا، ليس بوالد للمقتول.

- وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس، أو أبدانهم، أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف

(١) الجامع لبيان تأويل القرآن (١٠/٢٤٣).

(٢) فتح القدير (٢/٢٩٨).

شرهم إلا بالقتل.

وكذلك قطاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم)[1].

فمن أجل ما تقدم شرع الإسلام ضمن تشريعاته ونظمه باباً سمي: بالجنايات، تضمن أنواعاً من العقوبات تختلف باختلاف طبيعة الجرم المرتكب لكنها لا تخرج عن تقسيمات ثلاث وهي:

١- الحدود.

٢- القصاص.

٣- التعزيرات.

وهذه العقوبات إنما وضعت لحكم ومقاصد عظيمة منها:

١- حفظ مصالح الأمة؛ إذ لا قيام لمصالحها الدينية والدنيوية إلا بوازع إيماني يقترن به وازع سلطاني، يحصل به ردع من أراد إفساد تلك المصالح.

٢- إصلاح الجاني، وتهذيبه، وتطهيره من الجرم الذي وقع فيه.

٣- ردع الناس عن الوقوع في الجرم؛ لأنهم متى علموا أن العقوبة واقعة لا محالة بمن فعل هذا الفعل؛ ارتدعوا عن إتيانه.

٤- رد الحق لصاحبه برفع الظلم والاعتداء الذي وقع عليه، وإشفاء صدره تجاه المعتدي.

وإيقاع العقوبات على المنحرفين، الأصل فيه أنه من باب العقوبات التعزيرية: غير مقدرة بقدر، فتختلف (مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٢٩).

وصغرها ؛ وبحسب حال المذنب ؛ وبحسب حال الذنب في قلته وكثرته.

**والتعزير أجناس:** فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب)[(١)].

وقد تكون العقوبة التعزيرية حسية، وقد تكون معنوية، فالحسية كالضرب، والحبس ونحوه.

والمعنوية من حيث ترك الصلاة خلفهم، وترك الصلاة عليهم.

وأما العقوبات الحدية فيعاقب بها المنحرف إذا وصل انحرافه بأن كفر فيقام عليه حد الردة، وقد يعاقب قصاصاً حين يقتل مسلماً معصوم الدم.

والأمر في كل ذلك إنما هو للحاكم الشرعي؛ لصعوبة وضع ضابط لعقوبة المنحرف.

وفي السنة نجد أن العلاج بالعقوبة قد استخدم بأنواع مختلفة تختلف بحسب الانحراف المرتكب:

ففي قصة مسجد الضرار دعا رسول الله -ﷺ- مالك بن الدُّخْشُم ومعن بن عدي -أو أخاه عامر بن عدي - فقال: "انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه"[(٢)].

فأمر رسول الله -ﷺ- بحرق مسجد الضِّرار وأمر بهدمه، وهو مسجدٌ يُصلَّى فيه، ويُذكر اسمُ الله فيه، لكنه دار حرب في الباطن، لما كان بناؤه ضِراراً

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (١٠٧/٢٨).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٥٣٠/٢)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢١٢/٤)، وذكر الألباني بأنه مرسل. إرواء الغليل (٣٧٠/٥).

وتفريقاً بين المؤمنينَ، ومأوى للمنافقين، وكُلُّ مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيلُه، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته، وإخراجه عما وُضِعَ له.

وقد نزل في شأن هذا المسجد الضرار قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]

(وإذا كان هذا شأنَ مسجد الضِّرارِ، فمشاهِدُ الشِّرْكِ التى تدعو سدنتُها إلى اتخاذ مَنْ فيها أنداداً من دون الله أحقُّ بالهدم وأوجب، وكذلك محالُّ المعاصي والفسوق، كالحانات، وبُيوت الخمَّارين، وأرباب المنكرات)[1].

وعن أبى وائل عن أبى الهياج الأسدي قال: قال لي على بن أبى طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ-: "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سويته"[2].

وعن أبي الطُّفَيلِ قال: لما فتح رسول الله -ﷺ- مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي -ﷺ- أخبره فقال: "ارجع فإنك لم تصنع شيئًا". فرجع خالد، فلما أبصرته السَّدَنة -وهم حَجَبتها-أمعنوا في الحِيَل وهم يقولون: "يا عزى، يا عزى". فأتاها خالد فإذا

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٤) برقم (٩٦٩).

امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله -ﷺ- فأخبره، فقال: "تلك العزى"(١).

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن عبد الله بن أبي لما توفي، جاء ابنه إلى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي -ﷺ- قميصه، فقال: "آذنّي أصلي عليه" فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر -رضي الله عنه- فقال أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: "أنا بين خيرتين، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]" فصلى عليه، فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤](٢).

وعن السائب بن يزيد -رضي الله عنه- قال: رأيت رسول الله -ﷺ- أخرج عبد الله بن خطل من بين أستار الكعبة، فقتله صبراً، ثم قال: "لا يقتل أحد من قريش بعد هذا صبراً"(٣).

وعن ابن عباس قال: قال النبي -ﷺ-: "من بدل دينه فاقتلوه"(٤).

ولما بعث النبي -ﷺ- أبا موسى الأشعري إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن

(١) أخرجه النسائي: السنن الكبرى (٦/٤٧٤) رقم (١١٥٤٧)، وحسنه مقبل الوادعي: الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين: برقم (٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨) برقم (١٢٦٩) ومسلم (٩٧٦) برقم (٢٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٧٣٩) برقم (٦٦٨٩) وسكت عنه هو والذهبي، والطبراني: الكبير (٧/١٥٨) برقم (٦٦٨٧)، ذكر الألباني أن فيه يوسف بن يعقوب، ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحاً ولا تعديلاً، ووثقه ابن حبان: السلسلة الصحيحة (٥/٥٥٤).

(٤) سبق تخريجه (٤٦).

جبل، فلما قدم عليه، ألقى له وسادة، قال: انزل، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً، فأسلم، ثم تهود، قال: اجلس، قال: لا أجلس؛ حتى يقتل؛ قضاء الله، ورسوله -ثلاث مرات- فأمر به فقتل[1] الحديث.

وعن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة"[2].

قال النووي -رحمه الله-: (قوله -صلى الله عليه وسلم-: "والتارك لدينه المفارق للجماعة" فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.

قال العلماء: ويتناول أيضا كل خارج عن الجماعة ببدعة، أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج والله أعلم.

واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه، فيباح قتله في الدفع)[3].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنَّ أبا بكر جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله إني مررتُ بوادي كذا وكذا، فإذا رجل مُتَخَشِّعٌ حسن الهيئة يصلِّي فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اذهب إليه فاقتله" قال: فذهب إليه أبو بكر، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتُلَهُ، فرجع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمر: "اذهب فاقتله" فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر. قال: فكره أن يقتله. قال: فرجع، فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي مُتخشعاً،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢١) برقم (٦٩٢٣) ومسلم (٧٦٢) برقم (١٨٢٤).

(٢) سبق تخريجه (٤٦).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/١٦٥).

فكرهت أن أقتله. قال: "يا علي اذهب فاقتله" قال فذهب علي، فلم يره، فرجع علي فقال: يا رسول الله إنه لم يره. قال: فقال النبي -ﷺ-: "إن هذا وأصحابه، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم هم شر البرية"(1).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله -ﷺ- الناس إلا أربعة نفر، وامرأتين، وقال: "اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح" فأما عبد الله بن خطل، فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق

(1) أخرجه: أحمد: المسند (١٧/١٨٧) برقم (١١١١٨) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف. أبو رؤبة شداد بن عمران القيسي مجهول الحال ترجم له البخاري في التاريخ الكبير، والكنى وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ونسباه قشيرياً وقال البخاري : القشيري من قيس، والحافظ في تعجيل المنفعة ونسبه ثعلبياً! وذكر في الرواة عنه اثنين، وذكره ابن حبان في الثقات ونسبه تغلبياً ! وباقي رجاله ثقات.
ثم إن في متنه نكارة بينها السندي) وهي قوله: ( ولا يخفي ما في ظاهره من البعد إذ كيف يكره أبو بكر ثم عمر قتل من أمر النبي -ﷺ- بقتله.
وقد جاء أن عمر استأذن في قتل من قال: إن النبي -ﷺ- ما عدل في القسمة، وكذا خالد بن الوليد والنبي -ﷺ- ما أذن في قتله، وعلل ذلك بأنه مصل، والذي يظهر أن هذا الرجل المذكور في هذه الأحاديث هو ذلك الرجل الذي جاء فيه أنه استأذن في قتله عمر وخالد، ولا يخفي أن استئذان عمر في قتله أصح وأثبت من هذه الأحاديث، فهذا يقتضي أن في هذه الأحاديث شيئاً، ومن نظر في اختلاف عنوان الواقعة في هذه الأحاديث لا يستبعد ما قلنا) وقال الهيثمي: (رواه أحمد، ورجاله ثقات) مجمع الزوائد (٦/٢٢٥) ثم صرح في الصحيفة التالية أنه صحيح. وقال الألباني: (إسناده حسن، رجاله ثقات معروفون، غير أبي رؤبة هذا، وقد وثقه ابن حبان) السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٥٩).

سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتى محمداً -ﷺ- حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم، وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله -ﷺ- الناس إلى البيعة جاء به؛ حتى أوقفه على النبي -ﷺ- قال: يا رسول الله بايع عبد الله، قال فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا، حيث رآني كففت يدي عن بيعته، فيقتله؟ فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: "إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين"(١).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- كان يصلي مع النبي-ﷺ- ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة قال: فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله! إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا وإن معاذاً صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة فتجوزت، فزعم أني منافق، فقال النبي -ﷺ-: "يا معاذ أفتان أنت -ثلاثاً- اقرأ والشمس وضحاها،

(١) أخرجه النسائي (٤٢٧) برقم (٤٠٦٧). قال البوصيري: (رجاله ثقات). إتحاف الخيرة (٥/٢٤٦)، وصححه الألباني: صحيح وضعيف سنن النسائي: برقم (٤٠٦٧).

وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها "[١].

وفي قوله: "يا معاذ أفتان أنت" قال النووي: (أي منفر عن الدين وصاد عنه ففيه الإنكار على من ارتكب ما ينهى عنه وإن كان مكروها غير محرم وفيه جواز الاكتفاء في التعزير بالكلام)[٢].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أُتي النبي -صلى الله عليه وسلم- بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم"[٣].

وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن شتمه (لئلا يتوهم الشارب عند عدم الإنكار أنه مستحق لذلك، فربما أوقع الشيطان في قلبه ما يتمكن به من فتنه)[٤].

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي -صلى الله عليه وسلم- فغضب، فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[٥].

۞ ۞ ۞

---

(١) سبق تخريجه (٥٤٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٨٣/٤).

(٣) البخاري (١٢٩٤) برقم (٦٧٨١).

(٤) ابن حجر: الفتح (٧٦/١٢).

(٥) سبق تخريجه (٥٩٩).

وقد استخدم السلف أسلوب إيقاع العقوبة كوسيلة لعلاج الانحراف، ومن ذلك:

ما جاء عن الخليفة الراشد أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في قيامه على أهل الردة وإيقاعه بهم أشد العقوبات.

كيف وقد سمع مثيري الشبهات والفتن في عهده، يريدون أن يهدموا ركناً من أركان الإسلام العظام بشبهاتهم التي أثاروها في ذلك الحين، وذلك عندما سمعوا بوفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أرادوا منع الزكاة.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] فقالوا: فنحن لا ندفع زكاتنا بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أحد؛ لأن الله يقول لرسوله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ ولم يخاطب أحداً غير الرسول بأخذها، كما قالوا لا ندفعها إلا إلى من صلاته سكن لنا، يريدون بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما أرادوا إنكار الزكاة ومنعها بهذه الشبه، اتفق الصحابة على قتالهم، وردتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة، وإن كانوا يصلون الخمس، ويصومون شهر رمضان.

وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة؛ فلهذا كانوا مرتدين، وهم يقاتلون على منعها، وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله، وقد حكى عنهم أنهم قالوا: إن الله أمر نبيه لأخذ الزكاة بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ وقد تسقط بموته)[1].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٣/٥٣٤).

ولما أراد الصديق -رضي الله عنه- قتالهم، تكلم الصحابة معه في أن يتركهم، وما هم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق، ولما قال له عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله".

فلما قال عمر -رضي الله عنه- ذلك دحض الصديق -رضي الله عنه- هذه الشبهة مع شبهات المانعين للزكاة بقوله: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم على منعها)

فلما فند الصديق هذه الشبهات قال عمر -رضي الله عنه-: (فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر -رضي الله عنه- فعرفت أنه الحق)(١).

كما وجدنا أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يضرب مثيري الشبهات بيد من حديد، فكان عاقبة ذلك أن عاشت الأمة في عهده على قلب رجل واحد، فامتد سلطان المسلمين في عهده امتداداً لم يبلغه في عصر من العصور، بل لقد تهاوت في عصره وعلى يدي جنده أعظم إمبراطوريتين عرفهما التاريخ، فقد دك المسلمون أسوار فارس، ومزقوا المملكة الرومانية وشردوها وأخرجوها خلف البحار، كل ذلك لأن عمر -رضي الله عنه- طبق هذا المبدأ العظيم الذي أمر به القرآن الكريم، فعاشت الأمة متماسكة البنيان قوية الكيان.

عن نافع مولى عبد الله أن صبيغاً العراقي، جعل يسأل عن أشياء من

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣) برقم (١٣٩٩) ومسلم (٤٢) برقم (٢٠).

القرآن في أجناد المسلمين؛ حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ قال: في الرحل. قال عمر: أبصر أيكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة. فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة!. فأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برأت.

فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر: أن قد حسنت هيئته فكتب عمر: أن ائذن للناس بمجالسته[(١)].

وقال أبو عثمان النهدي -رحمه الله-: (كتب إلينا عمر: لا تجالسوا صبيغاً، فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه)[(٢)].

وقال قطن بن كعب: سمعت رجلاً من بني عجل يقال له زرعة أو فلان بن زرعة قال: (رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجئ إلى الحلقة، ويجلس وهم لا يعرفونه، فيناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه)[(٣)].

هكذا كان نهج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع من يثير الشبهات، بل لقد

---

(١) أخرجه الدارمي (١/٦٧) برقم (١٤٨).

(٢) أبو الفضل المقرئ: أحاديث في ذم الكلام وأهله (٤/٢٤٦).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٣٣/٤١٣).

توعد من يثير الشبهات في أوساط المسلمين بأشد العقوبات.

قال ابن أبزا: بلغ عمر أن ناساً تكلموا في القدر، فقام خطيباً وقال: (يا أيها الناس: إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلما فيه إلا ضربت أعناقهما)[1].

وبفعل عمر -رضي الله عنه- مع صبيغ أخذ الإمام الشافعي -رحمه الله- حيث قال: (حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ)[2].

وهكذا فعل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- مع أهل البدع والشبهات، فلما أحدثت البدع الشيعية في خلافته ردها، وكانت ثلاث طوائف: غالية، وسبابة، ومفضلة.

فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار؛ فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله، فاستتابهم ثلاثاً، فلم يرجعوا، فأمر في الثالثة بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار ثم قذفهم فيها وقال:

لما رأيت الأمر أمرا منكراً    أججت ناري ودعوت قنبراً

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا.

وأما المفضلة: فقال لهم: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين)[3].

---

(١) ابن بطة: الإبانة (٢/٣١٠).

(٢) الهروي: ذم الكلام (٣٥٥)

(٣) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٤ - ١٨٥).

وعن عكرمة قال: أتي علي -رضي الله عنه- بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تعذبوا بعذاب الله" ولقتلتهم؛ لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من بدل دينه فاقتلوه"[(١)].

وهكذا كان سلاطين الأمة وأولياء أمورها الصالحين يمنعون أصحاب الشبهات عن شبهاتهم، فإن لم يمتنعوا كان مصيرهم القتل؛ لأن العضو الفاسد في الجسد الصحيح ليس له إلا البتر، وإلا أفسد الجسد كله.

ومن أمثلة ذلك في التاريخ الإسلامي أمير واسط خالد بن عبد الله القسري، فإنه قد أزال عن الأمة الإسلامية رأساً من رؤوس الفتن، ألا وهو الجعد بن درهم، فلما قام ينشر شبه الجهمية في أسماء الله وصفاته، عاقبه خالد القسري أنكل عقاب.

فعن حبيب بن أبي حبيب قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري، وقد خطبهم في يوم أضحى بواسط، فقال: ارجعوا أيها الناس، فضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم، قال: ثم نزل فذبحه[(٢)].

وهكذا يجب على أولياء أمور المسلمين في كل زمان ومكان الأخذ على أيدي المفسدين؛ لعقول المؤمنين، والمزعزعين لعقائد الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وولاة الأمر أحق الناس بنصر

(١) أخرجه البخاري (١٣٢١) برقم (٦٩٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/٢٠٥) برقم (٢٠٦٧٦) وابن عساكر: تاريخ دمشق (١٦/١٣٧).

دين الرسول وما جاء به من الهدى ودين الحق، وبإنكار ما نهى عنه وما نسب إليه بالباطل من الكذب والبدع إما جهلاً من ناقله وإما عمداً؛ فإن أصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأس المعروف هو التوحيد ورأس المنكر هو الشرك، وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق به فرق الله بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين الرشاد والغي وبين المعروف والمنكر، فمن أراد أن يأمر بما نهى عنه وينهى عما أمر به وبغير شريعته ودينه، إما جهلاً وقلة علم، وإما لغرض وهوى كان السلطان أحق بمنعه بما أمر الله به ورسوله -ﷺ- وكان هو أحق)(1).

وقال - رحمه الله- أيضاً: (والذي على السلطان في مسائل النزاع بين الأمة أحد أمرين:

إما إن يحملهم كلهم على ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وإذا تنازعوا: فَهِمَ كلامهم إن كان ممن يمكنه فهم الحق، فإذا تبين له ما جاء به الكتاب والسنة دعي الناس إليه، وأن يقر الناس على ما هم عليه، كما يقرهم على مذاهبهم العملية.

فأما إذا كانت البدعة ظاهرة تعرف العامة أنها مخالفة للشريعة، كبدعة الخوارج والروافض، والقدرية، والجهمية، فهذه على السلطان إنكارها؛ لأن علمها عام كما عليه الإنكار على من يستحل الفواحش والخمر، وترك الصلاة

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٢).

ونحو ذلك.

ومع هذا فقد يكثر أهل هذه الأهواء في بعض الأمكنة والأزمنة؛ حتى يصير بسبب كثرة كلامهم مكافئاً عند الجهال لكلام أهل العلم والسنة؛ حتى يشتبه الأمر على من يتولى أمر هؤلاء، فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بإظهار حجة الله وتبيينها؛ حتى تكون العقوبة بعد الحجة، وإلا فالعقوبة قبل الحجة ليست مشروعة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ولهذا قال الفقهاء في البغاة: إن الإمام يراسلهم فإن ذكروا شبهة بينها، وإن ذكروا مظلمة أزالها، كما أرسل علي ابن عباس إلى الخوارج، فناظرهم حتى رجع منهم أربعة آلاف، وكما طلب عمر بن عبد العزيز دعاة القدرية والخوارج، فناظرهم حتى ظهر لهم الحق وأقروا به، ثم بعد موته نقض غيلان القدري التوبة، فصلب)[1].

وقال القرطبي -رحمه الله-: (فأما المرتدون فليس إلا القتل أو التوبة، وكذلك أهل الزيغ والضلال ليس إلا السيف أو التوبة، ومن أسر الاعتقاد بالباطل، ثم ظهر عليه فهو كالزنديق يقتل ولا يستتاب، وأما الخوارج على أئمة العدل، فيجب قتالهم؛ حتى يرجعوا إلى الحق)[2].

وهذا الأمر بمعاقبة أهل البدع والشبهات إنما هو للذين لا ينفع معهم استخدام المناظرات، والحجج والبراهين، كالجاحد المعاند، فمثل هؤلاء لا ينفع معهم إلا العقوبة الرادعة.

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٣٩ - ٢٤٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٥٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان ؛ لأن غاية البرهان أن ينتهي إليها، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث؛ ولهذا كان من أنكرم العلوم الحسية والضرورية لم يناظر، بل إذا كان جاحداً معانداً عوقب حتى يعترف بالحق)[1].

وقد بين الإمام الشاطبي -رحمه الله- العقوبات التي يمكن استخدامها لردع أهل البدع والشبهات عن ضلالاتهم، فقال: (إن القيام عليهم بالتثريب أو التنكيل، أو الطرد أو الإبعاد أو الإنكار هو بحسب حال البدعة في نفسها من كونها عظيمة المفسدة في الدين، أم لا، وكون صاحبها مشتهرا بها، أو لا، وداعيا إليها، أو لا، ومستطيراً بالأتباع، وخارجاً عن الناس، أو لا، وكونه عاملاً بها على جهة الجهل، أو لا.

وكل من هذه الأقسام له حكم اجتهادي يخصه؛ إذ لم يأت في الشرع في البدعة حد لا يزاد عليه، ولا ينقص منه، كما جاء في كثير من المعاصي كالسرقة والحرابة، والقتل والقذف، والجراح والخمر وغير ذلك.

لا جرم أن المجتهدين من الأمة نظروا فيها بحسب النوازل، وحكموا باجتهاد الرأي تفريعا على ما تقدم لهم في بعضها من النص، كما جاء في الخوارج من الأثر بقتلهم ، وما جاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صبيغ العراقي)[2].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/١١٠).

(٢) الاعتصام (١٣١).

**العقوبة بالسجن أو النفي:**

قال عبد الله بن أحمد بن حبل: سألت أبي عن رجل ابتدع بدعة يدعو إليها وله دعاة عليها هل ترى أن يحبس؟ قال: (نعم أرى أن يحبس، وتكف بدعته عن المسلمين)[1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (كان ثور بن يزيد الكلاعي كان يرى القدر وكان من أهل حمص أخرجوه ونفوه؛ لأنه كان يرى القدر)[2]

**إتلاف الكتب والمؤلفات الباطلة:**

اختار بعض السلف جواز إتلاف وإحراق كتب الضلال والانحراف، مستدلين بإجماع الصحابة على تحريق وإتلاف المصاحف الباطلة.

قال السبكي الأب -رحمه الله-: (وأما الإجماع، فإجماع الصحابة مع عثمان ﷺ على تحريق المصاحف الباطلة؛ لما فيها من زيادة، أو نقص على المصحف المجمع عليه، فإذا جاز تحريق الكتاب لباطل فيه، فالكتابة عليه بالإبطال أولى)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -في مسألة التعزير بالعقوبات المالية -: (مثل تحريق عثمان بن عفان المصاحف المخالفة للإمام، وتحريق عمر بن الخطاب لكتب الأوائل.. وهذه القضايا كلها صحيحة معروفة عند أهل العلم

(١) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (٤٣٩)

(٢) اللالكائي: اعتقاد أهل السنة (٤/٧٢٤).

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٢٨٨).

بذلك، ونظائرها متعددة)[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فصل: كذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها:

قال المروذي: قلت لأحمد: استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة، ترى أن أخرقه أو أحرقه؟ قال: نعم.

وقد رأى النبي -ﷺ- بيد عمر كتاباً اكتتبه من التوراة، وأعجبه موافقته للقرآن، فتمعر وجه النبي -ﷺ- حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه.

فكيف لو رأى النبي -ﷺ- ما صنف بعده من الكتب التي يعارض بعضها ما في القرآن والسنة؟ والله المستعان.

وقد أمر النبي -ﷺ- من كتب عنه شيئا غير القرآن أن يمحوه، ثم أذن في كتابة سنته، ولم يأذن في غير ذلك.

وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة: غير مأذون فيها، بل مأذون في محقها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة.

وقال الخلال: أخبرني محمد بن أبي هارون أن أبا الحارث حدثهم قال: قال أبو عبد الله: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار

(١) الفتاوى (٢٨/١١٠-١١١).

رسول الله -ﷺ- وأقبلوا على الكلام)[١].

وفي ترجمة عبد السلام بن عبد الوهاب ذكر ابن رجب حادثة إحراق كتبه المشتملة على كتب الفلاسفة، ورسائل إخوان الصفا، وكتب السحر، وعبادة النجوم[٢].



(١) الطرق الحكمية (٣٧٢).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٧١-٧٢).

# الخاتمة

ها قد اكتمل عقد هذا البحث بفضل الله -عز وجل- ومنته، آملاً أن يكون لبنة صالحة في صرح الدراسات الإسلامية في هذا المجال.

لقد اجتهدت في تحقيق إضافة علمية في هذا البحث؛ عبر استقراء نصوص السنة النبوية، وصولاً إلى بناء مفهوم ونظرية: **(الأمن الفكري)** بذكر عناصر المفهوم، ثم صياغة النظرية الإسلامية للأمن الفكري في ضوء السنة النبوية.

وأذكر هنا جملة من النتائج، مقرونة بما أراه من التوصيات:

١ - أن للمفاهيم أهميتها وخطرها، وأن المفاهيم المطروحة على الساحة الثقافية تتضمن نظريات كثيرة تطرح في سياقات تختلف باختلاف الأديان، والثقافات؛ مما يوجب عناية كبرى بالمفاهيم، وما تتضمنه من نظريات شاملة.

**والتوصية:**

أن تتبنى جائزة الأمير: (نايف بن عبد العزيز آل سعود) جهوداً علمية؛ لحصر المفاهيم، والنظريات، وحفزاً على دراستها في ضوء تطورها التأريخي؛ وصولاً إلى البناء العلمي الرشيد لتلك المفاهيم، والنظريات في

ضوء النصوص الشرعية، والنتاج العلمي لسلف الأمة.

٢- يعد مفهوم: (الأمن الفكري) من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، ولكن أظهرت الدراسة أن للشريعة رؤيتها المتكاملة؛ لتحقيق الأمن الفكري للناس، وأن ذلك يتم عبر خمسة عناصر:

**العنصر الأول: التأصيل على الحق:** وذلك عبر بناء الاعتقاد، والفكر على أسس ومقومات رشيدة.

**العنصر الثاني: الحماية والتحصين:** من كل أسباب الشر، والانحراف الفكري وبينت الدراسة أساليب الشريعة في ذلك.

**العنصر الثالث: التفاعل مع الحضارات والثقافات:** إذ بينت الدراسة أن الإسلام قد ضبط التعامل مع تلك الحضارات والثقافات، ووضع الأسس التي تكفل الاستفادة منها، وتمنع وقوع الضرر.

**العنصر الرابع: التعامل مع المهددات:** حيث أن الدراسة بينت أن هناك مهددات نفسية، وأخرى تربوية، مع المهددات الاجتماعية، والحضارية؛ مما يقتضي عناية بمواجهة تلك المهددات.

**العنصر الخامس: التقويم ومعالجة الانحراف:** وقد بينت الدراسة طرق المعالجة الشرعية للانحراف الفكري.

**والتوصية هنا:**

القيام بمزيد من العمل العلمي الذي يضع التفاصيل، ويتم النقص، ويقرن بين التنظير والتطبيق، ويضع برامج علمية، وعملية في ضوء النظرية الإسلامية للأمن الفكري.

٣- إن موضوع الأمن الفكري بحاجة إلى مزيد من الدراسات التأصيلية، والتحليلية للواقع، والتحديات المعاصرة.

**والتوصية:**

أن تبذل الجهود لدراسات جادة واسعة لنظرية: (الأمن الفكري) في الإسلام بما يكون طريقاً؛ لتحقيق سلامة فكر المسلمين، واعتقادهم.

مع بناء مرصد علمي متكامل يرصد كل ما يتعرض للأمن الفكري بالإخلال، سواء كان من الداخل أو الخارج.

وبعد:

فهذه محاولة أرجو أن تتبع بدراسات جادة واسعة لهذا الموضوع.

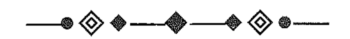
سائلاً الله أن يتقبل مني هذا الجهد.

مستغفراً عن كل خطأ وتقصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتب:

**عبد الرحمن بن معلا اللويحق**





# الفهـــارس

# فهرس الآيات القرآنية

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٨٧] | ٧٩٠ |
| | ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة: ٨٩] | ١٩٦، ٥٩٧، ٨٠٧، ٨٢١ |
| | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٩١] | ١٩٦، ٨٢١ |
| | ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] | ٧٨٠ |
| | ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ ﴾ [البقرة: ١٠٩] | ٧١، ٧٧٦، ٨٣٢ |
| | ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ١١٠] | ٢٧ |
| | ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] | ٧٤٥ |
| | ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] | ٩٩ |
| | ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ ﴾ [البقرة: ١٢٦] | ٢١ |
| | ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩] | ١٥٨ |
| | ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] | ٢٧٣، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩ |
| | ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥] | ٧٤٥ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] | ٢٠٦، ٣٥٣، ٦٤٥ |
| | ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] | ١٧٥ |
| | ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] | ٣٤٢ |
| | ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. | ١٧٠ |
| آل عمران | ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ٣] | ١٨٩ |
| | ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] | ٤٠، ١٥١، ١٥٣، ٣١٠، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٩٧، ٣٩٩، ٧٢٨، ٧٤٧ |
| | ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] | ١٥٣، ٢٠١، ٢٠٣ |
| | ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] | ٥١٧، ٦٩٣، ٧٨٢ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [آل عمران: ٢٨] | ٦٧١، ٦٨٢ |
| | ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢] | ٦٧١ |
| | ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[آل عمران: ٧٢] | ٤٢ |
| | ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١] | ٦٨٩، ٩٥٩ |
| | ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾ [آل عمران: ٦٤] | ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٧٠ |
| | ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧٥] | ٧٠٥ |
| | ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] | ٤٣٠ |
| | ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٨٥] | ٦٩٣ |
| | ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ٩٧] | ٢٠، ٣٩٨ |
| | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا ﴾ [آل عمران: ١٠٠] | ٧١، ٨٢٩ |
| | ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] | ٢٠، ١١٢، ٢٣٩، ٢٧٤، ٤٥٩ |
| | ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٧] | ٧٤، ١٥٧، ٥٥٦، ٥٦٤، ٧٢٥ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] | ٢٧٤، ٤٤٥ |
| | ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢] | ٨٣٣ |
| | ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨] | ٥٠٤، ٦٨٣ |
| | ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] | ٧٩، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٣، ٧٠١ |
| | ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾[آل عمران: ١٨٠] | ٤٢ |
| | ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] | ٣٨٢، ٨١٣ |
| | ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] | ٥١ |
| النساء | ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [النساء: ١٣] | ٣٢٥ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النساء: ١٤] | ٣٢٥، ٣٣٤ |
| | ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [النساء: ٣٥] | ٣٣٣ |
| | ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] | ١٣٧، ٣٢٦، ٧٩٣ |
| | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] | ٥٩٨ |
| | ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] | ٢١٩، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٦، ٣٥٤، ٣٧٨، ٤٦٦، ٤٧٦، ٩٢٩، ٩٩٣ |
| | ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ [النساء: ٦٩] | ٣٢٥ |
| | ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] | ٢١٨ |
| | ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] | ١٠٩، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٧١، ٦٧٨ |
| | ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣] | ٢٠٢، ٣٨٥، ٤٨٤ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] | ١٠٨ |
| | ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٩] | ٧١، ٧٧٦، ٧٧٧ |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ [النساء: ٩٤] | ٤٨٧ |
| | ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩] | ٥٠٥ |
| | ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥] | ١٨٩ |
| | ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] | ١٠٨ |
| | ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥] | ١٦٢، ٢٧٣، ٣٤٦ |
| | ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] | ٣٣٤ |
| | ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٣١] | ١٧٢، ٢٦٣ |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] | ١٩١ |
| | ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] | ١٥٣ |
| المائدة | ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] | ٤٨٢، ٦٣٦ |
| | ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] | ١٠٨، ٥٤٥، ٥٦٦ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
| --- | --- | --- |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾[المائدة: ٥١] | ٦٧١، ٦٨٢ |
| | ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] | ٦٦٧ |
| | ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ﴾ [المائدة: ٧٧] | ٥٣٥، ٧٤٥ |
| | ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٨١- ٨٢] | ٦٧٢ |
| | ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٨٢] | ٣٧٢ |
| | ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [المائدة: ٨٣] | ٣٧٢ |
| | ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة: ٩٢] | ٩٢٩ |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ [المائدة: ١٠١] | ٧٣، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦ |
| | ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦-١٢٠] | ٦٨٦ |
| | ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾[المائدة: ١١٨] | ٧٨ |
| الأنعام | ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٢] | ٤٠١ |
| | ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢] | ٢٢ |
| | ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢] | ٢٢ |
| | ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] | ١٣٤ |
| | ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ [الأنعام: ١١٢] | ٨٢٩ |
| | ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] | ١٠٨ |
| | ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١٦] | ٨٠٠ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: ١٥٠] | ٧٤٥ |
| | ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] | ٢٨ |
| | ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] | ٢٩، ٢٧١، ٤٢٣، ٤٥٩، ٦٨٠ |
| | ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧] | ٢٣٩ |
| | ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] | ٥٥٧، ٥٦٤ |
| الأعراف | ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا﴾ [الأعراف: ٣] | ٢٣٩، ٦٨٠، ٨٢٨ |
| | ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] | ١٧٥، ٣١٧ |
| | ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] | ٢١٠ |
| | ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي﴾ [الأعراف: ١٥٨] | ٦٢٤، ٦٩٣ |
| | ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ١٧٥- ١٧٧] | ٦١٢ |
| | ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] | ٢٧٤ |
| الأنفال | ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣] | ١٦٢ |
| | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠] | ٨٢٧ |

| الصحيفة | الآية | السورة |
|---|---|---|
| ١٩ | ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ ﴾ [الأنفال: ٢٦] | |
| ١٦٦ | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٩] | |
| ٦٥٨ | ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ ﴾ [الأنفال: ٦١] | |
| ٦٧٠ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ [الأنفال: ٧٢] | |
| ٣٥٩، ٣٦٠، ٧٩١ | ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١] | التوبة |
| ١٢٦، ٨٦٠ | ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣] | |
| ١٥٧، ٧٢٤ | ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ ﴾ [التوبة: ٦٩] | |
| ٤٤٥، ٦٧٠ | ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [التوبة: ٧١] | |
| ٩٧٥ | ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] | |
| ٣٤٧ | ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ [التوبة: ١٠٠] | |
| ٩٨٢ | ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨] | |
| ٤٠٧ | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] | |
| ٣٥٣ | ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ ﴾ [التوبة: ١٢٢] | |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] | ٨١، ٩٠، ٥٤٢، ٦٩٤ |
| يونس | ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] | ٣٢٧، ٨٩٤ |
| | ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] | ٤١٦ |
| | ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦] | ٧٩٧ |
| | ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩] | ١٥٤ |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧] | ٣٩٠ |
| | ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] | ٢٠٥ |
| | ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧] | ٣١٣ |
| | ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣] | ٨٠٦ |
| | ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] | ٣٠ |
| هود | ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] | ٣٢٧ |
| | ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ﴾ [هود: ١١٢] | ٧٤ |
| | ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥-١٦] | ١٦١-١٦٢ |
| | ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧] | ٣٧٣ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠] | ٧١٤ |
| | ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] | ٦٩، ٧٠، |
| | ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] | ٦٩، ٧٠، ٥٦١ |
| يوسف | ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١-٢] | ٣٧١ |
| | ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] | ٩٧، ٩٩ |
| | ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣] | ٧١٧ |
| | ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] | ٤٤٦ |
| | ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] | ٣٣٣، ٤٩٩ |
| | ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [يوسف: ٧٦] | ٢٠٢ |
| | ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] | ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠ |
| الرعد | ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾ [الرعد: ١٧] | ١٤٨ |
| | ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧]. | ٧٤٥ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] | ٩٧٦،٧٥٤ |
| | ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النحل: ١٢٧] | ٧٥ |
| الإسراء | ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] | ٩٩٤ |
| | ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] | ٤٨٨ |
| | ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾[الإسراء: ٥٩] | ٨٩ |
| | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] | ٦٤ |
| | ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[الإسراء: ٧٣ - ٧٥] | ٦٧٩ |
| | ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] | ٨٥ |
| طه | ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١-٢] | ٢٣٠ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ [طه: ٤٤] | ٦٦١، ٦٧٧ |
| | ﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ ﴾ [طه: ٨١] | ٥٣٠ |
| | ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤] | ٢٠٥ |
| | ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] | ٢٣٨ |
| الأنبياء | ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] | ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٨، ٣٩٦ |
| | ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] | ٨٥، ٤٨٦ |
| | ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] | ٨٠، ٥٤٢، ٦٢٤، ٧٠١ |
| الحج | ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج: ٣] | ٧٥٧، ٩٤٤ |
| | ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج: ٨] | ٧٥٧، ٩٤٤ |
| | ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٨-٩] | ٧٧٢ |

| الصحيفة | الآية | السورة |
|---|---|---|
| ٦٥٧ | ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] | |
| ٤٩٧ | ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١] | |
| ٢٣٣ | ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الحج: ٧٥] | |
| ١٣٦ | ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] | المؤمنون |
| ٥٥ | ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟﴾ [المؤمنون: ٥١] | |
| ٥٤٦ | ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٢] | |
| ٣١٣،١٥٤ | ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] | |
| ٨٠٠ | ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] | |
| ٩٤٢ | ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] | النور |
| ٥٩٣ | ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] | |
| ٢٢٨ | ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤] | |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] | ٢٦٨ |
| | ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ﴾ [النور: ٥٥] | ٢٣ |
| | ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور: ٦٣] | ٤٥٧ |
| الفرقان | ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان: ١] | ١٦٧، ٦٢٤ |
| | ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] | ٩١٨ |
| | ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ﴾ [الفرقان: ٣١] | ٨٢٩ |
| | ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣] | ٧٥٢ |
| | ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] | ١٣٨ |
| الشعراء | ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] | ٧٦ |
| | ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٤] | ٩٢٠ |
| | ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧] | ٦٨١ |
| | ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] | ١٥٢ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] | ٣٠، ٦٩٥ |
| النمل | ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩] | ١٧٩ |
| | ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] | ٤٨٩، ٤٩٢ |
| | ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧] | ٤٨٩، ٤٩٢ |
| | ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] | ٨٨٤ |
| | ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠] | ٧١٣ |
| القصص | ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] | ١٧٥ |
| | ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] | ٧٤١-٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤ |
| | ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] | ٧٥، ٢٦٥، ٦٧٦ |
| | ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] | ٧٩٥ |
| العنكبوت | ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١-٣] | ٤٥٧، ٨٢٩ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤] | ٨٥ |
| | ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩] | ٣٠٤ |
| | ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠] | |
| | ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] | ٦٨٥، ٧٥٤ |
| | ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ [العنكبوت: ٥١-٥٢] | ٣٧٤ |
| | ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ﴾ [العنكبوت: ٦٧] | ٢١ |
| | ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] | ٤٥٧ |
| الروم | ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم: ٢١] | ٦٧٧ |
| | ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الروم: ٢٩] | ٧٤٤ |
| | ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠] | ٣٠، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٦، ٢٩٩ |
| | ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [الروم: ٥٦] | ١٥٣، ٢٠٥ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| لقمان | ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] | ١٣٥، ١٣٨ |
| | ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان: ١٥] | ٦٧٥ |
| | ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢١] | ٩٢٠ |
| | ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] | ٣٢٩، ٨٧٣، ٨٨٣ |
| السجدة | ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤] | ١٤٨، ١٥٢، ٣٥٣ |
| الأحزاب | ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] | ٨٨ |
| | ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] | ٤٠٧ |
| | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] | ٨٢ |
| | ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] | ٩١٨ |
| | ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٧١] | ٣٢٥ |
| | ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] | ١٠٠ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| | ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣] | ٣٢٧ |
| | ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨] | ٣٧١ |
| | ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] | ٣٣٤ |
| | ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] | ٥٩٨، ٦٤٨ |
| غافر | ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] | ٦٨٥، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٧٣ |
| | ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٣٥] | ٦٨٤، ٧٥٥ |
| فصلت | ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] | ١٢٤، ٢٢٥ |
| | ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ [فصلت: ٤٢] | ١٢٥ |
| | ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤] | ٢٣٣ |
| الشورى | ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] | ١٣٦ |
| | ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] | ١٨٩ |

| السورة | الآية | الصحيفة |
|---|---|---|
| الغاشية | ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] | ٣٠٣ |
| البينة | ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] | ٨٠٦ |
| | ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] | ١٥٨، ٩٤١ |
| | ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨]<br>﴿جزاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ﴾ [البينة: ٨] | ٢٠٥ |
| قريش | ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا﴾ [قريش: ٣-٤] | ١٩ |
| الكافرون | ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١-٥] | ٦٧٩ |
| المسد | ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢] | ٦٩٦ |

# فهرس الأحاديث

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| "إنما ذلك سواد الليل.." | ٧٣٢ |
| "إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا.." | ٥٤٩ |
| "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم.." | ٧٦٨،٥٥٠ |
| "إنما هلك من كان قبلكم بهذا.." | ٥٥٠ |
| "إنه كان قد كان فيما مضى.." | ٨٨٥ |
| "أنه لم يكن نبي إلا حذر.." | ٥٨٨،٥٨١ |
| "أنه نهى عن الأغلوطات " | ٤٢٥،٣٩٨ |
| "إنه يهودي.." | ٥٨٩ |
| "إنهم ليسوا بشيء.." | ٨٨٠ |
| "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي.." | ٥٥٢ |
| "إني خلقت عبادي حنفاء.." | ٢٩٨ |
| "إني لا أخاف على أمتي.." | ٧٢٧،٦١٨ |
| "إني لأخشاكم لله وأتقاكم.." | ٧٣٥،٥٤١،٥٣٢،٦٥ |
| "إني والله ما آمن يهود على.." | ٧٠٨ |
| "أو ليس قد جعل الله لكم ما.." | ٣٦ |
| "أوثق عرى الإيمان.." | ٦٧١ |
| "أوصيكم بتقوى الله.. وإن عبداً.." | ٩٣٠،٥٦٩،١٧٢ |
| "أوليسَ قد جعل الله لكم.." | ٩٥٦ |

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| "من بدل دينه.." | ٤٦، ٩٨٣، ٩٩٢ |
| "من بنى بنياناً في غير ظلم.." | ٦٠ |
| "من ترك الكذب.." | ٧٧٠، ٧٧١ |
| "من تشبه بقوم.." | ٤١، ٩٢٣ |
| "من تعلَّم علماً مما يُبتَغى.." | ١٦٢، ٧٢٦ |
| "من تعمد علي كذباً.." | ٣٣٥ |
| "من تواضع لله درجة.." | ٧٩٣ |
| "من جامع المشرك.." | ٥٠٨ |
| "من حدث عني.." | ٣٣٦ |
| "من حمل علينا السلاح.." | ٥٨ |
| "من حُوسب عذب.." | ٣٩٦ |
| "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة.." | ٨١٧ |
| "من رأى من أميره شيئاً.." | ٤٦٧، ٥٥٩-٥٦٠ |
| "من رأى منكم.." | ٤٥، ٤٤٧، ٤٩٩ |
| "من سلك طريقاً يلتمس فيه.." | ٢٠٦، ٣٦٠، ٣٨٥ |
| "من سلم المسلمون.." | ٤١٧، ٦٦١، ٩٠٩ |
| "من سَمِعَ بالدجال فلينأ.." | ٥٩٥، ٩٧٢ |
| "من صلى صلاة لم يقرأ فيها.." | |

# فهرس المصادر والمراجع


١- الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (الشريعة) تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٢- الآمدي: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن (الإحكام في أصول الأحكام) تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٣- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني "سنن أبو داود" بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٤- الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: (الزهد) تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٥- الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: (المسند) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

٦- أحمد محمد شاكر: (عمدة التفسير) اختصار لتفسير ابن كثير، دار المعارف، القاهرة: ١٣٧٧هـ.

٧- أحمد محمد شاكر: (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير) مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الثانية.

٨- ابن أبي جمرة: عبد الله بن سعد: (بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما

عليها شرح مختصر صحيح البخاري) مطبعة الصدق، القاهرة: ١٣٤٨هـ.

٩- ابن أبي حاتم: أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي: (الجرح والتعديل) الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٠- ابن أبي شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة (الباعث على إنكار البدع) تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.

١١- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، "مصنف ابن أبي شيبة": تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ

١٢- ابن أبي عاصم: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (السنة) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيوت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ.

١٣- ابن أبي عز: علي بن علي بن أبي العز الحنفي (شرح العقيدة الطحاوية) تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة: ١٤١٦هـ.

١٤- ابن أثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (النهاية في غريب

الحديث والأثر) تحقيق: طاهر أحمد الـزاوى - محمـود محمـد الطنـاحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٥- ابن باز: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله) أشرف على جمعه وطبعـه: محمـد بـن سـعد الـشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

١٦- ابن بطال: أبو الحسن علي بـن خلـف بـن عبـد الملـك بـن بطـال (شرح صحيح البخاري) تحقيق: أبو تميم يـاسر بـن إبـراهيم، مكتبـة الرشـد- الرياض، الطبعة: الثانية: ١٤٢٣هـ.

١٧- ابن بطة: أبو عبد الله بن محمد بـن بطـة العكـبري: (الإبانـة عـن شريعـة الفرقة الناجية ومجانية الفرق المذمومة) تحقيق: رضا بـن نعـسان معطـي، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

١٨- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بـن عبـد الـسلام ابـن تيميـة: (أمـراض القلوب وشفاؤها) المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.

١٩- ابن تيمية: (الفتاوى الكبرى) تحقيق: محمـد عطـا - مـصطفى عطـا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- ابن تيمية: (الحسبة في الإسلام) تحقيق: سيد محمـد بـن أبي سـعدة، نـشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢١- ابن تيمية: (تلخـيص كتـاب الاسـتغاثة المعـروف بـالرد عـلى البكـري) المطبعة السلفية/ مصر: ١٣٤٦هـ مطبوع مع كتاب الرد على الأخنائي.

٢٢- ابن تيمية: (جامع الرسائل) تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى: ١٣٨٩هـ.

٢٣- ابن تيمية: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) تحقيق: حسين الجمل، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة: ١٩٨٨م.

٢٤- ابن تيمية: (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٢٥- ابن تيمية: (الاحتجاج بالقدر) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤٠٤هـ.

٢٦- ابن تيمية: (الإيمان) المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة: ١٣٩٥هـ.

٢٧- ابن تيمية: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) تحقيق: د.علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٨- ابن تيمية: (الرد على الأخنائي) المطبعة السلفية بمصر: ١٣٤٦هـ.

٢٩- ابن تيمية: (الرد على المنطقيين) دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٣٠- ابن تيمية: (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٦٩م.

٣١- ابن تيمية: (الصفدية) تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٢- ابن تيمية: (الوصية الكبرى) تقديم وتعليق: محمد النمر، عثمان

ضميرية، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٣٣- ابن تيمية: (درء تعارض العقل والنقل) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤- ابن تيمية: (رسالة الفرقان بين الحق والباطل) مكتبة عبد العزيز السلفية، الإسكندرية، مصر: ١٤٠١هـ

٣٥- ابن تيمية: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) جمع وترتيب الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط - المغرب.

٣٦- ابن تيمية: (منهاج السنة النبوية) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٧- ابن جرير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٨- ابن جرير الطبري: (تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٩- ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (مسند ابن الجعد) تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

٤٠- ابن جماعة: بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة(تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان.

٤١- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ذم الهوى) تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

٤٢- ابن جوزي: (صفة الصفوة) تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

٤٣- ابن الجوزي: (كشف المشكل من حديث الصحيحين) تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض: ١٤١٨هـ.

٤٤- ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (صحيح ابن حبان) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٤٥- ابن حبان: (كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين) تحقيق محمود إبراهيم زايد.

٤٦- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (الإصابة في تمييز الصحابة) دار صادر، الطبعة الأولى: ١٣٢٨هـ.

٤٧- ابن حجر: (تقريب التهذيب) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ.

٤٨- ابن حجر: (تهذيب التهذيب) الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الهند - حيدر آباد: ١٣٢٦هـ.

٤٩- ابن حجر: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) تحقيق: عبد العزيز بن

عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٠- ابن حجر: (لـسان الميـزان) مطبعـة مجلـس دائـرة المعـارف بحيـدر آبـاد الدكن.

٥١- ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (الأخـلاق والـسير في مـداواة النفـوس) النـاشر دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٥٢- ابن حزم: (الإحكام في أصول الأحكام) الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ.

٥٣- ابن حزم: (الفصل في الملل والأهواء والنحل) مكتبة المثنى، بغداد.

٥٤- ابن حزم: (المحـلى) تـصحيح: حـسن زيـدان طلبـه، مكتبـة الجمهوريـة العربية، القاهرة ـ مصر، ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠م.

٥٥- ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بـن أحمـد بن رجب (شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم) تحقيـق محمـد مفيـد الخيمي، مكتبة الخافقين، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ.

٥٦- ابن رجب: (المحجة في سير الدلجة شرح حديث " لن ينجي أحداً مـنكم عمله) تحقيق: يحيـى مختـار غـزاوي، دار البـشائر الإسـلامية، بـيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

٥٧- ابن رجب: (جامع العلوم والحكم في شرح خمـسين حـديثاً مـن جوامـع الكلم) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبـراهيم بـاجس، مؤسـسة الرسـالة،

الطبعة الثالثة: ١٤١٢هـ.
٥٨- ابن سعد: محمد بن سعد (الطبقات الكبرى) دار بيروت للطباعة والنشر: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٥٩- ابن سعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) بتصحيح: عبد الغني عبد الخالق، مطبعة المشهد الحسيني: ١٣٧٦هـ.
٦٠- ابن سعدي: "تيسير الكريم الرحمن" تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٦١- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(المحكم والمحيط الأعظم) تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م
٦٢- ابن صلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (علوم الحديث) مكتبة الفارابي، الطبعة: الأولى ١٩٨٤ م.
٦٣- ابن عاشور: : محمد الطاهر بن عاشور (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) اعتنى به: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس - الأردن، الطبعة: الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦٤- ابن عاشور: : (مقاصد الشريعة الإسلامية) اعتنى به: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس - الأردن، الطبعة: الثانية: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦٥- ابن عاشور: (التحرير والتنوير) دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس:

١٩٩٧ م.

٦٦- ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبـي (الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار) تحقيق سالم محمد عطا-محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م.

٦٧- ابن عبد البر: (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة) دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨- ابن عبد البر: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، مؤسسة قرطبه.

٦٩- ابن عبد البر: (جامع بيان العلم وفضله) دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ

٧٠- ابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين) جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا: ١٤١٣ هـ.

٧١- ابن عثيمين: (تفسيره للقرآن الكريم) عن موقعه على شبكة الانترنت.

٧٢- ابن عثيمين: (القول المفيد شرح كتاب التوحيد) دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٧٣- ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (تاريخ دمشق) دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

٧٤- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٩٥ هـ) " معجم مقاييس اللغة " تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧٥- ابن قدامة المقدسي: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: (روضة الناظر وجنة المناظر) تحقيق: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.

٧٦- ابن قطان: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك (بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام) تحقيق: الحسين آيت سعيد، دار طيبة - الرياض: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٧- ابن قيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: (أحكام أهل الذمة) تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيوت، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٨- ابن قيم: (إعلام الموقعين عن رب العالمين) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٧هـ.

٧٩- ابن قيم: (إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان) تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: ١٣٥٧هـ.

٨٠- ابن قيم: (الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة) دار الكتب العلمية - بيروت: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٨١- ابن القيم: (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) تحقيـق: بـشير عيـون، مكتبة المؤيد، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠هـ.

٨٢- ابن قيم: (زاد المعاد في هدي خير العباد) تحقيـق: شـعيب الأرنـؤوط - عبد القادر الأرنـؤوط، مؤسـسة الرسـالة - بـيروت - لبنـان، الطبعـة: الثلاثون: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٣- ابن قيم: (شفاء العليل في مسائل القـضاء والقـدر والحكمـة والتعليـل) تحقيق: محمـد بـدر الـدين الحلبـي، دار الفكـر - بـيروت: ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م.

٨٤- ابن قيم: (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) تحقيق: علي بن محمـد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٨٥- ابن قيم: (الفوائد) مكتبة النهضة العلمية السعودية - مكـة المكرمـة، دار مصر للطباعة.

٨٦- ابن قيم: (مختصر الصواعق) اختصار: محمد الموصلي، تـصحيح: محمـد الفقي، المطبعة السلفية، مكة المكرمة: ١٣٤٨هـ.

٨٧- ابن قيم: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نـستعين) تحقيـق: محمـد حامـد الفقـي، دار الكتـاب العـربي - بـيروت، الطبعـة الثانيـة: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٨٨- ابن قيم: (مفتاح دار السعادة ومنـشور ولايـة العلـم والإرادة) صـححه وعلـق عليـه: محمـود ربيـع، مكتبـة الأزهـر بمـصر، الطبعـة الثانيـة:

١٣٥٨هـ.

٨٩- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: (البداية والنهاية) مكتبة المعارف، بيوت، لبنان.

٩٠- ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، وأيضاً: طبعة دار الأندلس الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.

٩١- ابن كثير: (السيرة النبوية) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان: ١٣٩٦ هـ- ١٩٧١م.

٩٢- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣هـ)، " سنن ابن ماجة " بيت الأفكار الدولية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٩٣- ابن ملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٩٤- ابن منظور: محمد بن مكرم (لسان العرب المحيط) إعداد: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت: ١٣٩٠هـ.

٩٥- ابن النجار: محمد بن أحمد (شرح الكوكب المنير) تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٧٢هـ.

٩٦- ابن هشام: عبد الملك بن هشام (السيرة النبوية) مراجعة وتعليـق: محمـد خليل هراس، مكتبة الجمهورية، القاهرة.

٩٧- ابن وضاح: أبو عبد الله محمد بن وضاح الأندلسي (البدع والنهي عنهـا) دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ.

٩٨- أبو حيان: أبو عبد الله محمـد بـن يوسـف بـن حيـان الأندلـسي (البحـر المحيط) نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض.

٩٩- أبو سعيد النقاش: محمد بن علي بـن عمـرو النقـاش أبـو سـعيد(فوائـد العراقيين) تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة.

١٠٠- أبو عبيد: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد (غريب الحـديث) تحقيـق: محمد عبد المعيد خـان، دار الكتـاب العـربي - بـيروت، الطبعـة الأولى: ١٣٩٦هـ.

١٠١- أبـو نعـيم: أحمـد بـن عبـد الله الأصـبهاني (حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصفياء) دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٠٢- الماوردي: أبو الحسن علي بـن محمـد بـن حبيـب(الأحكـام الـسلطانية والولايات الدينية) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة: ١٣٩٣هـ.

١٠٣- أبو يعلى: أحمد بن علي (مسند أبو يعلى الموصلي) تحقيـق: حـسين أسـد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

١٠٤- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (كتاب الخراج) دار المعـرف، بـيروت:

١٣٩٩هـ.

١٠٥- ابن مفلح: محمد بن محمد المقدسي (الآداب الشرعية والمنح المرعية) مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

١٠٦- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن)تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٠٧- الألباني: محمد ناصر الدين الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة) المكتب الإسلامي، دمشق: ١٣٧٨هـ.

١٠٨- الألباني: (ظلال الجنة في تخريج السنة) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠ هـ.

١٠٩- ألباني: (سلسلة الأحاديث الضعيفة) مكتبة المعارف - الرياض.

١١٠- ألباني: (صحيح سنن ابن ماجة) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

١١١- ألباني: (صحيح الجامع الصغير وزياداته) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ..

١١٢- المروزي: محمد بن نصر (السنة) دار الثقافة الإسلامية، الرياض.

١١٣- ابن الجزري: (النشر في القراءات العشر) أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع.

١١٤- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي (٤٠٣

ـ ٤٩٤هـ)، " المنتقى شرح موطأ الإمام مالـك "، دار الكتـاب العـربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٣٢هـ.

١١٥- الإمام البخاري: أبـو عبـد الله محمـد بـن إسماعيل البخـاري (الأدب المفرد) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسـلامية - بـيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١٦- الإمام البخاري: (صحيح البخاري) اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الريـاض - المملكـة العربيـة الـسعودية، ١٤١٩هــ - ١٩٩٨م.

١١٧- البربهاري: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد (شرح السنة) تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القـيم - الـدمام، الطبعـة الأولى، ١٤٠٨هـ

١١٨- البغوي: أبو محمد الحسين بـن مـسعود الفـراء البغـوي(شرح الـسنة) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هــ ١٩٨٣م

١١٩- البغوي: (معالم التنزيل) تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفـة، بيوت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

١٢٠- البلاذري: (فتوح البلدان) مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة.

١٢١- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقـي (الأسـماء والصفات) تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - جـدة،

الطبعة الأولى.

١٢٢- البيهقي: (السنن الكبرى) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

١٢٣- البيهقي: (شعب الإيمان) تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٢٤- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، " جامع الترمذي " بيت الأفكار الدولية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

١٢٥- الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) دار الفكر - بيروت: ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

١٢٦- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني: (التعريفات) تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٢٧- الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي: (أحكام القرآن) دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢٨- الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، " الوزراء والكتاب" تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى

١٢٩- الجوهري: إسماعيل بن حماد " الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية "،

تحقيق أحمد عبد الغفـور عطـار، دار الملايـين، بـيروت - لبنـان، الطبعـة الثانية: ١٣٩٩هـ.

١٣٠- الجويني: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم) تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ.

١٣١- حافظ بن أحمد حكمي (معارج القبول بشرح سلم الوصـول إلى علـم الأصول) تحقيق: عمر بن محمـود أبـو عمـر، دار ابـن القـيم - الـدمام، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

١٣٢- حافظ بن محمد عبد الله الحكمي: (مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة) مطـابع الجامعـة الإسـلامية، المدينـة المنـورة، المملكـة العربيـة السعودية: ١٤٠٦هـ

١٣٣- الحاكم: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم (معرفـة علـوم الحـديث) مراجعة: سعيد اللحام، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

١٣٤- حاكم: (المستدرك على الصحيحين) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطـا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، و مع الكتـاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

١٣٥- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (العزلة) تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ.

١٣٦- الخطابي: (معالم السنن) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت:

١٤٠٠هـ.

١٣٧- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد) دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٨- الخطيب البغدادي: (الفقيه والمتفقه) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

١٣٩- الخطيب البغدادي: (شرف أصحاب الحديث) تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.

١٤٠- الخطيب البغدادي: (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض: ١٤٠٣هـ.

١٤١- الخطيب البغدادي: (الكفاية في علم الرواية) مراجعة: عبد الحليم محمد عبد الحليم دار الكتب الحديثة القاهرة، الطبعة الأولى.

١٤٢- خليل بن أحمد: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: (كتاب العين) تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤٣- الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي(سنن الدار قطني) تحقيق: عبد الله هاشم يماني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٤٤- الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، " سنن الدارمي "، تحقيق: فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب

العربي،بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

١٤٥- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بـن عـثمان الـذهبي (سـير أعـلام النبلاء) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخـرون، مؤسـسة الرسـالة، الطبعـة التاسعة: ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م.

١٤٦- الذهبي: (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) تحقيق علي محمـد البجـاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان

١٤٧- الذهبي: (تذكرة الحفاظ) دراسة وتحقيق: زكريا عمـيرات، دار الكتـب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٤٨- رابوبرت: مبادئ الفلسفة: (١٩١).

١٤٩- الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمـزي (المحـدث الفاصـل بين الراوي والواعي) تحقيـق: د. محمـد عجـاج الخطيـب، دار الفكـر - بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ.

١٥٠- رشيد بن النوري البكر: (تنمية التفكـير مـن خـلال المـنهج المـدرسي) مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٥١- الزبيدي: محمّد بـن محمّـد بـن عبـد الـرزّاق الحسيني الزَّبيـدي (تـاج العروس من جواهر القاموس) تحقيق مجموعة من المحققين، النـاشر دار الهداية.

١٥٢- الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: (شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك) دار الكتب العلمية: ١٤١١هـ.

١٥٣-الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (البرهان في علوم القرآن) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية: ١٩٧٢م

١٥٤- الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي (البرهان في أصول الفقه) عبد العظيم محمود الديب، مكتبة الوفاء، مصر، الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ.

١٥٥- السبكي: عبد الوهاب بن علي السبكي (معيد النعم ومبيد النقم) دار الحداثة، بيوت، ١٤٠٣هـ.

١٥٦- سبكي: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (طبقات الشافعية الكبرى) تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤١٣هـ

١٥٧- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٨- السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي (أصول السرخسي) نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد: ١٣٧٢هـ.

١٥٩- سعد الشهراني: (مؤسسات الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية) بحث علمي مقدم في مؤتمر المملكة العربية ا لسعودية في مائة عام، ١٤١٩هـ

١٦٠- سعيد الوادعي: الأمن الفكري الإسلامي: (٥٠) مجلة: الأمن والحياة،

عدد: (١٨٧) ١٨ ١٤١٨هـ..

١٦١- السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم (لوامع الأنوار وسواطع الأسرار الأثرية) مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ.

١٦٢- سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى.

١٦٣- السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (قواطع الأدلة في الأصول) تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م

١٦٤- سيد قطب: (في ظلال القرآن) دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة: ١٣٩٨هـ.

١٦٥- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.

١٦٦- السيوطي: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) دار المعرفة: ١٣٨٠هـ.

١٦٧- السيوطي: (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) نشرها: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ.

١٦٨- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي (الاعتصام) تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

١٦٩- شاطبي: (الموافقات في أصول الشريعة) دار المعرفة، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ، وكذلك طبعة دار ابن عفان، بتحقيق: مشهور بن حسن، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٧٠- الإمام شافعي: محمد بن إدريس (جماع العلم) تحقيق: محمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.

١٧١- الإمام شافعي: (الرسالة) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيوت.

١٧٢- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م، وطبعة عالم الكتب.

١٧٣- الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني (أدب الطلب ومنتهى الأرب) تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.

١٧٤- الشوكاني: (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دار الكتبي، مصر: الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

١٧٥- الشوكاني: (القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار المعرفة، بيروت.

١٧٦- شوكاني: (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة.

١٧٧- الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني(الآحاد

والمثاني) تحقيـق: باسـم فيـصل أحمـد الجـوابرة، دار الرايـة - الريـاض، الطبعة: الأولى: ١٤١١هـ.

١٧٨- صلاح إسماعيل: (توضيح المفاهيم ضرورة معرفية) ضمن كتاب: بنـاء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١٧٩- الطبراني: أبو القاسم سليمان بـن أحمـد الطـبراني، (المعجـم الأوسـط) تحقيق: طارق بن عوض الله و عبد المحسن بـن ابـراهيم، دار الحـرمين، القاهرة ـ مصر، ١٤١٥هـ.

١٨٠- الطبراني: (المعجم الكبـير) تحقيـق: حمـدي بـن عبـد المجيـد الـسلفي، العلوم والحكم، الموصل ـ العراق، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م

١٨١- الطبراني: (مسند الشاميين) تحقيـق: حمـدي بـن عبـد المجيـد الـسلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤م

١٨٢- الطحاوي: أبو جعفـر أحمـد بـن محمـد بـن سـلامة الطحـاوي (شرح مشكل الآثار) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسـالة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٨٣- الطحاوي: (شرح معـاني الآثـار) تحقيـق: محمـد زهـري النجـار، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٨٤- طه جابر العلـواني الأزمـة الفكريـة المعـاصرة تـشخيص ومقترحـات علاج: / المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٨٩م.

١٨٥- طه جابر العلواني: (بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية) المقدمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١٨٦- عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي: (نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب) جامع نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤٢٧هـ.

١٨٧- عبد الرحمن أبو الخير: (ذكرياتي مع جماعة الإخوان المسلمين " التكفير والهجرة) دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.

١٨٨- عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مشكلة الغلو في الدين) مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ.

١٨٩- عبد الرحمن اللويحق: (مفهوم جماعة المسلمين) دار الوراق، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

١٩٠- عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (المصنف) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

١٩١- عبد الفتاح أبو غدة: (الرسول المعلم -ﷺ- وأساليبه في التعليم) مكتبة المطبوعات الإسلامية، سوريا - حلب، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٩٢- عبد الفتاح أبو غدة: (لمحات من تاريخ السنة) مكتبة المطبوعات الإسلامية، سوريا - حلب، الطبعة الثانية.

١٩٣- عبد الله الجربوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: (٢/ ٥٨٤) الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١٩٤- عبد المجيد بن سالم المشعبي: (التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام) مكتبة ابن القيم، الطبعة أولى: ١٤١٤هـ.

١٩٥- عبد المحسن العباد: شرح سنن أبي داود عن المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.

١٩٦- علي الدين هلال: الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول: (١٢) مجلة شؤون عربية، عدد: (٣٥) يناير: ١٩٨٤م.

١٩٧- علي بن حسن القرني: (الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب) مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

١٩٨- عمر الأشقر: (نظرات في أصول الفقه) الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ

١٩٩- غزالي: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: (إحياء علوم الدين) دار المعرفة - بيروت.

٢٠٠- غزالي: (المستصفى من علم الأصول) مؤسسة الحلبي وشركاه، مصر: ١٣٢٤هـ.

٢٠١- غزالي: (المنخول) حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠٢- محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "فتاوى سماحة الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ"، جمع الشيخ: محمد بن عبد الرحمن القاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، ١٣٩٩هـ.

٢٠٣- فيروز آبادي: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: (القاموس المحيط) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.

٢٠٤- فيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي) دار الكتب العلمية - بيروت: ١٣٩٨هـ.

٢٠٥- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن" دار الكاتب العربي، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

٢٠٦- اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٠٧- الإمام مالك بن أنس: (الموطأ) تحقيق: : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

٢٠٨- محمد أبو زهرة: (تاريخ الجدل) دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.

٢٠٩- محمد العبده، وطارق عبد الحكيم: (مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم) دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٥هـ.

٢١٠- محمد بن سعيد القحطاني: (الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف) دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.

٢١١- محمد بن الحسن الشيباني: (السير الكبير) تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية: ١٩٧١م.

٢١٢- محمد بن عبد العزيز العلي: تجديد الدين: مفهومه وضوابطه وآثاره.

٢١٣- محمد رشيد رضا: (تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار) دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٣٩٣هـ.

٢١٤- محمد عبد العزيز بن عبد الله المسند: (أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين وعاقبة ذلك في ضوء القرآن الكريم) مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢١٥- محمد عجاج الخطيب: (السنة قبل التدوين) مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

٢١٦- محمد محمد نصير: (الأمن والتنمية) العبيكان - الرياض، ١٤١٣هـ.

٢١٧- مروزي: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله (تعظيم قدر الصلاة) تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٢١٨- الإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، " صحيح مسلم " اعتناء: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢١٩- مجمع اللغة العربية: (المعجم الفلسفي) الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ١٤٠٣هـ.

٢٢٠- محمد رواس قلعه جي و حامد صادق قنيبي (معجم لغة الفقهاء) دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٢١- المقدسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧ ـ ٦٤٣هـ) "الأحاديث المختارة"، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٢٢- ملا علي بن سلطان القاري: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٢٣- المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي: (التوقيف على مهمات التعاريف) تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

٢٢٤- المناوي: (فيض القدير شرح الجامع الصغير) دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٣٩١م.

٢٢٥- المنذري: أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) " الترغيب والترهيب "، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

٢٢٦- المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري " تحفة الأحوذي" دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٢٧- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (السنن

الكبرى) تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٢٨- النسائي: (سنن النسائي " المجتبى ") بيت الأفكار الدولية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢٢٩- النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار) دار القلم، بيوت، طبع ونشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٢٣٠- النووي: (روضة الطالبين وعمدة المفتين) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥ هـ.

٢٣١- النووي: (تهذيب الأسماء واللغات) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، المكتبة العلمية.

٢٣٢- النووي: : (المجموع شرح المهذب) إدارة الطباعة المنيرية.

٢٣٣- النووي: (المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج) تحقيق: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٣٤- الهروي: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي: (ذم الكلام وأهله) تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٨هـ -١٩٩٨م

٢٣٥- الهيثمي: علي بن أبي بكر الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ)، " مجمع الزوائد، دار

الريان للتراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٠٧هـ

٢٣٦- وكيع: أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الملقب بـ: (وكيع): (أخبار القضاة) صححه و علق عليه و خرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م

٢٣٧- يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م.

# فهرس الموضوعات